والحمد لله ربّ العالمين، والصلوة والسلام الاتمّــان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين، محمد وآله وصحبه الطيّبين الطاهرين، وساير الانبياء والرسل وآل كل والتابعين، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، امين ❁

وقد فرغ مؤلّفه من تحريره، ووقفت انامل قلمه عن تحبيره،
فى ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الاول سنة ۹۸۵ ❁

كان الفراغ من طبع هذا الكتاب المبارك فى مدينة غُتّنْغَة
بمطبع المدرسة المحروسة يوم الاربعاء الثالث عشر
من المحرم الحرام سنة ۱۲۷۴

غفر الله تعالى لمؤلّفه ومُبْرِزه وصاحبه وقاريه ولمن نظر فيه
ولجميع المومنين والحمد لله رب العالمين ❁

تم تم

تم

والرافع لكلمة الايمان، علم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان، الذى تتصاغر فى ابواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر، وتسعى الى لثم اعتابه ملوك الشرق والغرب وامثال دارا والاسكندر، قبلة اقبال قلوب العالمين، وكعبة وفود مطالب العلماء العالمين، المحسن الى اهل الحرمين المحترمين الشريفين، المتكرم المتفضل على جيران الله وجيران نبيه صلعم فى هذين البلدين المعظمين المنيفين، الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا، والآمن فى ظل امنه ولطفه ورأفته جميع البرايا، الذى هو بحر كرم تحدث الالسن بمكارمه بالعجايب ولا حرج، ويلوذ باعتابه الشريفة من نالته شدة الافتقار فتدخل اليه السعادة من باب الفرج،

له دولة أسمى لها الله فى العلا مقاماً واعلاها جناباً وأسماها
لقد اعربت عن سيرة عمرية تبوأها عثمان بالعدل مبناها

السلطان ابن السلطان ابن السلطان، الملك المؤيد مراد خان ابن سليم خان ابن سليمان خان، نصر الله تعالى عزايمه، وامضى فى رؤس الاعداء صوارمه، وشيد به بنيان الاسلام ودعايمه، وجعل مغارمه فى سبيل الله مغانمه، ولا زالت الوية نصره منشورة الذوايب، مشهورة القواضب، مشرقة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغارب، صاعدة فى افق السماء حتى تزاحم مناكب مواكب الكواكب، ولا برحت اسباب سعادته تقوى، واحاديث المكارم اليه تسند وعنه تروى، والقلوب تتمسك من عبوديته وصدق رايه بالسبب الأقوى، فى عز مزيد، ونصر مشيد، وعمر مديد، وسلطنة ثابتة لا تهن ولا تبيد، وسعادة دايمة تتضاعف وتزيد، واقبال يلازم ركابه السعيد،

ما لاح نجم على افق السماء وما هبّ النسيم على العشاق بالطيب،

الاداب، وأدْرجته من زُبَد الحكم واللُّباب، ولا يحملك الحسد الذى جبل عليه الاقران، من انكار ما تجد لغيره من المزايا الحســان، ولا يستميلك استصغار مؤلّفه الى نَبْذ فرايده، والاستسهال بعظم فوايده، فان لك غنمها، وعلى غيرك غرمها،

وما عبّر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل، ومع ذلك فلا ادّعى رُتبة الكمال ففوق كل ذى علم عليم ولا ازعم النزاهة عن النقص والعَيْب فالمنزه عن كل عَيْب هو الله الملك القدوس العزيـز العليم، ولقد قيل لا يعْرَى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص فى الميل الى نقصه، ولقد ارسل استــاد البلغـــاء القاضى عبد الرحيم الفاضل البيسانى الى العماد الاصفهانى الكاتب معتذرًا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لى شئ وما ادرى اوقع لك ام لا وها انا أُخبرك به وذلك انى رايت انه لا يكتب انسان كتاباً فى يومه الا قال فى غده لو غيّر هذا لكان احسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى، فالأَلْيَق بالفاضـل اذا عـثـر بشىء ممّا كبا فيه المؤلّف وعثر ان يَسْتُرَ الزلل ويقيل العثار، ويَسُدَّ الخَلَل والعوار، فالكريم غفار، والحليم ستار،

وقد رايتُ ان اجعل ختام هذا الكتاب مِسْكاً، وانظم له بجواهر المفاخر سِلْكاً، فأَخْتمه كما بداته بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم، خليفة الله الاكبر الافخم، صاحب السيف والقلم والعلم والعَلم، مولى الترك والروم والعرب والعجم، سلطان سلاطين هذا الزمان، لخافض لكلمة الكفر

من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هناك بير بعيدة متهدّمة
مملوءة بالتراب فامر سيّدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام
السيد القاضى حسين الحسينى ان يحصل له من يحفر ذلك البير
ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البير الى الموضع الذى يعتمرون
الناس منه بقرب الاميال وعيّن خادماً يجبذ الماء من البير فى كل وقت
ويسكبه فى ذلك المجرى فيسيل منه الماء الى موضع يتوضّأ فيه المعتمرون
على الاتّصال والدوام يشرب منه الناس والدوابّ والمعتمرون واهل
القوافل المارّين من هناك وابناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعاً تامًّا
ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا اثر عظيم لهذا الوزير المعظم من
جملة خيراته الجارية دايمًا ان شاء الله تعالى اجرى الله تعالى على يَدَيْه
الخيرات، واثابه عليها اعظم الاجر وأسْنَى المثوبات، وبلّغه من الطافه
وعناياته ما يتمنّى، وختم لنا وله واجمعين بالحُسْنَى ✿

هذا آخر ما اردتُ جَمْعَه فى هذه الاوراق من كل خبر ظريف، واثر
مبارك شريف، رقّ معناه وراق، ولطف مُؤدّاه فى الاسماع والاذواق، كلّه
نُخَبُ دُرَرٍ ونصايح، وجميعه نُجُب غُرَر ومنايح،

ينسى بها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطربها

كانها نجومٌ فى سماء اللطافة زاهرة، او زهورٌ فى رياض الاناقة زاهرة، تحت
كل ذُرَة منها دُرّةٌ فاخرة، وضمّن كل لفظة نكتة خفية او حكمة ظاهرة،

اصبحَتْ للقلوب قُوتًا وأضحت قُرْط أُذن وللّوَاحظ قُرّه

ولعمرى يحقّ لو كتبوها بسَوَاد العيون فوق المجرّه

فدونك ايها الفاضل اللّوْذَعىّ، الكامل الفطن الألْمعىّ، الناظر فى هذا
الكتاب، المتصفح لوجنات هذه العذراء الكعاب، ما أوْدعته من لطايف

مكتوب فى حجرين بهذا المسجد احدهما بخط عبد الرحمن بن ابى
حرمى وفيه انه عمّر فى رجب سنة ٥٨٨ وفى الاخر انه عمّر فى سنة ۹۴۷
وذكره الازرقى ايضا فى المواضع الّتى تستحبّ الصلوة فيها بمكّة ❊ قلتُ
هو مسجد لطيف جدًّا موجود الآن ومعروف احاطت به الدور الّا
الجهة الجنوبية منها الّتى هى الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعيّن على
اهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك ❊ ومنها مسجد
باسفل مكة يُنْسب الى سيدنا ابى بكر الصديق رضه يسمّى الآن دار
الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبى صلعم لما هاجر الى المدينة يزوره
الناس وفيه يذكرون الله تعالى ❊ ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين
المستقبل يقال له مسجد عايشة رضها وهو بعيدٌ عن اميال حدّ الحرم
وكان يسمّى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديمًا وقد تهدّم
هذا المسجد وما بقى منه الا اثار جدارات قايمة وكان المكان الذى
ارسل اليه النبى صلعم امّ المومنين عايشة مع اخيها رضى الله عنهما
لتعتمر منه ولا يصل المعتمرون الآن اليه بل يقتصرون على اميال الحرم
فيبرزون منها قليلاً ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عايشة رضها ممّا
يتعيّن تجديده وتعميره لانه من الاثار المباركة القديمة وقد تركه الناس
لتهدّمه واقتصروا على مساجد مرصوصة بالاحجار بمحاريب موضوعة من
الاحجار الصغار تتهدّم ويرصّ غيرها وكلّها من ورآء الاميال بمرآى منها ❊
وهناك صهريج عظيم قديم يمتلى من السيول ايام المطر يتوضأ المعتمرون
منه ولمّا حجّ الوزير المعظم المجاهد فى سبيل الله حضرة سنان باشا يسّر
الله له ما شاء فى سنة ۹۷۸ اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خاليًا
لانه لم يكن ايام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم

حدثنا ابو صفوان المروانى عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال ما مُطرت مكة قط الا وكان للخندمة غرّة
وذلك ان فيها قبر سبعين نبيًّا انتهى، وهى مشرفة على اجياد الصغير
وشعب عامر وهى معروفة الآن عند الناس بمكة،
واما المساجد الماثورة المباركة فنها ما قد امحى اثره ولا يعرف مكانه
فلا نطوّل كتابنا بذكره واما الموجود المعروف منها فعدّة مساجد منها
مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية اذاخر
يقال ان النبى صلعم صلّى فيه وهو متهدّم وفيه حجر مكتوب فيه انه
مسجد الاجابة وانه عمّر فى سنة ٧٣٠ وعمّر قريبًا ثم انهدم وبنى حوله
العُربان بيوتًا وهم يصلّون فيه ويصونونه الا انه يحتاج الى بناء اعظم من
هذا، ومنها مسجد باعلا مكة يقال له مسجد الجنّ قال الازرقى تسمّيه
اهل مكة مسجد الحَرَس فى مقابلة الحجون وانت مصعد على يمينك
وانّما سُمّى مسجد الحَرَس لان العسس يجتمعون عنده ليلاً، قال وهو
فيما يقال الموضع الذى خطّه رسول الله صلعم لابن مسعود ليلة استمع
عليه الجنّ وان الجنّ بايعوا رسول الله صلعم فيه انتهى، قُلْتُ اظنّ هو
المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمّى الآن الفرهادية بينهما طريق
ضيّق والله تعالى اعلم، ومنها مسجد الراية فيه ماذنة ذات دَوْرَيْن
تهدّم راسها الان ويقال لها منارة ابى شامة وامامه الى جانبه اليسار
بير معطلة الان يقال انها بير جُبَيْر بن مطعم بن عدى بن نوفل
ويقال ان النبى صلعم كرز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد، ومنها
مسجد بالمُدَّعَى عند الميل الأيْمَن للمستقبل فى مقابلة زقاق المجزرة قال
السيد الفاسى رحمه الله يقال ان النبى صلعم صلّى فيه المغرب على ما هو

عمران عن معاوية الازدى عن معاوية بن قرة عن الجلد بن أيّوب عن
انس بن مالك رضّه قال قال رسول الله صلعم لما تجلّى الله عزّ وجلّ للجبل
تشظّى فطارت لطلعته ثلاثة اجبُل فوقعت بمكة وثلاثة اجبل بالمدينة
فوقع بمكة حِرآء وثبير وثور ووقع بالمدينة أُحُد ووَرْقان ورَضْوَى، ومنها
الجبل المقابل لثبير الذى يلحفه مسجد الخيف لان فيه غارًا يقال له
غار المرسلات فيه اثر راس رسول الله صلعم، قال ابن جُبَيْر بعد ان ذكر
مسجد الخيف وبقربه على يمين المارّ فى الطريق حجر كبير مسند الى
سفح الجبل مرتفع عن الارض يظلّ ما تحته ذكر ان النبى صلعم قعد
تحته مستظلًّا ومسح راسه المكرم فلان الحجر حتى اثّر فيه تاثيرًا بقدر
دورة الراس فيَضَعُ النـاس روسهم فى هذا الموضع تبرّكًا بموضع راس رسول
الله صلعم كيلا تمسّ روسهم النار، قال ابن خليل يستحبّ ان يزور
مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو يمانى مسجد الخيف، وذكر
المحبّ الطبرى فى كتابه القرى عن عبد الله بن مسعود قال بينما نحن
مع النبى صلعم فى غارٍ بمنًى اذ نزلت عليه والمرسلات عُرْفًا وانه ليتلوها
وانى لاتلقّاها من فيه وان فاه رطبٌ بها اذ وثبتْ علينا حيّة فقال النبى
صلعم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلعم وُقيت شرّكم كما
وقيتم شرّها اخرجه البخارى، وقال السيد التقى الفاسى رحمه الله
بلغنى عن شيخنا المجد الفيروزابادى انه قرا فى هذا الغار سورة المرسلات
فى جماعة من اصحابه فخرجت عليهم حيّة فابتدروها ليقتلوها فهربت
وهذا من غريب الاتّفاق لموافقته للقصّة الّتى وقعت للنبى صلعم، ومنها
جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف ابى قُبَيْس قال الفاكهى حدّثنى
ابو بكر احمد بن محمد المليكى حدثنا عبد الله بن عمر بن اسامة قال

عسرٌ ويحتـــاج الى فطنة والمشهور عند العوامّ ان من احتبس فيــه لا يكون ابن ابيه وذلك كلام باطل لا اصل له وقد تعوّق فيه قديما وحديثا وفى عصرنا حُبس فيه كثير من الناس واخذ لهم حجّارون من مكة فقطعوا عنه وتكرّر ذلك كثيرًا فى كل عصر ومع ذلك لم يتّسع كثيرًا بل يتعوّق الناس فيه للجهل بكَيْفية الدخول خصوصًـا اذا كان شخصًا بطينــًا ، وكيفية الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل راسه وكتفَيْه ثم يميل الى جانب يســاره فلا يجــدُ ما يعوّقه ويسلك مايلًا الى اليســار ، واما من لا يعرف طريق الـدخــول يدخل راسه وكتفَيْه ويستمرّ داخلًا بباقى جسده فتصادمه صخرة امامه وتعوّقه فيرفع راسه الى فوق ويُحبس بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنـه وكلّما شدّد فى الدخول تعوّق واحبس فيحتـــاج الى حجّـــار يقطع عنه قليلًا ليخلّصه ولا يتفطّن للميل الى جهة اليســار ليخلص بسهولة ولكن الخرق قد اتّسع كثيرًا الآن ،

ومن الجبال المباركة فى الحرم ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات فى منًى وهو الذى اهبط عليه الكبش الذى فُدى به سيّدنا اسماعيل عم ، قال مَجْد الدين الفيروزابادى فى كتابه الوصل والمنا فى فضل منًى ان ابا بكرٍ النَّقّاش المفسّر قال فى مناسكه ان الدعاء يستجاب فى ثبير يعنى ثبير الاثبرة الذى بلحفه مغارة الفتح لان النبى صلعم كان يتعبّد فيه قبل النبوة وايام ظهور الدعوة ، وذكر ان بقرب المغارة التى انشاها بلحف ثبير معتكف عايشة رضها ، قال التقى الفاسى ويعرف هذا الموضع بصخرة عايشة انتهى ، قُلْتُ هذه الصخرة غير معـروفـة الآن ، وقال الازرقى رحمه الله حدّثنى محمد بن يحيى قال حدثنـا عبد العزيز بـن

قريش يتسمّع ما يقولون فى شان رسول الله صلعم ثم ياتيهما اذا امسى ويخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه فى رعيان مكة فاذا امسى اراح عليهما غنم ابى بكر فاحتلبها لهما فاذا راح عبد الله بن ابى بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم فعفاه حتى يعمى اثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاث وسكت عنهما الناس اتاهما صاحبهما الذى استأجراه ليُريهما الطريق واتتهما اسماء رضها بسُفْرتها وارتحلا ، وبقية اخبار هجرتهما مذكورة فى السير فليراجعها من ارادها ورحم الله الأبوصيرى حيث قال فى بُرْدته

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكلّ طرف من الكفّار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأُطم ،

قال المرجانى فى بهجة النفوس ذكر لى ان رجلاً كان له اموال وبنون وانه اصيب بذلك فلم يَحْزَنْ ولم يجزع على مصايبه لقوّة صبره وتحمّله فتوقّش فقال رُوِىَ انه من دخل غار ثور الذى كان أوَى اليه النبى صلعم وصاحبه ابو بكر رضه وسال الله تعالى ان يذهب عنه الحزن لم يحزن على شىء من مصايب الدنيا وقد فعلتُ ذلك فما وجدتُ قط حزنًا قال المرجانى رحمه الله تعالى هذه الخاصّية من تاثير قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى ، وهذا الغار مشهور معروف يتلقّاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذى يُرْوَى ان جبريل عم ضرب بجناحه ففتحه وقلّ ان يدخل اليه احد من بابه الضيّق لان الدخول منه

الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هٰهنا انتهى اثره فما ادرى بعد
ذلك أَصَعِدَ السماء امر غاص فى الارض فقال لهم قايل ادخلوا الغار فقال
لهم أُمَيَّة بن خلف ما اربكم فى الغار وان عليه لعنكبوتًا من قبل ميلاد
محمد ثم بال حتى سال بوله فى الغار بين يدى النبى صلعم وابى بكر
رضه فنهى النبى صلعم عن قتل العنكبوت وقال انها لجندٌ من جنود
الله تعالى ٭ والرآء شجرة لها زهر دقاق بيض تُحْشَى به المخادُّ وحمام الحرم
من نسل تلك الحمامتَيْن ذكره السهيلى وفى الصحيحَيْن والترمذى عن
ابى بكر رضه قال نظرت الى اقدام المشركين من الغار وهم على روسنا
فقُلْتُ يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدمه ابصرنا تحت قدمَيْه فقال
يا ابا بكر ما ظنّك باثنَيْن الله ثالثهما انتهى ٭ وكان خوف الصديق رضه
على رسول الله صلعم لا على نفسه فانه قال يا رسول الله ان قُتِلْتُ فانا رجل
واحد من امّتك وان أُصِبْتَ انت هَلَكت الامّة وكان النبى صلعم
يسكّن رَوْعَه ويقوّى جاشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا ٭ فرجع
المشركون خَزَايَا وعصم الله تعالى نبيّه وصاحبه منهم ٭ وقد ثبت فى
صحيح البخارى انهما مكثا فى الغار ثلاثًا وعن طلحة البصرى قال قال
رسول الله صلعم مكثت مع صاحبى يعنى ابا بكر رضه فى الغار بضعة
عشر يومًا ما لنا طعام الا ثمر البرير قال ابو داود البرير الاراك ٭ وفى
حديث الهجرة ان ابا بكر رضه امر ابنه عبد الله ان يتسمّع لهما ما
يقول المشركون فيهما نهاره ثم ياتيهما ليلاً بما يكون فى ذلك اليوم من
الخبر وامر مولاه عامر بن فُهَيْرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يرجها عليهما فى
الغار اذا امسى وكانت اسماء بنت ابى بكر الصديق رضها تاتيهما ليلًا
بما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن ابى بكر يكون نهاره فى

فى الهجرة قال واجسّ فى الحديث ان ثورًا ناداه ايضـا لمـا قال له ثبير اهبطْ عنّى ٭

ومن الجبال المباركة الماثورة ايضـا جبل ثَوْر وهو جبل اكبر من حرآء وابعد منه بالنسبة الى مكة يُسَمّى بثَوْر بن عبد مناة لسُكناه به وصحّ ان النبى صلعم وابا بكر الصديق رضّه دخلاه واختبئا فيه عن المشركين لمـا قصدوه بالقتـال فنجاه الله تعالى منهم ٭ قال صاحب البحر العميق يروى ان ابا بكر رضّه لما خرج مع رسول الله صلعم متوجّهًا الى الغار جعل طورًا يمشى امامه وطورًا يمشى خلفه وطورًا عن يمينه وطورًا عـن شماله فقال عليه الصلوة والسلام ما هذا يا ابا بكر فقال يا رسول الله بأبى انت وأمّى اذكر الرصد فاحبُّ ان اكون امامك واتخوّف الطلب فاحبُّ ان اكون خلفك واحفظ الطريق يمينًا ويسارًا فقال لا باس عليك يا ابا بكر ان الله معنا ٭ وكان رسول الله صلعم غير مخصّر القدم بل كان يطأُ الارض بجميع قدمه وكان حافيًا فحفى رسول الله عم فحمله ابو بكر رضّه على كاهله حتى انتهى به الى الغار فلمّا وضعه اراد النبى عم ان يدخل الغـار فقال ابو بكر والذى بعثك بالحقّ لا تدخل حتى ادخل فاستبره قبلك فدخل ابو بكر رضّه فجعل يلمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى النبى صلعم فلما لم ير شيئًا دخل رسول الله صلعم الغار وباتا فيه فلما اسفر بعض الاسفار راى ابو بكر رضّه خرقًا فى الغـار فالقمه قدمه حتى الصباح مخافة ان يخرج منه شئ يؤذى رسول الله صلعم ٭ وامر الله تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار والرآء فنَبَتَتْ وحمامتَيْن وَحْشيَّتَيْن فعشّشتا عليه وباضتا ٭ فاقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيّهم وسيوفهم ومعهم كُرْز بن علقمة القصّاص فقصّ

ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العبّاس رضه بالمَسْعَى عند احد الميلين الاخضرين وهى الآن رباط يسكنه الفقرآء ، ومنها موضع بلحف جبل قُعَيْقعان بلصق دار سيدنا ومولانا قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام القاضى السيد حُسَيْن بن ابى بكر الحسينى اطال الله بقاه يقال له مَعْبَد الجُنَيْد احيى المشار اليه ماثره ، قال سعد الدين الاسفراينى انه مَعْبَد الجُنَيْد ومعبد ابراهيم بن ادهم رضى الله عنهما ،

ومن الجبال المباركة الماثورة بمكة جبل حِرآء بكسر الحاء المهملة وفتح الرآء ممدودًا ممنوعًا وكانت الجاهلية تعظمه ايضًا وتذكره فى اشعارها فمن ذلك قول ابى طالب عمّ النبى صلعم

وثور ومن أرْسَى ثبيرًا مكانه ❊ وراقٍ ليرقى فى حِرآء ونازل

ويقال له جبل نور بالنون ايضًا لظهور انوار النبوّة ولكثرة اقامة النبى صلعم فيه وتعبُّده ونزول للوحى فيه عليه وذلك فى غار اعلاه معروف باثره الخلف عن السلف رحمهم الله ، وفى اعلاه صهريج ماء يجتمع فيه ايام المطر ماء عذب سايغ ، قال السُّهَيْلى فى الروض الانف ان قريشًا لما طلبوا رسول الله عم ليهمّوا بقتله كان على جبل ثبير فقال له ثبيرٌ وهو على ظهره اهبطْ عنّى يا رسول الله فانى اخاف ان تُقْتَل على ظهرى فيعذبنى الله تعالى فناداه حرآء الىّ يا رسول الله ، قال القاضى ابو البقاء ابن الضياء فى البحر العميق ان النبى صلعم اختبأ من المشركين فى غار ثور فيحتمل ان يكون النبى صلعم اختبأ عن المشركين فى حرآء فى واقعة ثم اختفى منهم فى غار ثور وقت الهجرة ، قلتُ لم ينقل وقوع ذلك له صلعم مرّتَيْن وليس فى حديث السُّهَيْلى ان حرآء لمّا نادى النبى صلعم الىّ اختبأ من المشركين خصوصًا وقد قال السهيلى لما نقل هذا الحديث

ومنها موضع بقرب باب العجلة يقال انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن ابى طالب يقال ان النبى صلعم دخله والله اعلم بحقيقة ذلك؛ ومنها موضع فى زقاق المرفق محلّ فيه مسجد يقال انه دُكّان سيدنا ابى بكر الصديق رضه ويقال انهــا داره وبناه نور الدين عمر بن على بن رسول الغسّانى صاحب اليمن قبل ان يؤول الملك اليه فى سنة ٦٢٣ ويقــابــل هذه الدار جدار فيه حجر يتبرّك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبى صلعم متى اجتاز عليه؛ قال التقى الفاسى رحمه الله لعلّ هــذا الحجر ان صحّ كلامه للنبى صلعم هو الحجر الذى عناه النبى صلعم بقوله انى لاعرف حجرًا بمكّة كان يُسَلِّم علىّ ليالى بُعِثْتُ انتهى؛ قلتُ وبقرب هذا الحجر قبل ان يوصل اليه فى مقابلته على يسار المستقبــل صفحة حجر مبنى فى الجدر فى وسطه حفرة مثل محلّ المرفق يزوره العوام ويزعمون ان النبى صلعم اتّكى عليه فغــاص مِرْفقه الشريف فى ذلك الحجر وهو يكلّم الحجر الذى امامه على شماله؛ قال القاضى ابو البقاء ابن الضياء فى البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفراينى فى كتاب زبــدة الاعمال ان اهل مكة يمشون اذا ارادوا المواليد من دار خديجة رضها الى مسجد يقولون انه دُكّان ابى بكر الصديق كان يبيع فيه الخَزّ واسلم فيه على يده عثمان بن عفّان وطلحة والزبير رضى الله عنهم؛ قال وفى جدار هذا الدُّكّان اثر مرفق رسول الله صلعم يروى ان رسول الله صلعم جاء دار ابى بكر ذات يوم ونادى يا ابا بكر رضه انتهى؛ قلتُ والجدر الذى فيه المرفق بعيد عن دُكّان ابى بكر رضه الى ناحية القبلة بينهما دُورٌ وما رايت فى كلام احد من المؤرّخين من حقّق شيئًا من ذلك والله اعلم بحقيقته؛

الكرمانى النقشبندى طيب الله ثره، ونفع ببركته احبّاءه، توفى سنة ٩٣٩ ولهُ كُتُب جليلة فى طريق الصوفية اجلُّها كتاب منظوم فى مقابلة المثنوى رحمه الله ؞

وفى مكة مواضع مباركة ومواليد متيمّنة ومساجد ماثورة غير هذه فنها مولد سيّدنا امير المومنين على بن ابى طالب رضه وهو بقرب مولد النبى صلعم بقرب جبل ابى قُبَيْس من قفاه فى شعب يقال له شعب علىّ به مسجد يصلى فيه ومولد يزار الا انه متهدّم الآن عمّر الله تعالى مَنْ عمّره؞ ومنها موضع يقال له مولد سيّدنا حَمْزة رضه فى اسفل مكة لاصق بموضع يسمّى بازان وهو مجرى عين حُنَيْن الى بركة ماجن؞ قال السيد التقى الفاسى رحمه الله لم ار شيئًا يَدُلُّ على صحّة هذا ان هذا المكان مولد السيد حمزة رضه لان هذا المحلّ ليس محلًّا لبنى هاشم وطول هذا المحلّ خمسة عشر ذراعًا وثلث وعرضه سبعة اذرع وربع وفى صدره محراب وبابه فى الجدار الذى الى جهة بركة ماجن انتهى؞ وقد خرب الآن وامتلأ بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب ولا جدار وهو قد سُمّى بمولد سيدنا حمزة فرحم الله مَنْ احياه وعمّره؞ ومنها موضع فى اعلا جبل يقال له جبل النوبى يقال انه مولد سيدنا امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه يطلع الناس اليه للسَّيْر والفرجة لاشرافه على مكة ومن الناس من يقصد الزيارة قال التقى الفاسى رحمه الله لا اعلم فى ذلك شيئًا يستانس به غير ان جدّى لأُمّى ابا الفضل النُّوَيْرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من اصحابه فى الليلة الرابعة عشر من شهر ربيع الاول فى كل سنة انتهى؞ قُلْتُ وهذا باقٍ الى الآن يجتمع به بعض الفقرآء فى الليلة الرابعة عشر من كل شهر يذكرون الله تعالى فيه احياء لتلك الليلة؞

له خادماً ورتب له علوفة من خزاين الصدقات السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من اهل الخير والجميل والمعروف كريماً جواداً بذولاً له احسان كثير وجميل وافر احسن الله اليه كما احسن الى وضاعف حسناته ومحى سيئاته، حج الى بيت الله تعالى وهو امير الركب الشامى واحسن الى الناس كثيراً وعم الناس احسانه وكان يحب العلماء والصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضى حوايجهم بحيث كان يسمون ايامه ايام تنفسات الدهر ثم قتل مظلوماً وسبق خصماءه الى الله تعالى بدماءه وعند الله تجتمع الخصوم،

ومنها عند قبر السيد الفضيل بن عياض رضه وقبر الامام عبد الكريم ابن هوازن القشيرى رضه وهما فى محوطة فيها جماعة اولياء اجلاء كبراء منهم الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السبكى والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطواشى وكثير من مشاهير الصلحاء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندى الرومى رحمه الله، ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضه ومنها عند قبر الشيخ ابى الحسن على الشولى رضه وذكر الشيخ خليل المالكى ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبور سماسرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا اراد ان يدعو عند سماسرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذايه عن يساره وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن الا ان محلها فوق البير المعروفة ببير ام سليمان الموجودة الآن مرتفعاً عن طريق السبيل، ومنها عند قبر الدلاصى بالقرب من الجبل قال المرجانى النهروالى فى بهجة النفوس الدعاء عند قبره يستجاب، ومن المواضع التى جربتها انا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين

لآدم فى موضع من ابى قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام يوم عرفة فجعله فى تابوت معه فى السفينة فلما نصب الماء ردّه نوح الى مكانه انتهى وقيل غير ذلك ، وفى اعلا الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عم وانما هو صهريج كان يُعَدُّ للماء لما كان فى راسه قلعة قديمًا وزعم الناس ان من اكل يوم السبت فى جبل ابى قبيس راسًا مطبوخًا يسلم من وجع الراس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك فى كل صُبْح يوم سبت ، وفيه موضع يزعم الناس ان القمر انشقّ فيه للنبى صلعم وليس لذلك صحّة كذا ذكره السيد التقى الفاسىّ رحمه الله قال وهو اول جبل وضعه الله تعالى فى الارض وذكر بعض العلماء انه افضل جبال مكة وفضّله على جبل حِرا ونافس فى ذلك ،

ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقرآء المغاربة يسمى رباط الموفّق وقفه القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهّاب الاسكندرى فى سنة ٦٠٤ يُحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه او عند بابه ويُروى عن المولى المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدى فى حلقة باب هذا الرباط الا وقع فى نفسى كم وَلِيّ لله وضع يده فى هذه الحلقة ، وفى مقبرة باب المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أُمّ المومنين سيّدتنا خديجة الكبرى رضى الله عنها وهو محلّ فى شعب بنى هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبَنى عليه قُبّةً من الحجر الشميسى الامير الكبير محمد بن سليمان جركز دفتردار مصر فى ايام المرحوم داود باشا نايب الديار المصرية فى ايام السلطان سليم خان تغمّده الله بالرحمة والرضوان بناه فى سنة ٩٥٠ وكسى التابوت الشريف كسوة فاخرة وعيّن

من يكون سببًا فى تجديده وعمارته، ومنها مسجد المتّكى يستجاب فيه الدعاء غداة يوم الاحد وانكر الازرقى وجوده وقال القاضى ابو البقاء ابن الضياء الحنفى فى البحر العميق ان بأجْياد الصغير موضعًا يقال له المتّكى وهو دكّة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بنى شيبة، قلْتُ وهذه الدّكّة دثرت الآن وما بقى منها الا بعض احجارها وطالما سالتُ كثيرًا من الاعيان ان يعمّروها ويعيدوها كما كانت فما وفق احد لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبًا لمن وفقه الله لذلك، وذكر النّقّاش فى مناسكه المواضع الّتى يستجاب فيها الدعاء بمكة ووقّت لكلّ بقعة اوقاتًا معيّنة فقال امّا خلف المقام وتحت الميزاب ففى السحر وعند الركن اليمانى وقت الفجر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيوبة الشفق وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وبمنى ليلة البدر شطر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال وتحت السدرة وهى غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس هكذا ذكره النّقّاش رحمه الله،

ومنها جبل ابى قُبَيْس وانما سُمّى به لان رجلاً من اياد يكنى ابا قُبَيْس صعد فيه وبنى فيه بناء فعرف به، قال الفاكهى ان الدعاء فيه يستجاب وان وفد عاد قدموا الى مكة للاستسقاء لقومهم فامروا بالطلوع الى ابى قبيس للدعاء وقيل لهم لم يَعْله خاطئٌ يَعْرف الله منه الانابة الا اجابه الى ما دعاه اليه، وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحوى وشيث عليهم السلام، قال الذهبى فى جزء له فى تاريخ آدم وبنيه ما نصّه وخلف بعده شيث ابنه وانزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعماية سنة ودُفن مع ابوَيْه فى غار ابى قبيس انتهى، وقال وهب بن منبّه حفر

من جملة املاك السلطان الملك المظفر المنصور الاعظم مراد خان الاكبر الافخم عمّر الله تعالى بمعدلته الربع المسكون، واسعده في كل ما يصدر عنه من الحركة والسكون، ومنها فى جبل ثور عند الظهر وفى جبل ثبير وحرا مطلقا، ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التى هى حدّ منى مقدار غلوة او اكثر وهو مسجد متهدّم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدلّ على ذلك فى احدهما امر عبد الله امير المومنين اكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت اول بيعة بايع بها رسول الله صلعم عند عقده له العبّاس بن عبد المطّلب وانه بنى فى سنة ١٤٤ والمشار اليه ابو جعفر المنصور العبّاسى وعمّره ايضا المستنصر العباسى كما فى حجر اخر بناه فى سنة ٦٢٩ وتلك الاحجار ملقاة بذلك المحلّ الخراب تخشّى عليها الضياع فيندثر اثر هذا المسجد وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا امين عين عرفات رحمه الله شرع فى تجديد هذا المسجد واسّسه وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفى الى رحمة الله تعالى قبل ان يتمّه وما وفق احد بعده الى الآن الى اتمامه وهو من المساجد الماثورة النبوية وهو الذى بايع فيه النبى صلعم سبعون من الانصار بحضرة عمّه العباس بن عبد المطّلب رضه فنادى ازبّ العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الأوس والخزرج بايعوا محمّدا على ان ينصروه فامسكت الانصار بقوايم سيوفها وقالوا لنقاتلن الاسود والاحمر دون رسول الله صلعم فكفاهم الله تعالى ببركة نبيّه صلعم شرّ ذلك الشيطان، ثم هاجر النبىّ صلعم هو وابو بكر رضه الى المدينة لمّا اذن لهما فى الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب فيه الدعاء فرحم الله

النبى صلعم بالذكر والدعاء والعبادة وقراة القران ، وقد اشار النبى صلعم الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله عليه الصلوة والسلام للذى ساله عن صوم الاثنين ذاك يوم وُلِدْتُ فيه فتشريف هذا اليوم متضمّن لتشريف هذا الشهر الذى هو فيه فينبغى ان يحترم غاية الاحترام، بشغله بالعبادة والصيام، والصلوة والقيام، ويظهر السرور فيه بظهور سيّد الانام، عليه افضل الصلوة والسلام، وامّا المبتدعات السيّئة والمنكرات فهى محرمة فى كل مقام، والله ولىّ الاعتصام، وكان بعض العلماء قيّد اجابة الدعاء فى مولد النبى صلعم عند الزوال وفى دار السيدة أُمّ المومنين خديجة بنت خُوَيْلد بليلة الجمعة وقال المحبّ الطبرى ان دار خديجة رضى الله عنها افضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام وذلك لطول سُكنى رسول الله صلعم فيها وكثرة نزول الوحى عليه بها وفيها مولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ،

ومنها دار الخَيْزُران وهى من قرب الصفا كانت تُسَمّى دار الارقم المخزومى ثم عُرفت بدار الخيزران ، والمُخْتبى هو افضل المواضع بمكة بعد دار امّ المومنين خديجة رضّها لكثرة مكث النبى صلعم فيه يدعو الناس الى الاسلام مستخفيًا عن اشرار قريش الكفار ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام وقد وقّت بعض العلماء الدعاء فيها بما بين العشآءين والمختبى قبّة تزار وهو الموضع الذى كان النبى صلعم يختبئ فيه من الكفار ويجتمع عليه فيه مَنْ آمن به ويصلّى بهم الاوقات الخمسة سرًّا الى ان اسلم امير المومنين عمر بن الخطّاب رضّه فجهر بالاسلام وبالصلوة واعزّ الله الاسلام به ، ودار الخيزران هى دور حول هذا المختبى ملكتها الخَيْزُران أُمّ الرشيد شرآء لما حجّت وتناقلت من يد المُلّاك الى ان صارت الآن

وهو موضع مشهور بشعب بنى هاشم يزار الى الآن وفى لحفه مسجد
يُصَلّى فيه ويكون فى كل ليلة اثنين فيه جماعة يذكرون الله تعالى ويزار
فى الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الاول فى كل عام فتجتمع الفقهاء
والاعيان على ناظر المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد
صلوة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرعات والفوانيس والمشاعل وجميع
المشايخ مع طوايفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق
الليل ويمشون فيه الى محلّ المولد الشريف بازدحام ويخطب فيه شخص
ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون الى المسجد الحرام ويجلسون
صفوفًا فى وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية
ويقف رئيس زمزم بين يدى ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو
للسلطان ويلبّسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفرّاشين خلعة ثم يوذّن
العشاء ويصلّى الناس على عادتهم ثم تمشى الفقهاء مع ناظر الحرم الى
الباب الذى يخرج منه من المسجد ثم يتفرّقون ؞ وهذه من اعظم
مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويانى الناس من البدو والحضر
واهل جُدّة وسُكّان الاودية فى تلك الليلة لاحياء هذه الليلة ويفرحون
بها وكيف لا يفرح المومنون بليلة ظهر فيها اشرف الانبياء والمرسلين عليه
وعليهم السلام وكيف لا يجعلونه عيدًا من اكبر اعيادهم غير ان بعض
المتعسّفين انكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه بزعمه انه يجتمع فيه
من الملاهى والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وافضا ذلك الى ما لا يحلّ
شرعًا فيكون بدعة ولم يحك عن السلف شىء من ذلك والصواب ان
مثل هذه الجمعية ان حُفظت عمّا ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء
ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهى فهى بدعة حسنة تتضمّن تعظيم

ويستجاب الدعاء فى ثبير وفى مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفى مسجد الخيف وزاد اخر وفى مسجد النحر وهو موجود الآن بمنى غير انه داثر عمّر الله مَنْ عمّره نحر فيه النبىّ صلعم فى حجّة الوداع ثلاثًا وستين بدنة وامر امير المومنين على بن ابى طالب رضه أن يكمل نحر بتمّة مائة بدنة عنه وهو موضع ماثور مشهور، وزاد الحافظ ابن الجوزى وفى مسجد الخيف على يمين الذاهب الى عرفات فى هذا الغار تجويف فى سقفه تزعم العامّة انه لأنّ لرأس النبى صلعم فاثر فيه تجويفًا فيضع الزاير راسه فيها تيمّنًا وتبرّكًا بموضع راس النبى صلعم ولم اقف على خبر اعتمده فى ذلك الا ان الاثر وارد بنزول سورة المرسلات، قال القاضى النقّاش ويستجاب الدعاء فى دار خديجة أُمّ المومنين رضى الله عنها وهى معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضى الله عنها لانها وُلدت فيها هى وجميع اولاد خديجة من النبى صلعم وفيها بنى صلعم بها وتوفّيت بها ولم يزل عليه الصلوة والسلام ساكنًا فيها الى ان هاجر الى المدينة فاخذها عقيل بن ابى طالب ثم اشتراها منه معاوية بن ابى سفيان فجعلها مسجدًا يصلّى فيه كذا ذكره الأزرقى رحمه الله وعُمر هذا المحلّ الشريف فى زمان الناصر العباسى وفى زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعُمر ايضا فى دولة الناصر فرج بن برقوق صاحب مصر وعمّره ايضًا الملك المظفّر الغسّانى صاحب اليمن، وكان المرحوم السلطان سليمان خان سقى الله عهده امر بتعمير هذا المكان الشريف فعمروا فيه مسجدًا يصلّى فيه ومزارًا تجتمع فيه الفقرآء للذكر كلّ جمعة بعد الصلوة الى العصر وكلّ ليلة ثلاثاء من العشاء الى الصّبح يذكرون الله تعالى وكانت عمارتها فى سنة ۹۳۵، قال ويستجاب الدعاء فى مولد النبى صلعم

اخى الى هذا السلطان الحليم الكريم، وقدر ما يصرفه من المال الجسيم، على جيران الله وجيران رسوله عليه افضل الصلوة واتم التسليم، اطال الله عمره وابد نصره، واطيب فى المعالم ذكره، وادخل جميع الممالك تحت امره، وتحت حوزته وقهره، بمحمد وآله وصحبه وسلم ۞

الخاتمة

فى ذكر المواضع المباركة والاماكن الماثورة بمكة المشرفة ء

فنها المواضع التى نص العلماء رحمهم الله ان الدعاء فيها مستجاب ء وذكر الحسن البصرى رضه خمسة عشر موضعًا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع اخرى فبلغت ٣٥ موضعًا وذكر منهــا مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهى مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم وخلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفى المسعى وفى عرفات وفى المزدلفة وفى منى وعند الجمرات الثلاث وعددها ثلاثة مواضع غير ان علمــاءنا ذكروا ان الحج يقف للدعــاء بعد الرمى عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمى عند الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعــاء بعد رمى جمرة العقبة غير ماثور لانه لا يُدعى هناك فقد ذكر الحسن البصرى ان الدعاء عندها مستجــاب كالجمرتين الاوليين ء وعد ابو سهل النيسابورى من المواضع التى يستجاب فيها الدعاء باب النبى صلعم ويقال له الآن باب الحريريين وباب القفص وعد منهــا باب الصفــا وباب السلام ء وعد القاضى مجد الديــن الفيروزابادى فى كتابه الموصل والمُنــا فى فضل منى مواضــع اخــرى يستجاب فيهــا الدعــاء نقلاً عن النقاش المفسر فى مناسكه فــقــال

ذراعًا فاصلحه وجدّده وغيّر خشبه الذى تلف بخشب جديد مليح،
وفى سنة ٩٨٤ بنى فى يَنْبُع البحر سُورًا لشونة الحبوب الشريفة الدشيشة
القديمة والجديدة وعمرت ايضًا شونة ثانية لتجعل فيهـا حبّ الصدقة
المرادية الخانية وكان بالينبع المبارك جامعٌ كبير للمرحوم السلطـان
سليمان قد خرب جداره القبلى مع محرابه فهدم الى الاساس واعيد الى
احسن ما يكون واصلح السطح وباقى جدارات الجامع على اسلـوب
حسن وكذلك مزارات السادات لله بالبقيع وقبور الاوليـاء والصالحين
عمرت واصلحت كلهـا وعمّر ايضًا ساحل الينبع المبارك واصلح ما كان
يحتاج الى اصلاحه وذلك نحو ثلاثة وخمسين ذراعًا وعرضهـا اربعة عشر
ذراعًا، وهذا الذى ذكرناه قطرة من بحر خاقان ملوك آل عثمان، جلّد
الله تعـالى دولتهم الى انتهـآء الدّوران، جبلوا على حبّ فعل الخيـرات
واحسـان، واذا وجدوا مَنْ دَلّهم على فعل الخير انصاغوا له وادعنوا ولم
يملوا ولعمرى ان مكة المشرّفة زادها الله شرفًا وكرمًا يضاعف فيها الثواب
اكثر من المدينة فقد كان اللايق ان كلّمـا يفعله السلطان نصره الله
تعالى من الخيرات بالمدينة يكون له نظيره بمكة المشرفة، ومن خيراتـه
العظيمة الجديدة ومقدارها اربعة واربعون الف دينار امر بتجهيزها الى
مكة المشرفة والى المدينة المنورة منها لمكّة المشرفة نحو احد عشر الـف
دينار والباقى للمدينة المنورة وهى تصل فى كل سنة ان شاء الله تعالى وقد
كان بعض من لا يحبُّ فعل الخيرات انهى الى مسامع السلطنة الشريفة ان
هذه الاموال لله امرت بالتصدُّق بها فى كل سنة هى من عين مالك لا من
الاوقاف فاجابه هى كانت فى هذه المدّة تحمل الىّ وانا قد جعلت ثوابهـا
فى صحايفى كمـا ان الرومية القديمة فى صحايف اجدادى، فانظر يا

من القرآن كل يوم وعمل لهم كالاوّل كاتب الغيبة والداعى ومفرق الاجر وعيّن لكل واحد في كل سنة ثلاثة عشر دينار ونصف دينار وعين فى كل عامماية نفر يحجّون عن حضرته الشريفة يحرمون بالحج من الميقات ويقفون ويدعون له بالنصر والتاييد وجعل فى مقابلة ذلك لكل رجل عشرة دنانير وجعل خمس مدرّسين للمذاهب الاربعة اربعة والمدرّس الخامس جعله للحديث وعيّن لكل مدرّس وطلبته ادرارات ومقاليم وعيّن لكل واحد من خطيبى الشافعى اربعين عثمانيًّا ٭ وفى سنة ۹۹۴ جدّد جدار المسجد النبوى من باب النساء الى منارة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان وطول الجدر الذى عُمّر خمسة وتسعون ذراعًا وارتفاعه سبعة عشر ذراعًا وذلك انه كان حصل فى الجدر المذكور وهن فخشى عليه السقوط فهدم الى الاساس وعُمّر جديدًا بغاية الاحكام والاستحكام ٭ وفى سنة سبع وتسعين رمّم سطح الحرم الشريف المحترم وفرّشت الروضة المطهّرة المقدسة وبيّضت جدارات المسجد الشريف ودهنت ثلاثماية اسطوانة بانواع الدهان من الالوان المقبولة وعُملت فيها شمسات من الذهب حتى صارت تدهش الناظر وعَمّر لسبعة انفس من عبيد العين سبعة بيوت ليسكنوا فيها هم وعيالهم ٭ وفى سنة تسع وتسعين والتى بعدها عَمّر رباطًا بثلاثين خلوة للغراب يسكنوا بها ورباطًا ثانيًا فيه عشرة خلاوى للمزوّجين وذلك ليجتمعوا كلّهم كل يوم ويصلّون الفروض الخمس فى مسجد قُبا وبنى حنفيّة وسبيلًا وقد كان المحلّ مهجورًا فاحياه احياه الله تعالى حياة طيبة وجعل له امامًا وخطيبًا ومُوذّنًا وبوّابًا وكناسًا ورتب لكل واحد معلومًا بقدر حاله وكان قد خرب من سطح مسجد قُبا نحو خمسين

التكية المذكورة مكتبًا فى غاية الاستحكام والاتقان، والعلوّ والارتفاع والبنيان، وجعل فيه مُؤدّبًا للاطفال، يُعلمهم كلام الله الملك المتعال، وشرط ان يعلم المؤدّب فيه خمسين من الاطفال الايتام فاذا حفظ واحد منهم القران وتعلّم الخطّ والاستخراج اخرجه من المكتب وادخل غيره يتيمًا آخر وعمل له ايضًا عريفًا وهو ما يساعد المعلم على تعليم الاولاد وعيّن لكلّ واحد من الخمسين يتيم والمعلم والعريف ما يكفيه من الطعام والكسوة والالواح والخبز وجميع اللوازم من الخيرات السلطانية وبنى فى التاريخ المذكور زاوية جديدة وعيّن لها الشيخ وعشرة انفس من الصوفية يذكرون الله تعالى فى الصُّبْح والمساء وطعام من التكية الجديدة وعيّن لهم خبز وبنى لهم خلاوى ملاصقة لمسجد سيّدنا ابى بكر الصديق رضه ليس لها نظيرٌ فى الممالك وفرشها وجعلها من القرب للماء بحيث ان كلّ من اتاها ناداه لسان حالها توضا وتعال الى العباد وجعل لها امامًا يصلّى الفروض الخمسة باهل تلك الجهات ضاعف الله تعالى له الاجر والمثوبات ورفع له الدرجات وعيّن اربعين نفرًا من الصلحاء والعلماء يجتمعون كل يوم بالروضة المطهّرة الشريفة يقرؤون سورة الانعام للنصر على الاعدآء وجعل لكل شخص من المذكورين اثنى عشر دينارًا فى كل عام تَصِلُ اليه بالتمام وعيّن ثلاثين نفرًا من الصلحاء والفقرآء يقرؤون القران كل يوم بالروضة وجعل كاتب غيبة ومفرّق الاجزآء فاذا فرغوا من تلاوة القران الشريف يدعوا الداعى ويرفعون اكفهم بالتامين ويهدون ثواب ذلك فى صحايف السلطنة الشريفة قرن الله تعالى ذلك بالقبول وعيّن لكل واحد من المذكورين اثنى عشر دينارًا وعيّن ايضا ثلاثين نفرًا من الصلحاء والفقراء يتلون ختمة شريفة ايضًا

وجعل لحمل الحبّ من اليَنْبُع الى المدينة ما لا يُرسل كل عام اليها من مال جُدَّة وطريق ذلك انهم يحسبون كل حمل ثلاثة ارادب ويُعطون لكلّ حمل واحد دينارين من الذهب الجديد ، وفى سنة ٩٩٨ عمرت التكيّة الهمايونية السلطانية المرادية خلّد الله تعالى دولة المنعم بها على كافّة البريّة وذلك خارج السور بالقرب من الباب المصرى مشتملة على مطبخ عظيم وشونة ومخازن وطواحين وفرن وساير اللوازم يطبخ فيها كل يوم من القمح بياض ويخبز فيها من الخبز بياض ويطبخ فيها زيادة على المعتاد ليلة الجمعة ارزًا وارزًا حلوًا وفى ليلة الجمعة الثانية ارزًا وزروه وهكذا جميع جُمع السنة على التوالى وهذا شىء ما سُمع به فى ديار العرب واشترى لذلك قُرى وضياع بمصر ويحصل منها كل سنة خمسة وعشرون الف ذهب وهذا الخير لم يسبق اليه وانّما خصّه الله تعالى به وان جيران بيت الله فى احتياج عظيم الى مثل هذه التكية فانه ليس بمكة سوى تكية واحدة وهى للمرحومة خاصكى سلطان عليها الرحمة والرضوان وقد ذكرت الفقرآء بمكّة حيث صاروا يوزعون الرغيف الواحد بين اربعة انفس من الفقرآء ولا يكفى رُبعهم جزا الله خير من كان سببًا لها فى تكيّة وقد عاهَدْتُ الله تعالى انه ان تيسّر لى التشرّف بالاعتاب السطانية ان اعرض ذلك عليها فانه خير كثير واجر كبير والفقرآء بغاية الاحتياج وانا اسال الله وفضل كلّ من اطلع على تاريخى هذا وامكنه ان يسعى لجيران الله فى عمل تكية ثانية ان يصرف همّته فى عرض ذلك ويُعرضه ليَحْصُلَ له المشاركة فى الثواب يوم الجزآء والحساب ، وفى السنة المذكورة بنى لخدّام عمارة التكية المذكورة ثمانية بيوت للمزوّجين وستة بيوت للغراب من الخدام المذكورين وعمر ايضًا بالقرب من

بنى له سبيل عظيم فى خارج السور عند باب المصرى يملا كلّ يوم بالماء العذب يشرب منه الصادر والوارد وعيّن لخدّام السبيل وناظره كل يوم ستّين عثمانيًّا وفى كلّ عام خمسين اردبًا من الحنطة تعطى لهم، وفى عام احد وتسعين رتب لاغوات الحرم الشريف وهم سبع وخمسون نفسًا لكلّ واحد منهم فى كلّ يوم قدحًا واحدًا من الحبّ الجراية الخاصّة وعيّن ايضًا فى السنة المذكورة لعبيد عين الزرقاء وهم سبعة عشر نفسًا لكلّ واحد منهم كل يوم قدح حبّ من الجراية الخاصّة، وفى السنة المذكورة عيّن لجماعة من المجاورين والصلحاء والفقرآء والعلماء بالمدينة المنورة زيادة على ما كان لهم سابقًا لكلّ واحد منهم خمسة ارادب حبّ فى كل سنة ولبعضهم عشرة ارادب حبّ كل سنة وصار مجموع ذلك مع الاغوات وعبيد العين نحو الف اردب فى كل سنة، وفى سنة اربع وتسعين عمّر رباطين احدهما عند مسجد ابى بكر الصّدّيق رضه والثانى عند مسجد علىّ بن ابى طالب كرّم الله وجهه وكذلك عمّر المسجدين المذكورين فانهما كانا قد خربا وتهدّما ورتب لهما ما يحتاجان اليه من الامام والمؤذّن وباقى الوظايف وجعل لكل واحد ما يليق به من العلوفة من مال السلطان نصره الله تعالى وتقبّل منه صالح الاعمال، وفى سنة ٩٩٦ عيّن لجيران رسول الله صلعم اربعة آلاف اردب حبّ من الحنطة وخمسماية اردب للمنقطعين من الحجّاج من الينبوع المبارك ويحمل ذلك على ظهور الجمال من مصر الى بندر السّويس ويشحن فى المراكب السلطانية من السّويس الى بندر الينبوع ويخزن فى الشونة التى انشاها بالينبوع الآتى ذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى ثم يحمل الحبّ جميعه الى المدينة المنورة على الجمال ويفرق على الفقرآء والمستحقّين

التبرة المتّصلة بالرواق اربعة وثلاثون ذارعــًا وطول المسجد من جـدر البيت الشريف من ناحية الباب الى اول الاساطين سبعة وثمانون ذراعًا ومن جدر البيت الغربى الى اول الاساطين ماية ذراع وتسعة عشر ذراعًا ومن الجانب الجنوبى من جدر البيت الى اول الاساطين ثلاثة وثمانون ذراعــًا ، وطول المقام من اول الشبّاك الى آخر العمود منه عشرة اذرع الا رُبع ذراع ، وبين زمزم وقبّة الفرّاشين فسحة مفروشة بالحجر الصوان معروفة بفسحة زمزم طولها ثمانية عشر ذراعًا ونصف ذراع وعرضهـــا اربعة عشر ذراعًا ،

فصل فيمـا لحضرة سلطان العالم ، خلّد الله دولته على كافّة بنى آدم ، من المآثر الحسان ، والخيرات الجارية والاحســـان ، بمدينة سيّد الانام ، عليه الصلاة والسلام ، الاتمّان الاكملان ، وغالب هذه الخيرات بعرض محبّ العلمـاء والصلحـــاء ، الباذل نفسه لنفع الفقرآء ، من انفرد عن اقرانه باحسن مسير ، حتى صـــار كلّ اليه يشير ، ذى العفّة والديانة ، والاستقامة والامانة ، مصطفى افندى شيخ الحرم النبوى زاد الله تعالى توفيقه ، وسلك بنا فى الخيرات طريقه ، فمن ذلك انه كان بالمدينة احد عشر رباطًا قد خربت ودثرت فمنهــا ما سلب الانتفاع بالكلّيّة وهى اربعة ومنها ما كان ينتفع ببعضها وهى سبعة فأمر تجديد ما خرب وعُمرت كلّها على احسن اسلوب وصاروا يسكنونها الفقرآء ويدعون بدوام دولته الشريفة وكان ذلك فى سنة ٩٨٤ ، وفى سنة ٩٨٨ عمر مطبخ الدشيشـــة لله بداخل المدينة المنورة المعروفة بدشيشة الرسول عم وعيّن لخدّام الدشيشة كلّ يوم دينارين ولطبخ الدشيشة كلّ عام الف اردب ، جزاه الله افضل الجزاء الربّ ، يوم لا ينفع مال ولا ولد ولا صحب ، وفى سنة ٩٩٠

جهة آخره ثلاثون ذراعًا وعرض المطاف ايضًا من الركن اليمانى الى
المطاف ثمانية وعشرون ذراعًا ودايرة المطاف مرتفعة عن الارض نحو
ثلث ذراع وفيها من الاسطوانات النحاس احدى وثلاثون اسطوانة
واثنتان من الرخام الابيض وتحت كلّ اسطوانة حجر مربّع هو قاعدة
الاسطوانة وبين كلّ اسطوانتين وتر من خشب مصفح بالرصاص وفيه
سبع قناديل وبعد الاسطوانات حاشية الطواف وهى كانت تفرش بالحصا
كساير المسجد، فلمّا حجّ الوزير سنان باشا فى عوده من فتح اليمن
فرش جميعها بالحجر المنحوت وعرض هذه الحاشية مختلفة فى مقام الحنبلى
نحو سبعة اذرع وبين مقام الحنبلى وجدّ سبيل الخاصكى الذى
يصلق زمزم تسعة اذرع الا قيراط وبصحن المسجد من جانب الباب
الشريف بير زمزم ويعلوها محلّ مرتفع يؤذن فيه رئيس المؤذّنين ثم
هناك قبّة للفرّاشين يوضع فيها فرش المسجد وشمعه وفوانيسه ثم
بالقرب منها قبّة سقاية العبّاس وهى حوض كبير يملا بالماء ليشرب منه
الحجاج وبظهر القبة محل صغير بيد الوقادين فيه زيت الحرم اليومى،
وطول المسجد من عتبة باب السلام الى عتبة باب العمرة ثلاثماية ذراع
واحد وخمسون ذراعًا ومن عتبة باب السدة الى باب أمّ هانى مايتا ذراع
واثنان وعشرون ذراعًا ومن عتبة باب البغلة الى جدر المدرسة السليمانية
مايتا ذراع واثنان وثلاثون ذراعًا وربع ذراع وطول زيادة دار الندوة من
عتبة الباب الى آخر اروقة الزيادة سبعة وخمسون ذراعًا وثلثا ذراع
وعرضها من جدار السليمانية الى جدر بيت المرحوم ميرزا مخدوم
اربعة وثمانون ذراعًا وثلاثة ارباع وعرضها من جدار رباط الخوزى الى رباط
ناظر الخاصّ ثلاثة وخمسون ذراعًا وطولها من جدر قصر الغورى الى

صغير يصعد منه الى السطح بدرجة من خشب وسطح البيت الشريف
كلّه مرخم بالرخام الابيض، وطول كلّ فتحة من فتحتى الحجر اربعة اذرع
وقيراطان وعرضه من تحت الميزاب من جدر الكعبة الى جدر الحجر اربعة
عشر ذراعًا وسدس ذراع وارتفـــاع دايرة الحجر عن الارض من باطن الحجـــر
ذراعان ومن خارجه ذراعان وقيراطان، وعرض المطاف الشريف من باب
البيت الى المقـام احد وعشرون ذراعًا الا قيراطــاً ومن اول الحاشية الى
حاشية مقام الحنبلى الى شبّاك المقام ثلاثة وعشرون ذراعًا وربع ذراع ومن
شبّاك المقــام الى اول الحاشية من الجهة الثانية ثلاثة عشر ذراعًا وثلث
ذراع وبجانب المقام منبر الخطيب وبينهما سبعة اذرع الا قيراطان والمقام
قد عمل عليه صندوق من خشب وعمل على الصنـدوق قــفــص من
حديد محيط به من الاربع جهــات وفوقه قبّة وفى شرقــيّــه باب من
حديد بدرفتّين يفتح ويدخل منه الى المحلّ ثم الصندوق عليه ثـــوب
محيط بجرّ الفضّة المموة بالذهب على اسلوب البرقع والطراز وهو يصـل
فى كلّ عام مع الكسوة فاذا اراد الانسان الزيارة يرفع جانبهــا من الثوب
ويفتح الصندوق ويصبّ فى حجر المقــام ماء ويشرب للتبرّك به، وبعد
القفص الحديد فى مقابلة بابه اربعة اسطوانات من الحجر الصوان يصلّـى
فيهـــا الامام الشافعى الخمسة فروض، ثم بعده فسحة موضوع بـهـــا
الدرجة التى توضع للداخلين فى البيت الشريف وفى الفسحة المذكورة
عقد من اجر مبيض بالجبس يوضع فى ليالى اول الشهر والاعياد ونحوها
عليها الشغل وطول هذه الفسحة من اسطوانة المقام الى آخرها ثمانية
عشر ذراعًا، وعرض المطـاف من جدر الحجر ممّـا يقابل الميزاب الى جهة
مقام الحنفى اثنان وعشرون ذراعًا وعرض المطاف من جهة المستجار الى

فصل قال عبد الكريم فى مختصره واعلم ان الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفًا هى فى وسط المسجد الحرام وها انا ابين لك ذلك بالذراع واصفه بحيث يعلم منه ذلك وقد ذرعت ذلك بالذراع المصرى المعروف فى بلادنا بين اهلها معرفة تامّة فطولها من الحجر الاسود الى آخر الركن الشامى احد وعشرون ذراعًا ومن الركن الشامى الى الركن العراقى سبعة عشر ذراعًا وثلثا ذراع ومن الركن العراقى الى الركن اليمانى احد وعشرون ذراعًا وثلثا ذراع ومن الركن اليمانى الى الركن الاسود ثمانية عشر ذراعًا وطولها من الارض الى فوق سبعة وعشرون ذراعًا وارتفاع الباب عن الارض ثلاثة اذرع وثلثا ذراع وارتفاع الحجر الاسود عن الارض ذراعان وربع ذراع وارتفاع الحجر اليمانى عن الارض ثلاثة اذرع الا ثلث ذراع وداخل الكعبة ثلاث اسطوانات من خشب فمن الجدار اليمانى الى الاسطوانة الاولى اربعة اذرع وبين كلّ من الاسطوانات اربعة اذرع وبين الاسطوانة الثالثة والجدر الشامى فى الوجه ذراعان الا ثلاثة قراريط ومن الجدر الشرقى الى وجه الاسطوانات خمسة اذرع الا قيراطان ومن قفاء الاسطوانات الى الجدر الغربى ستة اذرع ونصف وعرض الجدر الجنوبى داخل البيت الشريف وهو على يسار الداخل فى الكعبة المعظمة تسعة اذرع وثلثا ذراع وعرض الجدر الغربى وهو الذى فى الباب المسدود ثمانية عشر ذراعًا وربع ذراع وعرض الجدر الشامى من الركن الى البنْترة من الجانب الشامى ذراعان ومن الجانب الشرقى ثلاثة اذرع الا راس الحديدة وعرض الجدر الذى فيه الباب وهو الشرقى من بترة الدرجة الى الباب تسعة اذرع ونصف ذراع وعرض البترة من الحجر الاسود الى اول الباب ذراعان وثلاثة قراريط وعلى يمين الداخل فى آخر الكعبة المشرفة باب

ومنها منارة ذكرها ابن جُبَيْر على باب الصفا قال وهي اصغرها وهي علم لباب الصفا ولا يُصْعَد اليها لضيقها انتهى ومنها منارة على الميل الذي يهرول عنده من يَسْعَى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه المناير الثلاث كانت على المسجد الحرام وهُدمت ولا يُعْلَم من بناها ولا متى هُدمت ويعلُو مكة شرفها الله تعالى منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بير جُبَيْر بن مُطْعِم ابن عدى بن نَوْفَل ويقال ان النبى صلعم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب راسها وكان لها دوران ولا اعلم من بناها يوذّن فيها بعض اهل الخير في مغرب شهر رمضان ويعلق فيها قنديلاً لاعلام اهل تلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ويسحّر عليها اخر الليل ويطفى قنديلها بعد السحور اعلامًا بدخول اول الفجر ليمتنع الصايمون من الاكل والشرب وهو باقٍ الى الآن وذكر التقى الفاسى رحمه الله ان المناير بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب والمحلّات وكان الموذنون يوذنون عليها للصلوات وكانت لهم ارزاق تجرى عليهم واول من جدّد تلك المناير على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هارون الرشيد واجرى على الموذنين بها ارزاقًا وكان لعبد الله بن مالك الخُزاعى على جبل ابى قُبَيْس منارة وعلى القلة منارة ومنارة مشرفة على اجياد ومنارة الى جنبها ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على الجشورة ومنارة في شعب عامر وعلى جبل تفاحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الاحمر ومناير كثيرة عددها ورايت في تعليقة انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة قال التقى الفاسى وقد تُرِك الاذانُ على جميع هذه المناير وما بقى شئ منها والله اعلم

صاحب الموصل وكانت سقطت فى سنة ٧٧١ وسلم النابس منهـا فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منهـا فى مفتتح المحرم الحرام سنة ٧٧٣ بتقديم السين فيهمـا وهى باقية الى الآن ، وخامستها منـارة باب الـزيادة وهى قديمة بدورتين ولعلّ المعتضد العباسى بناهـا لمّـا بنى زيادة الندوة ثم سقطت وانشاها الملك الاشرف برسباى فى عام ٨٣٨ كمـا هو فى حجر بجنب المأذنة ، وسادستها منارة مدرسة السلطـان قايتبــاى رحمه الله بناها على عقد باب مدرسته التى الى جهة المَسْعَى فى غاية الصنـاعـة بثلاثة ادوار افتخر بصنعتهـا مهندس عصره على مهندسى زمانه وبـنى نظيرها منارة اخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى فرغ من بناءها فى حدود سنة ٨٨٠ ، وسابعتها منارة السلطان الاعظم المغفور الاقدس السلطان سليمان ، تغمّده الله بالرحمة والرضوان ، امر ببناءها فى احـد مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهى منارة فى غـايـة العُلُوّ والارتفـاع ، مشرفة على الافاق والبقـاع ، مبنيّة بالحجر الشميسـى الاصفر ، مسبوكة سبك الذهب الاحمر ، لهـا ثلاث دواير مرفـوعـة ، واساسات محكمة موضوعة ، راسها على اسلوب منابر بلاد الروم ، تـكـاد تلازم معارج النجوم ، وتغوص فى الارض فى مدارج التخوم ، بناها المرحوم الامير قاسم امين عمارة المدارس السلطانية السليمانية وسنجق جُدّة المعمورة فرغ من بناءهـا فى اثناء سنة ٩٧٣ ، وهذه هى المنابر السبع التى حول المسجد الحرام الآن عليهـا عمل المؤذنين فى الاوقات الخمسة وفى رمضان وغيره ، وكانت على المسجد الحرام منابر اخرى ذكرها اصحاب التواريخ فمنها على باب ابراهيم منارة شبه صومعة هدمهـا بعض امراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقى الفاسى رحمه الله تعـالى ،

بنى العبّاس وعمّرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن على بن
ابى منصور الاصفهانى فى سنة ٥٥١ وكان رئيس المؤذّنين يوذن بهـا فى زمن
الفاكهى ويتبعه ساير المونذنين ثم صـار فى زمن التقى الفـاسى يوذن
رئيس المونذنين ببـاب السلام ويتبعه ساير المونذنين وهو الآن يـوذن
الاوقات الخمسة على قبّة زَمْزَم ويتبعه المونذنون الا ليـالى رمـضـان فى
التسحير فان رئيس المونذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه
المونذنون فى التسحير واحدًا بعد واحد وكذلك فى التمـجـيـد
والتوديع والتذكير ونحو ذلك وقد ادركنـا هذه المادنة وهى عتيقة
البناء فامر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور السلطان سليمان خان
فهُدمت الى الارض وبُنيت بالاجر وأُعيدت كمـا كانت بدَوْر واحد فى
عُلوّه الا انهم غيّروا راسهـا على اسلوب منابر بلاد الروم وكانت اسلوب
منابر مصر يعلق عليها فى راسها ثلاثة قناديل فى ثلاثة أَعْواد مغروزة فى
قبة صغيرة على راس المادنة وكان ذلك فى سنة ٩٣١ ، وثانيتها منارة باب
السلام عمّرها المهدى بن المنصور العباسى الذى وسّع المسجد الحرام فى
سنة ١٦٨ وهى بدَوْرَيْن ثم تهدّمت فى زمن الناصر فرج بن برقوق فى سنة
٨١٠ وأُعيدت وهى باقية الى الآن ، وثالثتها منـارة علىّ واول من عمّـرهـا
المهدى العباسى ابن المنصور لما عمّر منارة باب السلام واستمرّت الى ان
ادركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد فى اعلاها فامر المرحوم
السلطان سليمان خان ، عليه التحيّة والروح والريحـان ، فهُدمـت
واعيدت من الحجر الاصفر الشميسى وجُعل لها دوران اعلا واسفل وغُيّر
راسها على اسلوب منابر الروم ، ورابعتها منارة الحَزْوَرة وهى بدَوْرَيْن واول
من بناها المهدى العباسى ثم عُمّرت فى زمن الاشرف شعبـان بن حسين

هانى وقد جدّد هذا الباب ببناء حسن لطيف واسلوب ظريف وعدد شرافاته ١٣ شرافة ، وبالجانب الغربى ثلاثة ابواب الاول طاقان ويعرف بباب الحَزْوَرة ولم يجدّد فى هذا الباب ايضًا شئ اصلاً لعمارته ، الثانى طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدّد هذا الباب ايضًا لعمارة قصره لان قصر الغورى مبنىّ عليه ، الثالث طاق واحد ويعرف بباب العُمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون ويخرجون منه فى الغالب كان يُسَمّى قديمًا باب بنى سَهْم وقد جدّد هذا الباب وعدد شرافاته ثمانى شرافات ، وبالجانب الشامى خمسة ابواب الاول طاق واحد ويعرف بباب السدّة وكان يقال له قديمًا باب عمرو بن العاصى رضى الله عنه وقد جدّد هذا الباب ايضًا وعدد شرافاته ستّ ، الثانى طاق واحد ويعرف بباب العجلة وبباب الباسطيّة لاتّصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدّم ذكرها وقد جدّد هذا الباب ايضًا وعدد شرافاته سبع ، الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة فى ركنها الغربى ولم يجدّد هذا الباب ايضًا ، الرابع ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامى وقد كان هذا الباب قديمًا طاقَيْن الى ان أُمر الامير قاسم بك المرحوم ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقًا ثالثًا ثم هُدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأُعيدت كما كانت وعدد شرافاته ٢٣ شرافة ، الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدُّرَيْبَة بالقرب من منارة باب السلام.وقد جَدّدَ هذا الباب الامير قاسم بك المذكور سابقًا عند بنائه للمدارس السليمانية ،

واما منابر المسجد الحرام فهى الآن ستّ منابر يؤذن عليها فى الاوقات الخمسة اولاها منارة باب العُمرة عمرها ابو جعفر المنصور ثانى ملوك

واما **ابواب المسجد الحرام** الآن فعدّتها ١٩ بابًا تفتح على ٣٩ طاقًا
فى كل طاق درفتنان فيها خوخة تفتح فمنها بالجانب الشرقى اربعة ابواب
الاول باب السلام ويُعرف بباب بنى شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب
لم يجدّد فيه شىء لكونه عامرًا محكم البناء وفى الدرفة اليمنى من الطاق
الاوسط خوخة تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلًا لمن يدخل المسجد
او يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وهكذا جميع الخوخات، الثانى
طاقان ويعرف بباب الجنايز وبباب النبى صلعم ولم يجدّد فى هذا الباب
غير الشرافات التى عليه وعدّتها ٢٤ شرافة، الثالث ثلاث طاقات ويعرف
بباب العبّاس لمقابلته لداره رضّه ويعرف ايضا بباب الجنايز، الرابع
ثلاث طاقات ويعرف بباب علىّ وبباب بنى هاشم وقد جدّد هذا الباب
والذى قبله على احسن وضع وعدد ما عليهما من الشرافات ١١٥ شرافة،
وبالجانب الجنوبى سبعة ابواب الاول طاقان ويقال له باب بازان لانّ عين
مكة المعروفة ببازان قريبة منه وقد جدّد هذا الباب باسلوب حسن
وعدد ما عليه من الشرافات ١٦ شرافة، الثانى طاقان ويعرف بباب البغلة
بباء موحدة وغين معجمة وقد جدّد هذا الباب ايضًا ولم يُعمل عليه
شىء من الشرافات، الثالث باب الصفا لانه يليه ويعرف ايضًا بباب بنى
مخزوم وهو خمس طاقات وقد جُدّد هذا الباب تجديدًا حسنًا وعدد
شرافاته ٣٩، الرابع طاقان ويعرف بباب اجياد الصغير وقد جدّد وعدد
شرافاته ١٩ شرافة، الخامس طاقان ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب
الرحمة وقد جدّد هذا الباب ايضًا وعدد شرافاته ٢٠، السادس طاقان
ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتّصاله بها وقد جدّد هذا
الباب ايضًا وعدد شرافاته عشرون، السابع طاقان ويعرف بباب أُمّ

من الحجر الشميسى المنحوت فمن ذلك فى جهة شرقى المسجد الحرام ثلاثون اسطوانة وفى جهة شاميّة ٤٤ اسطوانة وفى جهة غربيّة ٣٦ اسطوانة وفى جهة جنوبيّة ٧٦ اسطوانة واربع فى اركان المسجد الحرام وفى زيادة دار الندوة ٣٦ وفى زيادة باب ابراهيم ١٨ ، واما القبب فعددها ١٥٢ قبة فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام ٢٤ قبة وفى الجانب الشامى ٣٦ قبة وفى الجانب الغربى ٢٣ قبة وفى الجانب الجنوبى ٣٦ قبة وواحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفى زيادة دار الندوة ١٩ قبة وفى زيادة باب ابراهيم ١٥ قبة ،

واما الطواجن فجملتها ٢٣٣ طاجنًا ففى الجانب الشرقى ٣٨ طاجنًا وفى الجانب الشامى ٥٦ طاجنًا وفى الجانب الغربى ٤٣ طاجنًا وفى الجانب الجنوبى ٦٤ طاجنًا واثنان تحت مادنة باب السلام وواحد فى ركن المسجد الحرام من جهة باب السلام وواحد فى ركن المسجد الحرام من جهة باب العمرة وفى زيادة دار الندوة ٢٤ طاجنًا ،

واما المصلبات فجملتها ٥٦ مصلبًا ففى جهة شرقى المسجد الحرم مقابل باب السلام ٣ وفى جهة شاميّة ٢٢ وفى جهة غربيّة ١٦ وفى جهة جنوبيّة ١٥ ، واما الشُرّافات فجملتها ١٣٨٠ فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام ١٦٢ شرافة فمن الرخام ٢٧ فى وسطهنّ واحدة طويلة ومن الحجر الشميسى ١٣٥ وفى جهة شاميّة ٣٤١ فمن الرخام ٧٨ شرافة منها ٣ طوال والباقى من الحجر الشميسى وفى جهة غربيّة ٢٠٤ فمن الرخام ١٣ فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى وفى جهة جنوبيّة ٣٣٥ فمن الرخام ٧٠ فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى وفى زيادة دار الندوة ١٩١ من الحجر الشميسى وفى زيادة باب ابراهيم ١٤٦ من الحجر الشميسى لا غير ،

لله تلى بطنها اثنتان وسبعون شرافة ولا شرافة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت فى زيادة باب ابراهيم ممّا يلى بطنها فى ثلاث جهات منها وهى القبلى واليمانى والشامى بضع واربعون شرافة ء

وامّا ابواب المسجد الحرام فهى تسعة عشر بابًا كانت تفتح على ۳۸ طاقًا وهى باقية على حالها ما عدا باب واحد فى زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم امين بناء المدارس الشريفة السلطانية السليمانية طاقًا واحدًا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات ابواب المسجد الحرام الآن ۳۹ طاقًا فى كل طاق درفتان وسيأتى تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات المتجدّدة فى عصرنا هذا والذى اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصفر الشميسى والقبب والطواجن والمصلّيات وشراريف المسجد الحرام فهى ما نذكره ء

فاما الاسطوانات الرخام فعددها ۳۱۱ اسطوانة ففى جهة شرقى المسجد الحرام وهو ما يقابل باب البيت الشريف ۹۲ اسطوانة رخامًا وفى جهة شاميّة ويقال له الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف ۸۱ اسطوانة رخامًا وفى جهة غربيّة وهو ما يقابل المستجار العظيم ۹۴ اسطوانة منها ستّ من الحجر الصّوّان والباقى من الرخام وفى جهة جنوبيّة وهو ما يقابل الركنين ۳۸ اسطوانة منها احدى عشرة من الحجر الصوان والباقى من الرخام ء وفى زيادة دار الندوة ۱۵ اسطوانة من تلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب ابراهيم ست اسطوانات من الرخام ء واما الاسطوانات الشميسى الصفر فجملتها ۲۴۴ اسطوانة وهى عبارة عن شكل مثمّن او مسدّس او مربّع على حسب ما اقتضاه المكان وهى فى طول الاسطوانة العُليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاها الاعلى

الى ايام دولة هذا السلطان الاعظم فأعيد ذلك المحلّ المحجور من المسجد الحرام مسجدًا كما كان، وامّا زيادة باب ابراهيم فقد كان فيها فى الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفّين متّصلين فى الرواق القبلى الذى يلى المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزى على يسار المستقبل وفى الجانب الشمالى ستّ اساطين وفى الجانب الجنوبى ست اساطين احداها لاصقة بالمنارة التى كانت لهذه الزيادة ولم تكن بالجانب الغربى من هذه الزيادة اساطين، ثم فى ايام السلطان قانصوه الغورى ارسل اميرًا من امرائه يقال له خيربك المعمار لتعمير زيادة باب ابراهيم فى حدود سنة ٩١٧ فبنى على باب ابراهيم قطرًا مرتفعًا مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد عزلًا ومساكن وبنى خارج ذلك ميضأةً تشتمل على مراحيض وبركة ماء ووقف ذلك جميعه على جهات خير، وبنى من داخل باب ابراهيم على يمين الداخل حاصلًا فى ارض المسجد وفى عُلُوّه مسكنًا وعلى يسار الداخل مثله وقرّر فيهما بعض المستحقّين، وجعل فى الجانب اليمانى من هذه الزيادة حاصلًا يشتمل على سبيل ماء وصهريجًا كبيرًا يمتلى من ماء المطر من سطح المسجد وابقى الجانب القبلى والجانب الشمالى على حالهما وفرغ الامير خيربك المعمار من ذلك فى حدود سنة ٩٢٠، وامّا عدد شرافات المسجد الحرام من داخله فكانت اربعماية شرافة وسبعة انصاف شرافات واما الشرافات التى كانت على جدر المسجد من خارجه فهى اثنتان وخمسون شرافة متفرّقة على ابواب المسجد الحرام وفيما بينها دور وربط ومدارس متّصلة بجدر المسجد الحرام ليس فيها شرافات وكانت فى زيادة دار الندوة من جوانبها الاربعة

الغربى سبع وثمانون اسطوانة كلّها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة فى شكل نصف دايرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتين الى ان يطول فى شكل اسطوانة الرخام مسبوك بينهما بالرصاص فى داخلها ووسطها حديد بطول الاسطوانة منحوت مكانه فى وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص عمل ذلك فى ايام الملك الناصر فرج بن برقوق لما احترق هذا الجانب الغربى من المسجد الحرام فى آخر شوّال سنة ۸۰۲ كما تقدّم شرحه فى محلّه فيكون جميع ما ادركناه من الاساطين الرخام ۳۴۰ اسطوانة وجميع ما فيه من الاساطين غير الرخام ۱۲۹ اسطوانة، وامّا اساطين زيادة دار الندوة فادركناها ستًّا وستّين اسطوانة من جوانبها الاربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطليّة بالجصّ الابيض من ظاهرها وقد ينكشف عنها الجصّ فيظهر الحجر الغشيم منها فى الجانب الشرقى اثنتا عشرة اسطوانة وفى الجانب الشمالى عشرون وفى الجانب الغربى احدى عشرة وفى الجانب الجنوبى ثلاث وعشرون اسطوانة، ثم فى ايام دولة المرحوم السعيد الشهيد السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والرضوان، امر اميرًا من امرآءه بجُدّة هو الامير خوشكلدى فى سنة ۹۴۷ وما بعدها ان يهدم قبّة مقام الحنفى الذى كان بناه مصلح الدين الامير فى ابتدآء الفتح العثمانى لممالك العرب وان يُبنى مكانه مربّعًا على وضعه الباقى الى آننا هذا فجاء فى فكره ان يجعل فى المسجد الشريف حاصلًا واسعًا لحفظ مُؤَن المسجد واخشابه وآلاته وان يجعل الى جانبه حاصلًا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زينته ومسارجه فعمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقى منها حاصلين حجّره وبنى عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمرّ كذلك

سنة الف فخر الصلحاء المكرمين الشيخ الدين على بن الخلوتى بأمر
شريف سلطانى، لا زال نافذًا على القاصى والدانى، يتضمن ان سقف
مقام ابراهيم الخليل قد اكلته الارضة وانه يحتاج الى اصلاح فلمّا كشف
السقف المذبور شاهدوا ان الارضة قد اكلت غالبه وان المتعين تغيير
جميعه وانه اذا لم يغيّر سقط فغيّر جميعه بخشب الساج بشغل
مكلف مصنع احسن من الاول فشرع فى العمل المذكور فى جمادى
الاخرة سنة واحدة بعد الالف وتمّ العمل فى السنة المذكورة ۞

فصل فى ذكر اساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما
كانت عليه قبل هذه العمارة الشريفة ثم ذكرها على ما صارت عليه
الآن، اعلم ان عدد جملة اساطين المسجد الحرام فى جوانبه الاربعة
غير الزيادتين اربعماية اسطوانة وتسع وستون اسطوانة وما على ابوابه
سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة اساطين الجوانب الاربعة من
المسجد الحرام واساطين ابوابه الشريفة اربعماية اسطوانة وست
وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من اساطين
الزيادتين، فكانت فى الجانب الشرقى ثمان وثمانون اسطوانة كلّها رخام
مخروط ما عدا اسطوانة واحدة فى الصفّ الاوسط عند باب علىّ فانها
من الآجر مبنية بالنورة مبيّضة بالجصّ، فكان فى الجانب الشمالى ويقال
له الشامى مائة اسطوانة واربع اساطين كلّها رخام ما عدا اربع عشرة
اسطوانة من آخر الصفّ الاوسط ممّا يلى باب العجلة الى باب السدّة فانها
حجارة منحوتة، وكان فى الجانب الجنوبى ويقال له اليمانى مائة واربعون
اسطوانة كلّها رخام ما عدا خمسًا وعشرين اسطوانة فى مؤخّر هذا
الرواق عند ابواب أمّ هانى فانها كانت حجارة منحوتة، وكان فى الجانب

الا وقبله وفعله ومن اهم المهمّات ان يكون له اربع مدارس كما لجدّه المرحوم المقدّس وان يعمل بمكة المشرفة تكيّة كما فعل بالمدينة المنورة على الحال بها افضل الصلوة والسلام وانا اسال فضل من طالع هذا المختصر من العماء الاعلام والكبرآء الفخام ان يسعى فى ذلك لجيران بيت الله الحرام فانهم محتاجون لهذا الانعام ، ومما تجدّد بعد هذه العجالة ان جعل البيت الكبير الذى بالصفا مدرسة يدرس فيها العلوم الشريفة الشرعية وجعل للمدرّس خمسين عثمانيًّا وللمعيد خمسة عثمنة ولكلّ واحد من الدانشمند وهم عشرون نفسًا ثلاثة عثامنة وللبوّاب والفرّاش والكنّاس خمسة عثامنة وانعمر بهذه المدرسة على هذا الحقير وشرع يدرّس فيها الفقه والحديث وشرعت الكُتُب شرعًا كافيًا وافيًا شافيًا ان شاء الله تعالى على صحيح البُخارى ، ثم ان امين البناء مصطفى جاويش انهى الى سرير السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى ان البيوت المذكورة ما عُمرت الا ليكون اجرتها مصروفة على السبيل الذى بناه على يسار الخارج من المسجد الى الصفا وعلى فراشين لكنس المحلّ الذى بناه مصطفى جاويش المذبور خارج المسجد للفقرآء فكتبت وقفيّة بذلك، فعرض سيّدنا ومولانا السيد الشريف حسن بن ابى نمىّ بن بركات خلدت دولته الى الباب العالى والى ناظر الحرمين الشريفين بالباب السالك احسن مسالك الصواب مصطفى آغا الملقّب بقزلزاغاشى وناظر الحرمين الشريفين فى ذلك فعرض ذلك على حضرة السلطان فابقى البيت الكبير مدرسة على حاله وامر ان يحمل من مال اوقافه بمصر فى كل سنة ستماية دينار لتصرف على المدرّس وطلبته ما قرره لهم والباقى عوض كرا البيت الذى ابقاه مدرّسة جزاه الله خيرًا ، ومنهـا ان ورد فى موسم

يوم ، ومنها ان الخطباء بمكة المشرفة والامام الحنفىّ كان لكلّ واحد منهم
عثمانىٌّ ونصف عثمانى فجعل لاربعة خطباء اثنان حنفيّـان واثـنـان
شافعيّـان لكل واحد منهم اربعين عثمانيًّـا كل يوم ومن جملتهم هذا
الفقير راقم هذه الحروف ، وكذلك جعل لامامَيْن حنفيَّيْن فصاروا
يدعون له من غير اختيـار فانه يَدُلُّ عُسْرَهم باليُسْر وضيقهم بالـفـرج
وكذلك الائمّة الشافعية وهم نحو احد عشر نفساً وكان لكل واحد منهم
عثمانىٌّ ونصف فجعل لكل واحد منهم خمسة عثامنة كل يوم، ومن ذلك
الرومية الجديدة التى ارسلها فى موسم سنة ٩٩٠ وهى لاهل مكة المشرفة
نحو ثلاثة الاف ذهب وفى موسم سنة سبع وتسعين ارسلهـا على يـد
ابراهيم افندى المنفصل من دفترداريّة اصطنبول وهى نحو عشـرة الاف
ذهب وارسل معه خلعة سنيّة لصاحب مكة وشريفهـا خلدت شرافته
ودولته وخلعة لقاضى مكة وشيخ حرمها ولهذا الفقير الداعى بصُوفَيْن
من اصوافه الخاصّة ومائة دينار خارجًا عن دفتر الصّرّ وحُكم شريف
سلطـانى واستمرّ ذلك الى الآن فجزاه الله تعـالى خيراً عـن الاسـلام
والمسلمين واطـال عُمره وقررت هذه الدراهم فى دفتر على المستحـقّـين
وصارت تعرف بالرومية الجديدة فان الرومية تَصِلُ من مصر ، وذلك غير
ما زيد من اوقاف الشام وهو نحو ثلاثة الاف دينـار ، ومن مآثره الربعة
الشريفة القرانية التى تقرا له كل يوم قبالة الميزاب الشريف بعد صلوة
الصبح جعل لكل نفر ثلاثة عثامنة كل يوم فهم يجتمعون ويقرؤونـهـا
ويدعون بدوام دولته الشريفة ، وان خيراته بالمدينة المنورة قـدر ما
بمكة المشرفة ثلاثة اربعة مرّات وان اهل مكة يحتاجون الى من يـعـرض
حالهم على هذا السلطان المحسن المتصدّق الذى ما دُلَّ على خير قـط

السّيل وتفيح رايحة المطاهر على اهل المسجد الحرام فأمر بتلك البيوت والمدارس فهدمت وصار ذلك المحلّ موحشًا غير مبنى فعرض عليه فارسل لعمارته من جاويشية بابه العالى مصطفى جاويش فوصل الى مكة المشرفة فى سنة ٩٩٤ وعمّر ذلك من اوّله الى آخره طواجن وجعلها ماوى للفقرآء حتى لا يبيتون فى المسجد وعمل على يسار الخارج من باب الصفا سبيلًا يشرب منه الصادر والوارد وعمل حَنَفيّةً تحته للوضوء وحنفية اخرى فى لصق جدر مدرسة قايتباى من جانب السوق بالقرب من باب السلام الصغير ومن احسن ما عُمل للسبيل من التواريخ هذا

انا سبيل اشادَ مجدى	سلطان كلّ الورا مرادُ
فاق على قَيْصَر وكِسْرَى	بعَدْله قرّت البلادُ
مدّ على الخلق فيض بِرّ	فعاش من فضله العبادُ
بَنَى بباب الصفا سبيلًا	للوَفْد وردّه ارتيادُ
صار به للالة جارًا	وجاره الدهر لا يكادُ
له من الله سَلْسَبيل	وكوثر ما له نفادُ
جاء بلا غاية لمجد	تاريخ بنيانه المشادُ

أسّسنى بالصفا سبيلًا   لله سلطاننا مرادُ

وكانت عمارته فى سنة ٩٩٥ واصرف على هذا المحلّ والسبيل عشرين الف دينار ذهبًا ومن احسانه الجراية الخاصّة لله يرسلها كل عام من الانبار الخاصّ وهى خمسة الاف اردب مكتوبٌ بأسْماء جماعة من الامرآء والفقهاء والمشدين وارباب الخدم بالمسجد الشريف ومنها انه لم يكن بمكة المشرفة مُفْتٍ بعُلوفة فعرض لهذا الفقير راقم هذه العجالة فأنعم عليه بافتاء مكة المشرفة وجعل له فى ذلك من بيت المال خمسين عثمانيًّا كل

الشريف فرُكبت على اعلا القبب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كانها صفوف واقفة بالاساكف من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالاً، واثمان جميع ذلك خارج عن القدر المذكور المصروف فى العمارة الشريفة، وكان عمل اهلّة قبب المسجد الحرام بمصر بامر بكلاربكى مصر الآن، نايب السلطنة الشريفة بها فى هذا الزمان، امير الامرآء العظام، كبير الكبرآء الفخام، محيى البلاد والعباد بعدله الاسمى، سمّى روح الله مسيح باشا والاسماء، تنزل من السماء، زاد الله شانه عظما، وانعش باحياءه عظام العلماء العظما، والسادات الاجلا الكرما، وافاض على اهل الحرمين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس، وزرع بسحاب معدلته ومرحمته بذر محبّته ومودّته فى قلوب الناس، واعانه على البرّ والتقوى، وصانه وحماه عن جميع الاسوا، وافاض عليه جلايل نعمه الباطنة والظاهرة، وجمع له بين سعادتَى الدنيا والاخرة، ولقد كان هذا المسيح احيا موات مصر وعمّر ما فيها من الخراب، وابرا جميع ما بها وباهلها من الامراض والاوصاب، وانعش اهل الحرمين الشريفين كما احيا الموتى روح الله المسيح، وجهّز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية وشرّحها اليهم احسن تشريح، فهم داعون بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان، حيث ولّى رعاياه من يروف بهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان، ادام الله سعادته ورقاه، وحفظه ورعاه، وحماه من الاسوآء ووقاه،

قال عبد الكريم فى مختصره ومنها ان الجانب الجنوبى كان به بيوت ومدارس من اول الرواق الى آخره وهو باب حَزْوَرة وكانت تضيق على

ولم تصلْ الى باب المسجد ولم تقارب منه وهذا راىٌ سديد وعملٌ مهمٌ نافع ينصانُ به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى ان يتفقد فى كل عامَيْن او ثلاثة اعوام فيقطع ما علا من الارض قبل ان يعلو كثيرًا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زايد فاللازم على ولىّ الامر سلطان الاسلام والمسلمين، نصرّه الله تعالى وشيّد به قواعد الدين، ان يقنّن لذلك قانوناً فيقطع هذا المسيل فى كل عامَيْن مرّة من غــيــر ان يحتاج الى تجديد امرٍ جديد كل مرّة ليستمرّ المسيل منهبطـاً دايمـاً لجريان السيل فيه صوناً للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه فى كل سيل يأتى ويكون ذلك قانوناً مستمرًّا للسلاطين دايمًا ويُسطر ثواب ذلك فى صحايفهم، وكانت اليد البيضــاء فى اداء هذه الخدمة الشريفة للامير احمد بك المشار اليه، انعم الله تعالى عليه، واكرم منزلته لَدَيْه، واجرى كل خير بيَدَيْه، ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى، والمثوبات العظيمة الكبرى، واخبرنى الامير احمد المشـار اليه ان الذى اصرفه فى عمارة المسجد الحرام هدمًا وبناء وقطعاً لارض المسيل من جهة الجنوبى الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى اخر مجرى سرداب العنبة من خاصّة اموال السلطنة مائة الف دينــار ذهب جديد سلطانى وعشرة الاف دينار ذهب جديد سلطانى وذلك غير ثمن الاخشاب المجهّزة من مصر الى مكة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمجارف والمسامير والحديد المحدّد راسه بطول الرواقين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس عليه طير الحمام وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد لتحديد راسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه، وغير اهلّة القبب التى عُملت بمصر من النحاس وطُليت بالذهب وجُهّزت الى الحرم

جهة المسفلة فى كل عشرة اعوام مرّة فغفل عن قطعه نحو ثلاثين عامًا فعلّت الارض فجاءت سيول طافحة ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ٩٨٣ فدخلت من ابواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة وعلا الى ان غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى ان قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء فى الحرم الشريف يومًا وليلة وما امكن اداء الصلوات الخمس فيه فتعطّلت الجماعة سبعة اوقات ، وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم احمد بك امين العمارة بخُدّامهم وعبيدهم وساير المشدّين وخدام الحرم الشريف والفقهاء والاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من اسفل مكة ثم نظف وغسل داخل البيت الشريف ومقام الحنفى ثم أُخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوّم الطين اكوامًا فى المسجد ثم أُخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب فى ذلك حضرة الامير احمد وصرف من ماله فى ذلك مبلغًا كبيرًا ، ثم شرع فى قطع المسيل وتهبيط ارضه الى اسفل عشر درجات او نحوها من الجانب الجنوبى من المسجد الحرام الى اخر المسفلة وهو ممرّ سيل اعلى مكة فصار السيل اذا سال درج بسُرعة ولم يعل الى ان يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك ايضًا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو ممرّ سيل قُعَيْقعان والفلق والقرارة فصار اذا سال سيل قعيقعان وحواليه وجرى الى باب الزيادة لم يَصْعَد الى ابواب المسجد بل يدخل سردابًا واسعًا يسمّى العنبَة ويجرى فيه الى ان يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى اسفل مكة مع السيل الكبير وصان الله تعالى المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل

الملك المجيد، السلطان السعيد، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم، السلطان سليم، ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم، ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن السلطان محمد ابن السلطان يلدرم بايزيد ابن السلطان مراد ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان، مكّنهم الله على سرير السلطنة فى دار الجنان، وأبّد اخلافهم فى مسند الخلافة الى انقراض الزمان، وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ٩٨٠، فلمّا سلّم السلطان سليم، وديعته باحسن تسليم، وارتحل من دار القصور، الى ما هيّأه الله له فى الجنّة من القصور، قبل تمام ما رام، من تجديد المسجد الحرام، واجلس الله على سرير الخلافة نجْلَه النجيب احسن اجلاس، وجعل حرمَهُ مثابة للناس، يسّر الله له الاتمام، بطلعة اقباله وجوه الليالى والايام، وانام الانام، فى مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام، ونظم راقمُ هذه الارقام، تاريخًا يليق ان يكتب فى هذا المقام، وهو هذا

جدّد السلطان مراد بن سليم   مسجد البيت العتيق المحترم

سُرّ منه المسلمون كلّهم   دام منصور اللوآء والعلم

قال روح القدس فى تاريخه   عمر سلطان مراد الحرم

انتهى، ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبى الذى هو مجرى السيل الآن فان الارض علتْ وامتلأ المسيل كلّه الى اسفل مكة بالتراب الى ان لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التى فى تلك الجهة الا نحو ثلاث درجات بعد ان كانت نحو خمس عشرة درجة يُصْعَد منها الى ان يدخل من الباب الى المسجد فكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من

واصحابه الاجلّة الامجاد، ووفق عبده المعتاد باحكام أحكام الشريعة وتشييد اركانهـا على الوجه المراد، المدّخر ذخر الآخرة المستزيد من زاد المعاد، ظلّه الممدود على مفارق العباد، السلطان ابن السلطان ابن السلطان مراد، جعل الله تعالى الخلافة فيه وفى اعقابه الى يوم التناد، لتجديد معالم المسجد الحرام وحرمه الذى سَوآءٌ العاكف فيه والباد، فتمّ فى فاتحة سلطنته العظمى لا زال للحرمين المحترمين خادماً، ولاساس الجور والاعتساف هادماً، بتجديد حرم بيت الله عزّ وجلّ، بامر العزيز المبجّل، وعمر عامر جوده ما تضعضع من اركانه، بعد ما كاد تنقض عوالى جُدْرانه، فجدّد بنيان حرم بيت الله العتيق وسوّره باكمل زينة واجمل صورة بعد ما ابلاها الجديدان، واكلت عيدان سقفها الارضة والديدان، فرفع القباب موضع السطوح المبنية بالاخشاب، وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب، فاذعنوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر، تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وداعين له من الله تعالى بالبرّ الجزيل والذخر الزاخر، قايلين اللهمّ ادمْهُ فى سرير الخلافة، محروسًا بحفظك من كل آفة، وظافرًا على من يريد خلافه، مشيّدًا للمساجد والمدارس، مجدّدًا لكلّ خير منهدم ودارس، واجعل بابه للراجين حرمًا آمنًا، وجنابه للمحتاجين كفيلاً ضامنًا، يأتون اليه من كل فجّ عميق، بحُرمة البيت العتيق، تقبل الله مُعْطى السوال بجاه الرسول، هذا الدعاء الحريّ بالقبول، فلمَنْ اسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، جاء مشيّد الاركان، حاكيًا روضات الجنان، وصار هذا عُنوان خلافته، وبراعة استهلال لمنشور سعادته، فى اوايل سنة ٩٨٤ وكان الابتداء بذلك التجديد، بامر والده الماجد الدارج الى مدارج

والمغارب، وملكا مرفوع المقام على هام الكواكب، وصيّره للاسلام حصنًا محيطًا، وجعل ظلّه المديد على كافّة الانام بسيطًا، وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطًا، وقع بسلطنته الشريفة طوايف الكفر والعُدا، وجمع له بين البأس والندا، فصار مُلكه الشريف بعون الله سبحانه مفردا، خليفة الله على كافّة العباد، ورحمته الشاملة لجميع البلاد، سلطان سلاطين الزمان، خلاصة خواقين آل عثمان، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، الخنكار الاعظم مراد خان، لا زال الوجود بدوام خلافته عامرًا، ولا برح الاسلام في ايام سلطنته قويًّا ظاهرًا، زاده الله تعالى قوة ونصرًا، وشدّ بملايكته الكرام له ازرًا، فتاريخ اتمامه قد جاء

اطال الله لمن اتمه عمرا،

ثم ورد من الباب الشريف العالى تاريخ منظوم نظمه درر البحور وغرر النحور، ونثره كالدّر المنثور والزهر المنشور، بخطبة وتعريفات السلطان الاعظم في آخره ثلاثة ابيات بالعربى لا اعلم من الذى ابدعه واخترعه وانشاه ونظمه ورصّعه وورد معه حكم شريف سلطانى يتضمّن الامر بكتابته على بعض ابواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف، وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف، على طراز باب سيّدنا العبّاس الى باب على في الجانب الشرقى من المسجد الحرام، ونقر له في الحجر الاصفر الشميسى وطُلِىَ بحَلْيِ الذهبَ في ذلك المقام، ليقرأه الخاصّ والعامّ، ويبقى ذلك النقر في الحجر على صفحات الليالى والايام، وهذا لفظه

الحمد لله الذى اسّس بنيان الدين المتين بنبىّ الرحمة والرشاد، وخصّه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد، وجعل حرم مكة مطافًا لطوايف الطايفين للحاجّين من اقاصى الممالك والبلاد، صلّى الله عليه وعلى آله

المستطاب، بحلّ الذهب، بخطّ كسلاسل الذهب، على كل موضع ما يناسب من الايات الشريفة القرآنية، بالكتابة المنسوبة الفايقة الجليّة، واخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكلّ لسان واخترت اخصرها لانه خير مساجد الله، ثم رايت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخًا فى بيت مفرد فاعجبنى نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت

جدّد المسجد الحرام مراد دام سلطانه وطال اوانه،

ثم رايت تاريخًا نثرًا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام، ومدرّس اعظم مدارس اعظم سلاطين الانام، سيد السادات العظام بدر الملّة والدين، مولانا السيد القاضى حسين الحسينى، قاضى المدينة المنورة سابقًا ادام الله تعالى اجلاله، وضاعف فضله وافضاله، فاثبتُّه هنا لحُسن انشائه ولطف مبناه، وسلامة لفظه وبلاغة معناه، وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين، شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده، من اختاره الله سبحانه من خلفائه وعبيده، المقدّس المرحوم السعيد، المبرور المغفور الشهيد، سلطان الاسلام والمسلمين، خاقان خواقين العالمين، المتفيّء بفضل الله ظلال دار النعيم، حضرة الملك الاعظم السلطان سليم، نوّر الله تعالى ضريحه، وروّح بروايح الجنان روحه، واتمّ بناءه واكمله واتقنه، وجمّله وحسّنه، وارث الملك الاعظم، والامام الافخم، والخليفة الاكبر الغطمطم، والملك القاهر العرمرم، من ملّكه الله شرق البلاد وغربها، وجعل طوع يديه عجم الرعايا وعربها، واطلعه سراجًا منيرًا فى المشارق

المشيد، الى نجله السعيد، السلطان الاعظم الفريد، السلطان المشار اليه الأفخم الاكرم، خلّد الله تعالى ملكه الاعظم، وافاض على العالمين عدله الاقوم وعمره اطال الله عمره الشريف وغمره بسوابغ الفضل والنعم، فبرز امره الشريف العالى الى امين العمارة الشريفة المشار اليه سابقاً افتخار الامرآء الكرام احمد بك ان يبذل جدّه وجهده فى اتمام بناء المسجد الحرام، ويشرع فى انجاز عمارته بكمال السّعى والاهتمام، فبادر الامير المشار اليه الى هذا الجدّ والاجتهاد، وتوجّه بكلّيّته الى اتمام هذه العمـارة فى خير البلاد، فطانه الله تعالى على اتمامها، وامر بذلك ساير خُدّامها، الى ان تمّ بناء الجانبين الغربى والجنوبى من المسجد الحرام بجميع شرافاتـه وابـوابـه ودرجاته من داخل المسجد وخارجه فى ايام دولة هذا السلطـان الاعظم، خلّد الله ملكه الاقوم، فتمّ ولله الحمد بسعد طالعه السعيد، وكمل على هذا الوجه الجيد، بحُسن توجّهه الشريف وقوة عـزمـه المشيد، وكان ذلك فى آخر سنة ٩٨٤، وصار المسجد الحرام نـزهـة للناظر، وبغية للخاطر، وجلاء للنواظر، وصفاء للقلوب والخواطر، بحيث صار ما عمّره الخلفـاء العبّاسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكـر ويوصف، لان هذا البناء الشريف امكن وأزيّن واعلا واشرف، فكان الآن كأرم ذات العماد، للتى لم يخلق مثلها فى البلاد، بعقود عالية كاطواق الذهب فى الاجياد، وقُبَب سامية كقباب الافلاك الشداد، وشرافات شريفة مشرفة على المهـاد والوهـاد، بل اعلا واشرف، واجلّ وألْطف، وارفع واتحف، مبنىّ ذلك بالرخام الابيض المرمر، والحجر الشميـسـى المنحوت الاصفر، كانه سُبْك الذهب او شبك العسجد والجوهر، مكتوب على الابواب، وصدور الأرْوقة آيات الكتاب، والاسم السامى السلطـانى

سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الامم، جمّل الله به وجود الانام، واكرم بعظيم اكرامه طوايف العلماء الكرام، واكابر فضلاء الموالى العظام، فرُقّلوا فى ايام سعادته فى حلل المناصب العالية الفخام، واحرزوا قصب السبق فى ميادين المراتب السامية فى ظلّه الظليل المستدام، ادام الله تعالى لهم ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام ، واما زُمْرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاصفياء نفّعنا الله تعالى ببركاتهم، وادخلنا ببركة محبّتهم فى عداد خُدّام عتباتهم، فمن شانهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرًا واما ارباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كاهل الزوايا، واصحاب البُقع والتكايا، فكثيرون ظاهرون كثّرهم الله تعالى ونفع بهم، ويجب على كل احد ان يعتقد فيهم، ولا ينكر على احد منهم، وان شاهد منهم ما ينكره حمل نفسه على قصور الفهم فكم فيهم من ملامتى يقصد ان يُنكر عليه ويُخفى حاله عن الناس فحمل حاله على الصلاح اسلم واجمل ، وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيى الدين ابن عربى رضه فى اوايل فتوحاته المكية من اعظم سعادة الانسان ان يعتقد فى كل من انتسب الى الله تعالى ولو كاذبًا فنسال الله تعالى ان يسعدنا بالاعتقاد فى اوليائه حيث كانوا ويُدخلنا فى زمرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم ،

فصل ومن اعظم مآثره الجليلة الكرام، واكرم آثاره الجليلة العظام، اتمام عمارة المسجد الحرام، زاده الله شرفًا وتعظيمًا، ومهابة وتكريمًا ، وقد تقدّم ان والده السلطان الاعظم، المندرج الى رحمة الله تعالى الاكرم، شرع فى تعميره على الوجه الذى تقدّم، واتمّ منه الجانب الشرقى والجانب الشمالى الى ان انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فما عُمّر الى ان تتمّ العمارة وسلم ملكه

وقد حقه حسن القبول لانه عليه شعاع الصدق والله سامع،
فصل ومن سعادة هذا السلطان الاعظم، عمّر الله تعالى بشمول معدلته ومرحمته علماء العالم، كثرة العلماء العظام الاعالى، والفضلاء الفخام الموالى، والمشايخ الاولياء الكرام والاهالى، فى بابه الكريم العالى، وتحت ظلّه الظليل المتعالى، فنهم من اجتمعتُ به وعرفت كمال فضله، واعترفت بعد مشاهدته برفعة درجته فى العلم ومحلّه، واغترفت من بحر فوايده، وتقلّدت بغُرر فرايده، ومنهم من كاتبنى بفضله وكاتبتُه لفضله، وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله، ومنهم من احطتُ علماً بكماله، بعد التفحّص عن مرتبة فضله وافضاله، فوجدتُهم فى الرتبة العليا فى الفضل والكمال، فايقين علماء الدنيا فى هذا العصر على كل حال، فانى اتتبّع احوال علماء كل اقليم، واسال عن مراتبهم فى العلم وكمالاتهم فى التعلّم والتعليم، واكثر الفحص عن احوالهم وتصانيفهم، وفضايلهم وفوايدهم وتاليفهم، واستجلبت ما يمكن جلبه، واطلب منهم ذلك اذا امكننى طلبه، وانشر ذلك بين العلماء فى كل بلاد، وابذلها لطلبة العلم الشريف من اهل القابلية والاستعداد، وهذا دأبى منذ أُميطتْ عنّى التمايم، وانيطت بمفارقى عقود العمايم، مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام، والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجّة الاسلام، وشدّة شغفى بملاقاتهم، والتيمّن ببركاتهم، والسؤال عن فضايل فضلائهم وكمالاتهم، فكنتُ اكثر الناس خبرة باحوال العلماء ودرجاتهم، فوجدت الموالى العظام من علماء الروم، هم الفايقون فى هذا العصر فى تلك العلوم، ونظرهم فيها ادقّ نظر فى المنطوق والمفهوم، زادهم الله جمالاً وكمالاً، وفضلاً باهرًا وافضالاً، وكلّ ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم،

عصر شبابه الازهر، باحث العلمــاء فى دقايق العلوم، ورجح عليهم فى تحقيق فهم المنطوق والمفهوم، نفث السحر الحلال بكلامه، ورقم على وجنات الطروس نفثات اقلامه، فبهر العقول والالباب، واتى بالتصانيف الفايقة فى كل باب، واتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب، ثالث السعدين وثانى سعد الدين، مكّنه الله من العزّ المكين، ومنحه اعلا رتب السعادة والفضل والتمكين، ولقد اسعده الله واكرمه غاية التكريم، فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذى الطبع السليم والخلق الكريم، وهو شاهزاده فاقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال، فانطبع فى مراة قوّته الدراكة نقوش صورة العلم والكمال، وانتقش فى صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضايل والافضال، ولمّــا ولى السلطنة العظمى عرّف له خدمته السابقة، ورفع مرتبته السنية الفايقة، واعلا مكانته ومكانه، واعزّ قدره وعظم شانه، فانثالت العلماء والموالى العظام الى بابه، وكذلك الاكابر والاعيان ضمدوا الى جنابه، فاحسن اليهم كما احسن الله اليه، وعطف عليهم بمزيد الحنوّ والاحسان كما عطفت السعــادة والاقبال عليه، فهو بالخير الجميل مذكور، وبوفور التلطّف والتكرّم معروف مشهور، طالمـــا شملنى باحسانه الكثير الوافر، وعضدنى بلطفه وجميله المتواتر، واخذ بيدى اخذ الله بيده وادام عليه فضله الباهر، واحسن غاية الاحســان الىّ، وتفضّل بأنواع التفضيل علىّ، وشمل بفضله اولادى ومغدىّ، نظر الله تعالى بعين عنايته والطافه اليه، واجرى موادّ الكرم والاحسان على يديه، واسعده فى ظلّ هذا السلطــان الاسعد، وخلّد سلطنته العظمى وابّد خلافته الكبرى وايّد،

وهذا دعاء للبرية نافع　　وحسن رجاء للسعادة جامع

البلدَيْن المطهرين المنيفين، واكثر فيهما الصدقات، واجرى فيهما افعال الخيرات، من اجرآء العيون وحفر الابار، وبناء دار الشفاء والحمامات، وغير ذلك من الاعمال الصالحات، مستجلبًا بذلك دعاء الفقرآء والصلحاء، وتوجّه خواطر الاولياء والاصفياء، بدوام دولة هذا السلطان الاعظم، وقيام سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على اهل العالم، فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون، وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون، زيّن الله اعماله الصالحة بحُسن القبول، وكسى ديباجة وجهه الشريف قبولاً يدوم بدوام الصبا والقبول، فى ظلّ مراحم هذا السلطان، المحفوف بالعدل والاحسان، خلّد الله تعالى سلطنته العادلة مَدَى الزمان، وابّد خلافته الكاملة ما دار الفرقدان، واضاء النيران ❊

ومن سعادة هذا السلطان الاعظم، خلّد الله تعالى سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم، مقارنتُهُ لحضرة الخواجه المعظم الاكرم، الافضل الاكمل الاعلم، الفايق فى كل علم على من كان فى علم من العلوم فايقًا، والمتميّز فى كل فنّ على من كان فى فنّ من الفنون ماهرًا سابقًا، ان نظم اتى بعقود الجواهر من نحور الحُور، وان نثر نثر الزهر المنثور من الروض الممطور، بعبارة فايقة البراعة فى الالسن الثلاثة، وفصاحة بارعة فيهما حازها كسبًا ووراثة، طالما ابهر الناقد البصير بحُسن التقرير، ولطف التحرير، واتى فى البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير، ولا شكّ انه يغترف من بحر الفيض القدسى، ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على العالم الانسى، فانه كتب الخطّ الحسن وما بقل خطُّ عذاره الانضر، وتميّز فى الكمالات على مشايخه فضلاً عن اقرانه فى

وشيّد، وادام ملكه السعيد وخلّد، مقارنة هذا الوزير الاعظم، الاكرم الافخم، ظهير السلطنة الشريفة العثمانية، وعضد الدولة المرادية الخاقانية، مدبّر الامور برايه المصيب الثاقب، وممهّد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصايب، اعظم وزرآء السلاطين العظام، واكبر الصدور الكبرآء الفخام، في دواوين اعظم ملوك الانام، حضرة محمد باشا المشار الى حضرته العلية سابقاً في وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجدّه، قرن الله صدارته بسعادته وجدّه، وادام سيادته في ظلّ اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده، فاوّل خدمة هذا الوزير، حسن التدبير، حين اجلس حضرة هذا السلطان الاعظم، روح هذا العالم، على السرير، وقام باعباء هذا الامر الخطير، ودبّر ذلك برأيه السديد احسن تدبير، واعانه على ذلك تقدير اللطيف الخبير، وتيسير العلى الكبير، والله على كل شىء قدير، فاقبلت السلطنة الشريفة عليه الى ان صار ملهج لسانها، وعَظُمَ في عين الدولة الشريفة فحلّ محلّ انسانها، وكبر شانه وقد كان كبيراً عظيماً، وعمّ احسانه وكان كثيراً عميماً، وعرف نعمة الله تعالى عليه فقابلها بالشكر والتحميد، واعترف بآلآء الله تعالى جلباً للمزيد، وربطاً للجديد العتيد، فاشرقت شمس سعادته في الافاق، واورقت رياض صدارته انضر ايراق، وقلّد اجياد اركان الدولة الشريفة بعقود مننه السامية المنيفة، فكانت كالاطواق في الاعناق، والنور في الاحداق، بحيث لم يبق من اركان الديوان، وزعماء الجيوش والامرآء والبكلاربكية الاعيان، من لم يضرب بسهم وافر من عطاه، ولم يخدمه الا فاز بانعامه وحباه، واحسن الى السادات والمشايخ والعلماء والموالى، وساير العظماء والاهالى، والى اهل الحرمين الشريفين، وجيران

وباسم مراد ينجلی كلّ مشكل غويص وتنقاد الجبال الشواهق
ويومنا في ان آدم لم يمت حنوّ على اولاده منه صادق
ولطف تساوى الخلق فيه فعمّهم كما ضمّت الخضر الرقيق المناطق
بقاؤك في الاسلام عزّ مؤيّد فدم وابق للاسلام ما ذرّ شارق،

طالما عمّرني وغمرني باحسانه وهو شهزاده، قبل جلوسه على تخت السلطنة والسعاده، وشملني لحظه الشريف السلطاني بالحسنى وزياده، واستمرّ ذلك اللحظ الشريف السلطاني يشملني بلطفه واكرامه، ويكرمني بحسن التفاته الشريف وانعامه، فرقّى ما بيدى من المدرسة الشريفة السلطانية السليمانية، بمدرسة جدّه المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية، وانعم على اولادى بالتداريس، واولاهم بكلّ اكرام واحسان لطيف نفيس،

فلو ان لى في كل منبت شعرة لسانًا يبثّ الشكر كنت مقصّرا
وما بيدى الا الدعاء لنصره ليملك قسرًا ملك كسرى وقيصرا

وانّى لأخدمه انا واولادى، واهلى واحفادى، في بلد الله المنيف، بالدعاء بطول عمره الشريف، وخلود ظلّ عدله الوريف، وبقاء سلطنته القاهرة، ودوام خلافته الزاهرة الباهرة، وأخلّد ذكره الشريف في صدور الدفاتر والكتب، وانشر طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب،

وانى وان اعطيت في القول بسطة وطاوعنى هذا الكلام المحبّر
لأعلم انّى في الثناء مقصّر وان الذى اولاه اوفى واوفر
فاىّ جميل من عطاياه ينتهى وفي كل حين فضله يتكرّر
ولكنّنى ما دمت حيًّا لشاكر ويشكره بعدى كتابى المسطّر،

فصل ومن اعظم سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد، ثبّت الله سلطنته

وبحر قمقام، ملك بقايم سيفه ملوك الاملاك، وادار على حسب مراده مدار الافلاك، وملأ بصيت عظمته ما بين الشمال والاسماك، وخاطبه الصبح والليل اسعد الله صباحك ومساك، خداوندكار العالم وسلطانه، وامام المسلمين الذى اذا جلس على سرير خلافته فما قدر كسرى وايوانه، وهو منذ هجر المهد وجفى الرضاع، مجبول على كرم الخصال وشرف الطباع، مشغول اللسان بالذكر والقران، مشغوف الجنان بالسيف والسنان، ممدود الهمّة الى معالى الشان، معقود الأمنيّة بسموّ القدر وعلوّ المكان، لم يزل قايمًا بنصرة الدين، وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين، وانّى انشر فى هذه الرسالة سيرة معدلته فى الرعايا، واتحدّث بما طبعه الله عليه من كرم السجايا، وحبّب الى خُلقه الشريف من الرأفة بالبرايا، والمحبّة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب الجزيلة والعطايا، وحسن نظره الى اهل الحرمين الشريفين، واحسانه الى الفقراء والفقهاء والصلحاء بالبلدين المحترمين المنيفين، وامره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فايقة، حسنة رايقة، باقية فى صفحات الايام، فاق بها على عمارة من قبله من الخلفاء الكرام، وساير سلاطين الانام، وكافّة ملوك الاسلام، فلقد اتاه الله ما لم يؤت احدًا من العالمين، وجعل الكلمة باقية فيه وفى ذريه وجمع له بين اعظم سعادة الدنيا والدين، وجعله ملكًا كريمًا، وسلطانًا رؤفًا رحيمًا، ومنحه مُلكًا جليلاً عظيمًا، واقفًا عند مُراد ربّه سبحانه فلا يتعدّاه، عاملاً فى امره بتقوى الله، مراعيًا للعدل والاحسان فيما استرعاه،

مَعَانى بنى عثمان غير خفيّة ... وكلٌّ الى شاو المفاخر سابقُ
وقد تحمد الشمس النجوم بضوءها ... تفاوتت الانوار والكلّ رايق

سقى جَدَثاً حالت عليه ترابه   انامله سحّ الغمام ووابله

الباب العاشر

فى سلطنة سلطان العصر والزمان، خاقان خواقين العهد والدوران،
ملك ملوك المشرقَيْن والمغربَيْن، سلطان سلاطين الخافقَيْن،
خادم الحرمَيْن الشريفَيْن، عامر البلدَيْن المحترمين المنيفَيْن،
اعظم سلطان خفقت عليه البُنُود، واعظم خليفة انتظم به نظام الوجود،
وعقدت على عظمته عقود الخناصر، وتشرّفت بمدحه روّس المنابر،
واكبر مليك جنّد الجنود وكتّب الكتايب وحشّد العساكر،

ملك اذا ضاق الزمان باهله   بُخْلًا توسّع فى المكارم وانفسح
تَكْبُو السحايبُ ان تجارى كفّه   فالغيث من وجناتها عرق رشح
ويكلّف الاسدَ الهصورَ بعَدْله   فى القفر ان يرعى الغزال اذا سنح

المنصوب له على اوج سرير السلطنة سُرادق الخلافة العظمى،
المرفوع له فى ارجاء بساط البسيطة لوآء الملك الأَسْنَى،
العظيم الاسما حضرة السلطان الاعظم، والخاقان الاكرم الافخم،
السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن سليم خان

نسبٌ كانّ عليه من شمس الضُّحَى   نوراً ومن فلق الصباح عمودا

لا زالت اعلام خلافته مرفوعة على هام الثريّا،
ولا برحت الوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكاناً عليّا،
ما دار الجديدان، وطلع النيران، ولمع الفرقدان،

مولده الشريف فى سنة ٩٥٣ وجلس على تخت الملك الشريف فى عاشر رمضان المبارك سنة ٩٨٢ وسِنُّهُ الشريف حين ولى الملك المنيف ثلاثون سنة، وهو ملك همام، واسد ضرغام، وهزبر مقدام، وسيف صمصام،

نفس انفاس معدودة بقدر الله تعالى فى أُمّ الكتاب، لا يسلم منه والد ولا مولود، ولا سلطان ذو جنود، ولا سيّد ولا مَسُود، ولا ينجو منه كلُّ شيء خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود،

هو الموت سلطان البرايا كعاجز لدَيْه وغلّابٌ كمَنْ لم يغالب
ودرعُ الفتى فى حكمه درع غادة وايوانُ كسرى من بيوت العناكب

قدر الله تعالى له بالانابة عن كل ما يخالف امره ورضاه، وغلب عليه عند قرب توجّهه الى الله تعالى صلاحه وتقواه، وطهّره بمقاساة المرض ونقّاه، وصيّره نورًا روحانيًّا، وروحًا نورانيًّا، وجوهرًا علويًّا سنيًّا، وهيكلًا شريفًا ملكيًّا، يصلح لجناب قدسه الكريم، ودعاه فلبّاه بقلْب سليم، ومضى الى رحمة ربّه الرحيم، فايزًا بالملك الاخروى فى جنّات النعيم، مخاطبًا من الحضرات الالهية، بلسان الالطاف الرحمانية، يا ايتها النفس المطمئنّة ارجعى الى ربّك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنّتى ، وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان، زمان فيضان الرحمة والاحسان، سنة ٩٨٣ ودُفن جسده الشريف، وهيكله الطاهر المنيف بقُرب ايا صُوفيا فى تربة طيّبة غرّاء، وروضة نضرة غنّاء، تنوح بها ورق الاطيار، وتبكى فيها سُحُبُ الامطار، وتنشقّق اثوابها اكمام الازهار، وتلطم خدودها اوراق البهار، انزل الله عليه مطر الرحمة والرضوان، وجعل قبره الشريف روضة ناضرة من رياض الجنان،

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونايله
افاض عيون الناس حتى كانّما عيونهم ممّا تفيض انامله
فيا عين سحّى لا تشحّى بسايل على ملك لا يعرف النهر سايله
فان دفنوا تحت التراب جماله فما دُفنت اوصافه وشمايله

ولينَ الكلام، ومواتاة الناس فى جميع المهامّ، والمشى فى تشييع الجنايز معهم وعيادة مرضاهم، وسلام القدوم واستجلاب رضاهم، بحيث تـرك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فاحبّه النـاس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تجمّله ولطفه، ولقد جاءنى الى منزلى متفضّلاً مرارًا وانا من آحاد الفقهـاء بل من ادنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبّة فى الله احبّه الله لا لامرٍ ينـاله منّى فانه اجلُّ قدرًا واعظم خطرًا من ذلك وما ذكرته الا ليُعْلَم حسن تواضعه وتخلّقه، وتلبُّسه بالاوصاف الجميلة وتحقُّقه، فلا جرم ان الله تعـالى وفّقه لهذه الخدمة السنيّة الفاخرة، واتمّ عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه بذلك سعادة الدنيـا والآخرة، فكم من وزير كبير نبيل، بل ملك عظيم جليل، يتمنّى الوقوف فى هذه الخدمة مع جلالته وعظمتـه، ويعدها من اكبر سعادة دنياه وآخرته، وما قدرها الله تعالى الا لمـن ظهرت العناية الازلية فى حقّه، فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه، وهو هذا الامير الكريم الصفات، فالله تعـالى يُعَيّنه على فعل الخيرات، ويسدّده فى افعاله واقواله ويوفّقه للباقيات الصالحات، فلما اكمل جانبَيْن من المسجد الحرام وهما الجانب الشرقى والجانب الشمالى وصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم، الى دار النعيم، رحمه الله وطيّب ثراه، واحسن فى الدار الاخرة مثواه، واستمرّ حضرة الامير احمد المشار اليه، احسن الله تعـالى اليه، فى عمله المَبرور، وفعله المعمور، بالخير المغمور، مستعينًا بالله ولىّ الامور،

فصلٌ فى وفاة المرحوم المقدّس السلطان سليم خان الثانى، وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا العالم الفانى، لما كان لكلّ اجلٍ كتاب، ولكلّ

بيبسق الظاهرى الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذى احترق من المسجد بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك فى محلّه فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهى الجانب الشرقى والجانب اليمانى والجانب الشامى على نسبة واحدة اساطينها من الرخام الابيض والجانب الغربى اساطينه جميعه من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الاخر الآن وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلّها على نسبة واحدة وهى ان كلّ ثلاث اساطين من الرخام الابيض تكون رابعتها دعامة واحدة من الحجر الاصفر الشميسى وذلك فى غالب الاروقة من الجوانب الاربعة من المسجد الشريف كلّها قايمة على اقدامها بغاية الاحكام كانها صفوف واقفة بالادب حول صحن بيت الله الحرام المعظم من جهاته الاربع وهى اعلا من الارتفاع السابق وارفع كانها تنشد بلسان حالها مفتخرة على امثالها بل تتفوّق على ما سواها وتطول

ان الذى سَمَكَ السماء بَنَى لنا   بيتًا دعايمه اعزّ واطْوَل ،

واستمرّ امين العمارة الشريفة حضرة الامير احمد المشار اليه، شكر الله سَعْيَه وبارك له وعليه، فى غاية بذل الجدّ والاجتهاد، مقرون الحركة والتوفيق والسداد، يتلطّف بالخَدَم والعُمّال، ويتفضّل عليهم بانواع الافضال، ويوصلهم اجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعًا لاحد ولا يضرّ بحاله، ولا ينقص من اجرتهم شيئًا بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بماله، مع كمال الدقّة فى الاموال السلطانية والحرص على حفظها وعدم التبذير منها واما مال نفسه فيوسّع به على الفقرآء ويُبذل لهم وللخُدّام والعُمّال ما اراد، ويحسن الى اهل البلاد، مع التواضع وحسن الخُلق

القبب عليها لقلّة استحكامها اذ القبّة يجب ان يكون لها دعايم اربع
قوية تحملها من جوانبها الاربعة فرأوا ان يدخلوا بين اساطين الرخام
الابيض دعامات اخرى تُبنى من الحجر الشُّمَيْسى الاصفر تكون سُمْكها
مقدار سُمْك اربع اسطوانات من الرخام ليكون مُدَّعماً لها من كلّ جانب
فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صفّ من اساطين
الاروقة الثلاثة فى غاية الزينة والقوّة، ففى اول ركن من الرواق الاول
دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسى ثم اسطوانة رُخام ابيض من اساطين
الرواق السابق عليهما عقد ثم اسطوانة رخام كذلك بينها وبين الذى
قبلها عقد آخر ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر
الشميسى وعلى هذا المنوال الى آخر هذا الصفّ من اساطين الرواق ثم
الصفّ الثانى من الرواق الثانى كذلك على هذا المنوال ثم الصف
الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال، ثم بُنيت القبب على تلك
الدعايم والاساطين فى دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد
الشريف من جهة باب السلام كما تقدّم وقاسوا تلك الصفوف بخطّ
مستوٍ وازالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج، والحجر الشميسى
نسبة الى شُمَيْس تصغير شمس جبل بقرب بير شُمَيْس وهى حدّ للحرم
من جانب جُدّة به جُبَيْلان صُفر تُكسر منهما هذه الاحجار وتُحمل الى
مكة مسافة ما دون ليلة، فكان فى ادخال هذه الدعامات الصُّفر ما بين
الاساطين الرخام البيض حكمة اخرى غير الاستحكام والزينة وهى ان
اساطين الرخام الباقية فى المسجد ما كانت تفى بجوانبه الاربعة لان
الجانب الغربى منه احترقت اساطينه الرخام وسقفه فى ايام الجراكسة فى
دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة ٨٠٢ وارسل من امرآئه الامير

النافعة للمسلمين وعرض ذلك على ابواب السلطنة فانعمت على الامير المشار اليه بسبعين الف عثمانى ترقيًا فى علوفته فى مقابلة هذه الخدمة، ثم شرع فى تجديد أروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام فى منتصف ربيع الاول سنة ٩٨٠ واخذت المعاول تعمل فى راس شرفات المسجد وطبطاب سقفه الى ان ينكشف السقف فتنزل اخشابه الى الارض وتجمع فى صحن المسجد الشريف وينظف الارض من نقض البناء واتربته وتُحْمَل على الدوابّ وتُرْمَى فى اسفل مكة فى ناحية جبل الفلق ثم تُمال الاساطين الرخام الى ان تنزل باللطف الى الارض واستمرّوا فى هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب على الى باب السلام وهو الجانب الشرقىّ من المسجد ثم كشفوا عن اساسه فوجدوه مختلًّا فاخرجوا الساس جميعه وكان جدرًا عريضًا نازلًا فى الارض على هيئة بيوت رُقْعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرع اولًا فى وضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لستّ مضين من جمادى الاولى سنة ٩٨٠ واجتمعت الاشراف والكبرآء والعلماء والقضاة والامرآء والفقرآء والمشايخ والصلحاء تبرّكًا وتيمّنًا بالحضور فى هذا الخير العظيم وقُرِئت الفواتح باخلاص من سُوَيْد القلب والصميم وذُبِحت الابقار والانعام والاغنام، وتصدّق بها على الفقرآء والخُدّام، ووضع الساسُ المبارك، باعانة الله تعالى وتبارك، وكان يومًا مباركًا مشهودًا، متيمّنًا ميمونًا مسعودًا، ولله الحمد على هذا الاكرام، وله الشكر والثناء الحسن فى المبدأ والختام، وكانت الاساطين المبنية سابقًا على نسق واحد فى جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب

الحسينى خلّد الله تعالى سعادته على الدوام، ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التامّ، وشدّ نطاق حزمه، على مناطق عزمه، وقام فى ذلك احسن قيام، وحصل بين يدى الناظر والامير احمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتّفاق، وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق، وجرت عادة الله بان الخير كلّه فى الوفاق، والشرّ جميعه فى الشقاق، ولم يكن الرفق فى شىء الا زانه، ولم يكن العنف فى امر الا شانه، ومن اراد الرفق بعباد الله تعالى رفق الله تعالى به واعانه، ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار، جزيل الآثار، تقدّم له مباشرة الابنية العظيمة، وحصلت له بالتجربة خبرة تامّة ومعرفة مستقيمة، اجمع المهندسون على تقدّمه فى هذه الصناعة، ودقّة نظره فى لوازم هذه البضاعة، اسمه محمد جاوش الديوان العالى وهو انسان من اهل الخير عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الراى منور الباطن مشكور السيرة زاد الله تعالى توفيقه وارشد طريقه، فاتّفق الناظر والامير والمعمار على الشروع فى هدم ما يجب هدمه الى ان يوصل الى الاساس فشرع اولًا فى اكمال الدبل المستقلّ لاجرآء عين عرفات وبناءه من جهة المُدّعَى ثم مرّ به فى عرض خان قايتبـاى الى جهة المروة ثم الى جهة سُوَيْقة ثم عطف به الى السوق الصغير واكمله الى منتهاه وبنى قبّة فى الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب فى جدره بزابيز من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدًا وسبيلًا وحوض ماء للدوابّ على يمين الصاعد الى الابطح فى قبلى بستان بيرم خواجه الصاير الى المرحومة الخاصكية أُمّ السلاطين طاب ثراها وبنى مسجدًا آخر وسبيلًا ومتوضّأً فى انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد، وكلّ ذلك من اعمال الخير الجارية

بامور دنياهم والتوغّل فيما يعود عليهم نفعه عاجلاً من غير مشقّة ، وكان من جملة الامرآء المحافظين بمصر كتخدآه المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكلربكى مصر سابقـًا فخر الامرآء العظام ، ذخر الكبرآء ذوى الاحترام ، احمد بك بارك الله تعالى فيه واناله من خيرى الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان ممّن قد اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حبّ الخير والتوجّه الى الله تعالى وقلّة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقرآء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحبّ المعدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلوّ الهمّة ووفور الاهتمام فطلب من حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة واضيف اليه عمل بقيّة دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة فان السلطنة الشريفة امرت ان يبنى بها دبل مستقلّ ولا تجرى فى دبل عين حنين فعيّنت هذه الخدمة ايضًا للامير احمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف له الى هذه الخدمة المشرفة سنجق بندر جدّة المعمورة تعظيمًا لشانه وتوقيرًا لقدره ومكانه، وبعد ورود الاحكام السلطانية اليه اخذ فى اُهبة السفر وتوجّه من مصر من طريق البحر الى بندر جدّة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى اواخر سنة ٩٧٩ مهتمًّا غاية الاهتمام فيما أُمر به من خدمة المسجد الحرام متوجّهاً الى ذلك مقبلاً عليه بغاية الاقدام سايلاً من الله تعالى الاعانة والامداد التامّ، ثم ان الاوامر السلطانية وردت ان يكون الناظر على هذه الخدمة الشريفة والمتكلّم عليها من جانب السلطنة المنيفة سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرّس مدرسة اعظم سلاطين الانام بدر الملّة والدين حسين

صحن المسجد ميلاً ظاهرًا بيّنًا وصار نُظّار الحرم الشريف يصلحون المحلّ
الذى قد فارق خشبُه سطح الحرم محلّ تركيبه فى الجدر امّا بتَبْديل
خشب السقف بأطْول منه او بنَحْو ذلك من العلاج ، واما الرواق الذى
ظهر ميله الى صحن المسجد فترّسوه باخشاب كبار حفروها فى المسجد
تمسكه عن السقوط واستمرّ الرواق الشرقى متماسكًا على الاسلوب فى
اواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرًا من دولة المرحوم
السلطان سليم خان ، ثم لمّا فحش ميلان الرواق المذكور عُرض ذلك
على الابواب الشريفة السلطانية السليمية فى سنة ٩٧٩ فبرز الامر الشريف
السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقـان
والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قُبَبًا دايرة بأرْوقة المسجد
الحرام ليؤمن من التآكل فان خشب السقف كان متآكلًا من جانب
طرفيْه بطول العهد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه
بخشب آخر فى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانًا طويلاً مع تكسّر بعضه
وكان سقفان بين كل سقف نحو ذراعيْن بذراع العمل وصار ما بين
السقفين مأْوى للحيّات وللطيور فكان من احسن الراى تبديلها
بالقبب لتمكّنها ودفع موادّ الضرر عنها ، ووصلت احكام سلطانية الى
بكلربكى مصر يومئذ الوزير المعظم حضرة سنان باشا ادام الله تعالى
سعادته واقباله، وضاعف عظمته واجلاله، ان يعيّن لهذه الخدمة من
امرآء السناجق المتحفّظين بمصر من يخرج عن عُهدة هذه الخدمة
الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخير والصلاح فامر
البكلربكى يومئذ وهو الوزير المعظم سنان باشا امرآء مصر ان يقبلوا
هذه الخدمة فما اقدم احد على تلقّيها بالقبول لكثرة مَشقّتها واشتغالهم

انواع من الخيرات ايضًا فى القدس الشريف وفى الشــام وفى حلب وفى مصر بجامع الازهر وغيرهــا من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بنى فى بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى ،

فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكى فى ايامه ، اعلم ان عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفاً وتعظيماً ، ومهابةً وتكريمًا ، من اعظم مزايا الملوك والخلفاء ، واشرف مآثر اكابر السلاطين العظماء ، وقد يسّر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان ، ايّد الله تعالى نصرهم وخلّد سعادتهم مدى الزمان ، فوقع الشروع فيها فى ايام دولة السلطان الاعظم ، الخاقان الاكرم الافخم ، خليفة الله فى ارضه ، القايم باقامة سُنّته وفرضه ، ملك البرّين والبحرين ، وسلطــان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين ، صاحب المشرقين والمغربين ، خادم الحرمين الشريفين المحترمين ، عامــر البلدين الكريمين المنيفين ، واسطة عقد ملوك بنى عثمان ، السلطــان سليم خان بن السلطان سليمان ، امطر الله تعالى على تربتهما سحايب الرحمة والرضوان ، وجعل قبرهما روضة من رياض الجنان ، وجعل السلطنة كلمة باقية فى عقبهما الى يوم الحشر والميزان ،

الى ان يعود القارظان كلاهما ويُحشر فى القتلى كُلَيْبٌ لوايل ،

وسبب الامر الشريف بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى منه مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت روس خشب السقف الثالث منه عن محلّ تركيبهــا فى جدر المسجد وذلك الجدر هو جدر مدرسة السلطــان قايتبــاى وجدر المدرسة الافضلية التى هى الآن من اوقاف المرحوم ابن عباد الله من شرق المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدر المذكور اكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى

المدينة الشريفة وتوزع عليهم وان تضاف ثلاثة الاف اردب الى الدشيشة
العامة السليمانية لفقرآء مكة المشرفة وتوزع عليهم وان توزع خمسماية
اردب على الفقرآء المنقطعين بالينبع العاجزين فيها عن السفر الى المدينة
الشريفة فيستعينون بها على التوجّه الى حيث ارادوا، وتوزع خمسماية
اردب على فقرآء جُدّة المنقطعين بها العاجزين عن التوجّه الى مكة لادآء
حجّ الفرض او النفل وذلك مقصد جميل للمرحوم، فكان الفقرآء يتوسّعون
فيهـا ويرتفقون بهـا وكانت تَرِدُ اليهم فى كل عام من اعوام سلطنته
الشريفة وكان الدعاء له مبذولاً من ساير الفقرآء المحتاجين المضطـرّيـن
وكان يحوز بذلك ثوابًا جزيلاً، واجْرًا وافيًا جميلاً، رحمه الله رحمة واسعة،
واثابه المثوبة العظمى فى الدرجات الآخرة، على مقاصده الجميـلـة،
وخيراته الوافرة الجزيلة، ومنهـا ايضـًا ما كان يتصدّق به على فقرآء
الحرمين الشريفين ايام كان شاهزاده قبل ان يلى السلطنة العظمى فانه
كان يرسل الف دينار ذهبـًا توزع ايام موسم الحجّ على فقرآء مكة
يستعينون بها على مصروف الحجّ ايام مِنَى وعرفة والف دينار ذهبـًا
لفقرآء المدينة فى ايام موسم الحجّ يستعينون بها على الوصول من المدينة
المنوّرة الى مكة المشرفة لادآء الحج الشريف فى كل عام وكان يخصّ بعض
العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصّة وبعض غير ذلك
يرسلها اليهم يستمدّ منهم الدعاء بظهر الغيب منهم، فلمّا ولى السلطنة
الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطانى كان يرسل لهم عوايدهم
السابقة فى كل عام وجعل ذلك مضافًا الى دفتر صَرّ الرومية فكانت تَـرِدُ
ايام سلطنته الشريفة واستمرّت ترد الى الآن بعد انتقـاله الى رحمـة الله
تعالى وذلك ايضًا من مقاصده الجميلة وخيراته الباقية العميـمـة، وله

عداها للنار سيف رسول الله صلعم فى المشركين، وسيف ابى بكر رضه فى المرتدين، وسيف علىّ رضه فى الباغين، وسيف القصاص بين المسلمين، اقول وسيوف بنى عثمان رحمهم الله وابقى الملك كلمة باقية فيهم وفى عقبهم الى يوم القيمة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وتأمّلتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم ما زالوا من اول اسلافهم رحمهم الله الى الآن يغزون الكفار والمشركين، ويقاتلون الملحدين والباغين، ويقيمون شعاير شرايع الدين، فالله تعالى يمدّ ظلال سلطنتهم على المسلمين، ويؤيّد بهم اهل السُّنّة ويقمع بهم كافّة الملحدين، وهذا دعاء يجب ان يدعو لهم به جميع طوايف المومنين، فانهم عماد الاسلام وقُوّام هذا الدين المتين، وسبب قيامه بين الانام، والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لكافّة اهل الاسلام، واعزاز لدين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام، وتأمين البلاد وتطمين العباد، وتوهين اهل الفساد وقطع جادرة اهل الالحاد، وقمع جميع ارباب البغى والعناد،

فصل فيما جدّده المرحوم السلطان سليم خان، من الخير والاحسان، زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان، تغمّدهما الله تعالى بالرحمة والرضوان، وذلك فى اول سلطنته الشريفة امر لاهل الحرمين الشريفين ان يُزاد لهم سبعة الاف اردب حبّ من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم فى كل عام فكانت تحمل فى كل سنة من الأنْبار الخاصّة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السُّوَيس وتوضع فى سفاين الدشايش الشريفة السلطانية من السويس الى بندر جُدّة والى اليَنْبُع وتوزع على الفقرآء وكان برز امرهٗ الشريف العالى ان يضاف ثلاثة الاف اردب منها الى الدشيشة العامّة السليمانية لفقراء

النصـــارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال، مقرّنين فى الاصفـــاد بشديد الذلّ والنكال، ودخلت سفاين العمارة العامرة واغربتها الى الاسقالة، مزيّنة مزخرفة بالبيارق والسناجق تخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة، واطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالـهـا، وكادت ان تصمّ الآذان فلا تسمع الناس مقالها، وعساكر الباب الشريف السلطانى وردت صفوفًا بعد صفوف، وتعاطفت عاطفة عايدة بالنـصـر والتأييد أُلوفًا بعد الوف، ودخل ايضًا القابودان المعظم المجاهد الكريم الافخم، حضرة قلج على باشا المكرم، لا زال فى حرب البحر مظفرًا منصورًا مسعود القدم، فقوبل من الحضرة الشريفة السليمية بغاية القبول والاقبال، وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال، وانعم عليه بساير مقاصده ومطالبه، وجعل له غاية ما يتمنّاه من سوله ومآربه، وحصل لـسـايـر العساكر المنصورة الاحسان الموفور، وشكر لهم سَعْيَهم المشكور، واعظم من ذلك ما حازوه من الاجر العظيم، والثواب الجزيل الجسيم، وناهيك بهذا الغزو الفاخر، وقد بقى لهم هذا الذكر الجزيل على صفحات الدهر، والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالى والايام، ويحمى بحمايتهم كافّة المسلمين ويؤيّد بتأييدهم ملّة الاسلام، ويبقى ايام سلطنتهم القاهرة على الدوام الى يوم القيام، فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين، فى نصرة الملّة الحنيفية الغرّاء من يد بيضاء اية للناظرين، وكم فتحوا بلاد الكفر وصيّروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين، وتكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضى الله عنهم، ولـقـد حكتْ علماء ائمّة الاسلام، واتّفق قول الائمّة الاعلام، رضوان الله عليهم اجمعين، وشملهم برحمته انه ارحم الراحمين، ان سيوف الحقّ اربعة وما

والاسلام وانعمت السلطنة الشريفة على حضرة الوزير المعظم بانواع الانعامات السنيّة، والترقيات اللثيرة العليّة، والخلع الفاخرة البهيّة، والتشريفات الزاهرة السلطانية، فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين، وبذل امواله للغُزاة والمجاهدين، واخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين، على وجه لم يقع فى كثير من الزمان، مثل هذا الفتح العظيم الشان، وذلك بمَحْض الاعانة الربانية، والنصرة الالهية السبحانية، ولله الحمد على نصرة الاسلام، وتأْييد دين سيدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام ء

ثم عاد حضرة الوزير المعظم، المنصور المكرم، خلّد الله عليه سوابغ النعم، الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطانى واذن لغيرهم من العسكر المنصور وساير الامرآء والبكلاربكية بالعود الى اوطانهم واماكن حكومتهم مجلّلين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين ء واستمرّ حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى البباب الشريف العالى السلطانى، وقبّل قوايم سرير الملك الشريف العثمانى، فقوبل بانواع البشر والتّهانى، وشمله النظر الشريف الخاقانى، ونظرتْ اليه السلطنة بعين القرب والتّدَانى، وافرغ على كاهله مرة بعد اخرى خلع التشريف الخسروانى، وقبل كلّ ما عرضه حضرة الوزير المعظم المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب، وانعمت عليه السلطنة الشريفة بكلّ ما قصد فيه من المقاصد والمآرب، وكان يوم دخوله الى اسطنبول يومًا عظيمًا مشهودًا، ووقت حُلوله فى منزله السعيد وقتًا مباركًا مسعودًا، وازدحمت الخلق على مشاهدة طلعته، والتبرُّك بوجهه الكريم وميمون غُرّته، وصاروا يتبرّكون بالنظر الى المجاهد فى سبيل الله ويطلبون الدعاء منه وممّن معه من المجاهدين والغزاة والاسارى من

الطوب الكبار لله يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مايتى نفر وخمسة انفار ممن لا نظير لهم فى هذه الصنعة فآمنهم وطلبهم واخذ بخاطرهم واعطاهم الامان على انفسهم وشرط عليهم ان يسبكوا دايمًا النحاس ويجعلوها مدافع كبارًا ويعمل لهم علوفة وتُوضع فى ارجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضًا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسن مراتبهم وصاروا من خُدّام الترسخانة السلطانية موكّلًا عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويستخدمون فى الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام، وظفر حضرة الوزير المعظم فى قلعة حلق الواد وقلعتىْ تونس الماخوذتيْن بمايتىْ مدفع وخمسة مدافع كبار واستولى عليها كلّها وترك فى حصار تونس منها خمسة وثلاثين مدفعًا لحفظ تونس من الكفار الفجار وارسل ماية وثمانين مدفعًا من اكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين، اذا جهّز عليهم العماير فى كل حين،

ثم لمّا فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير، من هذا الفتح العظيم والمغنم الكثير، انعم على من فى ركابه الشريف من الامرآء والكبرآء والبكلاربكية وساير الزُعماء وارباب التيمار وبلوكات العساكر المنصورة وارباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل احد بمقدار سَعْيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارًا كبيرًا من الخزاين العامرة فقوبل جميع ذلك بالقبول، ووقعت مواقع الاجابة فى المامول والمسئول، وذلك فى مقابلة ما بذلوا انفسهم واموالهم فى سبيل الله وجاهدوا فى الله حقّ جهاده ونصروا المسلمين

يحكّمون قلاعها وأسوارها وحصونها وحصارها غاية الأحكام وكانت ترتدّ عن الاسلام عُربان المغرب وتتقوّى الكفار الفجار على اخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام، لا بلّغهم الله ذلك المرام، وانزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام، وقد اعان الله سلطان الاسلام، لدفع اوليّك الكفرة الطغام، ومزّقهم كل ممزّق بالسيف والسنان والحسام، وشتّت شملهم ومزّق جمعهم فلا يقوم لهم راس بعد ذلك، فالله تعالى يشكر لتأييد الاسلام صنيعَ هذا السلطان الاعظم السلطان سليم خان، صاحب هذه الهمّة العالية والقوّة والايادى الحسان، ويجازيه عن الاسلام والمسلمين خيراً دايم الفَيَضان، ويشكر همّة هذا الوزير المعظم العالى الشان، على نصرة اهل الايمان، ويجزيه اعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحدّ السيف والسنان، وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة ٩٨١ وقُتل فى القلاع الثلاث، من الكفرة الخبثاء، عشرة الاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار، وقد استشهد من الغُزاة الامجاد والمجاهدين الانجاد ما يوازى عشرة الاف غازٍ ومن اعيان امرآء السناجق من امرآء الاكراد خضر بك وسنجق اينه بختى مصطفى بك وسنجق مكلة مِدِلّو پرويز بك وسنجق بورك مصطفى بك وسنجق اولونية احمد بك وسنجق ترخانه بايزيد بك وسنجق اسكندرية صفر بك وكتخدآء الينكچرية فرهاد كتخدآء وراس زمرة اليايا وكثير من الزُّعماء وارباب التيمار وغيرهم عدّة عديدة واعطى حضرة الوزير الامان لطايفة من الكفار راى فى ذلك مصلحة توازى زهاء مايتى نفر برزوا فى امان حضرة الوزير واخبروه بامور مهمّة كان يريد الاطّلاع عليها منها ان عندهم من المعلّمين الأُستاذين فى عمل

هذا الوزير المعظم ولطف تدبيراته العلية ودقة ارآءه الثاقبة الجلية، ثم امر حضرة الوزير ان تستعقب العساكر الاسلامية اولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا فى عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار ان لا مفرّ لهم ولا محيص فقاتلوا اشدّ القتال، وقاتلهم المسلمون بالنصال، وصار الوجه فى الوجه والناب فى الناب، والسيوف المسلولة من القراب، تغوص فى الرقاب، والخناجر تدقّ فى اللباب والخناجر حتى سالت الدماء كالسيل العُباب، الى ان انبتت كافور تلك الرمال شقيقًا، وصيرّ احجار الفلاة عقيقًا، وضرب النقع فى السماء طريقًا، وجند الله على كل حال هم الظافرون، والكافرون هم الصاغرون، وصبّ من دماء اولئك الارجاس ما نجس به البحر على طهارته، والبرّ على سعته والرمل على غزارته، وقُتل الكفار عن آخرهم قتلاً ذريعًا، وشكر المسلمون ذلك لله عزّ وجلّ صنيعًا، وانتصر على النصارى اهل ملّة الاسلام، الذى بعث الله به رسوله عليه افضل الصلوة والسلام، الى كافّة الانام، وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرًا منصورًا، غانمًا مسرورًا، مثابًا ماجورًا، وغنمت العساكر المنصورة السلطانية، والجيوش الموفورة الايمانية، ما تكِلُّ عن حَصْره انامِلُ التحرير، وتضيق عن ذكره ادراج الاساطير، وجهّزت البشاير الى الابواب الشريفة السلطانية، والاعتاب المنيفة العثمانية، وتطايرت اخبار هذه البشارة الى ساير المسلمين فى الافاق، تخفق على الخافقين اجنحة السرور والبشر الخفاق، ما بين حدود الغروب والاشراق، ولولا لطف الله تعالى باهل الاسلام لكان البلاء عامًّا على ساير بلاد المسلمين فان مولانا السلطان الاعظم الافخم سليم خان لو لم يهتمّ بدفع هذه الكفار الملاعين لكانوا يتسلّطون على اخذ تونس واخذ الجزاير كلّها وكانوا

المعظم، على من فى القلعة حملة الاسد الغشمشم، وتسابقت العساكر
المنصورة الى استيصال اعدآء الدين سبق السّيْل الغطمطم، وتعلّقوا
باطراف الحصار، وصبروا على حرّ السيف والنار، واستشهد كثير من
المسلمين الكرام، وقُتلوا فى سبيل الله وهم احياءٌ لا اموات عند الله فى دار
السلام، واستمرّ عساكر المسلمين على الاقدام، على الموت الزّؤام، وحدّ
السيف والحسام، الى ان دخلوا القلعة ونصبوا الرايات الشريفة على اعلا
القلعة فاقدمت بقية العساكر الاسلامية وهجمت على الدخول الى
القلعة فدخلوها ووضعوا السيف فى الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم
ثلاثة الاف دارع مغلغل من فرقه الى قدمه فى سابغات الحديد ورمى
نفسه الباقون من اعلا القلعة الى اسفلها وهم زهاءُ خمسة الاف نفس.
نزلوا على اقدامهم فى الرمل وهربوا مقدار رمية سهم او سهمَيْن وشرعوا فى
التترّس بالتربة ورمال ارادوا ان يتحصّنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل
من بقى فى القلعة ونهب الامتعة والاسلاب والاسباب فوُجد بها اخشاب
وألْواح اعدّها الكفار لاتقان القلعة واحكامها وبارود كثير ومدافع
ولبوسات وآلات الحرب وبكسماط كثير لأزْوادهم وكانت القلعة بسبب
العجلة غير محكمة البناء واعجلتهم العساكر المنصورة السلطانية الاسلامية
عن اتمام اتقانها واتقان استحكامها فلو تأخّر ورود العساكر السلطانية
عنهم فى ذلك العام لكانوا اتقنوا القلعة اتقاناً قوياً وكان لا يقوى عسكر
الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطايفة الملعونة
المعكوسة أيْنما ثقفوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الخميس
العرمرم فى ذلك العام قبل استيفاء استحكام القلعة غاية الاحكام وكان
ذلك بيُمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن الاهتمام

بهدمها فهدموها حجرًا حجرًا وتركوها خبرًا لا اثرًا واعملت المعاول فى راسها، الى ان وصلوا الى اساسها، فصارت طللاً من الاطلال، ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال، ولا يسمع فيه ندا او صدا، الا صياح بوم او صدا، ولم يبق بهـا انيس، الا اليعـافير والعيس، وارسل حضرة الوزير المعظم بشاير النصر والفتح المتوالى، الى جهة البـاب الشريف العالى، والى ساير بلاد الاسلام، لياخذ المسلمون حظّهم من هذا البشر التامّ، والفرح الشامل العامّ، ويفرح المومنون بنصر الله والملايكة الكرام، ويدعوا بدوام دولة هذا السلطان الاعظم، نصره الله وخلّد مُلكه على الدوام،

وهذا نصر لا يبرد لانـه يزان به كل الورى والممالك

تراه بلا شكّ اجيب لانه اذا ما دعونا امّنته الملايك،

وتوجّه البشير كانه الصُّبح الصادق، ينشر على الخافقين رايات النصر والخوافق، ويملأُ براياتِ الفرح اقطار المغارب والمشارق

وكوكب الصُّبح نجّابٌ على يده مخلّقٌ تملأُ الدنيا بشايره،

ثم لمّا فرغ حضرة الوزير مآربه من حلق الواد، وفعل فى تلك الوهاد والمهاد، والاغوار والانجاد ما اراد، توجّه بعساكره المنصورة الى تونس، لتطمينّ بطلْعته الغرّاء من بها من عسكر المسلمين وتونس، فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين، مجاهدون مجتهدون فى اخذ اولئك الملعونين، ففرح بوصوله البكلاربكية الذين يحامون لنُصرة الدين، واشتدّ أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين، وقد نشأُوا على الطعان والقراع، كما نشأ الاطفال على الرضاع، وضروا بدماء الكفار ضراوة الاسود والسباع، بما تفترسه من الصيد وهي جياع، وحمل باقدامه حضرة الوزير

والعناد، واقدم المسلمون على الدخول الى الحصار، لمّـا شاهدوا وَهْن الكفار، وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال، حملة واحدة تزلزلت الجبال، وحمل من فى الجهات الثلاث من العسكر والامرآء والرجال، فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال، لستّ مضين من جمادى الاولى سنة ٩٨١ ، ووضعوا السيف فيمن وجدوه بها من الكفار الفجار، وساقوهم بالنار الى عذاب جهنّم وبيس القرار، وغنموا ما وجدوه بهـا من آلات الحرب ومن الذخاير وغير ذلك واستوسر صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أُسر سلطـان تونس احمد بن حسن الحفصـى وحبسهما وقيّدهما حضرة الوزير وأمر بقتل ساير من وُجد من النصارى والعرب المرتدّين، وفرح بفتح هذا الحصن الحصين، كافّة اهـل الاسـلام والمومنين، واستبشروا بهذا الفتح والنصر المبين، فانه يُعَـدُّ من اجـلّ فتوحات الاسلام، واعظم التأييدات لدين محمد عليه افضل الصلوة والسلام، وكانت هذه القلعة من احكم القلاع التى احكمتها النصارى اللئام، واقواها فى المكنة والاستحكام، واشدّها ضرراً على اهل الاسلام ، ومن عجيب الاتّفاق ان هذه القلعة المنكوسة بَنَتْهـا النصارى المخذولون فى سنة ٩٣٨ واكملوا استحكامها فى ثلاث واربعين سنة وافتتحهـا حضرة الوزير المعظم سنان باشا فى ثلاثة واربعين يومًا من ايام محاصرتها بعدد السنين التى أُحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة، فلمّا تمّ هذا الفتح المبارك راى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظهـا بالعسكر والآلات الحربيّة يحتاج الى مُؤنة كبيرة، وخزاين من الاموال كثيرة، مع قلّة جَدْواها، لبُعْدها عن الباب العالى وطول مداها، فراى ان الاولى هدمها وتخريبها حتى لا تصير للنصـارى المخذولين مكمنـًا ولا مَأْوًى يتحصّنون فيه فامر

الوزير فتوجّه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأُخذت القلّة وقُتل من فيها من النصارى المخذولين فارسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذى وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستّين ذراعًا بذراع العمل وقعره متّصل بالبحر مملوّ بماء البحر فتشاور الوزير مع الامرآء واصحاب الراى فى ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأوا الخندق بالتراب وتُبنى عليه المتاريس، فامر الوزير المعظم ساير العسكر بذلك فشرعوا فى نقل التراب من خلف المتاريس، وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب، ابتغاء لمرضات الله العزيز الوَهّاب، ونصرة لدين الله وتأييدًا لملّة محمد عليه افضل الصلوة والسلام، وراى الامرآء ذلك فبادروا بانفسهم الى نقل التراب، وراى العسكر المنصور ذلك فهمّوا غاية الاهتمام واقدموا نهاية الاقدام وحملوا التراب كامثال القباب، ورموا بها فى الخندق الى ان امتلأ وزاد فى الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك الى ان اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثانى سنة ٩٨١ فصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط قلعة الكفار، وتقتلهم وتحرقهم بالنار، وتسوقهم الى جهنّم وبيس القرار. ووصل فى هذا الاثناء بكلربكى الجزاير المتولّى عليها انذاك امير الامرآء العظام رَمضان باشا ومعه ثلاثة الاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم وطلب منه خدمة يؤدّيها فارسله بمن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التى بقرب تونس فتوجّه اليها ونزل فى جهة من جهاتها وحطّ عليها مع من هناك من البَكلربكية والامرآء، والغُزاة والمجاهدين والكبرآء، واستمرّ حضرة الوزير فى محاصرة قلعة حلق الواد، والاستيلاء على من فيها من اهل الكفر

وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس فى جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالاً شديدًا وعادوا الى قلعتهم واستشهد فى ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى فى اعلا علّيين، فلمّا بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدّة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قايم على حاله فتوجّه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوّى جاشهم وعيّن فى كل موضع طايفة واشار على القاپودان والبكلربكية بما راى فيه الصواب وطمّنهم وشدّ قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه فى هذه الجهة ايضاء واستمرّ كل من الفريقَيْن فى مجاهدة الكفار، وهم على الثبات والقرار، لا يسامون من مصادمة النار، ولا يخافون من الموت لانهم مقدمون على جنة الخلد ومُلك لا يَبْلَى، طالبون درجة الشهادة من الله العلىّ الأَعْلَى، ووصل فى اثناء هذا بكلربكى الجزاير سابقًا امير الامرآء العظام، احمد باشا لاعانة عسكر الاسلام، واقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يامره به فاعطاه عدّة من المدافع وعيّن له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجّه اليها وبنى المتاريس فيها وجاهد فى الله حقّ جهاده، واقدم على قتال الكفار والقى الى الحرب مقاليد قياده، فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد اربعة عشر يومًا وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبًا طويلاً وصلوا به الى موضع كان كمرك خانه وفيه قلّة برْج يصلح للتحفّظ والتحصّن فيه فوصلوا اليه من تحت الارض وملأُوه من الرجال وآلات الحرب ففطن المسلمون لذلك وكان قريبًا من الجانب الذى فيه حضرة

باشا ومصطفى باشا واحاطوا بتونس وكان سلطانها الموالس مع النصارى
احمد الحفصي ومن معه من النصارى راوا انهم عاجزون عن حفظ
تونس لسَعَتها وراوا ان قلعتها ايضاً خراب متهدّمة لا تصونهم فخرجوا
من تونس الى رملة بقربها يقال لها قوملودكز يعنى بحر الرمل وعملوا بها
حصارًا من الخشب حشوه بالرمل والتراب وتحصّنوا فيه وكانوا نحو سبعة
الاف مقاتل ما بين كفار ومرتدّين ومَرَدَة من النصارى المخذولين
وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخاير ونحو ذلك ؛ فلمّا
خلتْ تونس من اعداء الدين، فتحها عساكر المسلمين، وضبطوها
وحصّنوها ثم برزوا الى قتال اوليك الملاعين وحاصروهم فى قلعتهم التى
احدثوها واحكموها بالألْواح والاخشاب والطين وارسلوا خبر ذلك الى
سردار عساكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فارسل لنصرتهم
وامدادهم واعانتهم القاپودان المعظم والبكلربكى المفخم قلج على باشا
المكرم فتوجّه بطايفة من المسلمين من العساكر المنصورة الى اعانة بكلربكى
تونس حَيْدَر باشا وبكلربكى طرابلس الغرب مصطفى باشا ومن جهّز معهما
من العساكر سابقًا وهم محيطون بالقلعة التى تحصّن بها الكفار الاشقياء
والعُربان المرتدّون فراى قلج على باشا صعوبة اخذ القلعة لكثرة من فيها
من المقاتلة فطلب عسكرا آخر وعدة مدافع اخرى من الوزير المعظم
سنان باشا فارسل اليه الف ينكچرى وصمصونجى باشى ومن سلحدارية
الباب العالى على اغا وجهّز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزانات ولحقوا
بالقاپودان اورج على باشا واحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل
جانب ومع ذلك كانت الكفرة الملاعون ومن ارتدّ معهم من عُربان
تونس فى غاية الكثرة والقوّة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارًا

للاسماع والابصار من الرُّعود والبوارق، تخطف ما صدفت من النفوس والارواح، وتمزّق ما صدمت من الهياكل والاشباح، وتفكّ اللحم عن العظم، وتُذيب الشحم وتسيل الدم، والعساكر المنصورة مقدّمون على هذه الأهوال، ثابتون ثبات الأطواد والجبال، على الحرب والقتال، والجلاد مع المشركين والجدال، اذ وصل الخبر بوصول بكلربكى تونس المولّى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السليمية امير الامرآء الكرام، كبير الكبرآء المجاهدين العظام، حَيْدَر باشا وكذلك بكلربكى طرابلس الغرب امير الامراء العظام، كبير الكبرآء الكرام، ذو القدر والعظمة والاحتشام، مصطفى باشا ايّدهما الله تعالى بالنصر والتأييد، وظفّرهما على كل كافر عنيد، وكانا وصلا قُبَيْل وصول العمارة الشريفة السلطانية من البرّ الى مقدار نصف يوم عن تونس بقصد محاصرتها واخذها، فلمّا علم البكلربكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد، واشتغال العسكر المنصور السلطانى بالجهاد، وَصَلَا ليلاً بالخفية مع قليل من الغلمان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتمعا به وفرح كل منهم كمال الفرح وحصل لهم الاطمينان وطلبا منه الامداد والاعانة على اخذ تونس وما امكن الوزير المعظم سنان باشا ان يتوجّه معهما بنفسه فامر طايفة من امرآءه وعيّن نحو الف نفر من التوفكجية وبعض المدافع الكبار والضربزانات ان يتوجّهوا مع البكلربكيّين الى محاصرة تونس واخذها من النصارى الفجار وارسل معهما من امرآء السناجق فخر الامرآء العظام ابراهيم بك من سناجق مصر المحروسة وسنجق قرشتى محمود بك وسنجق قره حصار بكر بك ومقدار الفى نفر من طايفة كوكللو مع اغاتهم حبيب بك فتوجّهوا فى الحال مع حَيْدَر

وعجلوا بأهلها الى نار جهنّم وساءت مصيراً ٭ وفى اليوم السادس عشر من
شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح
كانت متوجّهة الى بعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان اخذها فالاً
حسنًا للمسلمين ٭ وفى اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا الى
جهوداواسى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب فى ارض
تونس قريبًا من قاليبة بُورنى وهى على ثمانية عشر ميلاً من مدينة
تونس فزينت السفاين والاغربة بالرايات المصبوغة الواناً اظهارًا لهيبة
الاسلام وعُنْوَانًا للعساكر المنصورة العثمانية فأرْسوا فى اليوم الرابع
والعشرين فى جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السليمية
ونصب اوطاق حضرة الوزير المعظم والقاپودان المكرم على مسافة لا تصل
المدافع من قلعة حلق الواد اليها ونزّلوا المدافع الكبار التى اذا رمى
بها تزلزلت الجبال وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطمها وشرعوا
يتقرّبون قليلاً قليلاً الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترّسون بها
ويسوقون الاتربة امامهم ويتستّرون خلفها ويحفرون خنادق ينزلون فيها
كيلا تصيبهم المدافع ويتقدّمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب
الى ان احاطت العساكر المنصورة بقلعة حلق الواد وتقدّموا بالبنادق
وآلات الجهاد ونصبوا بقرب القلعة المنجنيقات والمدافع ووُجّهت الى صوب
الكفرة افواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا
محفوفًا بنصر الله يخوض هَوْل الموت وهو يراه محتسبًا نفسه فى سبيل الله
معتمدًا على عون معين نصير تساجد لعظمته الجِبَاهُ واقدمت العساكر
المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلظ اكبادها وشدّة
احقادها وتراموا بالمدافع الكبار التى هى من اشدّ الصواعق ٭ واخطف

سبيل الله فاصابته بندقة في خدّه نفذت من الجانب الاخر واستمرّ صاحب فراش خمسة ايام ثم تلت عليه الملايكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله شهيدًا، ومضى الى دار الاخرة سعيدًا ، ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفاينهم للمسير فحضروا وركبوا فرفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلاع وتارة بالكورك الى ان وصلوا في اليوم الرابع عشر الى جزيرة مسّينة فاستقرّ بها قليلاً عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سرافون حصلت فرتونة في البحر تفرّقت بسببها السفاين من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محلّ يقال له كيو ثم مرّوا بقلل يان فحوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة اولا ووصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخاير وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفاينهم وصاروا ينزلون لاجل السقية كل يوم الى جانب من ساحل مجلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطايفة الكفار بادروا اليه واخربوا قراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفاينهم فاجتمع كلّ من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل فصاروا عسكرًا واقدموا على قتال من ينزل الى البرّ من المسلمين فخرج اليهم من السفاين بعض البحارين والكوركجية وبعض من في نيّته الجهاد في سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وفرّ الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب ارواحهم واموالهم وأسر اولادهم ونساءهم قبل الآن ولعذاب الآخرة اشدّ وابقى ، ثم اطلق المسلمون النار في تلك السواحل واحرقوا اشجارها ودورها وقصورها

من القسطنطينية العظمى يوماً عظيمًا مشهودًا، وساعة مباركة اظهرت يمنًا وبركة وسعودًا، وكان الجمع المنصور جمعًا مباركًا مسعودًا، وذلك فى غرّة شهر ربيع الاول سنة ٩٨١ وركب الوزير المعظم سردار العساكر حضرة الباشا سنان والقاپودان، والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الدّيان، ثبج البحر كانهم طوفان. فوق طوفان، وطارت بهم الاغربة على وجه البحر اقوى طيران، وتلت ألسنة القراء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، فوصلوا الى ليمان ناوارين واستمرّوا سايرين فى البحر حتى وصلوا الى ماللو كليسان من مملكة البندقية فوصلوا فى يوم الخميس لخمس مضين من شهر ربيع الاول ليمان الخير واستقرّوا بها ليلة الجمعة واصبحوا متوجّهين والسعد يخدمهم والنصر والفتح والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفاينهم الى العمّان وما امكن لغيرهم من العساكر عبور العمّان بهذه السفاين الكثيرة خوفًا من تصادمها عند شدّة تموّج البحر ولكن الله تعالى يسلم من اراد لا دافع لمراده. ولا رادّ وهو على كل شىء قدير، فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى ان ظهرت لهم فى اليوم الثامن جبال قلاورية واستمرّوا كذلك الى ان وصلوا وقت الظهر فى اليوم التاسع الى طُبْرُق حصارى وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلمّا وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكًا، ودكّوا من تحت ارجلهم الارض دكًّا، فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمّى تحيه ووقع قتال عظيم استُشْهد فيه مَنْ رُزِق سعادة الشهادة، واعطاه الله فى جهاده الحُسنى وزيادة، منهم كتخدا حضرة القاپودان سنجق قره‌جه ايلى محمد بك نزل من سفينته مشتاقًا الى الجهاد فى

الغشمشم صاحب السيف والقلم، فاتح ممالك اليمن الايمن المكرّم، ابو الفتوحات سنان باشا المفخم، لا زالت الوية نصره منشورة الذوايب، مشرقة كالشمس يغشى ضوءها المشارق والمغارب، صاعدة الى افق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب، وقال انا لسدّ هذه الخلّة انالها، افرج كربتها وافتح مقفلها، واصلح خللها وازيح عللها، ولم تدّخرنا السلطنة الشريفة الخاقانية، ولا ربّتنا العواطف الكريمة العثمانية، الا لنبذل ارواحنا واموالنا فى مثل هذه الحوادث، وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصايب الكوارث، فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه، وشرّفه بالالتفات الشريف السلطانى اليه، وجعله سردار العساكر المنصورة، وامره بالتوجّه الى قهر النصارى المقهورة، وامر ان يتوجّه معه لمساعدته ومعاونته، ودفع ملالته وسآمته، وضبط العساكر البحرية، وترتيب السفاين الحربية، قاپودان الباب العالى، فارس ميدان البحر السابق الى قلّة ابراج المعالى، الاسد الضرغام، والليث القمقام، والصارم الصمصام، امير الامرآء العظام، حضرة قلج على قاپودان باشا، يسّر الله له من الفتوحات ما شاء، فشرعا فى اخذ اسباب السفر، واخذا معهما من امرآء السناجق وشجعان العسكر كل اسد غضنفر، وكل باسل معقود بناصيته اسباب النصر والظفر، ممّن له فى حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التى يتصرّف بها فى الماء والهوى، وشحنوا مايتى غراب تطير باجنحة القلاع، وتهدّم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع، وعدّة من المونات الكبار لحمل الاثقال، ورفع الاحمال الثقال، وشيل مكاحل النحاس لحطم الثغور، وهدم السور والجسور، الى الاساس، وكثرة التخويف والترهيب وشدّة القوة والباس، وكان يوم بروز العسكر المنصور

الاولاد والنساء والاطفال وباء احمد المذكور باثمه، واسودّ في صحايف الايام والليالى ديباجة وجهه واسمه، وانقلب خاسراً مدحوراً، وانخلع عن ربقة الدين وازداد جنيّة وكفوراً، ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفوراً، وكيف لا يكون ذلك وقد استعان بملّة الكفر على الاسلام، واستدعى عبدة الصليب والاصنام، ينتصر بهم على اهل ملّة محمّد عليه افضل الصلوة والسلام، وامتهن دار الاسلام تونس باقدام اوليك الكفرة اللئام، والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم، فانتشرت هذه الاخبار المدهشة، والانباء المظلمة الموحشة، الى أن وصلت ابواب سلطان سلاطين الاسلام، ظلّ الله الممدود على مفارق الانام، مالك صهوة الملك من الذروة الى الغارب، ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب، واسطة عقد ملوك آل عثمان، المشمول بشمول الرحمة والمكرمة والغفران، من الله الكريم المنّان، السلطان سليم خان، ابن السلطان سليمان خان، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان، وابقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان، فلمّا طرق سمعه الشريف، هذا الحادث الرجيف، وعلم ما اصاب اهل الاسلام، من هذه المصايب العظام، والامتهان الذى قصم الظهر واوهن العظام، استشاط سخطا وغضبا، واضطرمت نار حميّته وتأجّجت لهبا، وتحرّكت العصبية الاسلامية، والتهبت نيران الحميّة العثمانية، وقام وقعد، وارغى وازبد، وابرق وارعد، وهدّد وأوعد، وخاطب الوزرآء العظام، والبكلاربكية الكبرآء الفخام، وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام، واذلال عبدة الصليب والاصنام، ويستنقذ من أُسر من المسلمين بيد اوليك النصارى الطغام، ويخرج من عُهدة الكفار الفجرة اللئام، فبادر الوزير المعظم، والليث

جنّة النعيم، وبيان ذلك ان سلاطين تونس الغرب من آل حفص لمّا ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجى الى نصارى الافرنج ويأتى بجنود الكفرة يستعين بهم على اخذ تونس وصار الفرنج يقاتلون من فى تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون اولادهم ونساءهم ويبنون القلاع فى تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولّون من تحت ايديهم سلطانًا من بنى حفص سلاطين تونس قديمًا على بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى ان صار المسلمون تحت حكم النصارى وعمّ اذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم وبنوا قلعة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس فى موضع يقال له حَلْق الواد، كانّه بناء شدّاد، او وضع العاديّين من قبايل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالوّاد، وشحنوها بالأبطال الباطلين، من شجعان النصارى المشركين، وملأوها بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها الاغربة والمراكب فى البحر على بُلدان المومنين الموحّدين، ويقطعون الطريق على المسافرين، وياخذون كل سفينة غصبًا، وعمّ اذاهم المسلمين قتلًا وأسْرًا ونهبًا وسَلْبًا، الى ان تَعَدّى ضررُهم على طوايف اهل الاسلام، وزاد فساد اهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الانام، وكبير ملوك النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس اعادها الله تعالى دار الاسلام، ببركة النبىّ عليه افضل الصلوة والسلام، يسمّونه العوامّ اصبانية تحريفًا لكلمة اشبيلية، جهّز جيشًا كثيفًا لاخذ تونس ووالس على ذلك سلطان تونس احمد ابن حسن الحفصى قابله الله تعالى على سوء فعله بما يستحقّه فاخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيف فى اهلها فقتلوا الرجال وسبوا

ايام الموسم وصار محلًّا لطيفًا دايرًا بالمطاف من بعد اساطين المطاف وصار
ما بعد ذلك مفروشا بالحصا الصغار كساير المسجد وهذا الاثر خاصٌّ
به ذكره الله تعالى بالصالحات، وادام له العزّ والسعادات، ومنها تعمير
سبل فى التنعيم انشاها وامر باجرآء الماء اليها من بير بعيدة عنـهـا
يجرى الماء منها الى السبيل فى ساقية مبنية فيما بينهما بالجصّ والنُّورة
وعيّن لهـا خادمًا يستقى من البير ويصبّ فى الساقية فيصل المـاء الى
السبيل ليشرب منه ويتوضّأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون
له بالنصر والتأييد وعيّن مصاريف ذلك من رَيْع اوقاف له بمصر، ومنهـا
ابآر امر بحفرهـا بقرب المدينة الشريفة لقوافل الزُّوّار فى وادى مـفـرّح
وغيرها كثيرة النفع جدًّا، ومنها قراءة ختمة شريفة فى كل يوم يقرأوها
ثلاثون نفرًا بمكة واخرى بالمدينة الشريفة وعيّن لكلّ قارئٍ جزء فى كل
سنة تسعة دنانير ذهبًا وكذلك لمفرق الاجزآء وللداعى ولشيخ القُرّاء
وعيّن مصارف ذلك جميعه من اوقافه لله بمصر المحروسة عمّرها الله تعالى،
وجعل ناظرها والمتكلّم عليها وعلى ساير ما عمله من الخيرات سيّدنا ومولانا
شيخ الاسلام، قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام، صفوة سلالـة آل
النبىّ عليه افضل الصلوة والسلام، بدر الملّة والدين السيد القـاضـى
حُسَيْن الحسينى ادام الله عزّه واقباله، وضاعف سعادته واجـلاله، وكلّ
هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيمة ان شاء الله تعالى،

واما فتح حلق الواد وبلاد تونس الغرب فهى من اجلّ الغزوات
العثمانية واعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة فى ايام السلـطـان
الاعظم العثمانى، السلطان سليم خان الثانى، رحمه الله رحمة واسعة،
وغفر له مغفرة جامعة، ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم، ومنحه لـذّات

اياد له بالباس كاسرة العدا   ولكنها بالجود جابرة الكسر
به امّن الله البلاد وطمّن العباد واضحى الدين منشرح الصدر
سنان عزيز القدر يوسف عصره   الم تره فى مصر احكامه تجرى
تدلّى الى اقصى البلاد بجيشه   ومهّد مُلْكًا قد تمزّق بالشرّ
وشَتَّتَ شمل الملحدين وردّهم   مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع رؤسًا من كبار رووسهم   لهم باطن السرحان والطير كالقبر
وكانّ عَصَى موسى تلقّف كلّما   بَدَا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملاً   ولا برحوا فى الذلّ بالقتل والاسر
وما يمنْ الا ممالك تُبَّع   وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت   بنو طاهر اهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدىّ فى ملك تُبّع   وياخذه من آل عثمان بالمَكْر
أَبَى الله والاسلام والسيف والقنا   وسرّ امير المومنين ابى بكر

فلمّا تمّ الفتح الخاقانى العثمانى، فى القطر اليمانى، عاد الوزير المعظّم، الى بلد الله المكرّم، وحجّ حجّة الاسلام، وزار المزارات والمشاهد العظام، وصادف الحجّ الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة افضل الايام، واثر ببلد الله الحرام، انواع الخيرات والانعام، واحسن الى اهل الحرمَيْن الشريفين ومن حضر فيهما من حُجّاج الانام، وقابل شرفاء مكة المشرفة ادام الله عزّهم وسعادتهم بالاعتزاز والاحترام، فمن آثاره الخاصّة به فى المسجد الحرام فرْش حاشية المطاف بالحجر الصوان وكانت من بعد اساطين المطاف الشريف دايرة حول المطاف مفروشة بالحصا يدور بها دور حجارة منحوتة مبنيّة حول الحاشية كالافريز لها فامر الوزير المعظم المشار اليه ان تفرش هذه الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففُرشت به فى

علماء البُلدان، احببت ايرادها هہنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء اللسان، تسابق الفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان، تسابُق افراس الرهان، يُعَدُّ كل بيت منها بديوان، وتسحب كل كلمة منها اذيال البلاغة على سحبان، وهى هذه

لك الحمد يا مولاى فى السرّ والجهر على عزّة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت له الهِمَمُ العُلْيَا الى اشرف الذكر
جنودٌ رَمَتْ فى كَوْكَبان خيامها وآخرُها بالنيل من شاطئ مصر
تجرّ من الابطال كلّ غضنفر بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا خليفة هذا العصر فى البرّ والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا وبيض المواضى والمثقّفة السُّمْر
له فى سرير الملك اصل مُوَثّلٌ تلقاه عن اسلافه السادة الغُرّ
ملوك تسامو للعلا وخلايف اولوا العزم فى ازمانهم واولوا الامر
شموسٌ بفيض النور تمحو غياهبًا من الكفر منهم يستمدّ ضياء البدر
هموا ملّئوا عين الزمان وقلبه فقرّت عيون العالمين من البشر
هم العقد من اعلا الليالى منظّمًا وسلطاننا فى الملك واسطة الدرّ
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم سليم كريمٌ اصله اطيب النجر
عماد يلوذ المسلمون بظلّه وسدٌّ منيع للانام من الكفر
وحين اتاه ان قد اختلّ جانب من اليمن الاقصى امرّ على القهر
وساق لها جيشًا خميسًا عرمرمًا يدكّ فجاج الارض فى السهل والوعر
لهم اسد شاكى السلاح عرينه طوال الرماح السمهرية والبُتر
وزير عظيم الشان ثاقب رايه يُجَهّز فى آن جيوشًا من الفكر
يقوم بأعباء الوزارة قومة يشدّ جيوش الدين بالايد والازر

الدين الحنيفى انعاشا، وايّد بنصره اهل السُّنّة السنيّة وفرش الارض بعدلته فراشا، فانه اسدٌ ضرغام، وليث قمقام، وحسام صمصام، وكريم محسن فايض الجود والاكرام، جواد بَذُول لم ينحن الهلال الا ليكون نعلًا فى حافر جواده، ولا مدّت الثريا كفّ الخضيب الا للتمسّك بذيل افضاله وامداده، ولا فتحت الدُّوِىُّ افواههـا الا لتنطق بمدحه ألْسنة الاقلام، ولا حبّر الحبر بياض الطروس بسواد السطور الا ليَشير ان الليالى والايام له من جملة الخُدّام، طالما طوّق الاعناق اطواقًا من الافضال والانعام، كانها اطواق الحمام، وكثيرًا ما احسن الى العلماء والصلحاء من جيران بلد الله الحرام، وجيران سيّد الانبياء والرُّسُل الكرام، عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام، وكُنْتُ ممّن شملنى برّه وانعامه، ووصل الىّ فى اكثر الايام احسانه واكرامه، فاطلق لسانى بشكره، وانطق جنانى بالثناء عليه لاحسانه وبرّه، فخلّدْتُ ذكر محاسنه فى صحايف الكُتب والدفاتر، ورقمت كرايم صفاته فى صفحات اوراق لا يخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغابر، وكتبتُ باسمه الشريف تاريخًا حافلًا سمّيته البرق اليمانى ذكرت فيه احوال اليمن من سنة ٩٠٠ واستيلاء حُسَيْن الكردى وطايفة الجراكسة ثم اللوند الى زمن الفتح العثمانى اولاً على يد الوزير سليمان باشا ثم استيلاء الزيديّين جيوش مطهّر بن شرف الدين ثم الفتح العثمانى ثانيًا على يد الوزير المعظم سنان باشا ادام الله تعالى نصره واجلاله، وخلّد سعادته واقباله، على سبيل التفصيل، واكتفيت بما ذكرته فى ذلك التاريخ عن اعادته هُنا فانه يَرْوِى الغليل، ويفصّل تلك الاحوال غاية التفصيل، وكنتُ صدّرت ذلك التاريخ بقصيدة طنّانة من نظمى الطنان، سارت بها الركبان، وتلقّتها بالقبول ادباء

بعضهم من الضيق والضنك وخلص منهم من له بقية عمر بعد ذلك ؛
واستمرّ امرآء مطهّر ياخذون جبال اليمن الى ان اخذوا صنعاء وتعزّ
وحصن خَبّ وعدن وعجزوا عن اخذ زبيد صانها الله تعالى بالاولياء
والصلحاء وبها شرذمة قليلة من الاروام مع حسن باشا مع ظلمه
وغشمه لاهل زبيد ومصادرته لكل احد ووصل لاخذها على بن شُوَيْع
ومعه فوق خمسين الف مُقاتل وحطّ خارج زبيد فخرج اليه بقية
العسكر السلطانى وهم نحو مائتى فارس وبرزوا لقتال هذا الجمّ الغفير وكم
من فيّة قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله وحملوا على على بن شويع وقد
القوا انفسهم الى التَّهْلكة فتزلزلت اقدامه وفرّ هارباً وسقط من فرسه فى
هروبه ولحقه جماعة من الاسباهيّة ارادوا قتله فلحقه عبدٌ من عبيده
بفرس فركب وهرب ونجا بنفسه لا نجاه الله تعالى ؛ وسُمعت من مقابر
زبيد اصوات مدافع ترمى عليهم من غير ان يُرى شخصٌ فنصر الله
المومنين على اولايك الملحدين فى الدين وقُتل منهم ما لا يعلم عددهم
الا الله تعالى وغنمت العساكر وطاقهم واحمالهم واثقالهم وولّوا على ادبارهم
راجعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد، كانما عليها حصن من
حديد، من عند الله العزيز الحميد ؛

فلمّا احاطت العلوم الشريفة السلطانية بما وقع من هذا الاختلال فى
اليمن برزت الاوامر الشريفة الى بكلربكى مصر يومئذ الوزير المكرم المفخم
نظام العالم، صاحب السيف والقلم، مدبر مصالح جماهير الامم،
فاتح ممالك اليمن الايمن، من كَوْكبان الى عَدَن، وقالع قلاع جلق الواد
وآخذ بلاد تونس الغرب ودافع عنها الكفر والمِحَن، ليث عرين الوطيس
افتراسًا، وشِدّة جَأْشٍ وبَأْسًا، الوزير المعظم سنان باشا، انعش الله به

شرف الدين يحيى الزيدى لعب الشيطان بعقله وسوّلت له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مُضْمرة فى خاطره طمعًا فى الملك فصادف انقسام المملكة وصول خبر وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فاظهر العصيان هو ولفيفه من العُربان وجهّز اميرًا من امرآءه يقال له على ابن شُوَيْع وجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا فى مَحَطّة ذِمار وهو غافل من عصيانهم وكان قاصدًا من تَعِزّ الى صنعاء وهى محصورة بالعربان الزيديّين فعدموا عليق الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلّما ارسل من طايفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلمّا زاد به هذا الامر وفطن لعصيان العربان رجع مراد باشا الى تعزّ وسلك وادى خُبّان وهو محلٌّ وَعِرٌ بين جبلَيْن عاليين فى غاية الوعورة والصعوبة عسر المسلك كثير المهلك فلمّا توسّطوا بين هذين الجبلين وقد امتلات قُللهما بالاعراب كالجراد المنتشر والسحاب رموهم بالاحجار والصخار الصغار والكبار واطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون فى تلك الماء وقد ازدحموا على محلّ الخروج وهو مكان ضيق سدّته الجمال والاحمال وليس فيهم مُنعة ولا لهم نجدة ولا لخيلهم قوّة ولا قدرة على الجولان فاستسلموا للقتل وقُتل منهم من دنى اجله وخرج مراد باشا ومعه نحو عشرين سنجقًا فكبستهم العربان وسلبتهم وتركوا كلّ واحد منهم عريانًا فى لباس وساير بدنه مكشوف فأووا الى مسجد يقال له مضرّح وعيون المنايا تسرح اليهم وتطمح فوصل اليهم شيخ مضرّح وكان له ثارٌ قديم عند الاروام كان سليمان باشا صلب اباه لمّا افتتح عدن فصاح وا ثاراه وقتل مراد باشا وارسل براسه الى مطهّر وقيّد الامرآء وارسلهم الى مطهّر فلم يقتلهم بل حبسهم فى مطامير تحت الارض ومات

افرادها بالتاليف وذكر ما وقع فيها فلم اظفر بذلك فان اظفرنى الله تعالى بالاطلاع على اكثر مما ذكرته هنا اجعل له تاريخًا مستقلًّا واسع المجالّ لطيف المفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى ء

واما فتح بلاد اليمن فان اقليم اليمن من صنعاء الى عَدَن كانت داخلة فى الممالك الشريفة السلطنية العثمانية فى ايام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان، اسكنه الله تعالى فردوس الجنان، وحفّ روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان ء وكان اوّل فتحها الخاقانى على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكى مصر لما توجّه الى الهند لغزا الافرنج البُرتقال فى سنة ٩٤٥ فاقام بكلربكيًّا واستمرّ كذلك فى تصرّف البكلربكى الذى تولّى من الباب الشريف السلطانى يتولّاها واحد بعد واحد الى ان وُزعت مملكة اليمن بين بكلربكيّين بعَرْض المرحوم محمود باشا ان مملكة اليمن واسعة يمكن ان يولّى فى اعلاها فى الجبال من صنعاء الى تعزّ بكلربكىٌّ ويولّى فى التهايم وهى زبيد وساير السواحل والبنادر بكلربكىٌّ اخر وكان هذا عين الخطأ فان ذلك مظنّة الاختلاف والجدال، كما قال الله تعالى الحكيم المتعال، ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ء فقبل عرضُه فى الباب العالى قصدًا الى تكثير المناصب وتعديد البكلربكية فولى اعلا اليمن وجبالها المرحوم مُراد باشا وكان يقال له كُور مراد لخلل كان باحدى عينَيْه وكان خرج من السراى السلطانى وكان من امرآء السناجق وصار امير الحاج الشامى ثم ولى سنجق غزّة ثم اعطى نصف مملكة اليمن ء وولى جهة التهايم لحسن باشا وهو ايضا من المماليك السلطانية برز من السراى السلطانى ء فانقسمت عساكرها واموالها ومحصولها نصفَيْن وضَعُف امر كل واحد منهما وكان مطهّر بن

وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار، وقابلهم الموحّدون برَمْى المدافع الكبار، بالاصايل والاسحار، فكاد النهار ان ينقلب ليلاً بدُخان البارود البارق، والليل ينقلب نهارًا ببوارق فتايل البنادق الصواعق، فحاصرهم المجاهدون فى سبيل الله وضيّق عليهم جنود الاسلام الغُزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فحطمت دورهم، وهدمت قصورهم، فصارت بيوتهم قبورهم، وكُسرت ظهورهم، فافتتحت ببركة النبىّ صلعم قلعتان وبقيت القلعة الثالثة وهى ماغوسا وفيهـا سلطانهم محصور، وكلُّ محصور ماخوذ ومأسور، فثبت واظهر الجلد، وكابد فى محاصرته انواع الكمد، الى ان وهنت قُوَاه، وذابت كبده وحُشَاه، واضطرّ الى طلب الامان، والتذلُّل لحضرة الوزير الرفيع الشان، فشملته عناية حضرة الوزير المعظم المكين واعطاه الامان، وشرط عليه ان يفكّ من عنده من اسارى المسلمين، ويَدُوس البساط الشريف السلطـانى ليتمّ له التأمين، ويَحْظُى له التطمين، فوافق على ذلك واطلق الأَسْرَى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرًا وقسرًا فاخبر بعض الاسارى انه خان، بعد انعقـاد الامان، وقتل جماعة من اسارى المسلمين بالسيف صبرًا واخفى ذلك عن المسلمين وفعل هـذه الخيانة سِرًّا، فلمّـا علم حضرة الوزير المعظم ان ملكهم قد خان، طلبه الى بين يَدَيْه واهانه غاية الهوان، وركب وحمّله غاشية السّرج وامره ان يمشى قدامه كساير الغلمـان، ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده واخذ امواله وذخايره وقتل من اراد واستأسر واسترق من اراد وصارت جزيرة قبرس دار الاسلام واضيفت الى ساير الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم، واصابة رايه وتدبيره الصايب الاتم، وما بلغنى تفصيل ما وقع فى هذه الغزوة وما امكننى تحقيقهـا واردت كثيرًا

الصور، وانتشرت العساكر المنصورة فشوهد يوم الحشر والبعث والنشور، وتوجه حضرة الوزير مظفرًا مؤيدًا منصورًا، وسعى الى جهاد الكفار وكان سعيه مشكورًا، وطوى المراحل والمنازل وهو يطوى الارض طيًا، ويفرى بسيف عزمه اديم المهامه والمناهل فريًا، الى ان وصل ركابه العالى، ومن معه من الجيش المنصور المتوالى، الى جزيرة قبرس فاحاط بقلاعها احاطة الخاتم بالاصبع، وفرق الجنود على حصونها فكانت من كل حصن احكم وامنع، وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقللها، واحكموا خنادقها واوعروا مسالك سهلها وجبلها، فارتجت بوصول العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها، وتزلزلت جبالها ورمالها واصقاعها وبقاعها، وكان من احكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع، فى غاية العلو والارتفاع، ونهاية المنعة والقوة والامتناع، شامخة البنيان، راسخة الاركان، اقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران، ولا يوازن ابراجها من بروج السماء الا الميزان، تلامس فى العلو والشهوق، نجوم الثريا والعيوق، وتوازى بناء الاهرام فى الاتقان والاحكام بل تزيد عليها وتفوق، لا تبالى بضرب المكاحل والمدافع، ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع، مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع، مملوءة بالمقاتلة واهل القراع، محشوة باجلاف النصارى الابطال اهل الصيال والصراع، وفيهم من الرماة من يرمى على الحدق، ويحرر فلا يخطى من الدرع الحلق، وعندهم المياه والفواكه والاقوات والزروع والبساتين، ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الارضين، محمية بالمدافع الكبار، ترمى من اعلا القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار، فاحاطت العساكر المنصورة السلطانية بتلك القلاع والحصون، وناوشوهم القتال واذاقوهم كووس ريب المنون،

سلطنة السلطان الملك الاشرف برسباى الدُّقماقى واَسر ملكها فى سنة ٨٢٩ وكانت اهل قبرس فى ايام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية مـــا كان مقرّرًا عليهم غير انهم اخــذوا فى المكر والخداع واظهار الطاعة والوفاق، واخفاء الغدر والشقاق، فصــاروا يقطعون الطريق فى البحر على المسلمين واذا اخذوا سفينة من سفاين المسلمين قتلوا جميع من ظفروا به فى تلك السفينة وغرقوهــا فى البحر لاخفاء مــا فعلوه وصاروا يؤون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعمّ ضررهم فاستفتى المرحوم السلطــان سليم خان من المرحوم مفتى الاسلام مولانا ابى السُّعود افندى العمادى رحمهمـــا الله تعـــالى فافتاه بانهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جايــز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة، فجهّز عليهم حضرة السلطان سليم جيشًا كثيفًا وعسكرًا منصورًا منيفًا ارسلهم من البرّ وعمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردار الجميع حضرة الوزير المعظم، والمشـيــــر المفخم، نظام العالم، مدبر مصالح جماهير الامم، قايد جـيــوش الموحدين، قاهر جنود الكفار والملحدين، اعتضاد الملوك والسلاطين، اعتمــــاد الغُزاة والمجاهدين، المخصوص بعناية ربّ العالمين، حـــضـــرة مصطفى باشا اللالا، زاده الله تعالى عزًّا وجلالًا، وسعادة وسيادة واقبالًا، وأيّده بالنصر المبين فى الفتح القريب اسعادًا واجلالًا، فامتـثــل الامـــر الشريف السلطانى، وبرز محفوفًا بالنصر الصَّمَدانى، والعون الربانى، ومعه عسكر جرّار، من كل بَطَل مِغْوار، ملأوا وجه الارض برًّا وبحرًا، كانّهم قطعة نار مضطربة او اشدّ حرًّا، أيّانَ سلكوا دهكوا وملكوا، وأيّانَ صادفوا من الاعداء سفكوا وفتكوا، وضربت طبول النصر فكانت كنفخ

الذلة وصار حالهم على ما ترى من السبى والاهانة، وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة ايام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم واحد وانما سُمّيت جزيرة قبرس بوثن كان هناك يُسَمّى قابرس كان يعظّمه الكفار ويعظمون لأجْله جزيرة قبرس واهل مدينة قبرس موصوفون بالغناء واليسار وبها معادن الصفر ويُجمع منها اللادن الحسن الرايحة الذى يغلب العود فى طيبه وهو الذى يجمع منه على الشجر خاصّة وكان يحمل الى ملك القسطنطينية لانه افضله وما يجمع منه ممّا تساقط على وجه الارض يبيعونه للناس، وكانت أُمّ حَرَام بنت مِلْحان الصحابية رضى الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفّيت بها واهل قبرس يتبرّكون بقبرها ويقولون هو قبر المراة الصالحة وكانت سالت رسول الله صلعم ليدعو لها الله عزّ وجلّ ان يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر مجاهدين فى سبيل الله ففعل وهو حديث معروف، وكان الأوْزاعى يقول انا نرى هولاء يعنى اهل قبرس اهل عهد وان صُلحهم وقع على شىء فيه شرطٌ لهم وشرط عليهم وانه لا يَسَعُهم نقضه الا بامر يعرف به غدرهم، وروى عبد الملك بن صالح فى حدث احدثوه ان ذلك نقض لعَهْدهم فكتب الى عدّة من الفقهاء يشاورهم فى امرهم منهم الليث بن سعد وسفيان بن عُيَيْنة وابو اسحاق الفزارى ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه واجاب كل واحد بما ظهر له، قالوا وانتهى خراج اهل قبرس الذى يوّدونه الى المسلمين بعد المايتين من الهجرة الى اربعة الاف الف وسبعماية الف وسبعة واربعين الفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار،

قُلتُ وقد تقدّم مما نقلناه انها افتتحت فى ايام دولة الجراكسة فى

الظلم بخريب ديار الظالمين ودمّرت، كم اظهرت لسواد الكفرة يد صارمة البيضاء اية للناظرين، وكم جهّز جيوشًا للجهاد فى سبيل الله فقطع دابر الكافرين؛ فمن اكبر غزواته فتح جزيرة قبرس بسيف الجهاد ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العُصاة البُغاة اهل الالحاد ومن خيراته تضعيف صدقة الحبّ وارساله مُدّة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفًا وتعظيمًا وكل ذلك من الآثار العظيمة، والمزايا الفاضلة الكريمة؛ فلنذكرها بطريق الاجمال، لضيق المجالّ؛

فامّا قبرس فانها بالسين لا بالصاد كما يغلط فيه العوامّ جزيرة فى البحر قال الفقيه العدل المفتى ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحِميرى فى كتابه الروض المعطار فى اخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامى كبيرة القُطر مقدارها مسيرة ستة عشر يومًا وبها قُرى ومزارع واشجار ومواش وبها معدن الزاج القبرسىّ ومنها يُجْلَبُ الى ساير الاقطار وبها ثلاث مُدن ومن قبرس الى طرابلس الشام مجريان فى البحر وقبرس على ممرّ الايام رخاءها شامل وخيراتها كاملة وكان معاوية غزاها وصالح اهلها على جزية سبعة الاف دينار فنقضوا عليه فغزاهم ثانية فقتل وسبى شيئًا كثيرًا؛ وروى انه لمّا افتتحت مداين قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبى فيما بينهم بكى ابو الدَّرْداء وتنحّى عنهم ثم احتبى بحمايل سيفه ودموعه تجرى على خَدَّيْه فقيل له اتبكى فى يوم اعزّ الله فيه الاسلام واهله واذلّ الكفر واهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما اهون الخلق على الله اذا تركوا امره فانما هى قوّة ظاهرة وقدرة قاهرة لهم على الناس اذ تركوا امره فصاروا

الاعظم، وافاض احسانه عليهم وانعم، واصرف فى ذلك خزاين عظيمة لا تُحْصَى، ووزع عليهم من الورق والعسجد ما لا يُحْصَر ولا يستقصى، وامر بقتل بعض من كان سببًا لهذه الغوغاء من السُّفهاء، وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل النعماء، وله الشكر على جميع الآلاء، وله الحمد فى الآخرة والاولى، ودخل عليه العلماء العظام، للتهنيئة بالملك والتحيّة والسلام، ثم اركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام، وقرّت عيون الانام، بكمال الامن والاطمينان وتمام حُسن الانتظام، ثم جهّزت البشاير السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الفاخرة الخاقانية فحصل لنوّاب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور، وتمام البشر والحبور بانتظام الامور، ووصلت التهنيئة من ملوك الاطراف بالتُّحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرّت العيون، وزالت الغبون، واستقرت الخواطر والظنون، وكان سلطانًا كريمًا، رؤفًا بالرعية رحيمًا، عَفُوًّا عن الجرايم حليمًا، محبًّا للعلماء والصلحاء، محسنًا الى المشايخ والفقرآء، كان احسانه يصل الى فقرآء الحرمَيْن الشريفين وهو شاهزاده وتصل تشاريفه وكساويه فى كلّ عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الىَّ احسانه وكسوته فى كلّ سنة وبعد ان ولى السلطنة الشريفة لم يقطع عادة احسانه واستمرّ يصل ذلك اليهم فى كل عام بحيث اضيف ذلك الى دفتر الصُّرّة الرومية ويقسم كل سنة على حكم السابق الى الآن، فهو الملك الهمام المحسن المنعام، الفايض الاحسان والانعام، طال ما طافت بكعبته الآمال واعتمرتْ، وصدعت بأوامره الليالى والايام فأيتمرتْ، وغرس فى رياض السعادة غروس اشجار السيادة فبسقت واثمرتْ، وعمرت بحسن نظره ارجاء البلاد فتمدّنت بعد الخراب وعمّرتْ، ودمرّ بسياسته اركان

آصف الزمان محمد باشا، انعش الله بوجوده ملّة الاسلام انعاشا، يتضمّن هجوم الشتاء عليه وتيسّر فتح قلعة سكتوار، وقمع مردة الكفار الفجار، والتمس الاذن الشريف السلطانى للعسكر المنصور الخاقانى بالعود الى الاوطان، واستمرار الركاب الشريف السلطانى بذلك المكان، الى ان يصل هو مع بقية الوزرآء واركان الدولة الى لثم الركاب الشريف السلطانى، والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقانى، وبعد ذلك يعودون فى الخدمة الشريفة السلطانية الى مقرّ التخت الشريف السلطانى بالقسطنطينية العظمى، فأُجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما اشار اليه واستقرّ ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحلّ والقرار عليه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار الى حضرته العلية وباقى الوزرآء واركان الدولة الشريفة وقبلوا الركاب الشريف السلطانى وهنّئوه بالملك الشريف الخاقانى وعادوا فى خدمة السلطنة الشريفة الى اسطنبول، بغاية البشر واليُمْن والقبول، وعند الوصول الى باب السّراى الشريف السلطانى حصل من رعاع العسكر وغوغاءهم مدافعة وممانعة عن الدخول الى السّراى الشريف وطلبوا عادتهم عند تجدّد السلطان أدّت الى سوء ادب من بعض جُهّالهم فجآء المرحوم المفتى الاعظم رئيس العلماء الاعلام، وكبير كبرآء الموالى العظام، مولانا ابو السُّعود افندى العمادى حشر الله تعالى خطاياه فى الجنّة، وافاض عليه سحايب الاجر والثواب والفضل والمنّة، فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم بعوايدهم وترقياتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القَسْوة، واستغفروا من تلك الهَفْوة، وصحوا من سُكر الجهالة، واهتدوا بعد الضلالة، ودخل حضرة السلطان الاعظم الى سرايه الشريف، وجلس على تخته العالى المنيف، ووفى للعسكر بما التزم لهم به حضرة المفتى

بمكة يومئذ من يكون ثابتًا فى مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه
الى علم الحديث الشريف وجُعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين
عثمانيًّا يقرأ فيها الصحاح الستّة، فرحم الله تعالى السلطان سليمان
واثابه على مقاصده الجميلة من اسدآء الخيرات، واقتناء المثوبات، باحياء
العلوم الشريفة المطهرة وساير الباقيات الصالحات، اعلا غرف الجنّات،
والنظر الى وجهه الكريم فى اعلا مراتب السعادات، الاخروية الباقيات ء
وهذا الذى ذكرته بعض ما فعله من الحسنات، ولو اردنا استيفاء ما
فعله من الخيرات، لاحتجنا الى عدّة مجلّدات، فعدلنا عن ذلك الى ما
اثبتناه فى هذه الورقات، ووكلنا ما عداه الى المشاهدات، فليس الخبر
كالمعاينات ✿

الباب التاسع

فى دولة السلطان الاعظم الخاقاني * الافخم السلطان سليم خان الثاني *
صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني * تغمّده الله بالرحمة والرضوان *
وسقي ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران * وحفّه بروايح الروح والريحان *
كان مولده الشريف سنة ٩٣٩ وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف
بالقسطنطينية العظمى فى يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الاخر
سنة ٩٧٤ ومدّة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنّه حين تسلطن ستّ
واربعون سنة وعمره كلّه ثلاث وخمسون سنة ء وبعد ثلاثة ايام من
جلوسه على التخت الشريف توجّه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام
المجاهدين فى سبيل الله فى حاقّ بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد،
بغاية الجدّ والاجتهاد، وسار سَيْرًا حثيثًا الى ان وصل ركابه الشريف
السلطانى الى سرحد يقال له سُرم فلاقته عروض حضرة الوزير الاعظم

والطلبة فى ساير البلدان، الكريم المحسن الى محبّيه غاية الاحسان، مولانا شمس الملّة والدين احمد المعروف بقاضى زاده افندى قاضى العسكر بولاية اناطولى اظهر الله على لسان قلمه ما دقّ وخفى عن الافهام، وافاض من زلال الفاظه العذبة ما يروى عطش اكباد العلماء الاعلام، ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمّام، وقلّد اعناق علماء مذهب النّعمان قلايد درّ متّسق النظام، ومدّ لطلّاب العلم الشريف موايد فوايد وضعها لهم على طرف الثّمام، واورد فيه من خاصّة طبعه الشريف ثلاثة الاف تصرّف من نبات افكاره وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولا شكّ ان ذلك فيض من الله الكريم، افاض به من خزاين جوده العميم، فشكر الله تعالى صنعه الجميل، واثابه وازاده على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل، ونفع بتاليفه ساير طلبة العلم الشريف، وابقى فى صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، ولقد احسن الىّ فى ايام صدارته وربّانى لدى الحضرة الشريفة السلطانية فرقّانى السلطان الاعظم، والخاقان الاكرم الافخم، السلطان مراد خان، خلّد الله مدّته الزاهرة مدى الزمان، فصارت مدرستى بهمّته العلية بستّين عثمانيًّا جزاه الله تعالى عنّى افضل الجزآء، واسبغ عليه من خزاين فضله وكرمه واسع الخير والعطآء، وانعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعى بمكّة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيًّا فدرّس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعى رضه، وامّا المدرسة الرابعة السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد ابن حنبل رضه فلم يوجد

والاهتمام، وهو يستعجل فى الاتمام، وعيّن المرحوم السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والرضوان، وظايف المدرّسين والطلبة وغير ذلك من اوقافه بالشام وعيّن لكل مدرّس خمسين عثمانيًّا فى كلّ يوم وعيّن للمعيد اربعة عَثامنة ولكلّ مدرّس خمسة عشر طالبًا لكلّ طالب عثمانيَّيْن وللفرّاش كذلك وللبوّاب نصف ذلك يجهّزها فى كلّ عام ناظر الأوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشريف الشامى الى مكة المشرفة فتُوزَّع على المدرّسين والطلبة وظايفهم ولم تكمل المدارس الاربع الا فى ايام دولة السلطان الاعظم، مالك ممالك الترك والروم والعرب والعجم، السلطان سليم خان، ابن السلطان سليمان خان، عليهما الرحمة والرضوان، فانعم بالمدرسة المالكية السليمانية وهى راس المدارس الاربع على سيدنا ومولانا القاضى حُسَيْن الحسينى المشار اليه ادام الله تعالى فوايده على الدوام بخمسين عثمانيًّا ثم رقاه الى ان صارت مدرسته بماية عثمانى، وانعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مولّف هذا الكتاب بخمسين عثمانيًّا فى اواسط جمادى الاولى سنة ٩٧٥ فأقْرأْتُ فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتى الاعظم مولانا ابى السُّعُود العمادى بوّأه الله تعالى غرف الجنان، وانزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان، وأقْرات فيها درسًا فى الطبّ ودرسًا فى الحديث فى اصوله وانى ادرّس الآن فيها تكميل شرح الهداية للعلّامة الكمال ابن الهمام، الذى كمّله الآن علّامة علماء الاسلام، فهامة فضلاء الموالى العظام، مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها، وحايز قصبات السبق فى حَلْبة رهانها، فريد دهره فى التحقيق والاتقان، ووحيد عصره فى التدقيق والايقان، صاحب التصانيف الفايقة الّتى سارت بها الركبان، وتداولتها العلماء

المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن ادام الله تعالى عزه ودولته فقدمها جميعها للسلطنة الشريفة واستبدلت اوقاف المؤيدية بضياع قرى فى الشام اختارها ذرية المويد الموقوف عليهم وكتب مستنداتها وحججها، واشرع الامير قاسم فى هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووضعوا الاساس فتقدم قاضى مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الاهالى، وصفوة العظماء الموالى، مولانا شمس الملة والدين احمد بن محمد بك النشانجى عظم الله تعالى شانه، ورفع قدره ومكانه، ووضع بيده الشريفة الاساس، وتبعه من حضر من العلماء والسادات والامرآء واعيان الناس، ووضع كل واحد منهم حجرًا فى ذلك الاساس، وكان يومًا مشهودًا، مباركًا مسعودًا، وذلك لليلتين خلتا من شهر رجب المرجب سنة ٩٧٣ وكان عمق الاساس عشرة اذرع وعرضه اربعة اذرع بذراع العمل ووضع فيه احجار كبار جدًا واحكموا الاساس احكامًا قويًا واستمر قاسم بك فى بذل الجد والاجتهاد مشدود الوسط كانه بعض العمال يجرى بعصاة من اول العمل الى آخره بقوة وجلادة من غير دقة فهم ولا لطف طبع مع الجلافة والغلظ والاستبداد بالراى وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى راى احد فاتم بناء المدارس الاربع فى غاية الاحكام وزاد فى عرض الجدران من غير تحقيق وعمل بهما مادنة طلية احسن فيها ولفق لسقوف المدرسة ولدور ايوانها خشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردى منحط وبعضه بخط رايق فايق لكونه اميًا لا يعرف الكتابة ولا يصغى الى كلام احد، وصارت الاحكام الشريفة السلطانية تتوارد اليه بالاستعجال

السليمانية، وأنهى للأعتاب العلية الخاقانية، ان المناسب للشان الشريف السلطانى، وقدره العلى السامى السليمانى، ان يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة اربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرّس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببًا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظايفها ويكون سببًا لإحياء علم الشريعة ويُسْطَر ثواب ذلك فى صحايف حسنات للسلطنة الشريفة، فاجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعيّن لهذه الخدمة الامير قاسم بك امير جُدّة المعمورة المذكور انفًا وان يبادر الى عمل ذلك فى احسن الاماكن اللايقة فاجمع رأى الامير ابراهيم وقاسم بك وغيرهما من الاعيان ان اللايق لبناء هذه المدارس الجانب الجنوبى من المسجد الحرام المتّصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصورى ومدرسة لصاحب كنباية السلطان احمد شاه سلطان كجرات من اقاليم الهند وكان من اصحاب الخير الكثير شديد المحبّة للعلماء كثير البرّ والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلّف هذا التاريخ والبيمارستان المنصورى وأوقاف السلطان الملك المويد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدّة دُور تتعلّق بسيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن صاحب مكة المشرفة ادام الله عزّه واقباله ورباط يقال لها رباط الظاهرى، فاستبدل البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا بخشى القرمانى ولم تثبت وقفيّته فباعه ورثته فاشترى لجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلاً عن المدرسة الكنبايتية واستبدل رباط الظاهر برباط آخر فى سويقة احسن وامكن منه ووقف موضعه بدلاً عنه، واما الدور المتعلّقة بسيدنا ومولانا

بلاده، وكان يومًا مشهودًا، وساعة سعيدة وزمانًا مسعودًا، فلمّا جهّز اخبار هذه البشاير العظمى، وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى، الى الباب الشريف العالى الى السلطان الاعظم، والخاقان الاكرم الافخم، السلطان سليم خان، سقاه الله كؤوس الرحمة والرضوان، من حوض الكوثر فى اعلا غرف الجنان، والى سرادقات الحجاب الرفيع، والستر السابغ المسبول المنيع، صاحبة الخيرات، ملكة الملكات، بلقيس الزمان، حضرة خانم سلطان، ادام الله تعالى ظلال عفّتها وعصمتها، واسبغ استار رفعتها وعظمتها، فانعمت الصدقات الشريفة السلطانية بالانعامات الجزيلة، والترقيات الكثيرة الجليلة، على ساير المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجزيلة، وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار الى حضرته الشريفة ترقيات عظيمة، فصارت مدرسته السلطانية السليمانية بماية عُثمانى وما عهد ذلك لاحد من الموالى العظام فى مدارسهم وجهّزت اليه انواعًا من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمّنة للشكر الجميل منه وانه داخل فى جملة خواصّ السلطنة الشريفة، المشمولين بنظر عواطفها المنيفة، وانعاماتها الجزيلة الوريفة، وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالى والايام، والاعمال الصالحات الباقية التى لا يفنيها تكرّر السنين والاعوام، وما عند الله من تضاعُف الاجر والثواب، فهو خيرٌ وابقى عند اولى الالباب،

ومن آثار المرحوم السلطان سليمان بمكة المشرفة المدارس الاربع السليمانية وسبب ذلك ان الامير ابراهيم افندى اجرآه عين عرفات، اسكنه الله من اعلا الجنّة والغُرفات، عرض على الابواب الشريفة

النافذة فى الاقطار والجهات وجدّ فى الاهتمام وبذل الجهد التامّ وعرض الى الابواب الشريفة وفاة قاسم بك المرحوم وعدم تعطيل العمل الى ان يأتى امينٌ لاكمال العمل من الباب العالى فبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمية بان يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضى حسين الحسينى المشار الى حضرته الشريفة انفًا فاقدم بهمّته العلية اتمّ اقدام، الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام التامّ، فساعدته السعادة والاقبال، على الاتمام والاكمال، فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة اشهر بعد ان عجز عن اتمامه الامرآء المذكورون قريبًا من عشرة اعوام وهلكت نفوسهم واموالهم وخُدّامهم وما ظفروا بهذا المرام، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فجَرَتْ عين عرفات، وانفجرت ينابيعُها الجاريات، ووصل الماء وهو يجرى فى تلك الدبول والقنوات، الى ان دخل مكة لعشر بقين من شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٧٩ وكان ذلك اليوم عيدًا اكبر عند الناس، وزال بوُصُول ذلك الماء الى البلد كلُّ همّ وبأس، وعمل فى ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار الى حضرته اسمطة عظيمة فى الابطح، ببستانه الواسع الأفْيَح، وجمع جميع الاكابر والاعيان، فى ذلك المكان، ونصب لهم السرادقات والصيوان، وذبح اكثر من ماية من الغنم، ونحر عدّة من الابل والنَّعَم، وقدّم للناس على طبقاتهم انواع الموايد والنِعَم، وخلع على اكثر من عشرة انفس من المعلّمين، والبنائين والمهندسين، خلعًا فاخرة، واحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة، وتصدّق على الفقرآء والمساكين، وانعم على الكبرآء والاساطين، شكرًا لهذه النعمة الجزيلة، وحمدًا على هذه المنّة الجليلة، حيث انعم الله بها على عباده، واحيا بها واخصب منها خير

عليهما عتيقه فرهاد كتخدآءه وفقه الله تعالى واعانه ثم اقيم فى خدمة عمل العين الامير قاسم بك المذكور سابقًا سنجق جُدّة المعمورة اقامة فيها سيدنا ومولانا السيد حسن صاحب مكة ادام الله عزّه ودولته وامره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الابواب الشريفة السليمية فبرز الامر الشريف السلطانى باستقرار قاسم بك المذكور فى خدمة العين امينًا على مصارفها وان يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين القاضى حُسَيْن الحسينى خلّد الله تعالى ظلال سيادته وأبّد قيام سعادته ناظرًا على ما بقى من عمل عين عرفات الى ان تَصِل الى مكة المشرفة فاستمرّ الامير قاسم مباشرًا لتعاطى هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحبّ الاستقبال وبعض عِناد وما اراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رايه وما اراد الله تعالى ان يتمّ العمل الشريف على يد قاسم بك فصار ثالث الاميرين السابقَيْن فطرقه الاجل وادركه الحين وفاز كقرينَيْه بمرتبة الشهادة وصار من شهدآء العَيْن وانتقل من دار الدنيا الفانية الى دار الآخرة الباقية قرير العين لليلة خلت من شهر رجب المرجّب الفرد الاصبّ سنة ٩٧٩ وصُلّى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودُفن بالمعلاة الى جانب الامير محمد بك الدفتردار المتوفّى قبله امين العين المزبورة واستوفت العين به ثلاثة من الامرآء السناجق سقاهم الله تعالى شرابًا طهورًا وكان بهم برًّا رحيمًا غفورًا ثم توجّه سيدنا ومولانا شيخ الاسلام السيد القاضى حسين الحسينى امدّ الله تعالى ظلال افضاله واقام خيام عزّه وعظمته واجلاله توجّهًا تامًّا الى تكميل ما بقى من عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية

الى الابطح فى تربة كان اعدّها لنفسه ودُفِنَ فيهـا ولدَيْه قبله وخلّف
طفلًا وحملًا وبنتًا من اهل الخير كثيرة الصلاح والعبـادة وكان ذكر لى ان
مولده سنة ٩٣٣ رحمه الله وارضى عنه خصماءه وآمنه يوم الفزع الاكبر
وسقـاه من حوض الكوثر، ثم اقيم بعده فى هذه الخدمة سنجـق
جُدّة الامير قاسم بك باقامة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بـدر
الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة ادام الله تعالى دولته
وسعادته وشيّد عزّه وعظمته وسيادته وعرض ذلك الى الباب الـعـالى
وامره ان يباشر هذه الخدمة الى ان يصل من تعيّنه السلطنة الشريفـة
لاداء هذه الخدمة وكانت السلطنة الشريفة العظمى والخلافة العاليـة
الكبرى قد انتقلت من المرحوم السلطان سليمـان خـان الى نجله
الاسعد الامجد السلطان سليم خان سقى الله عهدهمـا صَوْب الرحمة
والرضوان فتعيّن لهـا فى الباب العـالى دفتردار مصر يومئذ محمد بك
اكمك جى زاده وكان متجمّلًا مُثْرِيًا من اعيان الامراء السناجق الكبراء
له عقل تامّ، ورأيٌ ثاقب واحسان وانعام، وتلطّف وتعطّف واكرام،
وصل الى هذه الخدمة الشاقّة وبذل فيهـا نفسه وماله واظهر تجمّـلـه
وتحمّله واحتماله وقطع مسافة وما بلغ التمام، الى ان وافاه الحِمام، وانتقل
الى رحمة الله تعالى سعيدًا شهيدًا بمرض الاسهال، واقدم على ربّه الكريم
المتعال، فى ليلة الثلاثاء وقت السحر لاربع ليال بقين من جمادى الاولى
سنة ٩٧٦ وصُلّى عليه عند باب الكعبة الشريفة ودُفن فى المعلاة قبالة تربة
الامير ابراهيم الدفتردار على يسار الذاهب الى الابطح وتأسّف النـاس
على فقده وترحّموا عليه واثنوا عليه خيرًا رحمه الله، وخلّف ولدًا صغيرًا
اسمه پير احمد وبنتًا اسمهـا خديجة جبرهمـا الله تعـالى وجعل وصيّه

من اربعة وعشرين قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد الى ان يوصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أُخْرى وهَلُمَّ جرًّا الى ان ينزل فى ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعًا فى العمق فى عرض خمسة اذرع الى ان يستوفى الفى ذراع تُقْطَع على هذا الحكم، وذلك يحتاج الى عُمر نوح ومال قارون وصبر ايّوب وما راى عن ذلك محيصًا فاقدم عليه الى ان فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يُجلب من المسافات البعيدة وغلا سعرُه وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم لذلك وذهبت امواله وخُدّامه واولاده ومماليكه وهو يتجلّد على ذلك الى ان قطع من المسافة الف ذراع وخمسماية ذراع بالعمل وصار كلّما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفًا آخر الى ان اصرف اكثر من خمسماية الف دينار ذهبًا من الخزاين العامرة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقى تجمّلاته وخزاينه ونقوده وفيه جملة من عبيده واسبابه وكان ينوف على ماية الف ذهب فى ابتدآء امره، ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلّفه بمصر احترق عليه كثيراً ثم مات له ولدان مراهقان نجيبان فاضلان اخذا بمجامع قلبه وفتّتا كبده ثم مات كَتْخُدآه وكان بمنزلة امرآه السناجق ثم مات اكثر مماليكه وهو يتجلّد لتلك المصايب العظيمة ويتصبّر عليها ويظهر الجلد فيها الى ان ذهبت قُواه، وما بقى رمقه ولا ذماءه، ونزفه الاسهال، ورَمَتْه الاهوال، وجاءه الاجلُ الذى لا يتقدّم ولا يتأخّر، وان اجل الله اذا جاء لا يؤخّر، فمات غريبًا شهيدًا، ومضى الى رحمة الله وحيدًا فريدًا، فى ليلة الاثنين ثانى رجب المرجّب سنة ٩٧٤ وصُلّى عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدًّا وأسِفَ الناس على فقده لكثرة احسانه ودُفن بالمعلاة على يمين الصاعد

من مكاتل ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك مع الهمّة القوية والاقدام التامّ والاهتمام التمام وعيّن لكلّ طايفة قطعة من الارض لحفرهـا وتنظيف ما فيهـا من الدبول ليظهر فيهـا سَعْيُه واجتهاده وكان يظنّ انه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصَدَده فيما دون عام ويرجع الى الابواب السلطانية لينال المناصب العالية، ويظفر بالمراتب السامية، ويأبى الله الا ما اراد، وما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه من المراد، وألسنة الاقدار تناديه من ورآء الحجاب، كيف الخلاص والى ايـن الذهـاب، واستمرّ على هذا الجدّ والاجتهـاد الى ان اتّصل عمله بعمل زُبَيْدة الى البير لله انتهى عملها اليها ولم يوجد بعده دبل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم ان الخَطْب كبير وان العمل خطير وتحقّق ان القدر الباقى من هذا العمل انما تركته زبيدة اضطرارًا بغير اختيـار وعدلت عنه الى عين حنين وتركت العمل من عند البير لصلابة الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه فانه يحتـاج من بير زبيدة الى دبل منقور تحت الارض فى الحجر الصّوّان طوله الفا ذراع بذراع البنّامين حتى يتّصل بدبل عين حُنَيْن وينصبّ فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الارض فانه يحتاج فى النزول الى خمسين ذراعًا فى العُمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظًا لناموس السلطنة الشريفة، فما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض الى ان يصل الى الحجر الصّوّان ثم يوقد عليه بالنـار مقدار مايـة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة فى مقدار سبعة اذرع فى عرض خمسـة اذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا فى العلوّ لكنّهـا تعمل عملاً يسيرًا جدًّا من جانب السفل فيلين الحجر من جانب السفل مقدار قيراطين

ومساربها والفحص عن احوالها الى ان وصل الركب المصرى وكان امير
الحاج يومئذ افتخار الامرآء الكرام عثمان بيك ابن بكلاربكى اليمن ثم
بكلاربكى الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بيك هذا بكلربكى
الحبشة بعد وفاة والده ثم ترقى وصار بكلربكى اليمن واظهر اليد البيضاء
فى افتتاح مدينة تعز ثم صار بكلربكى لحسا ثم البصرة ثم قره آمد وهو
من البكلاربكية الكرماء العظام المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة
ابقاه الله تعالى ووصل الى مكة قاضيها فى ذلك الموسم مع الركب الشامى.
وهو اعلم العلماء الموالى افضل الفضلاء الاهالى مولانا فضيل افندى ابن
مولانا على چلبى المفتى الجالى وهو من اصلآء العلماء العظام له التصانيف
الحسنة المقبولة وهو الآن اوتراق فى الباب العالى مد الله تعالى ظلال
افضاله وادام مواد عظمته واجلاله وافاض على الطلاب سحايب فضله
وكماله وحج الناس حجة هنيئة وحج الامير ابراهيم فرض حجة وعاد
الحجاج الى اوطانهم فايزين بالغفران والقبول حايزين لكل مطلب ومأمول ،
فشرع الامير ابراهيم فى الكشف عن دبول عين عرفات وضرب اوطاقه فى
الأوجر من وادى نعمان فى علو عرفات وشرع فى حفر قعرها وتنظيف
دبولها بهمة عالية جدا وكانت جملة مماليكه القايمين فى خدمته نحو
اربعماية مملوك فى غاية الجمالة والرشاقة والحذاقة واللباقة اقامهم فى هذا
العمل من الاوجر الى مزدلفة وكتب نحو الف نفس من العمال والبنائين
والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام
وحلب واسطنبول ومن بلاد اليمن طوايف بعد طوايف من المهندسين
وخدام العيون والابار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين
والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم واتى بآلات العمارة صحبها معه من مصر

العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن بن ابى نمىّ صاحب
مكة ادام الله تعالى عزّه وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأبدى
له الاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه
وآلفه واقبل كلٌّ منهما على الآخر كمال الاقبال وتحادثا بغاية الادب
والاجلال واستمرّ معه الى ان فارقه من باب السلام فدخل المسجد
الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرمًا بالحجّ وسَعَى ما بين الصّفا والمروة
وعاد الى مجمع قايتباى وهو المحلُّ الذى عُيّن لنزوله فيه ومُدّ له من قبل
مولانا السيد حسن مدّ الله تعالى ظلال سعادته سماطٌ عظيم جميل
كبير فجلس عليه واكل منه هو وخواصّه واذن لاهل الرباط والفقرآء
والفقهاء وعامّة الناس فاكلوا وحملوا وفُضل شئ كثير وامر بتفريقه على
الفقرآء وألبَس الذى مدّ السماط قفطانًا من السراسر العال واعطاه ذهبًا
كثيرًا ، ثم جاء للسلام عليه سيدُنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين
وكبير البلدَيْن المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد
السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين القاضى حسين الحسينى
ادام الله عزّه واقباله وخلّد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الامير
ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه اموره واحواله واستشاره فى
ساير ما بدا له فاشار اليه بالارآء الصايبة واعلمه بما ينبغى رعايته ويُرعى
جانبه وما تجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ، فاوّل ما
بدأ به الامير ابراهيم تنظيف بعض الابآر التى يستقى الناس منها
واخراج ترابها وزيادة حفرها ليكثر مآءها وحصل للناس بذلك رفق
كثير وشرع فى جميع ما يحتاج اليه من عمله وتوجّه للكشف عنه الى
اعلا عرفات وكثر تردُّده اليها وتفطُّنه لمجاريها ومثاقبها ومشاربها

الكوثر زلالًا باردًا يطفىء كل أُوام وأُوار، وكان يومئذ قد عُزل من مَنْصب الدفترداريّة وأُمر بالتفتيش عليه عن ايام دفترداريته فعُفِىَ من التفتيش وأَعْطَتْه السلطانة خمسين الف دينار ذهبًا بزيادة عشرين الف ذهب على ما ضمّنوه ليَصْرفها فى عمل هذه العين، فتوجّه من البحر الى مكّة المشرفة بتجمّل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكلاربكية وكان ذا همّة عالية واقدام عظيم واهتمام تامّ وكرم نفس وشهامة وحُسن تدبير ومعرفة وفطنة وحذاقة وكان بينى وبينه سابقة اجتماع وما رايتُ احدًا من الامرآء والوزرآء والبكلاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم اجمل نظامًا ولا احسن ترتيبًا وانتظامًا ولا ادقّ فكرًا ولا اعلا همّة ولا اصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبَوّأه الفردوس الاعلا وارضى عنه خُصَمَآءه يوم القيمة، وكان وصوله الى بندر جُدّة المعمورة فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى القعدة سنة ٩٧٩ فتوجّهت الى ملاقاته لسابق احسانه الىّ فرايتُهُ نزل بوطاقه من خارج جُدّة من الجهة الشامية فقابلنى بالاجلال والاكرام وركب من جُدّة الى سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى نجم الدنيا والدين محمد بن ابى نُمَىّ خلّد الله تعالى سعادته وأبّد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلاً فى مَرّ الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومدّ له سماطًا عظيمًا ولاطفه وواكله واكرمه وباسطه وجابره فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطانى وبذل الهمّة والجهد فى اتمام المهمّ المنيف الخاقانى وانه يقوم بذلك بنفسه وولده واتباعه وخدمه ثم ركب من عنده مجبور الخاطر مسرور الفُؤاد وتوجّه الى مكة المشرفة فلاقاه عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف

مكة مبنى ايضًا الا انه خاف تحت الارض واستغنى عنها بعين حنين وتُركت هذه ونُسيت وطُمّت وغُفِلَ عنها هكذا ظنّوا وخمّنوا انهم اذا تتبّعوا عين عرفات من اولهـا من الأَوْجَر الى نَعْمـان ثم الى عرفة ثم الى مزدلفة ثم الى بير زبيدة واصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وبنوا مـا وجدوا منها منهدمًا ورمّوا الباقى احتاجوا الى ثلاثين الف دينار ذهبًا جديدًا وذرعوه وقاسوه فكان من الأَوْجَر الى بطن مكة خمسة واربعين الف ذراع بذراع البنّائين الآن وهو اكبر من الذراع الشرعى بقدر رُبعه وهذا الذى تخيّلوه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم يُوجَد فى كُتُب التاريخ وانّمـا أدّاهم الى ذلك مجرّد الظـنّ بحسب القَرَاين وعرضوا ذلك الى الباب الشريف السلطـانى فى اوايـل سنة ٩٦٩ فلمّا وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية التمست صاحبة الخيرات، الكليلة المخدّرات، تاج المحصنـات، ملكـة الملكات، قدسيّة الملكات، عليّة الذات، صفيّة الصفات، ذات العُلا والسعادات، حضرة خانم سلطان، كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان، ان يأْذَنَ لها فى عمـل هذا الخير حيث كانت صاحبة الخير اولاً أُمّ جعفر زُبَيْدة العبّاسيـة فناسب ان تكون هى صاحبة هذا الخير فأَذن لها فى ذلك، فاستشارت الحضرة السلطانية وزرآء ديوانهـا الشريف العالى فيمَنْ يصلح لـهـذه الخدمة فاتّفقت ارآءهم الشريفة على ان هذه الخدمة لا يقوم بـهـا الا دفتردار ديوان مصر الامير الكبير المعظم فايض الجود ذو الفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعِلم والعَلَم ابراهيم باشا بن تغرى وردى المهمندار، بَوّأَهُ الله جنّات تجرى من تحتهـا الانهار، وسقاه من حوض

وعرض فی امر العین احوالاً يجب عرضها فاجيب الی كلّ ما سال فيه وعاد مجبورًا الى مصر ثم ركب من بندر السُّوَيْس الى مكة فغرق فی بحر القُلْزم شهيدًا وما غرق الا فی بحر رحمة الله تعالی وما مات بل هو حیٌّ عند الله تعالی وكانت وفاته الی رحمة الله تعــالی فی سنة ٩٣٧ واستمرّت عين حنين جارية الى مكة لكنّها تقلّ تارة وتكثر اخری بحسب قلّة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجری من نعمان الى عرفات الى ان صارت عرفات بساتيــن وغرس بهــا الغروس وصارت مرجة خضرآء تنجلی كالعروس الی ان قلّت الامطــار ويبست العيون ونزحت الآبار فی سنين متعدّدة من سنة ٩٦٥ ومــا بعدها وكانت سنوات تقارب سنی يوسف شدادًا عجافًا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانهــا لم تنقطع الا انهــا قلّ جريانهــا فی تلك السنوات فلمّا عرضت احوال العيون الی الابواب الشريفة السلطانيــة السليمانية التفت الخاطر العاطر السلطانی، وتوجّه العطف الشريــف العثمانی، الی تداركُ ذلك بایّ وَجْه يكون، وامر بالفحص عن احــوال العيون، وكيف يمكن اجرآءهــا الى بلد الله الامين المامون، فاجتمع المرحوم عبد البــاقی بن علی العربی قاضی مكة يومئذ والامير خير الدين خضر سنجق جُدّة المعمورة حينئذ وغيرهمــا من الاعــيــان وتفحّصوا وداروا وتأمّلوا واستشاروا فاجمع رايهم علی ان اقوی العيــون عين عرفات وطريقهــا ظاهرة ودبولهــا مبنيّة الى بير زبيدة خلف منًى وان الذی يغلب علی الظنّ ان دبولها من بير زبيدة الی مكة مبنية ايضا وانها مخفية تحت الارض وانهــا يحتاج الى الكشف عنهــا والحفر الى ان تظهر لان زبيدة لمّا بَنَت الدبول من عرفة الى بيرها المشهورة خلف منًى لله جميعهــا ظاهر علی وجه الارض فالباقی ايضًا من ذلك المحلّ الى

بدينـار ذهب والفقرآء يصيحون من العطش يطلبون من المـاء ما يبلّ حلوقهم فى ذلك اليوم الشريف فشرب اهلنا بعض تلك القربة وتصدّقوا بباقيه على بعض من كان مضطرًّا من الفقرآء وعطشتُ عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والنـاس واقفون تحت جبل الرحمة فصـاروا يشربون من السيل من تحت ارجلهم ويسقون دوابّهم وحصل البكـاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج فى وقت الوقوف لمـا راوا من رحمة الله تعـالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرُّمه عليهم ولا ازال اتذكّر تلك الساعة وما حصل بها من اللطف العظيم، من كرم الله العميم، وارجو به كرم الكريم، واتحقّق انه الغفور الرحيم، الذى ينزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا ، وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمـانيـة باصلاح عين حنين واصلاح عين عرفات وعيّن لها ناظرًا اسمه مصـلـح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده فى عمارتهمـا واصلح قناتهما الى ان جَرَتْ عين مكة ودخلَتْها وخرجت من اسفلها من بركة ماجن واصلح عين عرفات واجراهـا الى ان صارت تملأ البرك بعـرفات وذلك فى سنة ٩٣١ وصار الحجـاج يَرْوَوْن من ذلك المـاء العذب الفرات، بعد ذلك العطش الشديد فى يوم عرفات، ويدعون لمن كان سببـًا لاجرآء هذه الخيرات ، ثم اشترى ناظر العين عبيـدًا سـودًا من مـال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزاين السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج اتربتها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دايمًا وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة ، ثم توجّه چلبى مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانـيـة

قايتبــاى رحمه الله وعمر عين عرفات فاجراهـــا الى ارض عرفات وعمر عــين حنين الى ان جرت الى مكة وعمر عين خُلَيْص وحصل بهـا الرفـــق للحُجّــاج واهل البلاد ودعوا له واثنوا عليه بذلك وباحساناته، وكثرة خيراته، ضاعف الله تعالى اجره ومثوباته، وذلك بمباشرة الامير يوسف الجالى واخيه الامير سُنْقر الجالى رحمهما الله تعالى فى سنة ٨٧٥ ثم عمر عين حنين آخر ملوك الجراكسة السلطان قانصوه الغورى رحمه الله تعالى فى عام ٩١٦ على يد الامير خيربك المعمار رحمه الله الى ان جرت وملات برك الحجاج فى المعلاة ثم جرت الى بازان ثم الى بركة ماجن فى درب اليمن من اسفل مكة وارتفق النـــاس بذلك، ثم انقطعت فى اوايل الدولـــة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون لقلّة الامطار وتهدّمت قنواتهـــا وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصـــار اهل البلاد يستقون من الابآر حول مكة من ابيار يقال لهـــا العُسَيْلات فى عُلُوّ مكة قريب من المُنْحَنا ومن آبار فى اسفل مكة من مكان يقال له الزاهر ويسمّى الان بالخوخى فى طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدّمت قنواتها وكان الحجــاج يحملون المــاء الى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج فى يوم عرفة لا يطلبون شيئـــا غير المـــاء لعزّته ولا يطلبون الزاد وربّمـــا جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون اموالاً من ذلك لغُلُوّ ثمنه وانى اذكر ان فى سنة ٩٣٠ قلّ الماء فى الابآر البعيدة ايضًا فارتفع سعْر المـاء جدًّا فى يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقًا فى خدمة والدى رحمه الله وفرغ الماء الذى كنّا حملناه من مكة الى عرفات وعطش اهلنا فتطلّبت قليلاً من الماء للشرب فاشتريت قربة ماء صغيرة جدًّا يحملهـــا الانســـان باصبعه

انتظام سلطنتهم وقوّة مكنتهم فتجرى تارة وتنقطع اخرى واستمرّ الحال على هذا المنوال، فمن عمّرهـا صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفـر الدين كجك كوكبورى بن على فى سنة ٥٩٤ وكوكبورى معناه بالتركى الذيب الازرق وكان كثير الخير والاحسـان جدًّا وله ترجمة واسعة فى وفيات الاعيان لقاضى القضاة احمد ابن خلّكان رحمه الله تعالى ذكر له اوصافًا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرهـا من جزيل الخيرات، ثم عمّرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور فى سنة ٦٠٥ ايضًا ثم عمرها بعد ذلك امير المومنين المستنصر بالله العبّاسى فى سنة ٦٢٥ ثم فى سنة ٦٣٢ ثم فى سنة ٦٣٤ كما وجدت ذلك مكتوبًا فى نصب حجارة مبنيّة فى قرب الموقف الشريف بعرفات، ثم بعد ماية عام تقريبًا عمّر عين حنين الامير جوبان نايب السلطنة بالعراقَيْن فى ايام السلطان ابى سعيد خدابنده فى سنة ٧٢٦ فاجرى عين حنين الى مكة وعمّ نفعها لاهل مكة فانهم كانوا فى جَهْد عظيم لقلّة الماء فرحمهم الله بذلك ورحم الله تعالى اهل الخير، ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن بن عجلان جدّ ساداتنا اشراف مكة الآن ابقاهم الله تعالى وادام عزّهم وسعادتهم مَدَى الزمان، وكان من اهل الخير والاحسان، اجزل الله ثوابه فى الجنان، وكان تعميره لها فى سنة ٨١١ فجَرَتْ وانفجرت ونفعت وانبلجت وكثر الدعاء له من اهل البلاد والحجاج والعباد تقبّل الله منه صالح اعماله، ثم انقطعت ولقى الناس شدّة عظيمة لذلك الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيّد ابو النصر شيخ المحمودى فى سَنة ٨٢١ هكذا ذكره التقى الفاسى رحمه الله، ثم عمرها وعمر عين عرفات ايضا بعد ذلك من ملوك مصر الجراكسة الملك الاشرف

جميعها الى ان وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة، ثم انها امرت باجرآء عين وادى نَعْمان الى عرفة وهى عين منبعُها دبل جبل كَدآء وهو جبل شامخ جدًّا اعلاه ارض الطايف مسيرة نصف نهار من اسفله الى اعلاه من صعد فيه او نزل منه مَرّةً لا يعود اليه لوُعُورة مرقاه وصعوبته وتنصبّ من دبل جبل كداء فى قناة الى موضع يقال له الأَوْجَر من وادى نَعْمان وتجرى منه الى موضع بين جبلين شاهقين فى عُلُوّ ارض عرفات فيها مزارع ولشعرآء العرب تشوّقات وتغزّلات فى وادى نعمان وفيه يقول القايل

ايا جَبَلَىْ نعمان بالله خلّيا نسيم الصبا يخلص الىّ نسيمها،

فعملت القنوات الى ان جرى ماء عين نعمان الى ارض عرفة ثم اديرت القناة بجبل الرحمة محلّ الموقف الشريف الاعظم فى الحجّ وجعلت منها الطُرق الى البرك الّتى فى ارض عرفات فتمتلى مآءً يشرب منه الحجّاج فى يوم عرفة ثم استمرّ عمل القناة الى ان خرجت من ارض عرفات الى خلف جبل من ورآء المازمَيْن على يسار العايد من عرفات ويقال له طريق ضابّ بالضاد المعجمة المفتوحة فالالف بعدها باء موحدة مشدّدة وتسمّى الآن عند اهل مكة المُظْلمة بضمّ الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التانيث ثم تتصل منها الى المزدلفة ثم تستمرّ الى جبل خلف مِنًى فى قبليّها ثم تنصبّ الى بير عظيمة مطوية باحجار كبيرة جدًّا تسمّى بير زبيدة اليها ينتهى عمل هذه القناة وهى من الابنية المهولة ممّا يتوهّم انه من بناء الجنّ، ثم صارت عين حُنَيْن وعين عرفات تنقطع لقلّة الامطار وتتهدّم قنواتهما وتخربهما السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك ارسلوا وعمّروهما عند

الحرم وانفقت على عملها الف الف وسبعماية الف مثقال من الذهب فلمّا تمّ عملها اجتمع المباشرون والعمّال لَدَيْها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما اصرفوه ليخرجوا من عُهْدة ما تسلّموه من خزاين الاموال وكانت فى قصر عالٍ مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر منهم ورَمَتْها فى بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شىء من بقية المال فهو له ومن بقى له شىء عندنا اعطيناه والبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين، وبقى لها هذا الاثر العظيم فى العالمين، رحمها الله تعالى واسكنها الفردوس فى اعلا علّيّين، وكانت هذه العين تَرِدُ الى مكة وينتفع الناس بها ومنبع هذه العين فى ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف وبعدها دال مهملة من جبال الثنيّة من طريق الطايف وكان يجرى الماء الى ارض يقال لها حُنَين يُسْقَى بها نخيل ومزارع مملوكة للناس واليها ينتهى جريان هذا الماء وكان يُسَمّى حايط حنين يعنى بساتين حنين وهو موضع غزا فيه النبى صلعم المشركين ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور فى كُتُب سير النبى صلعم، فاشترت زبيدة هذا الحايط وابطلت تلك المزارع والنخيل وشقّت له القناة فى الجبال وجعلت لها الشحاحيذ فى كلّ جبل يكون ذيله مظنّة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متّصلة الى مجرى هذه العين فى محاذاتها يَحْصُلُ منه المدد لهذه العين فصار كلّ شحاذ عينًا تساعد عين حُنَيْن منها عين مُشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقى وعين ثقبة والجُرَيْنات، وكلّ مياه فى هذه العيون تنصبُّ فى ذيل عين حنين ويبطل بعضها ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على امّ احدى هذه العيون او على

والمشايخ من اهل الحرمين الشريفين ومن اهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرًا كثيرًا اخرجه من خزاينه الشريفة وذلك من جوالى مصر وحدها غير جوالى الشام وحلب وغيرهما من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يُصْرَف على الفقرآء والعلماء والمشايخ من محصول المملحة فى ساير ممالكهم المحروسة وغير ما تَصْرِفه ملوك بنى عثمان من ريع اوقافهم وزوايدها وغير ما يخرجون من خزاينهم العامرة فى وجوه الخيرات والصدقات واطعمة العمارات بحيث لا يُحْصَى مقدارها ولا يستقصى انحصارها وناهيك بكثرة هذه المصارف فى وجوه الخيرات والعوارف ولم يعهد مثل كثرة هذه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظماء الكرام الحنفاء فى زمن من الازمان، فى دولة ملك او دور سلطان، فالله تعالى يُبْقى هذه الدولة الشريفة الباهرة، والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة، الى ان تنقضى الدنيا وتقوم الآخرة ٥

ومن خيراته الدارة اجرآء العيون ومن اعظمها اجرآء عين عرفات الى مكة المشرفة ٥ وسبب ذلك ان العين التى كانت جارية بمكة هى عين حُنَيْن وهى من عمل أمّ جعفر زُبَيْدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد واسمها أَمَة العزيز وكان جدّها المنصور يرقّصها وهى طفلة ويقول انت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من اهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن منها اجرآء عين حُنَيْن الى مكة المشرفة وأَصْرَفت عليها خزاين اموال الى ان جَرَتْ الى مكة وهى وادٍ قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بانها وادٍ غير ذى زرع ٥ فنقبت أمّ جعفر زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من ارض الحلّ الى ارض

سلطانية وتذاكر باشوية وتقريرات من القضاة ونظّار الحرم الشريف واستقرّ الحال على ذلك واستمرّ الى آننا هذا والى ما بعد ان شاء الله تعالى وهذا ايضًا احسان عظيم وخير جميل عميم صار سببًا لمعاش اهل الحرمين الشريفين وتقوّتهم ومادّة لحياتهم وتعيّشهم واودهم وقوّتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول فى الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحّم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا احسان لم يُعْهَد فى زمن السلاطين السابقة ولا ايام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباى رحمه الله بعد ما حجّ بيت الله الحرام وزار المدينة المنوّرة على صاحبها أفضل الصلوة والسلام فانه وقف على اهل المدينة المنورة ضياعًا وقُرى يَصِل ريعها الى الآن لاهل الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق ايضا اوقاف يصل منها شئ دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت اوقافهما الى الخراب وضعف ريعُها جدًّا ۔ واما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوايد ويحصل منها النُّمُوّ وعليها مَدار معيشة اهل الحرمين الشريفين عمّرها الله تعالى وانماها وعمّر عُمر مَنْ عمّرها وزكّى عمل مَنْ زكّاها ۔ ومنها صدقات الجوالى وهى جمع جالية ومعناه ما يوخذ من اهل الذمّة فى مقابلة استمرارهم فى بلاد الاسلام تحت الذمّة وعدم جلائهم عنها وهى من احلّ الاموال ان أُخذت على وجهها المشروع ولأجْل حلّها جُعلت وظايف للعلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شئ قليل جدًّا فى ايام الجراكسة لبعض المشايخ فلمّا كانت ايام سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نوّر الله تعالى مَرْقَدَه وخصّه بالرحمة والرضوان اخرجها من خزاينه العامرة بالتدريج الى العلماء

والخلفاء والملوك غيرهم على اهل الحرمين الشريفين، والصدقات وان كانت تَرِدُ من السلاطين وغيرهم لكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول فى محلّها وتعميم الناس بهاء وكانت للخلفاء العبّاسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت تَرِدُ مَرّةً فى العمر او عند وصول خليفة منهم الى الحجّ وما تحقّقنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذى شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلّد الله سلطنتهم الى انتهاء الزمان، وهذه بركة جزيلة، ونعمة كبيرة جليلة، يتميّزون بها على غيرهم فالله تعالى يديم ذلك على جيران بيته الحرام، وجيران نبيّه افضل الانام، عليه افضل الصلوة والسلام، بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام، المخلّد ذكر جميلهم فى صفحات الايام، ابقاهم الله تعالى الى يوم القيام، ومنها صدقة الحبّ وقد تقدّم ان المرحوم المقدّس السلطان سليم خان الاول اوّل من تصدّق بارسال صدقة الحبّ الى اهل الحرمين الشريفين عند افتتاح بلاد العرب واخذه لاقليم مصر والشام وحلب واستمرّت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان وكانت تُرسَل من انبار الخاصّ السلطانى فافرد لها السلطان سليمان قُرًى بمصر واشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلّتها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب بذلك كتاب وقف حكم بصحّته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالى وجعل من ريعها الفًا وخمسماية اردب بالكيل المصرى لاهل مكة المشرفة وخمسة الاف اردب لاهل المدينة المنوّرة يجهّزها فى كل عام من مصر الناظر المتوليّ على ذلك ثم ضاعفها وجعل فى كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة الاف اردب ولاهل المدينة المنورة الفَىْ اردب واستمرّت تَرِدُ كل عام وتوزّع على اهل الحرمين حسب دفتر مقرّر باحكام شريفة

فصل فى ذكر بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان، وخيراته وصدقاته الجارية الحسان، فى جميع البُلدان، سيّما فى بلد الله الحرام، وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام، عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام، اعلم ان الخيرات والمبرّات، والمساجد والعمارات، والمدارس والخانقاهات، واجرآء العيون وبنـاء القلاع والخانات، وغير ذلك من انواع الخيرات، فى كل الجهات، التى انشاها المرحوم السلطان سليمان رحمه الله تعالى كثيرة جدًّا لا يمكن حَصْرُها، ولا يدخل تحت حيطة البيان ذكرُها، ولا يَسَعُ هذا الكتاب شرحها وسَبْرها، لكنّا نذكر مجملاً من ذلك فما لا يُدْرَك كلُّهُ، لا يُتْرَك كلُّهُ، ونذكر خيراته فى الحرمَيْن الشريفَيْن، ونُحيل ما عداها الى السماع والمشاهدة برأى العَيْن، فمن ذلك الصدقة الرومية التى هى الآن مادّة حياة اهل الحرمين الشريفين وبها معايشهم وقيام اودهم، وسبب بقاءهم ومددهم، فانهـا وان كانت قديمة متواصلة من زمن آباءه السلاطين العظام، واجداده الملوك الكبار الفخام، الا ان المرحوم السلطان سليمان هو الذى زادها وضاعفها، وانماها وكثّرها وقرّرهـا، واضاف اليهـا من خزاينه الخاصّة مبلغًا كثيرًا فهى تَرِدُ ولله الحمد فى كلّ عام بدفتر محفوظ مضبوط وامين وكاتب يقسمه فى الحرم الشريف، تجاه بيت الله المطهّر المنيف، وتُقرا الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقهاء والفقرآء والعلماء والصلحاء بالدُّعاء بدوام دولة سلطان الزمان، والرحمة والرضوان على آباءه واجداده من آل عثمان، ويفرق عليهم حسب الدفتر السلطانى، المرسوم بالنشان الشريف العثمانى، فيصرفون ذلك الى قضاء ديونهم، فان فضل اصرفوها فى حجّهم وكساويهم، وانفقوها على عيالهم واولادهم، ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين

يا نفس فاتّئدى لا تهلكى أسفا   فانت منظومة فى سلك معذور
اذ لست مامورة بالمستحيل ولا   بما سوى بذل مجهود وميسور
ولا تظنّنه قد مات بل هو ذا   حىّ بنصّ من القرآن مزبور
له نعيم وارزاق مقدّرة   تجرى عليه بوجه غير مشعور
ان المنايا وان عمّت محتّمة   على شهيد جميل الحال مبرور
مرابط فى سبيل الله مقتحم   معارك الحتف بالرضوان ماجور
ما مات بل نال عيشا باقيا ابدا   عن عيش فان بكل الشرّ مغمور
ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة آ   لدّنيا فاعظم بربح غير محصور
بل حاز كلتيهما اذ حلّ منزله   من لم يغايره فى امر ومأمور
اما ترى ملكه المحمىّ آل الى   سرّ سرىّ له فى الدهر مشهور
ولىّ سلطنة الآفاق مالكها   برّا وبحرا بعين اللطف منظور
ظلّ الاله ملاذ الخلق قاطبة   وملتجى كلّ مشهور ومدهور
فانّه عينه فى كلّ مأثرة   وكلّ امر عظيم الشان مأثور
ولا امتياز ولا فرقان بينهما   وهل يميّز بين الشمس والنّور
سميدع ماجد زادت مهابته   تخت الخلافة فى عزّ وتيقور
جدّ الجديدان فى ايام دولته   صارا كانهما مسك بكافور
اضحى بقبضته الدنيا برمّتها   ما كان من مجهل منها ومعمور
بدا بطلعته والناس فى ركب   وسوء حال من الاحوال منكور
فاصبحت صفحات الارض مشرقة   وعاد اكنافها نورا على نور
سبحان من ملك جلّت مفاخره   عن البيان بمنظوم ومنثور
كانّها ويراع الواصفين لها   بحر خميس الى منقار عصفور
لا زال احكامه بالعدل جارية   بين البريّة حتى نفخة الصور

فمن كئيب وملهوف ومن دنف عانٍ بسلسلة الاحزان مأسور
فياله من حديث موحش نكر يعافه السمع مكروه ومنفور
تاهت عقول الورى من هول وحشته فاصبحوا مثل مجنون ومسحور
تقطّعت قطعاً منه القلوب فلا يكاد يوجد قلب غير مكسور
اجفانهم سفن مشحونة بدم تجرى ببحر من العبرات مسجور
اتى بوجه نهار لا ضياء له كانه غارة شنّت بديجور
ام ذاك نعى سليمان الزمان ومن قضت اوامره فى كلّ مأمور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابته وسخّرت كلّ جبّار وتيهور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها خليفة الله فى الآفاق مذكور
معلى معالم دين الله مظهرها فى العالمين بسعى منه مشكور
وحسن رأى الى الخيرات منصرف وصدق عزم على الالطاف مقصور
بآية العدل والاحسان ممتثل بغاية القسط والانصاف موفور
مجاهد فى سبيل الله مجتهد مؤيّد من جناب القدس منصور
بلهذمى الى الاعداء منعطف ومشرفى على الكفّار مشهور
وراية رفعت للمجد خافقة تحوى على علم بالنصر منشور
وعسكر ملأ الآفاق محتشد من كلّ قطر من الاقطار محشور
له وقايع فى الاكناف شايعة اخبارها زبرت فى كلّ طامور
يا نفس ما لك فى الدنيا مخلّفة من بعد رحلته عن هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة اليس جثمانه فيها بمقبور
حقّ على كلّ نفس ان تموت اسًا لكنّ ذلك امر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدّرة تاتى على قدر فى اللوح مسطور
وليس فى شانها للناس من اثر ومدخل ما بتقديم وتاخير

السلطان سليمان وحُنّط وكُفّن وانشد لسان الاعتبار

انظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

ووُضع فى تابوت وحُمل على الاعناق، وقد قلّدها فى حياته قلايد نعم حلّت محلّ الاطواق، وهو ممّن يليق ان يُنْشد فيه

كم قلت للرجل المولّى غسّله هَلّا اطاع وكنت من نصحائه
جنّبْه ماءك ثم حنّطْه بما نزفت عيون المجد عند بكائه
وازِلْ افاوية الحنوط ونحّها عنه وحنّطْه بطيب ثنائه
ومُر الملايكة الكرام بحمله فلطالما حَمّلن من نعمائه،

واستمرّ محمولًا الى ان اتوا به الى اسطنبول وخرج الى استقباله جميع العلماء والموالى العظام، والمشايخ الأتْقياء الكرام، وساير اصناف الانام، وبكوا عليه بكاء طويلًا، واكثروا نحيبًا وعويلًا، وصلّوا عليه وأمّهم فى صلوة الجنازة المفتى الاعظم مولانا ابو السعود افندى عالم بلاد الاسلام، ودُفن فى تربة اعدّها لنفسه رحمه الله تعالى، ورثاه الشعرآء بكلّ لسان، بقصايد طنانة سارت بها الركبان، اعظمها واحسنها قصيدة المفتى المذكور وهى طويلة حذفت بعضها رَوْمًا للاختصار، واثبتّ مختارها بحُسن الاختيار، وهى

أصَوْتُ صاعقةٍ ام نفخة الصُّور فالارض قد مُلِئَت من نَقْر ناقور
اصاب منها الوَرى دهياء داهية وذاق منها البرايا صعقة الطُّور
تهدّمت بُقْعة الدنيا لوقعتها وأنهدّ ما كان من دُور ومن سور
امسى معالمها تيماء مقفرة ما فى المنازل من دار ودَيُّور
تصدّعت قُلَل الاطواد وارتعدت كانّها قلب مرعوب ومذعور
واغبر ناصية الخضرآء وانكدرت وكاد تمتلئُ الغَبْرآء بالنُّور

حملة واحدة بغاية التيقظ والانتباه، غير مبالين بموت ولا حياة، موقنين بان لا مفرّ مما قدره الله، وتعلّقوا باطراف القلعة واقتلعوها من ايدى الكفار، وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار، وقُتل منهم من قُتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار، وافتتحت قلعة سكتوار، ورُفعت الراية الشريفة السلطانية السليمانية على اعلا منار، ووُضعت السيوف فى جميع الكفار الفجار، وقتلوهم وساقوهم الى جهنّم وبئس القرار، وعند وصول خبر الفتح على السلطان سليمان، فرح وحمد الله على هذه النعمة والاحسان، واستسلم لربّه وقال طاب الموت الآن، وانتقل من سرير ملك الدنيا الى سُرر مرفوعة فى اعلا الجنان، واخفى حضرة الوزير الاعظم محمد باشا وفاة حضرة السلطان، وخرج من عنده وفرق الجوايز السنية والانعامات، واعطى الامرآء والبكلاربكية الترقيات، وامر بارسال البشاير الى ساير الاطراف والجهات، وارسل سرًّا يستدعى السلطان سليم خان الثانى، ويستعجله فى سُرعة الوصول الى التخت الشريف العثمانى، وكتم ذلك عن جميع الخواصّ والخُدّام، وعن جميع العسكر والامرآء والوزرآء وساير الانام، واحسن التدبير فى هذا الكتم، وهو من اللازم الحتم، فى الامور العظام، واستمرّت امور المملكة فى غاية الانتظام، واحوال العسكر المنصور السلطانى فى اعلا درجات النظام، وهم فى ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام، وذلك من كمال العقل التامّ، والراى الصايب الثاقب التمام، الى ان وصل ركاب حضرة السلطان سليم، الى مقرّ تخته الكريم، واذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى اوطانها، ومقرّها ومكانها، وعاد مع اركان دولته، ووزرآء سلطنته، وبقية عسكر بابه العالى الى القسطنطينية العظمى، كما سياتى تفصيله ان شاء الله تعالى، وغُسّل المرحوم

والفرسان والشجعان المخبورين، من اظهر بشجاعته اليد البيضاء اية للناظرين، وطلب من الله تعالى النصر وهو خير الناصرين، وعند اشتداد الحرب والقتال، وتصادم الابطال تصادم اطواد الجبال، اذ غلب على السلطان توعّكه وسقمه، فاشتدّ عليه مرضه وألمه، وغمرته غمرات الموت، ولاحت عليه امارات الفوت، وهو يلهج الى الله المجيب، ويتضرع الى جنابه الرحيب، لطلب الفتح القريب، ويسال من الله الظفر والتاييد، على اخذ الكافر العنيد، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وحقق بحصول المراد رجاءه، واضطرمت النار، فى خزينة بارود الكفار، وهى مخزونة بقلعة سكتوار، وكانوا أعدّوها لقتال المسلمين واكثروا منها لتكون موفّرة عندهم فاصابها شرر من النار، بتقدير الله القدير القهّار، فاخذت جانبًا كبيرًا من القلعة رفعته الى عنان السماء، وزلزلت الارض زلزلة هايلة الى تخوم الماء، وتطايرت جلاميد الصخار الى الهوى، ورمت شرارًا ولهبًا ودخانًا الى ان امتلأ الفضا، فضعفت بذلك طايفة الكفار، وعذّبهم الله بالنار قبل عذاب النار، وتزاحم المجاهدون فى سبيل الله، معتمدين على نصر الله، بآلات الحرب والجهاد، وصدق النيّة والاعتقاد، واشتدّ القتال والجلاد، ورمى الكفار بمدافع اقوى من الصواعق، واخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق، وثبت المسلمون واقدموا على النيران، وهم كالاطواد الراسخة بقوّة الجنان، لم يتأوّه احدهم والنار تحطمه وتدفعه، ولم يبال على اىّ جنب كان فى الله مصرعه، وتقدم الجيش المنصور، وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور، يوم النشور، والمدافع تتهادى كما تتهادى الشهب، وتترامى بالاحجار كما تترامى بوارق السحب، وتوجّهت المسلمون توجّهًا خالصًا لوجه الله، وحملت على الكفار

كالرياح الخوافق، واختطفت ابصارهم ببوارق الاسياف الصواعق، وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة ٩٣٤ واستمر يموج بجيوشه كالبحر المواج، ويفيض احسانه على كل فقير محتاج، كالغيث الثجاج، وهو يقطع المراحل والمنازل، ويسلك فجاج المسالك والمناهل، الى ان قطع الانهار الغزار، والمياه العظيمة الكبار، بجسور محكمة بنيت عليها، وسفاين كالاطواد غرقت فيها، لتدعم الجسور اليها، الى ان امكن تعدية ذلك الخميس العرمرم، ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم، ونزلوا بعد الحط والترحال، ومعاناة الاهوال، على قلعة سكتوار، من اعظم قلاع الكفار، وهي اعظم قلاع دمشوار، فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق، وداروا عليها دوران الافلاك على الافق، وهي مدينة حصينة، واسعة شاسعة مكينة، راسخة البناء، في حضيض الماء، شامخة الهواء، الى عنوان السماء، في غاية العلو والتحصين، واعلا درجات الاستحكام والتمكين، واقوى ما بيد الكفار من المكان الحصين، كانها في الارتفاع والشهوق، تناطح النطح وتعاوق العيوق، وكان بريق نيرانها لمعان البروق، عند الخفوق، مشحونة بآلات الحرب والمدافع، مملوءة بالمكاحل الكبيرة والمقامع، موسومة بجيوش النصارى وابطالهم، مرسومة بفتيانهم الشجعان من رجالهم، فحصرهم عسكر الاسلام وحاصروهم، وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم، وناوبوهم القتال وناوشوهم، وصالوا عليهم وحاشوهم، فتحصن الكفار في قلعة سكتوار، ورموا على المسلمين بمقامع النار، فتترس المسلمون بالمتاريس، وهجموا على الكفرة المناحيس، وحمي الوطيس، وتحمس الجيش الخميس، واقدم من الابطال المشهورين،

العين بالسعادات الباهرة السنيّة على تخت الخلافة البهيّة بدار الاسلام القسطنطينية لا زالت بسيوف السلطنة الشريفة العثمانية محروسة محميّة إمين وذلك فى سنة ٩٩١

الغزوة الثالثة عشرة غزوة سكتوار، وهى آخر غزواته الكبار، لمّا كان دأب هذا السلطان الاعظم المجاهد فى سبيل الله ونصرة دين الاسلام، كدأب آبائه واسلافه العظام، ولكلّ أمرء من دهره ما تعوّد، وعادة الجهاد فى سبيل الله اعظم ذخراً عند الله واعوَد، تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد، واشتاقت الى قتال الكفار الفجار، وصمّمت على السفر الى بچ ودمشوار، وكان مزاجه الشريف متوعّكاً باستيلاء مرض النقرس عليه ويتألّم بذلك المًا شديدًا ويتصبّر صبر الرجال، ويُظهر للناس غاية التجلّد والاحتمال، فنعه عن السفر رئيس الاطبّاء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القُوصُونى المصرى وكان من اجذق الحُذّاق، وافضل الفضلاء فى ساير العلوم على الاطلاق، اديبًا اريبًا، كاملاً لبيبًا، طبيبًا حبيبًا، بينى وبينه ملاطفات ومراسلات ادبيّة ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغضّ من رياضها، وتقتطف ازهار المفاكهة من اكمام اغصان غياضها، برّد الله تعالى مَضْجَعَه وانزل عليه من زلال رحمته سَلْسَبيلاً، وسقاه فى الجنّة كاسًا كان مزاجها زنجبيلاً، فلم يمتنع السلطان المرحوم عن السفر، ولم يطع الطبيب فيما ذكر، وقال له أُريد ان اموت غازيًا، وابذل روحى فى سبيل الله مجتهداً ساعيًا، فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده، وراياته المقرونة بالنصر وبنوده، والظفر يقدمه، والسعد يخدمه، وانقضّ كالشهاب الثاقب، وكالحسام القاطع القاضب، حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق، وخفقت بالنصر أعلامه

الشريفة السلطانية تحرك طايفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى ان تشتّى فى مدينة حلب وبعد انقضاء زمن الشتاء يتـوجّـه الى اخذ بلاد قزلبـاش فبرز الوطاق الشريف السلطـانى من دار الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكودر فى اوايل شهر رمضان عام ٩٦٠ واستمرّ الى ان وصل الى اركلى يقطع المراحل والمنازل فاستقرّ اوطاقه العالى خارج اركلى واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل امره الشريف ووصـل اليه ودخل الى خركاهه العالى فما برز الا فى تابوت محمل على الاعنـاق الى بروسا ودفن بها واتبع به ولده ودُفن معه فى بروسا ايضًا عليهما الرحمة والرضوان ورَوايح الروح والريحان ووقع ذلك فى اواخر شوال سنة ٩٦٠ وقد قدمنا شرح ذلك وتوجّهت الركايب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمرّ بها ايام الشتاء وتوفى بهـا السلطان جهانگير قرّة عين السلطنة الشريفة وثمرة فوادها لعشرٍ ليـال بقين من ذى الحجّة الحرام سنة ٩٦٠ وجهّز تابوته الى اسطنبول فى ذى الحجة سنة ٩٦٠ فلمّا انقضى الشتـاء توجّه الركاب الشريف السلطـانى الى نخجوان من بلاد العجم فاخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقابل ولم يحارب ولم يقاتل فعادت الحضرة السلطانية الى اماسية واقام ليكرّ على بلاد العجم ثانيـا فجاءت رُسُلُ الشـاه وطرق باب الصلح فرأت الاراء الشريفة السطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترويحـا للعساكر السلطانية وصونًا لدماء الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما يتمنّاه وامرتْ بارسـال اجوبة حسب مراده ومُنَاه وعادت حضرته الشريفة الى تخت ملكـهـا الشريف ممدودًا ظلّ سلطانهـا الوريف واستقرت ذاتهـا العلية قريرة

بغداد الى ان يمضى زمان الشتاء فيهجم بالعساكر المنصورة الى بلاد العجم واستمرّ الركاب الشريف السلطانى، سايراً بالعون السبحانى، والنصر والفتح الربانى، الى ان اخذ قلعة وان وحصنت بعساكر اهل الايمان وجعل فيها بكلاربكياً وعسكرًا قويًّا فانها قفل ديار العجم وحصّنها بآلات الحصار والخدم واستمرّ القاس ميرزا متوجّهًا الى بغداد ثم توجّه ببعض العساكر السلطانية الى دَرْكَزِين ووصل الى همذان، وتعدّى منها الى اذربيجان، ونهب تلك البلدان، واستلب اوطاق اخيه سام ميرزا وعاد الى المخيّم الشريف السلطانى، والوطاق المحفوظ الخاقانى، بما نهبه من الاموال، وحصل له غاية الاعتبار والاقبال، وغلب برد الشتاء فشتّى حضرة السلطان بالمخيّم الشريف السلطانى فى حلب وجهّز جيشًا كثيفًا مع احمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طايفة الكرجى واغتنم منهم غنايم وعاد الى الوطاق الشريف السلطانى بغنايمه، واما القاس ميرزا فنابذ بعض الوزرآء فخرج من بغداد مغاضبًا واظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يراع الأيادى الجيلة السابقة واللاحقة وعزم الى امير من امرآء الاكراد فعلم به اخوه فارسل اليه وخادعه واستدعاه الى عنده فلمّا اتاه دلاه فى بيرٍ وطمّ اثره ومحى ذكره فرُزق الشهادة ولحق بالشهدآء والى الله المصير، ولمّا وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسّف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلاً مؤبّدًا وعادت العساكر المنصورة السلطانية، فى ركاب الحضرة السليمانية، الى دار ملكها السعيد، بالنصر والتأييد، والسعد الجديد، والعزّ المشيد، فى اواخر سنة ٩٥٥،

الغزوة الثانية عشرة سفره الى بلاد الشرق، لمّا بلغ الحضرة

راسخة الأوتاد، لم يُخلق مثلها فى البلاد، كأنّها من بناء شدّاد بن عاد، أُخذت وضُبطت وعيّن لها ولغيرها من القلاع الحُفّاظ، النُّبلاء الايقاظ، ونصب لكلّ منها دزداراً وحصاريّة وقاضيًا يجرى الاحكام الشرعيّة، وسنجقًا للاستحفاظ وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانيـة، وصارت الكنايس مساجدَ للصلاة والعبادات، والبيع مشـاهدَ للخيرات والطاعات، وعاد الركاب الشريف السلطانى، الى سرير ملكه وتخته الخاقانى، مظفّرا منصوراً، سالمًا غانمًا مسروراً،

الغزوة الحادية عشرة سفر القاس وهى تحتمل تفسيرًا طويلًا لا تحتمله هذه العجالة، فنعدل عن الاسهاب والاطالة، ومجملها ان القاس اخـا الشاه لابيه كان واليًا على شروان فوقعت بينهما مشاجرة ومشاحنة فى الباطن ادّت الى ان توجّه القاس الى الابواب الشريفة السلطانية، وقبّل اليد الكريمة السليمانية، فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة عليّة، وانعم عليه بالانعامات الجليلة السنية، ووعده بان ينصره على اخيه ويُدانيه، ويُعلى كلمته ويواليه، وامر الوزرآء العظـام، واركان دولة الاسلام، ان يقدموا له الهدايا الجزيلة، والتُّحف الوافرة الجيـلـة، ففعلوا ذلك وجابروه، وآزروه وعظّموه ونصروه، وكان ذلك فى سنة ٩٥٣، واستمرّ ملتجيـًا الى الظلّ الوريف الشريف، الممدود عـلى الـقـوىّ والضعيف، وصار يصاحبه ويلاطفه، ويقربه ويستدنيه ويوالفه، الى ان صمّم العزم الجزم، وشدّ نطاق الصرامة والحَزْم، وبرز بعسكره المظفّر، ونصب اوطاقه فى اسطودر، لثمان ليـال مضين من شهر صفر الخير سنة ٩٥٥ ومعه القاس ميرزا مكرّمًا تكريمـًا ومعزّزاً تعزيزاً وتوجّهت الحضرة الشريفة السلطانية الى اخذ تبريز وامر القاس ميـرزا ان يـشـتّى فى

اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد واضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت، وفتحت ايضًا قلعة وشوه وقتل من الكفار ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى، وعادت الحضرة الشريفة السلطانية مع في ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقرّ تختها الشريف، منصورين مؤيدين بتاييدهم الدين الحنيف،

الغزوة العاشرة غزوة بج واسترغون، توجّه الركاب الشريف السلطاني، والمخيّم المنصور السليماني، الى افتتاح عدّة قلاع في بلاد بج لتنظيف اطراف البلاد، من طوايف الكفار اهل العناد، وقطع دابر اولئك الفجار بالغزو والجهاد، في سنة ٩٥٠ وبرز في دار الملك اسطنبول، بالجيش المتواتر الموصول، والجند الاعظم المهول، الى ان احاط بقلعة والپوه وقلعة شقلاوس وهما من احكم القلاع السامية واعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامك السماك وتوازن الميزان فافتتحتا في غرّة ربيع الاول من ذلك العام، وصارتا من مضافات ممالك الاسلام، ثم افتتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام، اشدّ في احكام البنيان من الاهرام، كأنّ قنديل سقفها نجوم الثُريّا، وحارس بابها كواكب العَوّاء، ونطاق منطقها وشاح الجوزآء، مشحونة بالاموال والذخاير، مملوءة بالعُدَد والعَدَد الوافر، القى الله تعالى في قلوب اهلها رعب عساكر الاسلام، وخذلهم الله تعالى فما عصمهم ذلك الحصن المنيع وما وجدوا الاعتصام، فأُخذوا اخذًا وبيلًا، وأُسروا وقُتلوا تقتيلًا، ونُهبت الاموال، وسُبيت النساء والاولاد والاطفال، وأُخذوا ما حولها من البلاد والبقاع، وافتتح ما بقربها من الحصون والقلاع، وكذلك فتحت قلعة استولين بلغراد، وهي قلعة سامية العماد،

من فيها من الناس، وغنمت جيوش المسلمين، من طايفة الكفار الفجار المشركين، ما لا يُحْصَى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع ساير عساكره المجهّزة برًّا وبحرًا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين، والحمد لله ربّ العالمين ٥

الغزوة الثامنة غزوة قره بغدان، توجّه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلدان، وبرز بعسكره الجرّار، لقتال الكفار الفجار، بالسيف والنار، ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد، وقتل فيها وفتك، واسال الدماء وسفك، وافتتح القلاع، واخذ الرقاع والبقاع، وغنم اموالاً ومغانم كثيرة، واسر نفوسًا عديدة غير محصورة، وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيّدًا من عند الله بالنصر والتأييد، والفتح الجديد، فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لستّ ليال بقين من ربيع الاول سنة ٩٤٤ ٥

الغزوة التاسعة غزوة اسطوبور من بلاد انكروس، وذلك ان السلطان رحمه الله كان قد انعم على اردل بانو بتلك البلاد وبلغه انها هلكت وان نمچه قرال ومن معه من الكفرة الفجار ارادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجّه السلطان رحمه الله الى دفع اولئك الكفار الفجار سنة ٩٤٨ وصمّم على قتال نمچه قرال لانه اراد اخذ بودون ووَسْوَسَت له نفسه ما يتخيّله المفسدون، فلمّا احسّ بوصول العسكر المنصور السلطاني فرّ هاربًا الى الجبال، وتقهقر عن القتال، فتبعته الابطال، ففرّ منهم فى اطراف تلك المحالّ، فجالت العساكر المنصورة السلطانية فى تلك البلدان، وقتلوا اهل البغى والعدوان، وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان، وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان، وتركوا ديار الكفر قاعًا صَفْصَفا، وغنموا مغانم كثيرة وذخاير تُخْتار وتُصْطَفى، وفتحت قلعة

دار الحقّ بين يدى الحكم العدل اللطيف الخبير، ثم توجّه الركاب الشريف السلطانى بعد مضىّ شدّة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتّى فى تبريز وانه مقيم بها فقصده للقتال ومَحْو اثره من صحايف الايام والليال، فلما وصل الى منزل صاروقامش وصل من الشاه ومن تاج لو خانم ايلجيًّا يطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجّه الى تبريز فخرج الشاه وطايفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فما ظفروا بهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكرّرت رُسُله الى الابواب العالية بطرق باب الصلح وتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتب الاجوبة بقبول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجّه المخيّم الشريف السلطانى الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان فى تلك السفرة اخذ البلاد وفتح عراق العرب واُلْطف تاريخ قيل فيه فتحنا العراق، وكان وصول الركاب الشريف السلطانى، مع العسكر المظفر العثمانى، الى محلّ التّخْت الشريف الخاقانى، مع النصر والتّأييد الربانى، والفتح والظفر العظيم السبحانى، لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب المرجب سنة ٩٤١،

الغزوة السابعة غزوة اولونية المعروفة بكورفس، وهى بلاد الكفار الفجار، من اتباع اصبانيا الغدّار، توجّه اليها فى البرّ بركابه الشريف العالى وارسل من البحر لُطْفى باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسماية غراب مشحونة بعساكر البحر الى ان نزل بمخيّمه المنصور على اولونية فى سنة ٩٤٣ فاستباحها قتلاً وأَسْراً ونهبـًا وافتتحت من جزاير تلك البحر اربعة وثلاثون حصنًا حصينًا هُدمت الى الاساس، وقُتل

طايفة القزلباش محمد خان بن ذى الغادر ووصل الى لثم البساط الشريف العثمانى فحصل له التشريف الشريف والانعام، وقوبل بالتكريم والاكرام والاحترام، وصار من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر المنصور ونزل الثلج كانه الجبال وهرب العدو ولم يقابل، وصار يخادع ويخاتل، فلزم التوجّه الى بغداد لصون الرجال والابطال فلمّا سمع بوصول العسكر المنصور السلطانى حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فجاءوا بمفاتيحها الى الوطاق الشريف السلطانى فنزل بعسكره المنصور فى بغداد واعطى اهلها الامان واستكنّوا فى كنّها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك جميع ما حولها من البلاد والبقاع، وساير الحصون والقلاع، وكذلك بلد المشعشع والجزاير وواسط، وامرت الحضرة السلطانية بتحصين قلعة بغداد، وحفظها وصونها من اهل الالحاد، وزار مشهد سيّدنا الامام الحسين وسيّدنا الامام موسى الكاظم رضى الله عنهما ونوّر مرقدهما ونفع ببركاتهما وبركات اهل بيت رسول الله صلعم وامر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام ابا حنيفة النعمان بن ثابت رضه وبَنَى على قبره الشريف قبّة وعمارة ومدرسة، وصلب فى بغداد دفترداره المرحوم المغفور الشهيد السعيد اسكندر چلبى بتهمة الخيانة فى المال السلطانى برمى اعدآءه وحُسّاده وبرآءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريمًا بَذّولًا حسن الخُلق محسنًا ما خاب من قصده ولا حرّم من امّله مع الفضل التامّ، والكرم العامّ، رحمه الله واسكنه الفردوس الاعلا، وبوّأه من الجنان الدرجات العلا، وبتّهم الوزير ابراهيم باشا برميه بما رمى به، وما حال عليه الحول حتى الحق به، واجتمعا فى

غير جناح، فى اوايل شعبان الكريم من السنة المذكورة، وافتتح عدة قلاع من بلاد الافرنج الفجار، وارعبوا الكفار، واستعجلوا بهم الى عذاب النار، ووصل المخيم الشريف السلطانى، مع الجيش المنصور الخاقانى، الى مملكة أَلْمَان وخروات وسبوا من ذرارى الكفار اولادًا كالنجوم الدرارى، ومن البنات والنساء خرايد كالكُنَّس الجَوَارى، ونهبوا الاموال وقتلوا الأبطال، ودهكوا الرجال، وهربوا ملوكهم، وتركوا غنيّهم وصُعْلوكهم، وبذلوا ما بقى معهم من الاموال والذخاير على بذل الامان لهم ثلاثة اعوام فأُجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سُؤَّالهم، وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترقيع حالهم، وعادت الحضرة الشريفة السلطانية السليمانيـــة الى دار ملكهـــا المسعود، مظفّر الجنود، سعيد الجدود، فى اواخر ربيع الاخر سنة ٩٣٩.

الغزوة السادسة غزوة عراق العجم، ارسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم، وجيش كالبحر الغطمطم، وفيّة كبيرة كالخميس العرمرم، لليلتين مضتـــا من شهر ربيع الاول سنة ٩٤١ ووصل الى حلب وشتّى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السليمانية، والجيوش المؤيّدة الخاقانية، وبرز عقيبه الوطاق الشريف السلطانى، والمخيّم المكرم الخاقانى العثمانى، الى اسكودر اخر شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٤١، واستمرّ متوجّهـــا لنُصرة السُّنَّة الشريفة السنيّة، وقمع طوايف الرافضة البدعيّة، الى ان وصل مخيّمه الشريف العـــالى الى ييلاق اوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله الوزير المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجّهَا بجميع العساكر المنصورة الى اخذ سُلْطانية من مملكة العجم، فلمـــا وصل الركاب الشريف السلطانى الى قصبة أَبْهَر هرب من

والعناد، وولّوا هاربين ومأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من المحرم الحرام سنة ٩٣٦ ثم افتتحت قلعة بتاق حصارى ثم توجّه العسكر المنصور الى قلعة بج وهي محلّ تخت نمچه القرال، الخايب الآمال، واحاط بها مخيّم سُرادقات الفتح والنصر القريب، بالعسكر المنصور المظفّر من عند الله [illegible]ب المجيب، وهرب منها نمچه قرال المزبور، وهو مدبر مكسور، وطلب اهل القلعة الامان، واتوا بمفاتيحها الى حضرة السلطان، فاعطاهم الامان، واخذ قلعة بج وهي من اعظم قلاع الكفار، المحكمة الراسخة القرار، الرفيعة المنار، وذلك لليلتين بقيتا من المحرم الحرام سنة ٩٣٦،

ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام، غير مامونة عن هجوم الكفار اللئام، امرت الحضرة السلطانية بهدمها فهُدمت وأُخربت ونُهبت اطراف تلك القلعة وسُبيت اولاد النصارى ونساؤهم وتُركت خرابًا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد، والعزّ المشيد، والفرح الجديد، فوصل الى اسطنبول فى اوايل شهر ربيع الاخر سنة ٩٣٦،

الغزوة الخامسة غزوة المان لمّا وصلت الاخبار الى الابواب السلطانية ان نمچه قرال جمع طايفة من كفار أَلَمَان، واراد الفساد والطُغيان، توجّه السلطان سليمان الغازى فى سبيل الله الى قتل هذا الكافر اللعين، وحكّ اسمه من صحيفة الوجود بعون الله الملك المعين، وبرز من دار الاسلام اسطنبول الى حلقة لوبگار لعشر ليال بقين من شهر رمضان المبارك عام ٩٣٨ وارسل فى البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وضبط الاسافل والسواحل امير الامرآء الكرام احمد باشا القبودان بثمانين غرابًا مشحونًا بالابطال لاهل الصفاح والكفاح، تطير اليهم بأجنحة الرياح، من

سامية الى عُنوان السماء، تُناطح الثريا، وتسامى السُّهَا، وتطاول الجوزآء، فى غاية الثبات والاتقان، واستحكام الوضع والبنيان، وهو تخت سلاطين انكروس، ومقرّ سلطنة ملكهم المنحوس، وعند ما احاط بها حضرة السلطان، وجنود اهل الايمان، علم من كان فيها من جنود الشيطان، فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان، فامنهم حضرة السلطان، وضبط البلاد ووضع فيها عساكر تحفظها من اهل العدوان، وغنم كثيراً من الاموال والانفس والارواح، وفتك بأعدآء الاسلام وسفك دمهم المطلول المباح، وعاد الى مقرّ سلطنته ودار مملكته سعيداً، مظفراً منصوراً حميداً، فوصل الى سرير السعادة، وتخت الملك والسيادة، فى اواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٣٢،

الغزوة الرابعة غزوة بچ اجتمعت كفار ألمان ونمچه قرال وفرندوس واغاروا على قلعة بُدون واخذوها من المسلمين على غرّة فتوجّه السلطان الى دفعهم وقلعهم وتشتيت جمعهم، وبرز من اسطنبول الى حلقة لوبكار للبلتين مضتا من رمضان سنة ٩٣٥ واستمرّ راحلاً الى ان وصلت الى المخيّم العالى امراة من ملوك انكروس اسمها اردل بانو وداست البساط الشريف السلطانى والتزمت بأدآء خراج بلاد انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة الشريفة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها فى اواسط ذى القعدة سنة ٩٣٥ واستمرّ الوطاق الشريف السلطانى الى ان وصل العسكر المنصور الخاقانى الى قلعة بودين فاحاطوا به احاطة الاطواق بالاعناق، وبياض العين بسواد الاحداق، فى اواسط ذى الحجّة من السنة المذكورة الى ان فتح الله بُدون وساير البلاد، وخذل اهل الكفر

آخر ربيع الاول سنة ٩٢٦ وفى هذا العام خرج كاشف الشرقية الامير جانم الجركسى عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طايفة من الجراكسة المناحسة، وجماعة من عُصاة العربان الابالسة، واظهروا العصْيان، وأبْدوا الخلاف والطغيان، فارسل عليهم بكلاربكى مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرًا فقاتلوا فقُتلا وقُطعت رؤسهما وعُلّقت بباب زويلة ثم أُرسلت الى الابواب العالية وكانت فتنة درأ الله شرّها، وكفى الله المسلمين امرها، وذلك فى المحرّم سنة ٩٢٩

الغزوة الثالثة عود السلطان سليمان الى كفار انكروس ثانيًا فان ملك انكروس المسمّى قرال، ظهر منه الخلاف والجدال، فتوجّه اليه لقطع جادرته ومَحْو اثره وعاديته السلطان المرحوم بالجيش الاعظم والخميس العرمرم وضرب اوطاقه المظفّر فى حلقة لوبكار لاحدى عشرة ليلة مضت من رجب المرجّب سنة ٩٣٢ ثم رحل بالعساكر المنصورة الى ان وصل الى نهر طراوه وبنى عليه جسرًا من السفاين وعدّى بعسكره المنصور على الجسر واستمرّ الى ان وصل بُودُون، وقاتل القرال الملعون، لعشر بقين من ذى القعدة سنة ٩٣٢، وفى ذلك الحرب الشديد، انكسر قرال الكافر العنيد، وانتصرت جيوش الاسلام، وتفرّقت عباد الصليب والاصنام، وافتتحت فى هذه الغزوة عدّة من القلاع المشهورة، والحصون الشديدة المعمورة، وصارت من جملة مضافات الممالك الشريفة السلطانية، والاقاليم المحروسة الخاقانية، من جملتها قلعة اونيك وقلعة بترواردين وقلعة ايلوق وقلعة راجة وقلعة برقاص وقلعة بوكاى وقلعة زكتوار وغيرها من قلاع الكفار، وحصون اولئك الفجار، واعظمها قلعة بودون، محلّ تخت انكروس الملعون، فانها قلعة راسخة البناء، عالية الفضاء،

الاندلس فى غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطة وصاروا يوذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج والسفار وهم الآن وان بعدوا عن المسلمين الا ان اذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان على اعطاء الامان لهم وارسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر كثير لاخذهم واستيصالهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفنديارى سردارًا فوقع بينه وبين القابودان مخالفة ادّت الى انكسار المسلمين وكان فى ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لاخذ مالطة وقهرها فما امهله العمر رحمه الله تعالى ، وكان فتح رودس لست مضين من شهر صفر الخير سنة ٩٢٩ وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخًا الطفها

يفرح المومنون بنصر الله ،

وفتحت ايضًا عدّة قلاع فى ذلك العام منها قلعة استان كوى وقلعة بودرم وقلعة اودوس وغير ذلك من القلاع أُخذت من الكفار الفجار وصارت فى ضبط العساكر المنصورة السليمانية ، وارسل السلطان من وزرآءه فرهاد باشا مع عسكر الى على بك بن شهسوار امير امرآء ذلغار فانه كان يُظهر الطاعة ويُبْطِن العِصْيان فاستدعاه الى عنده واظهر انه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه على بك بن شهسوار مع اولاده الخمسة فادخلهم فرهاد باشا الى محلّ خلوته وامر بقتلهم فقُطعت روسهم وجُهّزت الى الابواب العالية وضُبطت بلاده ، وكفى الله تعالى شرّه وذهب فساده ، وكلّ ذلك فى سنة ٩٢٩ ، ثم عاد السلطان من سفره الميمون الى تخت ملكه الشريف اسطنبول دار الاسلام ، لا زالت معمورة الى يوم القيام ، ووصل اليها فى

المسلمين ، فتجهز السلطان سليمان بعسكره المنصور الى اخذ هذه الجزيرة وكان مسيره الميمون اليهـا ونزول مخيّمه الشريف فى اسكودر متوجهـا الى هذا الغزو لعشر بقين من رجب المرجّب سنـة ٩٢٨ وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها فى شهر رمضان من السنة المذكورة فاحاط بها برًّا وبحرًا وما امكن من فى البرّ ان يقرب من حصار رودس للخندق العظيم الذى حولها مع صونه بالمدافع العظيمة من اهلا لحصـار ولا امكن من فى البحر القرب منهـا للسلسلة الممدودة من الحديد فى البحر والرمى على من يقربها بالمدافع الكبار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تاثير المدافع فيه . فتأخّرت عساكر البرّ قليلاً وامروا بسوق الرمال والتراب امثال الجبـال وتترّسوا بها وصاروا يقدّمونها قليلاً قليلاً الى ان وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب من جدار الحصار وارتفع عليه وصار الكفار الفجـار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار واحرقوهم بنار الدنيـا قبل نار الآخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا انهم ماخوذون فطلبـوا من السلطـان سليمـان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم واطفالهم واولادهم ونقودهم ويعزموا اين ارادوا ولا يتعرّض لهم احد من الجند فاجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزرآء عن امانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوّة وان الاموال التى ارادوا حملها خزينة كبيرة وان هاولاء الكفـار اذا نجوا بهذه الخزينة امكنهم التقوّى بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى اذى المسلمين فلم يَصْغ السلطان الى عذلهم ومنعهم واعطاهم الامان وخرجوا بجميع اموالهم وما يعزّ عليهم واخـذوا اولادهم ونـسـاءهم وخرجوا الى بلاد المغرب وعملوا قلعة فى مملكة اصبانيـا من جـزيـرة

وغزواته، وكان عوده الى سرير ملكه فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٢٧،
وفى هذا العام عَصَى جان بردى الغزالى الجركسى امير الامرآء بالشام
وجمع طايفة من عُصاة العرب وبعض اشقياء الجراكسة وادّعى السلطنة
وخطب لنفسه فجهّز عليه فرهاد باشا فقاتله فى قرب الصالحية وامسكه
وقطع راسه وارسل بهما الى الباب العالى وكفاه الله امره، ودرأً عن
المسلمين فتنته وشرّه، وذلك لسبع مضين من شهر صفر سنة ٩٢٨،
الغزوة الثانية غزوة رودس وهى جزيرة فى وسط البحر ما بين اسطنبول
ومصر وبنى بها الكفار حصنًا حصينًا، وحصارًا فى غاية الاستحكام
مكينًا، اتّخذه الكفار مكمنًا لاخذ المسلمين، واتقنوه غاية الاتقان
والتمكين، بحيث رسخ اساسه الى تخوم الارضين، وارتفع راسه الى نجوم
الشرطين والبُطَيْن، ينظرون من اعلا القلعة الى السفاين التى تمرّ فى
البحر من مسافة بعيدة فيتهيّئون للتحصين، ان كان ذلك عسكرًا من
المسلمين، وياخذونهم ان كانوا من سُفّار البحر واتّخذته النصارى مَعْبَدًا
يجهّزون اليه اموالهم لتصرّف فى استحكام بناءه واتقانه وجعلوا من اعلاه
الى اسفله من جميع جوانبه ثقوبًا وضعوا فيها المدافع الكثيرة ترمى على
من يقصدها من الخارج فتصيب كلّ من قصدها من جهة من الجهات ولها
باب من حديد وسلسلة عظيمة فى وسط البحر تمنع المراكب من
الوصول الى الباب ويهيّئون اغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة
اذا احسّوا بسفينة فى البحر من الحجّاج او التجار اخرجوا اليها تلك
الاغربة واخذوها ونهبوا ما فيها من الاموال واسروا المسلمين فيقطعون
الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتلتهم
وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين عن دفع ضررهم وعمّ اذاهم

فى هذا الزمان، من السلطان سليمان، فكم دوّخ بلاد الكفر واستباحها، وداس ارض الاعداء بحافر فرسه واجتاحها، وجاس خلال مغانيها ورباعها، وافتتح صياصيها وقلاعها، واخرب معاهد الاصنام، وبنى مساجد الاسلام، فلو نُشرت صحايف الدُّوَل، لكانت دولته غُرّة تلك الدُّوَل، ولو عُدّدت فتوحات السلاطين لكانت مَساعيه طراز تلك الحُلَل، وان غزواته يجب افرادها بالتاليف، ليبقى فى صفحات الدهر ذكره الشريف، وأمّا هذا التصنيف اللطيف، فلا يَسَعُ منها الا الطفيف، فنذكرها اجمالاً فى هذه العُجالة، ونعدّد اسماءها فى غضون هذه الرسالة، فان فسح الله فى الاجل، وساعد العمر على ذلك الامل، حرّرنا لآل عثمان تاليفًا جليلاً، وكتابًا حافلاً طويلاً، يستفيد فيه علماء العرب والعجم، ما لا يجدونه فى كُتُب تواريخ الأُمَم، ان شاء الله تعالى،

فاقول اول غزواته عند ما ولى السلطنة غزوة انكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة مضت من جمادى الاخرة سنة ٩٢٧ بعسكر جرّار، وجيش كرّار، عظيم المقدار، يَدُكُّ الارض دكًّا، ويَصُكُّ الجبال الراسيات صكًّا، فلمّا وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها، ونازلوا ابطالها، وقتلوا رجالها، وسبوا نساءها واطفالها، ونهبوا متاعها واموالها، وفتحوا حصونها وقلاعها، وملكوا ارضها وبقاعها، واعظم ما افتتح من القلاع قلعة بلغراط وهى قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين، واخذوا غيرها من بلاد المشركين، وغنموا الغنايم الكثيرة، واثروا الاثارة الاثيرة، وعاد السلطان الى دار مملكته سالمًا غانمًا مظفّرًا منصورًا، مؤيّدًا بنصر الله ظافرًا مسرورًا، وزينت البلاد لانتصاره، وفرح المسلمون وكان الله من انصاره، وذلك اول فتوحاته، وغُرّة اسفاره

موضعٌ يكون مأْوى للفقرآء صونًا للمسجد الحرام عنهم وان تُبْنَى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وان تُبْنَى من خارجه دكاك وبيوت تكرى وتصرف فى مصالح هذا المكان، وامر ببناء حمّام فى وسط البلد عظيم الشان طيّب الماء والهوى وله رباط ايضاً وخيرات أُخرى كلّها مثوبات عظمى، ووردت صدقاته فى سنة ٩٨٤ مضاعفة ففرقت فى الحرم الشريف على الفقرآء والضعفاء وتضاعف الدعآء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلّغه الله تعالى مراتب الكمال، ورزقه السعادة والاقبال، والله تعالى يطيل بقاءه، ويديم عزّه وعلاءه، ويثبت وزارته العليا، ويبقيه فى صدر الصدارة الكبرى ما دامت الدنيا، محفوظًا بالملايكة الكرام، محروسًا بعين الله الحىّ الذى لا ينام، مصونًا من نوايب الليالى والايام، بجاه سيّد الانام، عليه افضل الصلوة والسلام،

وهذا دُعاءٌ شاملُ النفع للوَرَى فيا ربّ قابلْ بالقبول دُعآءى،

فصل فى ذكر غزوات السلطان سليمان، عليه الرحمة والرضوان، كان السلطان المرحوم المغفور محبًّا للجهاد فى سبيل الله، باذلاً نفسه وخزاينه باعلاء كلمة الله، يؤثر التعب فى ذلك على الراحة، ويحبّ الغزو ويرغب اليه عن الاستراحة، بحيث لم ترتفع رايةُ الاسلام، على راس احد من السلاطين العظام، أَكْثَرَ جهادًا ونصرة للدين، واكمل عدّة وآلة لقطع دابر المشركين، واكبر مُلْكًا وسلطانًا، واكثر جيوشًا واعوانًا، واقطع سيفًا وسنانًا، واحمى للاسلام وذويه، وانفى للشرك ومنتحليه، واعدى للافرنج اللعين، واقمع للكفرة والملحدين، واقوى نصرة للاسلام والمسلمين، واشدّ عضدًا لاهل الايمان، وانصر لاهل السُّنّة

بالمدينة الشريفة بعد ضعفها واضاف اليها ابارًا منها بئر أَرِيس وهى بفتح
الهمزة وكسر الرآء وبسكون اليآء المثناة التحتية واهمال اخرى معروفة
بقُبَاء من اعذب ابآر المدينة ذكر المجد الفيروزابادى ان النبى صلعم
تَفَلَ فيها ووقع فيهـا خاتم النبى صلعم من يد سيّدنا امير المومنين
عثمان بن عفّـان رضه وهو جالس على حافة البير وقد نزع الخـاتم
الشريف من يده فسقط فى البير فانزل فيهـا رجـالاً ليخرجوه فلـم
يظفروا به وركّب عليها اثنى عشر ناضحًا لينزحها فغلبهم الماء ولم يوجد
الخـاتم، وكان اول الفتن الى ان ادت الى شهادته واختلف النـاس على
سيّدنا على رضه وسند هذا الفتن الى ذهاب خاتم النبى صلعم، واعلم
انّ فى عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلاً من ماءها الى مَصَبّ عين
الزرقاء واصرف على ذلك اموالاً عظيمة فقوّيت العين واضاف اليها مياه
ابآر اخرى حلوة قوّى بها جريان عين الزرقاء الى ان اجرى دبلاً منهـا
الى باب الرحمة وجعل فيه موضعًا يتوضّأ فيه النـاس لدخول المسجد
الشريف واجرى دبلاً منهـا الى حمّـام عظيم تكلّف بناءه فى المدينة
الشريفة انتفع به اهل المدينة الزوّار ودعوا له بالخير وصار ثوابًا جاريًا،
ومن خيراته انه وسّع بير ذى الحُلَيْفة ويقال لها بير علىّ وهو ميقات اهل
المدينة واهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل فى الارض الى ان
جعل وجه المـاء عشرًا فى عشر لئلّا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل
احد جوانبها الاربعة درجًا ينزل من اعلاه الى اسفله حيث كان محـلّ
المـاء فصار كلُّ واحد يرد اليه بسهولة بلا تكلّف ولا احتيـاج الى دَلْوٍ
وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل وثواب كبير جميل لا ينقطع
اثره، ومنها انه امر ان يُبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريـف

وكانت وزارته فى سنة ٩٧٣ واستمرّ على وزارته، وعظمته وصدارته، الى ان اظهر اليد البيضاء، وكمال التدبير والمضاء، بحيث تحيّر العقلاء فى ثبات جَأشه، وعدم نفرته واستيحاشه، وضبط الجيش الاعظم، وحفظ الخميس العَرَمْرَم، وهم فى ارض العَدُو فى حومة القتال، وقوة الحرب والصيال، وشدّة الجلاد والجدال، وقد توفى السلطان سليمان فى ذلك الحال، فلم يقع شئ من الاختلال، وانتظمت الاحوال، واخذت قلعة سكتوار من القرال، وهى محشوة بالعَدَد والعُدَد من الافرنج الابطال، والسلطان فى السكرات والغمرات، وكتم ذلك عن جميع خُدّامه ومن حوله من الاغوات، وارسل الى ولده السلطان سليم من مسافة ستّين يومًا واجلسه على التخت وما وضعت الحرب اوزارها، بل اضرمت المجاهدون نارها، وغنمت المسلمون وخُذلت النصارى بانصارها، ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام، وانهدّ ركن الاصنام، وخذل الله فى هذا الحال طوايف الكفار اللئام، وكان ذلك الاحتيال والترتيب، بتدبير هذا الوزير الحاذق الفطن اللبيب، ورأيه المنير الثاقب المصيب، وتداركه بما يجب تداركه بالقلب الرحيب، وكلّ ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب، هذا مع كثرة احسانه وتواتر انعامه، وتوالى الطافه واسعافه واكرامه، سيّما اهل الحرمين الشريفين والتصدّق عليهم، والنظر باللطف والرأفة اليهم، والانعام فى كل عام على عموم الفقرآء والصلحاء بالف دينار فاكثر للصدقة من عين ماله واعماله الخير فى الحرمين الشريفين من اجرآء عيون وحفر ابآر وأربطة وابنية للفقرآء وغير ذلك من المآثر الجميلة، والخيرات الوافرة الجزيلة، ممّا لا تحتمل ان تفرد بالتاليف، وتورد فى تصنيف، جليل لطيف، وله مآثر فى اكثر بلاد الاسلام وقد اجرى عين الزرقآء

عليّ چلبي الحميدي، المعروف بقنالوزاده افندي، احد افراد الدهر علماً وفضلاً، وأوحد علماء العصر كمالاً ونبلاً، طيّب الله ثراه، وجعل الفردوس الاعلا مثواه، ان يكتب له شيئاً في ذلك، فشرع وانا بعد هناك في شيء من ذلك المعنى فاين في بابه لطافةً وحسناً ثم تقلّبت الليالي والايام، ومنعت الموانع عن حصول ذلك المرام .

ثم انقضت تلك السنون واهلها   فكانّها وكانّهم احلام،

واستمرّ عليّ باشا على وزارته العظمى، في صدر صدارته الاجلّ الاسما، نافذ الامر عَليّ القدر، صاحب الصدر، الى ان نقله الدهر عن صدارته، ورماه الزمان عن قوس وزارته، ودعاه داعي الفناء الى حضرته، وسقاه الحِمام كاس منيّته، فعاش سعيداً، ومضى الى لحده فريداً وحيداً، وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء حميداً، وما صَحِبَهُ مّما تخوّله غير ما قدم من اعماله، وقدم على الله الكريم بما كسب من افعاله، وهو ارحم الراحمين بعباده في كرمه وافضاله، ثم ولي مكانه الوزارة العظمى، في ذلك المقام الارفع الاسما، آصف الوزرآء العظام، اسعد السُّعدآء الكرام، حضرة محمد باشا بقاه الله تعالى في صدر الصدارة على الثبات والدوام، وصانه عن آفات الدهر وحرسه من نوايب الايام، وناهيك به عقلاً وخرماً، وصرامةً وعزماً، واقداماً وحزماً، ودقّةً وفهماً، وفكراً ثاقباً، ورأياً صايباً، وحذقاً وفطانةً، وصدقاً وامانةً، وكمالاً وجمالاً، ومهابةً وجلالاً، وسعادةً واقبالاً، ونظراً في عواقب الامور، واعانةً لمصالح الجمهور، ومحبّةً للعلم والعلماء، واعتقاداً في الصلحاء والاولياء، واحساناً الى الفقرآء والضعفاء،

وما بلغت كفُّ امرءٍ متناولاً   من المجد الا والذي نال اطولُ

وما بلغ المهدون للناس مدحةً   وان اطنبوا الا الذي فيه اكمَلُ،

رحمه الله ، وولى بعده الوزارة العظمى على باشا وكان من جنس البوسنة
وكان جسيمًا طويلًا فطنًا فهيمًا نبيلًا على خلاف ما يتراءى من عظم
هيكله وسمن بدنه فانها مظنّة البلادة فى الاكثر فاذا أُخطىَ فيه مقتضاه
زادت الفطانة غايةً كما تنقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب ابى
حنيفة رضه فانه كان فى غاية الفطنة والذكاء يُضرَب به المثل فى ذلك ،
وكان على باشا فى فضيلة فى الانشاء ونظرٍ فى التاريخ اجتمعتُ به فى
رحلتى الى اسطنبول فى سنة ۹۶۵ فرايته لطيف المجاورة حسن المفاكهة
لذيذ المصاحبة ذكر لى بعض غزواته الدالّة على قوة شجاعته وانه باشر
قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة لهم اقتلعها منهم فقلتُ له ان
لم يقيّد ما ذكرتموه بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد
مُضىّ سنوات قليلة واذا فنى من كان حاضرًا فى هذه الغزاة فنى خبره
ايضًا ولم يذكره احد بعد ذلك مطلقًا وينمحى علمه من صفحات
الوجود بعد قليل وذكرتُ له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وان من
جملة كُتُب التاريخ اللطيفة الروضتَين فى اخبار الدولتَين لابن ابى
شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد السلطان صلاح
الدين ابن أيّوب وغزواتهما مع الافرنج وافتتاح البلاد ومداومتهما على
الجهاد وهو كتاب فى غاية اللطف وحُسن الوضع باقٍ على صفحات
الزمان، معلوم عند القاصى والدان، مخلّد فيه ذكرهما، مؤبّد فى اطباق
اوراق الدهر اثرهما، وهما فى الحقيقة اميران من امرآءكم احدهما بكلربكى
مصر والثانى بكلربكى الشام فلأىّ معنى لا تكون اخباركم وآثاركم مدوّنة
فى الكُتُب، مخلّدة فى صفحات الاعصار والحُقب ، فاعجبه كلامى كثيرًا
وامر فاضلَ ذلك الوقت فى الانشاء العربىّ صاحبنا المرحوم المقدّس مولانا

الوزارة العظمى رستم باشا واستمرّ وزيرًا كبيرًا، معتبرًا اعتبارًا كثيرا، يُعمل بآرائه، وينفرد بانفاذ الامر وامضائه، لا يعارضه احـــد من الاركان، بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان، وصار لا يتصرّف قضاة العسكر والدفتردارية والبكلربكية وساير الحُكّام والنُظّار فى منصب جليل او حقير، صغير او كبير، الا بامره واشارته وارادته بحيث لم يُعْهَد ان وزيرًا غيره احاط بالامور كاحاطته، وحفظ جزئيات المناصب وكلّياتها وتيقّظ كحفظه وتيقظته، وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمرّ على عظمته وجلالته لم يختل منهــا شىء الا فى فتنة السلطان بايزيد ولكلّ شىء حدٌّ محدود، وأمَدٌ من المقدور ممدود، فان السلطان اتّهمه بالميل مع بايزيد، ونزلت مرتبته بسبب ذلك عنـــده بالبون البعيد، ولكنها كانت تُهَمَة واهية لا اصل لها وكان خايفــًا من ذلك اشدّ الخوف ولم يشاوره السلطان فى شىء من احوال بايزيــد وكان يشاور على باشا، فادّى الحال الى ما ادّى، ولو استشار رستم باشا واطاعه فى رأيه، لم يتفاقم امره الى ما آل اليه، لحُسن سياسته ودقّة تدبيره والامر لله من قبل ومن بعد وما قدّره الله فهو كاين والاقدار، تدور حـــول اولى الاخطار، وكم اريق بسبب هذه الفتنة من دم لا ذنب لصاحبه، وكم قُتِلَتْ بالتوهّم نفوس مظلومين لا جرم لهم فى هذا البلاء ونوايبه،

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبه الدّمُ،

واستمرّ رستم باشا خايفًا يترقّب، الى ان امرضه الوهم وانحله فصــار فى فراشه يتقلّب، الى ان وافاه اجله المختوم، فمات واقدم على الحىّ القيوم، والله عليمٌ بمــا تخفى الصدور، وهو الرؤف الرحيم الكريم الغفور، وكانت وفاته فى سنة ٩٦٨ ودُفن فى تربة فى قرب تربة الشهزاده السلطـــان محمد

عوضاً عن لطفى باشا لمّا عزله واستمرّ وزيراً اعظم مدّة يسيرة الى ان
عزله وولى مكانه فى الوزارة العظمى اوحد الوزرآء العظام رستم باشا فى
سنة ٩٥١ وكان السلطان قد زوّجه كريمته صاحبة الخيرات جانم
سلطان بنت السلطان سليم خان فملأ عين الوزارة وزيّن صدر الصدارة
وهو من جنس الارنوت من مماليك السلطان سليم رحمه الله وكان زكيّاً
المعيّاً حاذقاً فطناً ذكيّاً ذا بالٍ وسيعٍ وفكرٍ دقيق بديع جيّد
الحافظة حسن القريحة ثاقب الراى حليماً صبوراً رزيناً وقوراً كامل
العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفة الكمال، ما لم يجتمع فى غير من
الرجال، ولم تكن فيه خصلة تشينه غير افراط حبّ الدنيا، والميل
الشديد الى جمعها بكرةً وعشيا، وتلك خصلة عمّت اكثر الطبايع
والشّيَم، وغلبت على اكثر اعالى الهمم، ولا يملا عين ابن ادم الا التراب،
ويتوب الله على من تاب، واستمرّ فى الوزارة العظمى الى ان قتل المرحوم
السلطان مصطفى وكان ذلك كما يقال بتأسيسه، وتحيُّله ومَكْره
وتدسيسه، حتى ان بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك على ما زعم انه
اللهم به، مكر رستم، وتوهّم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله
السلطان سليمان صونًا له وخوفاً عليه من العسكر وولى مكانه الوزارة
العظمى احمد باشا الذى كان وزيرًا ثانيًا وكانت وزارته تَحِلَّةَ القَسَم،
وتَعِلَّةً لما اضمره السلطان فى خاطره الاشمّ، الى ان قدّر الله ما قدره فى
الازل، ودنى منه وقت حلول الاجل، فعند بُروزه من عرض الامور عليه،
وانصرافه من بين يَدَيْه، امر بقتله عند الباب الداخل من السّراى
فخُنق هناك وأُخرج ملفوفًا فى بساط، وتفرّقت عنه الاتباع والاسباط،
ومضى الى الله الكريم، واقدم على الغفور الرحيم، وأُعيد عوضه فى

ونهبوا اموال المسلمين وانفسهم اسرًا وقتلاً ونهبًا وفتكوا بسلطان كُجرات السعيد الشهيد السلطان بهادرشاه وقتلوه غدرًا ، فتحرّكت الحميّة العليّة السلطانية، واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية، فامر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمّر سفاين يركبها مع عسكر جرّار، الى ارض الهند ويقطع دابر الكفار، وينظّف تلك الاقطار، من الكفرة الفجّار، فعمل نحو سبعين غرابًا وسفاين مسمارية كبارًا لحمل الاثقال ورتب العساكر وقتل عند سفره جماعة لا ذنب لهم غير صدق خدمتهم وحُسن الوفاء بعهدهم حسدًا لهم على ما اتاهم الله من فضله منهم الامير جانم الحمزاوى وولده الامير يوسف وكانا من السناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة ، وقتل ايضًا الامير داود بن عمر امير الصعيد وكان كريمًا بَذْوَلاً حافظًا لبلاد الصعيد بغير ذنب اتاه ، ثم توجّه الى الهند وصلب صاحب عَدَن فى طريقه مع انه فتح له باب عدن وزيّن الاسواق بوصول العسكر المنصور السلطانى فبمُجَرّد وصوله اليه صلبه على صارى السفينة وجعل سنجقًا فى عدن وتوجّه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير ان ينال كفار الهند منه ضرر ، وكان الامير احمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة اللّوَنْد الذين استولوا على تلك الديار فاعطاه الامان وطلبه الى عنده وقتله وولّى موضعه اميرًا ممّن كان معه وعاد الى مكة فحجّ وعاد الى مصر ثم الى الباب العالى واسفرت سفرته عن اخذ زبيد وعدن وكان ظالمًا غاشمًا كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بامان لم يُعْهَد منه شجاعة ولا اقدام وانما يفتك بمن يقع فى يده ماسورًا مغلولاً ودعا له المرحوم السلطان سليمان خدمة لولده السلطان سليم وصدّقه فى الخدمة فولّاه الوزارة العظمى

خيلاً تربط لهم فی كلّ بلاد وقرية تحت حكومتهم وكانت تُسَمّى خيل البريد فاذا حدث امرٌ مهمٌ اركبوا من ارادوا على خيل البريد فيركبها الى ان وصل الى قرية اخرى فيجد فيها ايضا خيل البريد فيركبها ويترك الاولى وهكذا الى ان يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذی يُؤمر به وكان لهم خُدّام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتّبات رحمهم الله ورحم من ازال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعيّن لهذه المهمّات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله ، واستمر لطفی باشا وزيرًا الى ان وقع بينه وبين زوجته مخاشنة وهی اخت حضرة السلطان سليمان وسببها كثرة ميله الى الجواری فشكَتْه الى اخيها فطلبه الى عنده وضربه بالقوس على راسه وامره بمفارقتها واكرهه على طلاقها ففارقها مكرهًا وطلب الاذن فی الحجّ فاذن له فحجّ فی سنة ٩٤٩ فاجتمعتُ به وارانی تاليفه وامرنی بتعريبه فعرّبته ثم امرنی ان اترجمه له بالفارسية فترجمتُهُ له حسب ما اراد واحسن الیّ بسبب ذلك ثم عاد من الحجّ الى الباب واستاذن ان يكون فی قرية له من اقطاعه فاذن له واستمرّ فيها الى ان توفی الى رحمة الله تعالى فی سنة ٩٥٠ وكان عزله فی سنة ٩٤٧ ،

وتولى مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم هو من الارنؤوت من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولی ايالة مصر قريبًا من عشرة اعوام ثم عزل عنها ثم أُعيد اليها وجعل سردار العسكر المجهّز الى الهند لدفع ضرر البُرْتقال اللعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثرة اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جُدّة والى بنادر السُّوَيس على مرحلتين من مصر وعاثوا فی البحر واخذوا سفاين الحُجّاج والتجار غصبًا

للنجـــاة من النـــار، ويدخل به صاحبه الجنّة مع الشهداء الابرار، وما ربّك بظلّام للعبيد، وكان قتله فى الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة ٩٤١،

ثم ولى الوزارة العظمى الوزير الثانى اياس باشا وكان من الأَرْنَوت من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبًّا للصلحاء، ومعتقدًا فى طايفة العلمـاء، معتدلاً فى احواله صادقاً فى اقواله، قطُوفاً فى ارآءه وافــعـــاله، اجتمعتُ به فى اول رحلتى الى اسطنبول سنة ٩٤٣ وكان يُكاتب والدى ويلتمس دُعاءه فاكرمنى واقبل علىّ واحسن الىّ وربّانى عند السلطـــان واخبره عن والدى وكبر سنّه وانفراده بعلم الحديث وعُلُوّ السند فى عصره فحصل لى انعام كثير واكرام كبير جزاه الله عنّى خير الجزآء واسكنه الجنّات العُلَى، استمرّ وزيرًا الى ان توفى مطعونًا فى سنة ٩٤٦،

ثم ولى بعده الوزارة العظمى لُطْفِى باشـــا وجنسه من الارنوت وهـو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واشتغال ومشاركة فى بعض الفضايل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم ابى حنيفة النعمان، وله آثار حسنة فى وزارته منهـا ابطال الاولاق فانه كَثُرَ فى تلك الايام وعمّ اذاهم للمسافرين، وكانت الطُّرقات لا تخلو منهم فياتى احد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابّته ويركبها الى ان تنقـطـــع فيرميها وياخذ دابّة مسافر آخر وهلّم جرًّا ولا يسلم منهم احد، فلمّـا ولى الوزارة ابطل كثرتهم وعيّن ان لا يُرسل الاولاق الا فى المهمّات العظيمة السلطانية المتعلّقة بظهور عَدُوّ على المملكة يخشى عليها منه او امثـال ذلك من الامور العظيمة جدًّا فقلّ ضررهم بعد ذلك على المسافــريـــن وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة، وكانت الخلفاء تعدّ

السطوح وتسلّق من مكانٍ الى مكان وخلص الى البرّ والتجا الى شيخ عرب الشرقية عبد الدايم بن بقر وقوى العسكر السلطانى ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وخوّفوا عبد الدايم وحذروه من عصيان السلطنة فاتاهم به ممسوكاً فقطعوا راسه وطافوا به فى مصر وعلقوه فى باب زويلة ثم جهّزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك فى سنة ٩٣٠ وضبط محمد بيك وجانم الحمراوى مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكلربكيًّا، واستمرّ ابراهيم باشا فى وزارته العظمى، معظمًا عند السلطان نافذ الامر واسع العطا كريمًا بَذُولاً منفردًا بالامر والنُّهى، الى ان افرط فى الدلال، وزاد فى الادلال، واستبدّ بالامور، واستقلّ بمصالح الجمهور، فانفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحمّلت زيادة عجبه وادلاله، فطلبه السلطان، فى ليلة من اواخر رمضان، الى عنده وانعم عليه على جارى عادته بنفايس انعام وافرة ووهب له جميع ما فى مجلسه من اوانى الذهب المرصّعة بالجواهر الغالية، وطيّب خاطره وطيّبه بالعنبر والمسك والغالية، وامره ان يبات عنده فى مجلس خاصّ به كان عادته ان يبات فيه وصبر عليه الى ان غلب سلطان الكرا على مُقْلته واماته وامر بذبحه فذُبح واخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرًا والسلطان قريب منه وقد صمّم فيه امره فامر بان يكمل ذبحه فقطع راسه، واطفى نبراسه، واخمدت انفاسه، وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردًا وسلامًا، بل زادته حرًّا واضطرامًا، ولعلّ كثرة احسانه الى الناس، ونشر مكارمه التى زادت على الحدّ والقياس، نفعته عند الله تعالى فى الدار الاخرى، ولعلّ صدقت نيّته فى بعضها فصادفت قبولاً وصار له عند الله الكريم ذخرا، فكم من عمل صالح يكون سببًا

الى السلطان، فدبّر فى ازالته من تلك المكان، فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر واعطاها له تيمارًا له واقطاعًا يستجلب به خاطره فمضى الى مصر واليًا عليها وصار يتعقّبه ابراهيم باشا للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامرآء المستحفظين بمصر ان يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محلّه بالامر الشريف السلطانى ويولى احدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة بكلربكى بمصر وأُرسلت هذه الاحكام الى الامرآء المذكورين فوقعت تلك الاحكام فى يد احمد باشا قبل ان تصل الى الامرآء المذكورين فجمعهم فى ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف السلطانى ورد اليه بقتلهم فاذعنوا للامر الشريف فقتلهم، ثم سوّلت له نفسه العِصيان، وظنّ انه يأْوى الى جبل يَعْصِمُهُ من السلطان وانه يقابل ويقاتل بجيش يلفّقه من مصر فأَبْدَى الطُّغيان، وادّعى السلطنة لنفسه وامر ان يخطب بأسمه على المنابر فى ايام الجُمَع، ورتب عسكرًا من العوانية وجمع، وضرب السكّة باسمه على الدراهم والدنانير، وصادر الناس وجمع المال الكثير، وعصى عليه اهل قلعة الجبل، فجمع عليها الشُّطّار فاخذوها بالحيل، وقتل من فيها من عسكر السلطان، وأَوقد نيران الفتنة والعصيان، وكان ممّن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوى ومحمد بيك واراد قتلهما وقد اخّر الله اجلهما فسمِعَا انه دخل الحمّام فكسرا الحبس وبرزا ونصبا سنجقًا سلطانيًّا ونَادَيَا من اطاع السلطان فليقف تحت لوآءه فاجتمع تحت السنجق السلطانى خلق كثير وجمٌّ غفير، وصار سردارهم محمد بيك وجانم الحمزاوى بمثابة الوزير، وتوجّهَا بالعسكر الى الحمّام فكبسا احمد باشا وقد حلق نصف راسه واعجله النصف الثانى هُجُوم العسكر السلطانى عليه فهرب الى

القصبات فقرّبه وولاه وزارته العظمى واستمرّ فى وزارته مدة سلطنته عنده لم يغيّر وسلم من فتكه لكمال دُرْبته مع كثرة من قُتل من الوزرآء وكان فاضلًا كاملًا متين الراى عاقلًا يُضْرَب المثل بفراسته وعلمه وعقله وحلمه، فلمّا وزر للسلطان سليمان راى فى خدمته من شباب مماليكه من هو متابرٌ على الوزارة طايرٌ اليها بجناحَيْه ورَأَى سلطانًا شابًّا يميل الى اترابه وذوى اسنانه وهو بينهم بشيخوخته وكبر سنّه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأُجيب الى سُؤاله، فانجمع للنظر فى حاله ومآله، وراى بعين كماله، عدم ثبات الدهر فى احواله، فاخذ فى زاد ترْحاله، وقدّم من الخيرات، ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات، فمن اثاره عمارته فى اِدْرَوْنِه فى دربند وكان محلّ قطاع الطريق يُنْهَب فيه قوافل المسلمين فعمل هناك تكيّة عظيمة ومحلًّا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدّم اليهم ومسجدًا جامعًا ورتب لذلك كلّما يحتاج اليه، ووقف اوقافًا عظيمة عليه، فصار اثرًا باقيًا على صفحات الزمان، وجميلًا يُذْكَر به ويُدْعَى له الى انقضاء الدَّوَران، وله خيرات أُخرى غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى، كان عزله فى سنة ٩٢٩ وتولى مكانه فى الوزارة العظمى من المماليك الذين عنده داخل السّراى أُوده باشى حُرمة الخاصّ ابراهيم باشا وكان شابًّا قد امتلأ غُصن نضارته بماء الشباب، ولازمته السعادة والدولة والعزّة والعظمة من جملة خدام الركاب، وكان اقدم منه فى الخدمة احمد باشا وظنّ ان الوزارة العظمى لا تتعدّاه الى غيره لانه من خواصّ مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فزاحمه فى صدر دست الوزارة، وجلس بقوّة ادلاله بخدمة السلطنة الشريفة فى محلّ الصدارة، فشكاه ابراهيم باشا

بالاوتار، واطفأوا تلك الانوار، ورُزقوا سعـادة الشهـادة بالاضطرار، وهم السلطان أُورخان والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلـطـان عثمـان، وحُملت اجسادهم فى توابيت من قزْوين الى سيواس، ودُفنوا فى سيواس، واسكن الله الفتنة والوسواس، وذلك فى سـنـة ٩٧٠، وكان للسلطان بايزيد طفل صغير فى برُوسَا فأمر بخنقه ايضا فخنق والله تعـالى يبلّ مضاجعهم باقطار امطار الرحمة والرضوان، ويعوّضهم عن شبابهم الجنّة ويروّح ارواحهم فى غُرَف الجنان، بالروح والريحان، والحور والولدان، والخيرات الحسان، ومنهم الشهزاده السلطـان جهانگير خـان مولده سنة ٩٣٧ وكان احدب ظريفًا، خفيف الروح لطيفًا، يحبّه والده ولم يفارقـه الى ان توفى بأَجْله فى حلب بمرض الخُنَاق فى سنة ٩٦٠ ونقل الى اسطـنـبـول ودفن فى تربة اخيه السلطان محمد الشهزاده، ومنهم الـشـهـزاده السلطان مراد توفى بأَجْله فى سنة ٩٢٧، ومنهم الشهزاده السلـطـان محمود توفى باجله سنة ٩٢٧ وهذا والذى قبله مدفونان فى تربة السلطان سليم الكبير جدّهما رحمه الله، ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفى باجله فى سنة ٩٣٣، وتوفيت والدة السلطان سليمان خان فى سنة ٩٤٠ وكانت صالحة زاهدة محبّة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات، اسكنها الله تعالى اعلا غرف الجنّات،

فصل فى ذكر وزرآءه العظام، كان اول وزرآءه آصف زمانه وبزرجمهر اوانه معدن الراى والذُّهى موضع العقل والنُّهى پير محمد الجـالى الصديقى المعروف بپيرى باشـا صادفه وزيرًا لوالده فابقـاه على وزارته مدّة وكان السلطان سليم يتتبّع فى اول سلطنته طوايف العلماء المتميّزين بكمال العقل والراى فلم يجد اكمل رايًا ولا عقلاً منه وكان قاضيـًا فى بعض

عنها بلطف وتودّد واجبته عنها بأدب وسكون وملاحظة وادرجت مع ذلك نصايح تصلح للملوك وهو يصغى اليها ويحسن فى الاصغاء الى استماعها ويتفكّه ويتلذّذ بسماعها وسالنى فى الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرّر ذلك فأبَيْتُ عليه وكان الخير فى ذلك وكلّما طال المجلس استاذنت للقيام فيأبَى ويقول ما اسرع ما مَلِلْتَ حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان اول المجلس من صلوة الظهر واستمرّ الى بعد العصر فالبسنى التشريف واحسن الىّ باثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اسطنبول وتوفّيت والدته السلطانة أمّ السلاطين الخاصكية بعد دخولى وحضرت جنازتها وما أُجرى من الصدقات عليها وكانت هى كالطلسم للسلطان بايزيد فلمّا توفّيت حصل الشنآن بينه وبين اخيه السلطان سليم خان ادّى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين الف نفس فصاعدا ثم لمّا عجز عن مقاومة والده واخيه هرب الى شاه طهماسب ففرح به واقام ناموسه وعجز عن حفظه فشرع طهماسب فى المكر والخداع وتفريق عسكره والاعتذار بضعف بلاده عن ان تسعهم ففرّقهم ثم استولى عليه وحبسه هو واولاده وقتل عسكره واحدًا بعد واحد واغتنم منهم مالاً كثيرًا وتردّدت الرسل بينه وبين السلطان سليمان فى تسليمه لوالده فلمّا تأكّد طلبه من طهماسب ذكر انه اصرف عليه خزينة مال وانه لا يسلّمه الا بان تُعْطَى له فسُئل عن قدر ذلك فذكر مقدارًا عظيمًا يكون مثل خراج مصر سنة فامر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلمّا تسلّمه أُحْضر السلطان بايزيد واولاده الاربعة وكُلّ واحد كالبدر الطالع، والنجم الساطع، فخُنِقوا مع والدهم بادارة الوَهَق، حتى لم يبق منهم رَمَق، واخمدوا انفاسهم

وربيب حجره ومهده، مُشيّد اركان الملك العثمانى، السلطان سليم الثانى، اجلسه الله على سرير القرب والتدانى، وعوّضه ملك الفردوس الباقى، عن سلطنة هذا الملك الفانى، مولده سنة ٩٢٩ كما ياتى فى محلّه ، ومنهم السلطان السعيد الشهيد السلطان مصطفى وهو اكبر اولاده ومولده سنة ٩٢١ استدعاه والده من المحلّ الذى ولاه وهو مغنيسيا الى اركلى وهو متوجّه الى تبريز لاخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلاً لامره باذلاً نفسه وكان والده يتوهّم منه خروجه عليه فلمّا حضر بين يديه امر طايفة من البُكْمان بخنقه فخُنق صبرًا وقُتل قهرا فى آخر شوال سنة ٩٦٠ والطف ما قيل فى تاريخه ظلم فى حدود آخر شوال ، ثم ارسل ابرهيم باشا الخادم الى برُوسا لقتل ولد له طفل اسمه مراد فمضى اليه وخنقه والحقه بوالده رحمهما الله ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الامر الفظيع، الذى قطع القلوب اى تقطيع، الا لتسكين الفتن ، واطفاء نار المحَن، ما ظهر منها وما بطن، صونًا لدماء المسلمين، وحفظًا لنظام التّامين والتطمين ، ومن اولاده السُّعداء السلطان محمد مولده سنة ٩٢٨ وتوفى على فراشه بأَجْله فى سنة ٩٥٠ ، ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد السلطان بايزيد مولده سنة ٩٣٣ اجتمعتُ به مجلسًا واحدًا فى رحلتى الثانية الى الروم فى سنة ٩٦٥ وقد استدعانى وانا مارٌّ عليه بقرب كوتاهية فى قرية يقال لها قره أُبُوك وكان الامر منسجمًا بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلتُ اليه وحضرتُ بين يَدَيْه، واقبل علىَّ بكليّته واقبلتُ عَلَيْه، وعظّمنى وعظم امرى واكرمنى فوق قدرى وباسطنى وخاطبنى بدون واسطة وقرّبنى واخلا مجلسه لى وحدى ولم يَتْرُك فرعًا من الفروع لله اراد كشفها وتحقيقها الا سالنى

الزاهر، والادب الغضّ الذى يقصر عن شاوة كلّ اديب وشاعر، ان نظم نضّد عقود الجواهر، او نثر اثر منثور الازاهر، او نطق قلد الاعناق نفايس الدرّ الفاخر، له ديوان فايق بالتركىّ، وآخر عديم النظير بالفارسىّ، يتداولهما بلغاء الزمان، ويعجز ان ينسج على منواله فضلاء الدّوران، تتناقله الركبان بكلّ لسان، وتستلذّ بمعانيه العقول والاذهان، وكان رؤفًا شفوقًا، صادقًا صدوقًا، اذا قال صَدَقَ، واذا قيل له صدّق، لا يعرف الغلّ والخداع، ويتحاشى عن سوء الطباع، ولا يعرف المكر والنفاق، ولا يالف مساوى الاخلاق، بل هو صافى الفؤاد، صادق الاعتقاد، منوّر الباطن كامل الايمان، سليم القلب خالص الجنان، لا يُرتاب فى كمال ديانته، ولا يُشَكّ فى صلاحه ولا فى ولايته

وما تناهَيْتُ فى شىء محاسنه الا واكثر ممّا قلت ما أَدَع

وقد أهّلَنى الله الى ان قبَّلْتُ يده الشريفة، وتشرّفتُ برُوية طلعته المنورة اللطيفة، وشاهدت ذاته العليّة المنيفة، فرايتُ نوراً يتلألأ، وهيئة البسها الله مهابة وجلالا، وجبينًا يتضوّع ضياء وجَمالا، والبسنى تشريفه الشريف، وشملنى باحسانه الوافر الوريف، فها انا انقلّب الى الآن فى جزيل انعامه، واعيش الى الآن فى فايض تفضلاته واكرامه، واترحّم على ذاته الطاهرة الجميلة، كلّما تذكّرت احسانه وجميله، وأُخَلّد ذكره للحسن فى اطباق اوراق الليل والنهار، وارقمه فى صفحات دفاتر الايام حيث لا تمحوه كرور الدهور والاعصار، لا تزيده الايام الا جدّة ونضارة، ولا يزال غضًّا طريًّا جديد البراعة والعبارة ٭

فصل فى ذكر اولاده الامجاد الكرام، واحفاده النجباء العظام، كان اكرمهم وامجدهم، واعزّهم واسعدهم، وانجبهم وارشدهم، ولىّ عهده وخلاصة عُنْصُره،

الباب الثامن

في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان * السلطان الاعظم سليمان خان *
وبعض ما فعل من المآثر الحسان * والصدقات الجارية والخيرات الباقية
علي صفحات الزمان * سقي الله تعالي عهده سحايب الرضا والغفران *

كان سلطانًا سعيدًا، ملكًا ايّده الله تعالى لنصرة الاسلام تأييدًا، تولّى السلطنة بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ٩٢٦ وجلس على تخت السلطنة ولا دمى انف احد ولا أُريق في ذلك محجمة من دم ومولده الشريف سنة تسعماية كذا ذكره مولانا محمد ابن الخطيب قاسم الرومى في حاشية كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشرى سمّاه الروضة ورايت ذلك بخطّ طايفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنّه الشريف حين ولى السلطنة ستًّا وعشرين سنة واستمرّ في السلطنة تسعًا واربعين سنة وكان عُمره اربع وسبعين سنة وشهرين ۶ وهو سلطان غازٍ في سبيل الله، مجاهدٌ لنصرة دين الله، مرْغم أُنوف عداه، بلسان سَيْفه وسنان قناه، كان موّيّدًا في حروبه ومغازيه، مسدّدًا في ارآءه ومعازيه، مسعودًا في معانيه ومغانيه، مشهودًا في وقايعه ومَرَاميه، أيّانَ سلك ملك، وأنّى توجّه فتح وفتك، واين سافر سفر وسفك، وصلَتْ سراياه الى اقصى الشرق والغرب، وافتتح البُلدان الشاسعة الواسعة بالقهر والحرب، واخذ الكفار والملاحدة بقوّة الطَّعْن والضرب، وايّد الدين الحنيفيّ بحدود سيفه الباتر، واقام الملّة الحنيفية وأَحْيَى ما لها من مآثر، ونصر مذهب اهل السُّنّة السنية واظهر شرايع الشعاير، وردع اهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر، وكان مجدّد دين هذه الامّة المحمّدية في هذا القرن العاشر، مع الفضل الباهر، والعلم

واحد من الائمة رضوان الله عليهم اجمعين غير ان تعدّد المقامات فى مسجد واحد لاستقلال اهل كل مذهب بامام ما اجازه كثير من العلماء وان تعدُّد هذه المقامات فى وقت حدوثه انكره العلماء غاية الانكار فى ذلك العهد ولهم فى ذلك العصر رسالات متعدّدة باقية بايدى الناس الى الان وان علماء مصر افتوا بعَدَم جواز ذلك وخَطَّؤُوا من قال بجوازه ثم انفصل المجلس على غير اتّفاق ، ثم ذكر القاضى بديع الزمان ابن الضياء الحنفى ان جدّه القاضى ابا البقاء ابن الضياء افتى بجواز ذلك فشرع الامير مصلح الدين فى اتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسّع المكان وعمل قبّة عليّة من الحجر الاصفر والاحمر الشميسى واصرف على ذلك ذهبًا كثيرًا واستمرّ مقامًا يصلّى فيه الحنفية بالحنفيّين الى ان غيّره الامير خوشكلدى امير بندر جُدّة وهدم القبة وبنى المقام مربّعًا ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبّرين لتتصل اصواتهم الى ساير المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باقٍ الى الآن على هذا الحكم ، ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبّة توجّه الى المدينة بما معه من الصدقات الرومية وتصدّق بها على جيران النبىّ صلعم وكتب دفترًا باساميهم واحسن اليهم احسانًا وافرًا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجّه الى الينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وابقى ذكرًا جميلا، وحصل ثوابًا جزيلًا، رحمه الله تعالى ❊

الشريف السلطانى واستمرّ الى الآن وزيد على ما كان بحيث صار فقهاء مكة والمجاورون يتعيّشون بوصول هذا الحبّ اليهم اما فى جميع السنة او اكثرها فلو فقدوا ذلك والعياذ بالله تعالى هلكوا وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلّد ملكهم السعيد، وطوّق بقلايد احسانهم العتيد، اعناق خُدّام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد،

اقامت فى الرقاب لهم أيادى ❊ هى الاطواق والناس الحمامُ

فيجب على كافّة المسلمين عموماً، وعلى اهل الحرمين الشريفين خصاصًا، الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان، خلّد الله سلطنتهم مَدَى الزمان، فان دولتهم الشريفة هى عماد الاسلام، واحسانهم متواصل الى كافّة الانام، سيّما جيران بلد الله الحرام، وجيران نبيّه الاطهر عليه افضل الصلوة والسلام، فانهم فازوا بالانعامات الوافرة، فى ايام هذه الدولة الزاهرة، وحازوا من الصدقات المتكاثرة، فى نوبة هذه السلطنة القاهرة، ما لم يتصوّروه من الدول الماضية الغابرة، فالله يُديم علينا سلطانهم، كما دام علينا وعلى عامّة الانام برّهم واحسانهم ء

وممّا جدّده الامير مصلح الدين المذكور بناء مقام الحنفية فانه كان مسقّفًا على اربعة اعمدة فى صدره محراب عمل سنة ٨٠١ فاراد ان يوسّعه ويجعله قبّة فامر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمّة والعلماء والاعيان، وقال لهم ان الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان، روّح الله روحه الشريفة بروايح الروح والريحان، والرحمة والرأفة والرضوان، جديرٌ بان يكون له فى هذا المسجد الحرام مقام، يجتمع فيه اهل مذهبه ومُقلّدوه يكون أوْسَعَ من هذا المقام، فذكر بعض العلماء انه لا شكّ فى عظم كل

ذلك الامير مصلح الدين فجلس فى الحرم الشريف وطلب قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعى والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى ونايب جُدّة الامير قاسم الشروانى وبقية الفقهاء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطانى واستشارهم فى توزيع ذلك فذكروا انه لا بُدّ من عرض ذلك على شريف مكة سيّدنا ومولانا الشريف بركات واخذ رايه فى ذلك فارسلوا اليه ساعيًا وكتبوا اليه صورة الامر الشريف السلطانى واستدعوا رايه العالى فى ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من جنس الصدقة الشريفة على المستحقّين بحسب اتّفاق الآراء من اعيان اهل المجلس، فاجتمعوا ثانيًا بعد وصول الجواب واتّفق رايهم على بيع بعض ذلك الحبّ ليُصْرَف فى نقله من جُدّة الى مكة وبان يكتب اسامى الناس على العموم ويُصْرَف الى كل واحد ما يخصّه من الحبّ وما يخصّه من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المَصَارف وامر شيخ الاسلام الصلاحى ان يباشر كتابة دفتر ذلك ورقم اسامى الناس الشيخ رضى الدين الحناوى الشاهد العدل كبير الشهود العدول فى باب السلام المكّى فكتب بيوت كل محلّة وكتب ما فى كل بيت من اعداد الانفار رجالاً ونساء واطفالاً وخُدّامًا ما عدا التجار والسوقة والعسكر فكانوا اثنى عشر الف نفر فخصّ كل نفر ست رباعى بكيل الربع الكثير الذى هو ربع كيل من اربعة وعشرين قدحًا بالكيل المصرى المستمرّ الآن وان يدفع مع ذلك لكلّ نفر دينار ذهب فوُزِّع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكلّ واحد من القضاة الاربعة ثلاثة ارادب فزيد فى اسماء بعض البيوت بحسب الاعتناء بشان كبير البيت، وهذا اول صدقات الحبّ

الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم افاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل
شيخ الكعبة من منى فى يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين وكسى
البيت الشريف باسم السلطان سليم خان واتم الناس حجهم وتوجه امير
الحاج المصرى بالمحمل الشريف وسافر وتأخر عنه الامير مصلح الدين لاتمام
بعض الاوامر السلطانية وانفاذهـا ولا يصال الخير والاحسان الى الفقرآء
واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته،
وفى ليلة الجمعة فى اواخر شهر ذى الحجة الحرام طلب بعض الاولياء والصالحين
والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكريم بن الشيخ ياسين الحضرمى
والشيخ عبد الله بن احمد باكثير الحضرمى وشيخنا الشيخ محمد بن
عبد الرحمن الحطاب المالكى وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن
عبد الرحمن الحطاب المالكى والشيخ أيوب الأزهرى وجمـــاعـــة من
الصلحاء وأحضر لهم دوابا يركبونهـا الى التنعيم عند مساجد السيدة
عايشة رضى الله عنها وركب معهم واشار عليهم ان يعتمروا عن والدة
السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة ولبى
عنهـا وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا واهدوا ثواب
تلك العمرة الى صحايفها ثم احسن اليهم ورتب لهم الصر فى دفتـــر
الصدقات فدعوا له وللمرحومة ولولدها السلطان الاعظم سليم خان
رحمه الله، ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة بحرا سفـــايـــن
مسمارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريـــفـــين
جهزها ملك الامرآء خيربك نايب السلطنة الشريفة بمصر بامر السلطان
سليم وهى سبعة الاف اردب حب منها الفا اردب لاهل المدينة الشريفة
وخمسة الاف اردب لاهل مكة، ووصل الامر الشريف السلطانى ان يوزع

سليم وأهدى الى صحايفه الشريفة ثوابهـا وقرّر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرًا يقرأ كلّ واحد منهم جزءًا شريفًا قرآنيًا فى كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة فى كل يوم يُهْدَى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرّر لهم مفرّقًا للاجزآء وداعيـًا وحافظًا للاجزآء وجعل لكلّ واحد منهم اثنى عشر دينارًا ذهبًا فى دفتر الصدقات الرومية تَصِلُ اليهم فى كل عام ثم جمع له طايفة من الفقرآء اعطى لكلّ نفر ثلاثة دنانير ذهبًا سمّاها المتفرّقة وكتب اساميهم فى الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب اسامى من فى البيوت وعيّن لكلّ نفر منهم ثلاثة دنانير ذهبًا وألحق ذلك فى دفتر الرومية وسمّاهـا البيوت وهى باقية الى الآن ثم عليه الفقرآء فجمعهم فى حوش كبير واعطى لكلّ واحد دينارين ذهبًا وسمّاهم العامّة وكتب اساميهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كلّه باقٍ الى الآن وثوابه لمن اسّس فعل هذه الخيرات جارٍ فى صحايف حسناته الى يوم القيمة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويرى خطبة التروية فى سابع ذى الحجّة وفى ظهر اليوم الثامن توجّه الناس الى عرفات وتوجّه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومىّ وتوجّه المقر العلامى بالمحمل المصرى الى عرفات وصلّوا فى اليوم التاسع صلوة الظهر والعصر جميعًا بينهما بعد الزوال بعد ان خطب الخطيب فى مسجد نمرة ثم شرعوا فى الوقوف فى ذيل جبل الرحمة وخطب قاضى القضاة صلاح الدين ابن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومى وامير الحاجّ المصرى بالمحمل المصرى ولم يصلْ فى ذلك العام المحملُ الشامى ودعى الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك ساير الحجّاج وافاض الامام وافاض النـاس معه وكانت الوقفة الشريفة يوم

الامير مصلح الدين فى مدرسة الاشرف قايتباى ونزل امير الحاج المصرى فى
مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كليركة
من ملوك الدكن وقد هدمت الآن مع ما فى ذلك الجانب من البيوت
والمدارس اللاصقة بجدر الحرم الشريف توسيعًا لطريق السيل ودفعًا
لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان
هدمها بموجب الامر الشريف السلطانى فى سنة ٩٨٤ وفرقت الصدقة
الرومية فى يوم الجمعة لاربع مضين من ذى الحجة سنة ٩٨٣ فى الحرم الشريف
على الفقهاء وقرّر جماعة من المجاورين لكلّ واحد منهم ماية ذهب منهم
مولانا نور الدين حمزة بن القاضى مصطفى القرمانى ومولانا زين الدين
على القرمانى وقرّر باسم سيّدنا ومولانا الشريف ابى نمىّ اطال الله تعالى عمره
الشريف خمسماية دينار ذهبًا فى اول دفتر الصدقات باقية الى الآن
باسمه الشريف تُقبّض له فى كل عام وفرّقت بعد هذا الذخيرة وهى
صدقة كانت تجهّز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة ابقاها
السلطان سليم على حالها واجراها فى كلّ عام من خزينة مصر تفرّق على
فقرآء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب ارباب الدرك فى طريق
الحجّ وهى باقية مستمرّة الى الآن ، وفرقت الصدقات المصرية التى تجمع
من اوقاف الحرمين بمصر وتجهّز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصرّ
الحكمى وهو ايضًا باقٍ الى الآن وان تقهقر وضعُف وصار يُصْرَف على حكم
الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء الاكلة عليها ودخول
الظلمة فيها احيى الله من احياها ، وانمى حياة من عمّرها ونماها ،
وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قُرِئت ختمة شريفة قرآنية فى الحطيم
الشريف حضرها الامرآء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان

الصدقات الرومية فى كلّ سنة، فلمّا افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضى القضاة صلاح الدين محمد بن ابى السُّعود بن ابراهيم ابن ظهيرة وكان السلطان الغورى حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع فيه ولمّا خرج بعساكره من مصر الى مرج دابق اخرج كلّ من فى حبسه من ارباب الجرايم الا القاضى صلاح الدين فانه ابقاه فى الحبس فلمّا انكسر وقُتل فى مرج دابق اخرجه السلطان طومان باى من الحبس واطلقه، فلمّا دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضى صلاح الدين فاكرمه وعظمه وخلع عليه واحسن اليه وجهّزه الى مكة معزّزًا مكرّمًا، وكان بمصر جماعة من الحجازيّين احسن اليهم كلّهم واكرمهم وولى امانة بندر جُدّة لتاجر اسمه الخواجا قاسم الشروانى كان مقيمًا بمكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى مصر فخدمه وتقرّب الى خاطره الشريف فارسله الى مكة امينًا فى بندر جُدّة اميرًا عليها فوصل اليها وتمكّن من البندر، وارسل السلطان سليم من امرآءه الى مكة الامير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة وبمحمل شريف رومىّ فوصل فى صُحبة امير الحاجّ المصرى المقر العلآئى بالمحمل الشريف المصرى على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ مولانا السيّد بركات لملاقاة المحملّين الى سبيل الجَوْخى هو وولده سيّدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد ابو نُمَىّ اطال الله تعالى عمره الشريف ولبسا الخلع الشريفة السلطانية وسارا امام المحملين المصرى والرومى باعلامهما وطبولهما واستمرّا فى هذا الموكب الى ان فارقا المحملين وامير الحاج والامير مصلح الدين من عند باب السلام وأُدْخل المحملان الى الحرم الشريف ووُضِعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباي ويسارها ونزل

الدجاجة فى جُرْحه فتذوب بحرّه وشوهدت معاليق اكباده فى جوفه من خلف ظهره وانشبت المنية اظفارها فيه فما نفعته التمايم والرُّقا، وفُدِىَ بالاموال والارواح فما قُبِلَ الفدآء،

فلو قُبِلَ الفدآء لكان يُفْدَى ... وقد جلّ المصاب عن التفادى

ولكنّ المنون لهـا عيـون ... تكدّ لحاظها فى الانتقاد

فقُلْ للدهر انت أُصِبْتَ فالبَسْ ... برغم بنيك اثواب الحداد،

فقضى نَحْبَهُ، ولقى ربّهُ، ومضى سليم بقلب سليم، قادمًا على الله الكريم، الغفور الرحيم، وتَبَوّأَ مقعدَهُ من سرير الملك تَجَاهُهُ الوارث السعيد، كذلك يوتى الله الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء وهو الفعّال لما يريد، وكانت وفاته رحمه الله واسكنه غرف الجنان، وانزل عليه شآبيب المغفرة والرضوان، فى سنة ٩٢٦،

الفصل الثالث فى بيان ما عمّره المرحوم السلطان سليم خان فى الحرم الشريف وبعض احسانه الى اهل الحرمين الشريفين فى ايام سلطنته،

كان رحمه الله كوالده المرحوم كثير المحبّة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التى كان يجهّزها لهم والده المرحوم ويكرم من قدم عليه منهم اتمّ اكرام، ويحسن اليه اجلّ احسان وانعام، فوصلتْ صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصرّ على حُكم ما قرّره والده المرحوم لاهل الحرمين فى اول سلطنته عام ٩١٨ وتضاعف له الدعاء بالحرمين الشريفين وسافر اليه جماعة منهم من اهل مكة كالخطيب محيى الدين العراقى فحصل له منه انعام جميل وخير جزيل ورتب له فى دفتر الصرّ ماية دينار ذهبًا وفرح بمن قدم عليه من الحجازيّين وانعم على كلّ احد بحسبه وكان يرسل

اليكبجرية ويمضى به الى باب زُويلة ويُصْلَب فيه ليراه الناس باعينهم ويصدّقوا بانه مُسِكَ فصُلِبَ على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ٩٢٣، ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضى القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضى القضاة نور الدين على بن ياسين الطرابلسى الحنفى قاضى الحنفية وقاضى القضاة الدميرى المالكى قاضى المالكية وقاضى القضاة شهاب الدين احمد ابن النجّار الحنبلى قاضى الحنابلة وولى ملك الامرآء خيربك على مصر وولى جان بردى الغزالى الشام كما وعدهما بذلك ومهّد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى فى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ٩٢٣ واخذ معه كثيراً من اعيان مصر سُرْكُنًا الى الروم كما هو قانونهم، ووصل الى تخت مُلكه ومقرّ سلطنته مظفّرًا منصورًا، وشكر الله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدًا شكورًا، وافتقد خزاينه فوجد قد انصرف غالبها فانه كان قد اصرف على هذَيْن السفرَيْن وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزاين عظيمة ممّا جمعه آباؤه واسلافُهُ فلمّا اراد سفرا ثالثًا الى بلاد العجم لقطع جادرة طايفة القزلباش راى ان ما بقى من خزاينه لا يفى بتلك المصارف فتاخر ليجتمع فى خزاينه ممّا يُجْمَع له من خراج البلاد، قدر يفى له بالمراد، ويأبى الله الا ما اراد،

ما كلّ ما يتمنّى المرء يُدْركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفنْ

فظهرت فى اثناء ظهره جراحة، منعته الراحة، وحُرِمَتْ عليه الاستراحة، وعجزت فى علاجه حُذّاق الاطبّاء، وتحيّرت فى دآءه عقول الالبّاء، وعظم الجرح، وكبر القرح، واتّسع الخَرْقُ، والتهب الحَرْقُ، وكانت تـوضـع

السلطان سليم فى ذلك اليوم سنان باشا وأسِفَ السلطان سليم على شهادته، ومن جملة نُكَتِه انه قال لمّا أُخْبِر بهُروب عساكر الاعدآء واخذ مصر وقتل سنان باشا ، اىّ فايدة فى مصر بلا يوسف، ووجه النكتة ان يوسف يلقّب بسنان فى عرفهم، وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتمزّقوا وتشتّتوا وتفرّقوا وهرب طومان باى الى البرّ ونزل على شيخ عُربان من بنى جذام عبد الدايم بن بقر، ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل فى ساحلها فى الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلد وامنوا الناس، وازالوا عنهم الخوف والباس، ما عدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم ربطوهم واتوا بهم الى السلطان سليم خان فيامر بضرب رقابهم وتُرْمَى خثثهم فى بحر النيل وتُجْمع رؤُسهم اكوامًا بعد اكوام الى ان عفنت الجزيرة بروايح القتلى وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وامر ان يُبنى له فى عُلُوّه كوشك عالٍ سكنه مدّة مقامه بمصر هربًا من عفونات اشلاء القتلى، ثم ان شيخ العرب عبد الدايم بن بقر تقرّب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باى اسيرًا فانعم السلطان سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باى عنده واراد ان يكرمه ويجعله نايبًا عنه بمصر اذا برز عنها الى الروم وصار يحضره فى مجلس الصُّحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فارجف اهل مصر عن طومان باى انه لم يقع فى الأسْر وانه اختفى وانه يجمع عسكرًا وينتهز الفُرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه احد فبلغ السلطان سليم خان اراجيف الناس وراى ان الفتنة لا تسكن ما دام طومان باى محبوسًا فامر ان يركب على بغلة ويحفّ به

الملك ممن يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير،
واستمر السلطان سليم خان بارض الشام الى ان مهد امورها، وضبط
حصونها وقصورها، ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر، ودفع البوس عنها
والاصر، فلما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسين باشا
وكان من اهل الخير وله عمارة فى آق شهر يخرج منها الطعام للمساكين
دايما رحمه الله تعالى، واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى
بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر قليل
بقصد الزيارة فاحسن الى اهل القدس واهل خليل الرحمن ورجع الى
معسكره وسار وصار كلما مر ببلدة او قرية او قصبة فى طريقه احسن
الى الرعايا، ونظر بعين المعدلة والاحسان الى البرايا، وازال عن الضعفة
ظلم الظالمين، ونشر العدل فى العالمين، وفر بقية السيوف من الجراكسة
الى مصر وولوا عليهم الدوادار الكبير مقدم الالف طومان باى ولقبوه
بالملك الاشرف واجتمعوا عليه، والقوا مقاليد سلطنتهم اليه، وساروا
بمواكبهم بين يديه، وجندوا الجنود، وعقدوا الالوية والبنود، وبرزوا الى
الريدانية خارج مصر ونصبوا المدافع الكبار، وملأوها بالبارود والاحجار،
وهيأوها ليطلقوها اذا اقبلت العساكر العثمانية، فلما اخبرهم
الجواسيس بذلك عدلوا الى ميسرتهم وجاءوا من خلف جبل المقطم
من وراء عسكر الجراكسة ورموا بالمدافع الكبار والمكاحل الضربزانات على
العجل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن ياتى من امام الريدانية بلا
نفع ولا دفع وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من امراء
الجراكسة قتالا قويا واظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له
المصاف وهو يغوص فى العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء

خادم الحرمين الشريفين واضمر خيرًا جميلًا واحسانًا جزيلاً لاهل الحرمين الشريفين واظهر الفرح والسرور بتلقّبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعًا متعدّدة وهو على المنبر واحسن اليه احسانًا كثيرًا بعد ذلك واقام بحلب ايامًا يسيرة وهو يمهّد الملك ويجرى احكام المعدلة والسياسة ويحسن الى العرب، ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج اهل الشام الى لقاءه وطلبوا منه الامن والامان، واللطف والرأفة والاطمئنان، فاجابهم الى ما سالوه، وبسط لهم ما طلبوه واملوه، فقبّلوا الارض بين يَدَيْه، وبالغوا فى الدعاء بدوام دولته والثناء عَلَيْه، فخلع على كلّ ممّن يستحقّ التشريف خلع الرضا والاكرام، وألبسهم التشاريف الفاخرة كُلًّا بحسب حاله واستحقاقه للانعام، ودخل الى الشام بموكبه الكريم، واقام به لتمهيد امور المملكة برأيه الشريف القويم، وخطب له الخطباء فخلع عليهم، واكرمهم واحسن اليهم، وقابل الناس بسنّ ضاحكٍ ووجهٍ متهلّلٍ سرورًا، وجبينٍ اغرّ يملأ الارجاء ضياءً ونورًا، وامر بعمارة تُرْبة الشيخ الاكبر والاكسير الاحمر مولانا الشيخ محيى الدين ابن عربىّ رضّه ورتب عليه اوقافًا كثيرة وعمل له مطبخًا يطبخ الطعام فيه لفقراء الشيخ المرحوم وجعل عليها متولّيًا وناظرًا يجمع الريع ويصرفه فى جهات الخير ونظرهُ من اعظم الانظار فى بلاد الشام الى الآن وما يسّر الله تعالى اجرًا مثل هذا الخير العظيم لاحد من ملوك الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شكّ ان روحانية الشيخ رضّه هى التى جلبت السلطان سليم طيّب الله ثراه الى سلطنة بلاد العرب، وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد فى حصول ما امّله وطلب، وذلك فضل الله يُوتيه من يشاء، والله تعالى يوتى الملك من يشاء، وينزع

الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثّقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بما يُطَيّب خاطرهما وان يولّيهما مملكة مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه على ذلك قبل القتال فلمّا تلاقى العسكران واضطربت نيران البنادق فى مرج دابق فرّ خيربك بمن معه من الميمنة وفرّ الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواصّه وجُلبانه فى القلب واطلقت البنادق والضربزانات فهلك من هلك، وهرب من هرب لا يدرى اين سلك، وانقلب النهار ليلاً مظلماً بالدخان، وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران، وغار الغورى تحت سنابك الخيل، ومحى نور العدل ظلام الظلم كما يمحو النهار الليل، وذهبت ظلامات الجراكسة كانهم كانوا هَبَاء منثورًا، واكلت اشلاء قتلاهم الوحوش والطيور كانّ لم يكونوا شيئًا مذكورًا، واقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء، وقد احمرّتْ من اسالة الدماء، فطلب اهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفًا وكرمًا فخرجوا الى لقاءه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤون وما رَمَيْتَ اذ رميت ولكن الله رمى، فقابلهم بالاجلال والاكرام، واخلع على كواهلهم خلع اللُّطف والانعام، وتصدّق بانواع الصدقات الجزيلة على الخاصّ والعامّ، وحضر صلوة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف، ودعى له ولآبآءه واسلافه وبالغ فى المدح والتعريف،

وما زاده الالقاب فخرًا وسوددًا باطناب ذى مدح واكثار مادح،

وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله تعالى شكرًا وقال الحمد لله الذى يسّر لى ان صرتُ

واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمايتى درهم وبيع الرغيف الخبز بماية درهم وسبب ذلك ان القوافل الّة كان أَعَدّها السلطان سليم لان تَتْبعه بالميرة والعليق والمون تخلّفت عنه فى محلّ الاحتياج اليهـا وما وجدوا فى تبريز شيئًا من الماكولات والحبوب لان شاه اسماعيل عند انكساره امر باحراق اجران الحبّ والشعير وغير ذلك فاضطرّ السلطان سليم خان الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشهـا ثم تفحّص عن سبب انقطاع القوافل عنه فأُخْبِر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغورى فانه كان بينه وبين شاه اسماعيل محبّة ومُوَدّة ومراسلات بحيث انه كان السلطان قانصوه الغورى يتّهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك فلمّا ظهر للسلطان سليم خان ان الغورى هو الذى امر بقطع القوافل عنه صمّم على قتال السلطان الغورى اوّلاً وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجّه الى قتال شاه اسماعيل ثانيًا فلمّا استقرّ ركاب السلطنة الشريفة العثمانية فى تخت ملكها الشريف تهيّأ لاخذ مصر وازالة دولة الجراكسة عنها وتوجّه بعسكره الجرّار الى ناحية حلب فى سنة ٩٢٢ وخرج الى قتاله قانصوه الغورى بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب فى مرج دابق وكان الغورى يتوهّم ويخاف على نفسه من ملك الامرآء خيربك ومن جان بردى بك الغزالى وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فامرهما ان يتقدّما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابًا امامه ووقف الغورى بخواصّ عسكره الذى يعتمد عليهم من الجُلبان الذين اراد ان يقدمهم خلف خيربك والغزالى وقصد بذلك ان يُقْتَلا بالبُنادق والضَّرْبزن فى اول مرّة ثم يَسْلم هو ومن معه وتفطّن خيربك والغزالى لذلك وكانا ارسلا

وهو يجرّ الخميس العرمرم، ويصول بسيف عزمه ويقدم، ويتقدّم الى ان تلاقى العسكران فى قرب تبريز، ورتب السلطان سليم عسكره وتنزّل من عند الله الفتح القريب والنصر العزيز، فتجالد الفريقان بجـالـدران، وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان، يهدرون كالجاتى الفوالج، فوق البحور المواييج، وتصادمت فرسان الزحف والصيال، تصادم اطواد الجبال، وصارت نجوم الابطال، رجوم البطش والقتال، فزلزلت الارض زلزالها، واخرجت الاهوال اثقالها، وخيّلت المعركة سمآء غمامهـا القسطل، وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل، ورعودهـا صليل السيوف فى اعنـاق الجحفل، وغيوثهـا صبيب الدم من اوداج روس تحزّ وتفصل، واحجـار المدافع كجلمود صخر حطّه السيل من عل، الى ان طارت قلوب الاعدآء هوا، وذهبت قوائم هبا، وولوا على ادبارم ادبارا، وانهزم شـاه اسماعيل وولّى فرارا، ولم يجد له من دون الله انصارا،

وضاقت الارض حتى ان هاربهم اذا راى غير شىء ظنّه رجلا وقتل غالب جنوده وامرآءه، وساقت العسـاكر المنصورة العثمانية من ورآءه، وكادوا ان يقبضوا عليه، ففرّ من بين ايديهم وهم ينظرون اليه، وترك ما تخوّله فى مخيمه من اثاث تجملاته وكان لا نظير له فاغتـنـمـه عسكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله ارض تبريز فنهى فيها وأمرّ، وقتل من اراد وأسرّ، واعطى الرعيّة تمام الامن والامان، ونشر فيها اعلام اهل الايمان، واخذ من اراد منها من الفضلاء الافاضل، والمتميّزين فى الصنايع والفضايل، والشعرآء الاماثل، وساقهم سركنا الى اصطنبول على القانون واراد ان يقيم فى تبريز للاستيلاء على اقليم العجـم، والتمكّن من تلك البلاد على الوجه الاتمّ، فما امكنه ذلك لكثرة القحط

يتوجّه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب اموالهم ويفرّقها الى ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد ان يدّعى الربوبية وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بامره وقتل خلقًا لا يُحْصون ينوف على الف الف نفس بحيث لا يُعْهَد فى الاسلام ولا فى الجاهلية ولا فى الامم السابقة مَنْ قَتَلَ من النفوس ما قتله شاه اسماعيل وقتل عدّة من اعاظم العلماء بحيث لم يبق احدًا من اهل العلم فى بلاد العجم واحرق جميع كُتُبهم ومصاحفهم لانها مصاحف اهل السُّنّة وكلّما مرّ بقبور المشايخ نبشها واخرج عظامهم واحرقها واذا قتل اميرًا من الامرآء اباح زوجته وامواله لشخص آخر، ومن جملة مضحكاته انه جعل كلبًا من كلاب الصَّيْد اميرًا ورتب له ترتيب الامرآء من الخدم والكواخى والسماط والكيلار والأُوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل من ذهب ومرتبة ومسندة يجلس عليها كالامرآء، وسقط مرّة منديل من يده الى البحر وكان فى جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق الف نفس تحطّموا وتكسّروا وغرقوا وكانوا يعتقدون فيه الأُلوهية ويعتقدون انه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة، فلمّا وصلت اخباره الى السلطان سليم خان تحرّكت فيه قوّة العصبية الغضبية، واقدم على نصر السُّنّة الشريفة السَّنية، وعدّ هذا القتال من اعظم الجهاد، وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد، وينْصُر مذهب اهل السُّنّة الحنيفية على مذهب اهل البِدَع والالحاد، ويأبى الله الا ما اراد، فتهيّأ السلطان سليم بخيله ورجله، وعساكره المنصورة ورحله، وسافر لقتاله، واقدم على جلاده وجداله،

بيت صايغ يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان فيها كثير من الفرق الضالّة كالرافضة والحروفية والزيدية وغيرهم فتعلّم منهم شاه اسماعيل فى صغره مذهب الرفض فان آباءه كان شعارهم مذهب السُّنّة السّنيّة وكانوا مطيعين منقادين لسُنّة رسول الله صلعم ولم يُظهر الرفض غير شاه اسماعيل وتطلّبه من امرآء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبَى ان يسلّمه لهم فانكر وحلف لهم انه ما هو عندى ووَرّى فى يمينه وكان مختفيًا فى بيت نجم زركر وكان ياتيه مريدوا والده خفية وياتونه بالنذور ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذى هو ساكن فيه. الى ان اراد الله بما اراد وكثرت داعية الفساد، واختلفت احوال البلاد، باختلاف السلاطين وكثرة العناد بين العباد، ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتاء وحينئذ كثر اتباع شاه اسماعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان واظهر الخروج لاخذ ثار والده وجدّه فى اواخر سنة ٩٠٥ وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة الشروان لقتال شروان شاه قاتل ابيه وجدّه وكلّما سار منزلًا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى ان وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره وقاتلهم وقاتلوه فانهزم عسكر الشروان وأُسر شروان شاه واتوا به الى شاه اسماعيل اسيرا فامر ان يضعوه فى قدر كبير ويطبخوه وياكلوه ففعلوا كما امر واكلوه وكان ذلك اول فتوحاته ثم توجّه الى قتال الوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزاينه وقسمها فى عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلًا ذريعًا ولا يمسك شيئًا من الخزاين بل يفرّقها فى الحال ثم قاتل مراد بيك ابن السلطان يعقوب فهزمه فى الحال واخذ خزاينه وفرّقها على عسكره ثم صار لا

الله شروان شاه فخرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقُتل وتفرّق مريدوه ، ثم اجتمعوا بعد مدّة على الشيخ حيدر وحسّنوا له الجهاد والغزو فى حدود كرجستان وجعلوا لهم رماحًا من اعواد الشاجر وركّبوا فى كلّ عود سنانًا من حديد وتسلّحوا بذلك والبسهم الشيخ حيدر تاجًا احمر من الجوخ فسمّاهم الناس قزلباش وهو اول من البس التاج الاحمر لاتباعه واجتمع عليه خلق كثير ، فارسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن اوزن حسن يخوّفه من خروج الشيخ حيدر على هذه الصفة فارسل له اميرًا من امرآءه اسمه سُليمان بك باربعة الاف نفر من العسكر وامره ان يمنعهم من هذه الجمعيّة فان لم يمتنعوا اذن له أن يقاتلهم فمضى الى الشيخ حيدر ومنعه من هذه الجمعية فما اطاعه فاتّفق مع شروانْ شاه فقاتلاه ومن معه فقُتل الشيخ حيدر وأُسر ولده شاه اسماعيل وهو طفل وأُسر معه اخوانه وجماعته وجاء بهم سليمان بك الى السلطان يعقوب فارسل بهم الى قاسم بك الفرناك وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وامره ان يحبسهم فى قلعة اصطخر فحبسهم بها واستمرّوا محبوسين فيها الى ان توفى السلطان يعقوب فى سنة ٨٩٦ وتولى بعده السلطان رستم ونازعه فى سلطنة اخوانه وتفرّقت المملكة واستقلّ فى كلّ قُطْر واحد من اولاد السلطان يعقوب فهرب اولاد الشيخ حيدر الى لاهجان من بلاد كيلان وخرج من اخوان شاه اسماعيل خواجه شاه علىٌّ بن الشيخ جنيد وجمع عسكرًا من مريدى والده وقاتل بهم فقُتل فى ايام السلطان رستم ابن السلطان يعقوب ثم توفى السلطان رستم وولى مكانه السلطان مراد ابن يعقوب وألْوَنْد بيك ابن عمّه وكان شاه اسماعيل فى لاهجان فى

الباقون وكان من امرآء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قُتلق بيك بن
على بيك من طايفة آق قُويُنلو جدّ اوزن حسن بيك البايندرى وهو
اول من تسلطن من طايفة آق قوينلو وولى السلطنة منهم تسعة انفس
ومدّة ملكهم اثنتان واربعون سنة واخذوا ملك فارس من طايفة قره
قوينلو واوّل سلاطينهم قره يوسف بن قره محمد التركمانى ومدة سلطنتهم
ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد اوزن حسن بيك المذكور
فى شوال سنة ٨٧٣ وكان اوزن حسن بيك ملكاً شجاعاً مقداماً مطساماً
مظفّرا فى حروبه ميمونًا فى نزوله وركوبه الا انه وقع بينه وبين السلطان
محمد بن السلطان مراد خان حرب عظيم فى بايبرت فانكسر اوزن
حسن بيك وقُتل ولده زنيل بيك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى
اذربيجان وملك فارس والعراقين ، فلمّا التجا الشيخ جُنَيْد الى طايفة
آق قوينلو صاهره اوزن حسن بيك وزوّجه بنته خديجة بيكم فولدت
له الشيخ حَيْدَر ، ولمّا استولى اوزن حسن بيك على البلاد وطرد عنها
ملوك قره قوينلو واضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر
الى اردبيل وكثر مريدوه واتباعه وتقوّى بأوزن حسن بيك لانه صهره
فلمّا توفى اوزن حسن بيك ولى موضعه ولده السلطان خليل ستة
اشهر ثم ولده الثانى السلطان يعقوب فزوّج بنته حليمة بيكم من
الشيخ حيدر فولدت له شاه اسماعيل فى يوم الثلثاء الخامس
والعشرين من رجب سنة ٨٩٣ وكان على يديه هلاك ملوك العجم طايفة
آق قوينلو وقره قوينلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور ،
وكان الشيخ جنيد جمع طايفة من مريديه وقصد قتال كرجستان
ليكون من المجاهدين فى سبيل الله فتوهّم منه سلطان شروان امير خليل

له فتفكّر طويلاً ثمّ قال ما قدّر الله فهو كاين لا مفرّ عنه وامر باللطف عنه وتربيته وسمّاه سليمًا الى ان كان ما كان بتقدير الله تعالى ٭ ...

الفصل الثاني في قتال شاه اسماعيل وانهزامه ٭ هو شاه اسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جُنَيْد بن الشيخ ابراهيم بن سلطان خواجا شيخ علي بن الشيخ صدر الدين موسى بن الشيخ صفيّ الدين اسحاق الاردبيلي واليه يُنْسَبُ اولاده فيقال لهم الصَّفَوِيُّون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في اردبيل وله سلسلة في المشايخ اخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وينتهي بوسايط الى الشيخ الامام احمد الغزالي وتوفّى الشيخ صفي الدين في سنة ٧٣٥ وهو اول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوّف واوّل ما اختار سُكنى اردبيل ٭ وبعد موته جلس في مكانه ولده الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممّن زاره والتمس بركته تيمور لمّا عاد من الروم وساله ان يطلب منه شيئًا فقال له أَطْلُب منك ان تطلق كلّ من اخذته من بلاد الروم سُرْكُنًا فاجابه الى سواله واطلق السُّرْكن جميعهم فصار اهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليّين من ذرّيته الى الآن ٭ وحجّ ولده سلطان خواجا عليّ وزار النبيّ صلعم وتوجّه الى زيارة بيت المقدس وتوفي هناك وقبره معروف في بيت المقدس وكان ممّن يعتقده ميرزا شاهرخ بن تيمور ويعظمه ٭ فلمّا جلس الشيخ جُنَيْد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه واتباعه في اردبيل فتوهّم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهانشاه ابن قرا يوسف التركماني من طايفة قره قوينلو فاخرجه من اردبيل فتوجّه الشيخ جُنَيْد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرّق عنه

انثى أتركيها لتعيش مع بناتى وأكّد عليها فى ذلك غاية التأكيد واستمرّت على ذلك الى ان ولدت السلطان سليم والدته فرأته صبيًّا فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرات صورة جميلة فرقّت وقالت فى نفسها بأىّ وجه القى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا اقدم على قتله وقالت لابى يزيد بانه قد حصلت له بنت جميلة حسنة الصورة فلمّا أُخبر بذلك سمّاها سَليمة واستمرّ على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه غير القابلة والأمّ والله سبحانه وتعالى وصار كلّما يكبر وانتشأ ظهر عليه سيماء الغلبة والقهر واذا اجتمعْنَ البنات وجلس بينهنّ لطم من الى جانبه وضرب ونهب ما وجد بأيْديهنّ من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد فى يوم عيد الى داخل السّراى وامر ان يُطيّب المكان ويزيّن واستدعى ببناته واجلسهنّ بين يديه وامر ان يوضع بين يدى كلّ واحدة منهنّ انواع الحلاوى والفواكه وأُحْضر بينهن السلطان سليم وأسمه سَليمة فشرع فى عرامته على عادته وخطف ما بين ايديهن من الحلاوى والفواكه ووضع الكلّ بين يدى نفسه والكلّ خايفات منه هايبات له فتعجّب السلطان بايزيد لذلك وصار يتأمّله حديدًا وفى اثناء ذلك دار حولهم يعسوب كبير ارادوا مَسْكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يُريد مَسْكه فيهربون منه فمدّ السلطان سليم يده وهو طاير حوله فصاده بكفّه وعرسه وخبطه ورماه من يده فازداد تعجّب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتًا أكشفن لى عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبىّ وليس ببنت فقال لها وكيف خالفت امرى وما قتلتيه فقالت خفت من الله ربّ العالمين وخلّصْتُ ذمّتك وذمّتى من قتل معصوم ولا ذنب

وجىء به اليه فخنق وكذلك فعل بالسلطان محمد بن السلطان شاهنشاه والسلطان عثمان بن السلطان علشاه والسلطان مصطفى والسلطان اورخان والسلطان سليمان اولاد السلطان محمود وسبعة من الاولاد كلّهم رُضّعٌ فى المهد خنقهم فى ليلة واحدة فى بروسا فكانت ليلة ملأت البلاد بكاء وعويلاً، وصُرَاخًا اعظم من صراخ الثَّكلى ومأتمًا طويلاً، بكت فيها حتى الحجارة تتفجّر منها مدامع الانهار، وتنشقّ ثيابها حتى كمايم الازهار، ولطم الخدود حتى الشفق الى ان احمرّ ثم اسودّ، ولبس حتى الليل ثياب الحداد وتعمّم بالاسود، وكان امر الله قدرًا مقدورًا، وسيف الفناء بيد القضاء ماضيًا مشهورًا،

فلا المُعزّى بباقٍ بعد ميّته ولا المعزّى وان عاشا الى حين،

فلمّا استقرّ السلطان سليم على سرير الملك وهيهات اين الاستقرار، وثبت على تخت السلطنة وأنّى له بالثبوت والقرار، شرع فى قهر الملوك واخذ الممالك، والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والمسالك، فبدأ بقتال شاه اسماعيل بن الشيخ حَيْدَر الصوفى كما سنذكره مجملاً فى ذلك من هذا الفصل الثانى فانى ما ظفرتُ بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من افواه الرجال، واخبرنى ثقة من اعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذّره منجّم حاذق فى اهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يُولد له بعد ما وُلد له عشرة اولاد وكان تحذيره له قبل ان يولد السلطان سليم فطلب امراة معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوءات، وهى قابلة لمن تضع حملها منهنّ وكانت من الصالحات، الخيّرات الديّنات، فقال لها اذا وضعت احدى الجوارى بعد الآن صبيًّا فاقتليه ولا تبقيه حيًّا واذا ولدت

خسرو باشا المذكور فرايت مكتوبًا على الرخام الابيض كتابة خفيّة لا تكاد تظهر الا بتأمّل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل غنًى   يردده قسرًا ويضمن منه ما ادركا

لو كان لى او لغيرى قدر أنملة   فوق التراب لكان الامر مشتركا

وتحتهما ما صورته كتبه سليم بذلك الخط وذلك القلم ٥ ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ونهاية فى التمكّن من الصناعة فيدلّ على تمكّنه رحمه الله تعالى ايضًا فى اللسان العربى لانهما من اعلا طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثّل بهما وهما لغيره فهذه ايضًا من مرتبة علية فى حُسن التمثيل ولُطف الاستحضار لفهم الاشعار العربية والذوق لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبّين على علوم العربية فضلاً عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحُسن اداءه من العلماء والموالى فى غاية القلّة معدودون منهم ولا يُعَدُّ هذا نقصًا فيهم لان فهم الشعر العربى على وجهه وذوقه كما ينبغى قليل ايضًا فى علماء العرب الا من توغّل منهم فى علم الادب وتعب فى تحصيله ودأب

وقد كانوا اذا عُدُّوا قليلاً   وقد صاروا اقلّ من القليل ٥

ثم لمّا استوى السلطان سليم على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده خرج الى قتال اخيه السلطان احمد ففرّ لهيبة السلطان سليم عسكر احمد وبقى فى عدد قليل فأُخذ اسيرًا وأُتى به الى السلطان سليم فامر بخنقه فخُنق بالوتر فى تاسع صفر سنة ٩١٩ ٥ ثم فرّ السلطان قورقد الى كهف جبل وأراد التسحّب منه الى بلاد سحيق فعُرف مكانه فمُسك

تخت السلطنة وعمره ست واربعون سنة وكانت مدة سلطنته تسع سنين وثمانية اشهر وكان عمره جميعه اربعًا وخمسين سنة لم يعمّر اكثر من ذلك ولم تطلْ مدّة سلطنته لانه كان سفّاكًا كثير القتال وهذه عادة الله تعالى في السلاطين والامرآء والحُكّام اذا اكثروا من سفك الدمآء وكان سلطانًا قهّارًا، ملكًا جبّارًا، كثير السفك قويّ البطش عظيم الفتْك كثير الفحْص عن اخبار الناس، شديد التوجّه الى اهل النجدة والباس، عظيم التجسّس عن اخبار المالك، عارفًا بمسالك الطُرُق والمسالك، وكان يغيّر زيّه ولباسه ويتجسّس بالليل والنهار، ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار، وله عُدّة مصاحبين يدورون تحت القلعة وفي الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمعه بعد الوثوق منهم، وقد ادركتُ جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعتُ منهم حُسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولُطف معاشرته لهم وشدّة تيقّظه ودقّة فهمه وتحفّظه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرّسه في اللُّغة الفارسية وحُسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فُصَحآء الطايفتين ورايتُ بيْتيْن بالعربيّ بخطّه الشريف كتبهما في عُلُوّ المقياس في الكوشك الذي امر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد امحى لطول الزمان مداده، ومال الى لون البياض سَوَاده، وكان هذا الكوشك محترمًا مقفلًا لا يَصل اليه احد لعظمة بانيه ولا يبتذل بالدخول اليه تعظيمًا لراعيه، فلما قدمتُ الى مصر في سنة ٩٤٣ وكان يوم كسر النيل السعيد فتحوا هذا الكوشك لبكلربكي مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبًا لمعلّمه مولانا عبد الكريم العجمي فطلع واطلعني معه في صحبة

استولى عليه مرض النقرس وهو اكثر مرض آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لتبطؤهم وكثرة راحتهم وسكونهم يتطلبون سلطانا شابا قوى الحركة كثير الاسفار ليجاهد بهم فى سبيل الله ويغنموا من الكفار غنايم ويظفروا بانواع المغانم ورأوا ان السلطان سليم خان اجلد من ساير اخوانه واقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم فتبوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج عليه والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومغاضبا فقاتله ابوه وهزمه فولى هاربا ثم عطف عليه والده ثانيا لما راى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه وراى السلطان بايزيد توجه اركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم واشار عليه وزرآوه ان يفرغ من السلطنة للسلطان سليم بقلب سليم ويختار التقاعد فى ادرنة فى عزة وتعظيم وابرموا عليه فى ذلك فما راى بدا من اجابتهم الى ما مالوا وموافقتهم على ما طلبوا منه واملوا فطلبه الى حضوره وعهد اليه بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خواص خدامه الى ادرنة فلما وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه وعجز الاطبا عن علاجه وسقاه ساقى الحمام كاس اجله المحتوم فسلم الى قابض الارواح روحه المرحوم واقدم على الله الحى القيوم ورزق مرتبة الشهادة ونال بها اعلا درجات السعادة وانتقل من الملك الزايل الفانى الى الملك الدايم الباقى وكان ذلك فى سنة ٩١٨

تولى عوضه السلطان الاعظم السلطان سليم خان كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وساير ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلا محله ومأواه مولده فى اماسية سنة ٨٧٢ وجلس على

فى مهد السلطنة وحجرها، ونموا ما بين سحرها ونحرها، من شجرة طاب عودها، واعتدل عمودها، ولا غرو ان يجود الجواد كأصله، ويلوح مخايل الليث على شبله، والولد سرّ ابيه فى نبله وفضله، وكلّ شىء فى الحقيقة يرجع الى أصله

ملوك بنى عثمان مذ كان اصلهم كرامٌ لهم فى المكرمات مفاخر

اذا وُلد المولود منهم تهللت له الارض واهتزّت اليه المنابر

ولمّا ترعرعوا وبرعوا اخرجهم والدهم المرحوم، الى السناجق العالية فى بلاد الروم، وانعم عليهم بالولايات العظام، وحفظ بهم ملك الاسلام، وقلّدهم الامور الجسام، فجعل لاكبر اولاده السلطان احمد مملكة اماسية وما والاها وكان يتوقّع منه ان يكون ولىّ عهده ويأبى الله الا ما اراده وانعم على السلطان جهانشاه بمملكة قرمان واعمالها وولى السلطان قورقيد مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة طرابزون وهو الذى جرى فى حلبة السعادة فسبق بما سبق فى علم الله تعالى سلطنته فكان اولى من الجميع واحقّ واعطى السلطان محمود مملكة مغنيسيا وعيّن للسلطان عبد الله مملكة القفلو وما يليه من بلاد التتار، وكلّهم ملوك ابرار، وسلاطين كبار،

من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم

مثل النجوم التى يهتدى بها السارى

واسعد الله تعالى جهانشاه ومحمودا واحمد بالوفاة فى حياة والدهم وكفاهم الله تعالى القتل والقتال، وصار حال ما عدا السلطان سليم خان الى ما حال، رحم الله تعالى جميع اولئك الابطال، وعوّضهم عن سلطنة هذه الدار، جنّات تجرى من تحتها الانهار، وكان والدهم السلطان بايزيد

سَمَوْتَ عُلُوًّا اذ دنوت تواضُعًا
وقُمْتَ بحقّ الله فى السِّرِّ والجَهْرِ
غدَتْ بك ارض الروم تزْهُو ملاحةً
وتَرْفُلُ فى ثوب الجلالة والفخرِ
أَلَسْتَ ٱبن عثمان الذى سار ذكره
مسير ضياء الشمس فى البرّ والبحرِ
يمينُك تَروى عن يسارٍ ونايل
ووجهُك يَرْوى فى البشاشة عن بشرِ
وانى لصَوّانٌ لدُرّ قلايدى
عن المدح الا فيك يا ملك العصرِ
فقابل رعاك الله شكرى بمثله
فانك للمعروف من اكرم الذُّخْرِ
فلا زلتَ محروس الجناب مؤيّدًا
من الله بالتوفيق والعزّ والنَّصْرِ

ويحكى ان القصيدة لما وصلَتْ اليه فرح بها كثيرًا وامر لصاحبها احمد العُلَيّف بالف دينار ذهبًا جايزة ورتب له فى دفتر الصّرّ فى كل عام ماية دينار ذهبًا كانت تَصِلُ اليه فى كل عام وصارت بعده الى اولاده وكان للمرحوم السلطان بايزيد عدّة اولاد صاروا ملوكًا وصار لاولادهم اولاد فنهم السلطان جهانشاه والسلطان احمد والسلطان قورقد والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه، وكان انجبهم واجدهم واعزّهم واسعدهم واكملهم وارشدهم السلطان سليم شاه وكلّهم علام الهُدَى، ومصابيح الدُّجى، ونجوم لرجوم شياطين العدا، نَشأُوا

هو البدر الا انه كامل السنا
وذاك حليف النقص فى معظم الشهر
هو الغيث الا ان للغيث مسكة
وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف الا ان للسيف نبوة
وفلّا وذا ماضى العزيمة فى الامر
سليل بنى عثمان والسادة الأُولى
علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم
وهل ينسب الدينار الا الى التبر
محوا اثر الكفار بالسيف فاغتدت
بهم حوزة الاسلام سامية القدر
فيا ملكا فاق الملوك مكارما
فكل الى ادنى مكارمه يجرى
لئن فقتهم فى رتبة الملك والعلا
فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرّا لانها
سرار وانت البدر فى غرّة الشهر
تعاليت عنهم رفعة ومكانة
وذاتا واوصافا تجلّ عن الحصر
لك العزّة القعساء والرتبة التى
قواعدها تسمو على منكب النسر

رحمه الله تعالى من قصيدة رآيية طنّانة مطلعها

خذوا من ثنائى موجب الحمد والشكر
ومن درّ لفظى طيّب النظم والنثر

ومنها

فيا راكباً يسرى على ظهر ضامر
الى الروم يهدى نحوها طيّب النشر
لك الخير ان وافيتَ برُوسَا فسِرْ بها
رويدًا لاسطنبول سامية الذكر
لدى ملك لا يبلغ الوَصْف كنهه
شريف المساعى نافذ النهى والأمْر
الى بايزيد الخير والملك الذى
حمى بيضة الاسلام بالبيض والسُّمْر
وجَرّدَ للدين الحنيفىّ صارماً
اباد به جَمْع الطواغيث والكُفْر
وجاهدهم فى الله حقّ جهاده
رجاء بما يَبْغى من الفَوْز والأَجْر
له هيبة ملاء الصُّدُور وصَوْلة
مقسّمة بين المخافة والذُّعْر
اطاع له ما بين روم وفارس
ودان له ما بين بُصْرَى الى مِصْر
هو البحر الا انه دايمُ العطا
وذلك لا يَخْلو من المدّ والجَزْر

وجلس الاربعين، وارتاض مثل الصلحاء السالكين، ودخل معه الخلوة والد مولانا ابى السّعود افندى المفتى المفسّر وهو مولانا الشيخ ياوضى محيى الدين افندى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات، والتكايا والزوايا والخانقاهات، ودار الشفاء للمرضى والحمّامات والجسور، ورتب للمفتى الاعظم ومن فى رتبته من العلماء العظام فى زمنه فى كلّ عام عشرة الاف عثمانى ولكلّ واحد من مدرّسى الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان فى كل عام سبعة الاف عثمانى ولمدرّسى شرح المفتاح لكل واحد اربعة الاف عثمانى ولكل واحد من مدرّسى شرح التجريد الفى عثمانى وكذلك رتب لمشايخ الطريق الى الله ومريديهم واهل الزوايا لكل واحد على قدر مرتبته واستحقاقه هذا غير كسوة الصيف من الاصواف ونحوها وغير كسوة الشتاء من الفرآء والجوخ لكل واحد على قدر مرتبته فصار ذلك قانوناً جارياً بعده مستمراً، وكان يحبّ اهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احساناً كثيراً ورتب لهم الصرّ فى كل عام وكان يجهّز الى فقرآء الحرمين الشريفين فى كل سنة اربعة عشر الف دينار ذهباً يصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يتّسعون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه احد من اهل الحرمين ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلوة عظيمة ومواهب جليلة وممّن ورد عليه فى شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيى الدين عبد القادر بن عبد الرحمن العراقى والشيخ شهاب الدين احمد بن الحسين العُلَيّف شاعر البطحاء وفاضلها ونالا منه خيراً كثيراً وصنّف العُلَيّف باسمه تاريخاً سمّاه الدرّ المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم لا يخلو من فوايد لطيفة وممّا نظمه الشهاب العُلَيّف فى مدحه

البلاد، وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقلّ ولا اعلم احدًا تعرّض له من العلماء الامجاد، وظهر من اتباع شاه اسماعيل المذكور فى بلاد الروم شخصٌ مُلْحِدٌ زنديق يقال له شيطان قولى أَهْلَكَ الحرث والنسل، وعمّ بالفساد والقتل، وتبعه غُزاة لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وقويت شوكته وعظم به على المسلمين فى ذلك القُطْر الفتنة والبلاء، فارسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم علىّ باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغى، وامدّه بجيش عظيم لقطع جادرة هذا الطاغى، فاستشهد علىّ باشا فى ذلك القتال، وقدم باكفان شهادته الى الله المتعال، وانكسر شيطان قولى المفسد التعيس، وعسكره من جنود ابليس، وقُتل مع طايفة من اعوانه الاباليس، واسكن الله هذه الفتنة بعد ما طَمَّتْ، وكفى الله تعالى شرّ اولئك الاشرار بعد ان عظمت فتنتهم وعَمَّتْ، وذلك فى سنة ٩١٥ وكان السلطان بايزيد رحمه الله، وجعل الجنّة مثواه، من المجاهدين فى سبيل الله، الذين لا يزالون يقاتلون على الحقّ ظاهرين على من ناواهم، منصورين على من شقّ عليهم العَصَى وعاداهم، يجاهدون لتكون كلمة الله هى العُلْيا، وكلمة الذين كفروا هى السُّفْلَى، فما زال غازيا فى سبيل الله، مظفّرا على اعدآء الله، الى ان صارت بيضة الاسلام بسيوفه محمية محفوظة، وحركاته وسكناته بعين عناية الله واعانته منظورة ملحوظة، فكانت ايامه من احسن الايام، واكثرها امنًا وراحة وجمع قلب الانام، وكانت به كلمة الاسلام مجموعة، وكلمة اهل الضلال خاسئة مقموعة، وتولّى الله على يديه اعزاز دينه، واذلال طواغيت الشرك وشياطينه، وكان مع ذلك محبًّا لفعل الخيرات، مثابرًا على بذل الانعام والصدقات، محبّبا للعلماء والمشايخ والاولياء من اهل الكرامات، بحيث دخل الخلوة

من اعيان السلاطين العظماء، تفرّع من شجرة طيّبة اصلها ثابتٌ وفرعها في السماء، وتحدّر من سُلالة الملوك الاكابر، وورث سرير السلطنة كابرًا عن كابر، وتزيّنت باسمه روس المنابر، وتوشّحت بذكره صدور المنابر، وامتلأتْ بمدايح اوصافه بطون الصحف والدفاتر، وافتتح الفتوحات، وغـزا في سبيل الله اعظم الغزوات، ممّا افتتحه قلعة ملوان، وقلعة كوكلك وقلعة اق كِرمان، في سنة ٨٨٨، وقاتله اخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفرّ الى مصر وحجّ في زمن السلطان قايتباى وعاد واكرمه السلطان قايتباى اكرامًا عظيمًا فذهب الى وَرْسق وجمع طايفة من الغُزاة ونازع اخاه على الملك فقاتله السلطان بايزيـد فانكسر السلطان جم ثانيًا وفرّ الى بلاد النصارى في سنة ٨٨٧ فارسل اليه السلطان بايزيد احد عبيده في صورة حَلّاق مجهول فلمّا راه السلطان جم تأنّس به وساله عن صنعته فقال حَلّاق فاستخدمه وامره ان يحلق له فحلق له راسه بموس مسموم وهرب في الحال واثر السمّ في راسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله اشعار لطيفة بلسان التركيّ، وممّا افتتحه السلطــان بايزيد من القلاع العظيمة، والحصون المحكمة القديمة، قلعة متون وقلعة قرون، وغير ذلك من القلاع والحصون، وظهر في بلاد العجم في ايامه شاه اسماعيل بن الشيخ حَيْدَر بن الشيخ جُنَـيْـد الصَّفَوى في سنة ٩٠٥ وكان له ظهور عجيب، واستيلاء على ملوك العجـم يُعَدّ من الاعاجيب، فتك في البلاد، وسفك دماء العباد، واظهر مذهب الرفض والالحاد، وغيّر اعتقاد اهل العجم الى الانحلال والفساد، بعـد الصلاح والسداد، واخرب ممالك العجم وازال من اهلها حُسن الاعتقاد، والله يفعل في ملكه ما اراد، وتلك الفتنة باقية الى الآن في جميع تلك

الآبدين ودهر الداهرين، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، وقد اسّس المرحوم فى اسطنبول، للعلم اساسًا راسخًا لا يُخشى على شمسه الأُفول، وبنى بها مدارس كالجنان لها ثمانية ابواب سهلة الدخول، وقنّن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول، وتُرغب فى طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حُلل القبول بعد الخمول، فجزاه الله خيرًا عن الطُّلّاب، ومنحه بها اجرًا واكثر ثواب، فانه جعل لهم ايام الطلب ما يَسُدّ به فَاقَتَهُم، ويكون به من خمار الفقر افاقتهم، وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقّون اليها، ويصعدون بالتمكّن والاعتبار عليها، الى ان يَصِلوا الى سعادة الدنيا، ويتوسّلوا بها ايضًا الى سعادة العُقْبَى، وانه رحمه الله تعالى استجلب العلماء الكبار، من اقاصى الديار، وانعم عليهم، وعطف باحسانه العامّ اليهم، كمولانا علىّ القوشجى والفاضل الطوسى والعالم الكورانى وغيرهم من علماء الاسلام، وفضلاء الانام، فصارت اسطنبول بهم أُمّ الدنيا، ومعدن الفخار والعُلْيا، واجتمع فيها اهل الكمال من كلّ فنّ فعلماؤها الى الآن اعظم علماء الاسلام، واهل حِرَفها ادقّ الفُطناء فى الانام، وارباب دولتها هم اهل السعادة العظام، وللمرحوم المقدس قلادة مِنن لا تُحْصَى فى اعناق المسلمين، لا سيما العلماء الاكرمين، قلّدها فى اجيادهم فهى باقية الى يوم الدين، ولو ذُكِرَتْ مناقبه وعُدّدت لشحنت بها مجلدات، اسكنه الله تعالى فسيح الجنّات، دايرًا على قبره سحايب الرحمة والبركات، وكانت وفاته فى سنة ٨٨٦.

ثم تولى بعده **السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد خان** الغازى مولده سنة ٨٥٩ وجلس على تخت السلطنة فى ثامن عشر شهر ربيع الاول سنة ٨٨٦ وعمره اذذاك ثلاثون عامًا وعمّر اثنين وستّين عامًا وهو

الصليل، الفاضل النبيل، العظيم الجليل، اعظم الملوك جهاداً، واقوام اقداماً واجتهاداً، واثبتهم جاشاً واقوامهم فواداً، واكثرهم توكلاً على الله واعتماداً، وهو الذى اسّس مُلك بنى عثمان، وقنّن لهم قوانين صارت كالاطواق فى اجياد الزمان، وله مناقب جميلة، ومزايا فاضلة جليلة، وآثار باقية فى صفحات الليالى والايام، ومآثر لا يمحوها تعاقُب السنين والاعوام، وغزوات كسر بها اصلاب الصُّلبان والاصنام، من اعظمها انه فتح القسطنطينية الكبرى، وساق اليها السُّفن تجرى رخاء برّاً وبحراً، وهجم عليها بجنوده وابطاله، واقدم عليها بخيوله ورجاله، وحاصرها خمسين يوماً اشدّ الحصار، وضيّق على من فيها من الكفار الفجار، وسلّ على اهلها سيف الله المسلول، وتدرّع بدرع الله الحصين المسبول، ودقّ باب النصر والتّأييد ولَجّ، ومن قرع باباً ولَجّ وَلَجَ، وصبر على متن الصبر الى ان اتاه الله تعالى بالفرج، ونزلت عليه ملايكة الله القريب الرقيب، بالنصر العزيز من عند الله والفتح القريب، ففتح اسطنبول فى اليوم الحادى والخمسين من ايام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرون من جمادى الاخرة سنة ٨٥٧ وصلّى فى اكبر كنايس النصارى صلوة الجمعة وهى ايا صوفيّا وهى قبّة تسامى قباب السماء وتحاكى فى الاستحكام قبب الاهرام ولا وهَت ولا وَهَنَتْ كبراً ولا هَرَماً كانّ ابراجها ابراج الافلاك، ومسامير ابوابها نجوم السماك، مزّق منها جلابيب الصلبان والاصنام، وخلع عليها حُلل مساجد اهل الاسلام، وابدلها الله تعالى عن الظلمات نوراً، وكساها بنور الايمان شرفاً وحبّاً وحبوراً، لا زالت محلّاً للصلوة والعبادة والاعتكاف، مقرّاً لاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزُّهّاد فيها والعُرّاف، مستقرّاً لسلاطين آل عثمان اهل المعدلة والانصاف، ابد

وللسلطان محمد مدارس وعماير وافعال خيرات وهو اول من عمل الصرّ لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله، ولمّا تمّ اجله المسمّى في أمّ الكتاب، اراد الله تعالى نقله الى جنة المآب، ودعاه من ملك الفناء الى ملك البقاء المستطاب، فعاش سعيدًا، ومضى حميدًا، وتحوّل من دار البلاء، الى دار البقاء، وان الى ربّك الرُّجْعَى، وكانت وفاته بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة ايضا وذلك في سنة ٨٢٥ رحمه الله تعالى،

ثم ولى بعده السلطان مراد خان الثانى ابن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان كان مولده في سنة ٨٠٦ وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عامًا ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع واربعون سنة وكان ملكًا مطاعًا مقدامًا فاتكًا شجاعًا بَذُولًا واسع العطا عيّن للحرمين الشريفين من خاصّة صدقاته في كلّ عام ثلاثة الاف وخمسماية ذهبًا وللشرفاء السادات من خزينته في كل عام مثل ذلك، فتح الفتوحات، وليّن جموحات الجوعات، ومهّد الممالك، وامّن المسالك، واقام الشرع والدين، واذلّ الكفار والملحدين، واعزّ الاسلام والمسلمين، ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة مورة وغيرهما وقاتل قرال انكروس وهزمه وأسر منهم خلقًا كثيرًا واستمرّ يجاهد الكفار، ويفتح الديار، الى ان انتشا له ولده السلطان محمد فراى نجابته، ولمح في غرّته سعادته، وعرف اقباله وشهامته، فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ في مغنيسيا بحُسن رضاه،

فولى السلطان محمد بن مراد خان في سنة ٨٥٦ مولده في سنة ٨٣٥ وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من اعاظم سلاطين آل عثمان وهو الملك

وتسلطن بعده اولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتى عشرة سنة الى ان استقلّ بالسلطنة

السلطان محمد خان ابن السلطان يلدرم بايزيد خان فى سنة ٨١٦ ومولده فى سنة ٧٧٧ واستقلّ بالسلطنة وعُمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية واربعين عامًا وكان شجاعًا مقدامًا مجاهدًا فى سبيل الله افتتح عدّة قلاع وبلاد وبذل نفسه فى الغزا والجهاد ومهّدها اعظم مهادٍ ومّما افتتحه قلعة قسطمونية وقلعة أُسكب وقلعة صامسون وقلعة اقشهر وغيرهاء واظهر فى ايامه بدر الدين ابن قاضى سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعًا من مُريديه فارسل السلطان محمد خان عسكرًا لقتاله فقُتل من مريديه نحو من ثلاثة الاف نفر ومُسك بدر الدين ابن قاضى سماونه وكان يُرْمَى بسوء الاعتقاد وله رسايل تشير الى شىء من ذلك وقد جمع بين الفصول الأُسْرُوشَنية والفصول العمادية جمعًا ضيّق فيه العبارة واخفى الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يوخذ الا بأصّله واما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من انحلال العقيدة ان صحّ ذلك عنه وله فى الفقه مَتْنٌ سمّاه لطايف الاشارات وشرحه وسمّاه التسهيل وله فى التصوّف رسالة الواردات ورسالة مسرّة القلوب ولما مُسك قُتل بافتاء مولانا حَيْدَر العجمى فى سنة ٨١٨ وصُلب وسكنت الفتنةء ثم خرج عليه محمد بن قرمان واحرق بروسا فجآء السلطان محمد خان من بلاد روميلى ووصل الى قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم مشهور انهزم فيه عسكر ابن قرمان ومُسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأُتى بهما اسيريّن الى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفى عنهما وتصدّق عليهما بمملكتهماء

فولى السلطنة بعده ولده السعيد **السلطان يلدرم بايزيد خان**
مولده سنة ٧٥٨ وولى السلطنة وعمره اثنان واربعون عامًا ومدّة سلطنته
ثلاثة عشر عاماً ولمّا استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم واراضيهم
وصارت النصارى تنتهى الى بعض ملوك الطوايف فى بلاد الروم فلزم ان
يستولى السلطان يلدرم بايزيد خان على ملوك الطوايف وضيّق على
جماعة منهم مثل ابن كرميان اخذه وحبسه مع احد وزرآءه فهرب مع
وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب ايضا ابن منتشا منه
وحلق لحيته وحواجبه وصار فى صورة قَلَنْدَرى وذهب الى تيمور وكذلك
ابن أَيدين هرب فى صورة سقطىّ بَيّاع الخرزات وكذلك ابن اسفنديار
وغيرهم من امرآء تلك الديار وملوكها وَصَلوا الى تيمورلنك وشكوا من
السلطان بايزيد وحسّنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد
الشامية والحلبية وقتل فيها وفتك وسفك الدماء وعاث فيها واخذ
تلك البلاد واسر اهلها ونهب المسلمين وشرح ما فعله فى بلاد الاسلام
يطول جدًّا وذلك مذكور فى تاريخ الاسلام للذهبى وغيره ، واستمرّ
تيمور يفسد فى الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى اذربيجان
وخرج السلطان بايزيد الى قتاله وجميع عسكر الروم ولمّا التقى الفيئتان
قرب انكورية هرب من عساكره طايفة التتار وعسكر منتشا وعسكر
كرميان وتركوا السلطان بايزيد وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد
وقُتل من اولاد السلطان بايزيد السلطانُ مصطفى فشرع عسكره فى
الانهزام وثبت هو وقليل ممّن معه واستمرّ يقاتل الى ان وصل الى تيمور
بسَيْفه المشهور يقاتل بنفسه وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطًا وامسكوه
وحبسوه فحصل له حمّى غضبيّة فتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة ٨٠٥ ،

خُدّامه فسمع به الغُزاة فتبعه من الشجعان فوارس مخبورون وابطال مشهورون فعدّوا الى روميلى فصادفوا الكفار فى غفلة وهم يريدون العبور الى جهة اناطولى فوقع حرب عظيم قُتل فيه من الكفار ما لا يُعَدّ ولا يُحْصَى وانهزم الباقون فى القلاع والحصون، وتبعهم المسلمون، يأسرون منهم ويقتلون، فنصر الله الاسلام، وخذل النصارى اللئام، وافتتح المسلمون عدّة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار والبوار، ثم الى عذاب النار، ورجع سليمان بك الى والده مظفّرًا منصورًا، مؤيّدًا مسرورًا، وكان السلطان اورخان كوالده كثير الجهاد، طاهر الاعتقاد، سليم الفواد، عَدُوًّا لاهل الكفر والالحاد، عاش سعيدًا ومات حميدًا فى سنة ٧٦١،

ثم ولى بعده ولده **السلطان مراد الغازى** مولده سنة ٧٢٧ وجلوسه على التَّخْت فى بروسا سنة ٧٦١ ومدّة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمر خمسًا وستين سنة وولى السلطنة وعُمره اربع وثلاثون سنة وافتتح كثيرًا من البلاد منها ادرنة فى سنة ٧٦١ وهو اول من اتّخذ المماليك وسمّاهم يكيچرى يعنى العسكر الجديد والبسهم اللُّبّاد الابيض المثنى الى خلف وسمّاه بُرْكًا بضمّ الباء الموحدة وسكون الراء اخره كاف، وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم أُسْبُوت فقاتلهم السلطان مراد قتالاً عظيمًا فقُتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فاظهر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه بلواش وتقدّم ليُقَبّل يد السلطان مراد فلمّا قرب منه اخرج خنجرًا كان أَعَدّه فى كمّه فضرب به السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله تعالى فى سنة ٧٩٢ فصار القانون العثمانى من يومئذ ان لا يدخل على السلطان ايلچى او غيره بسلاح وان يفتش ثيابه وان يدخل على السلطان بين رجلَيْن يكتنفانه،

وبادر الى اجابته ولبّى نداه، فعاش سعيدًا، ومات حميدًا، الى رحمة الله تعالى عن ستّ وستّين عامًا فى سنة ٧٢٥ وكانت مدّة سلطنته ستًّا وعشرين سنة، وكان للسيف وللضيف كثير الاطعام، فاتك الحسام، كثير البذل واسع العطاء، شجاعًا مقدامًا على الاعداء، ما خلف نقدًا ولا متاعًا، الا سيفًا ودرعًا، يجاهد بهما الكفّار وبعض خيل وقطيعًا من الغنم اتّخذها للضيفان، وانسالها باقية الى الآن، ترعى حول بلاد برُوسَا ابقوها تَيَمُّنًا وتَبَرُّكًا،

ثم ولى بعده **السلطان اورخان الغازى** مولده فى سنة ٦٧٨ وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم فى سنة ٧٢٦ ومدة سلطنته خمس وثلاثون سنة وعمر ثلاثًا وثمانين سنة وهو الذى افتتح بـرُوسَـا وجعلها مقرّ سلطنته وفتح قلاعًا كثيرة وله حروب مع الكفار مشهورة يسمّى نيلوفر صوى، وكان السلطان اورخان فاق والده فى الجهاد، وفتح البلاد وبذل الاجتهاد، ففتح بروسا فى ايام والده ثم قيون حصار وقلعة ازنيق فى سنة ٧٣٦ ثم فتح قلعة كونيك وقلعة بالى كَسْرِى وولاية قره سى وقلعة كرماستى وقلعة اولوباذ فى سنة ٧٣٥ وقلعة قزلجة طوزله فى سنة ٧٣٦ وفتح عدّة قلاع وحصون فاتّسعت مملكته ونفذت كلمته واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم، فاتّفق قرال انكروس يعنى سلطانهم وسلطان لان والسّرف واجمعوا ان يتعدّوا من بلاد روميلى الى جهة اناطولى ويقاتلوا السلطان أُورخان فى محلّه وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك استأذن من والده ان يعدّى الى روميلى ويقاتل الكفار الذى اجتمعوا لقتاله قبل ان يَصِلوا الى اناطولى فاجازه والده لما راى نجابته وشجاعته فتوجّه مع

الغزو والجهاد، وتتّبع الكفرة حول تلك البلاد، الى ان توفى ارطغرل فى سنة ٦٨٩ وخلّف اولادًا انجادًا نجبا امجادًا اشدّهم باسًا، واقواهم جاشًا وانماهم غراسًا، السلطان عثمان وكان مولده فى سنة ٦٥٦ داب فى خدمة والده فى الجهاد، وتفرّس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ مع الاولاد، واستمرّ بعد والده مع الكفّار فى القتال والجلاد، فراى السلطان علاء الدين جدّه وجهده فى الجهاد، وعلم قابليته ونجابته فى فتح اطراف تلك البلاد، فاكرمه واعزّه وامدّه بانواع الاعانة والامداد، وارسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر ووسمه بآسم السلطنة تقوية ليده، وشدًّا لعضده، فلمّا وصل الطبل والزمر اليه عملوا نوبةً بين يَدَيْه، فعند اول سماعه صوت الطبل والزمر قام على قدمَيْه، تعظيمًا لذلك فصار ذلك قانونًا لآل عثمان، باقيـًا مستمرًّا الى الآن، فانهم يقومون على اقدامهم، عند ضرب النوبة على ابوابهم،

وكان جلوس **السلطان عثمان الغازى** على تخت السلطنة فى سنة ٦٩٩ وافتتح فيها قره حصار من الكفار وامر بصلوة الجمعة وخطب بآسمه فقيهٌ كان من اهل العلم اسمه طورسن فقيه ثم افتتح بعد قره حصار كوپرى حصار ثم قلعة بلجك ثم قلعة اين اوكى ثم قلعة يونذ حصار ثم قلعة اينه كول ثم قلعة يكى شهر ثم زوّج ولده أُورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يار حصار فعمل ابوها سماطًا عظيمًا فلمّا حضره الغُزاة انتهزوا الفُرصة وقتلوا تكور وافتتحوا قلعة يار حصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من جُملة مملكته، واستمرّ فى الغزو والجهاد، وافتتاح البلاد، وقتل الكفار اهل العناد، الى ان دعاه الله تعالى الى جنّته، وابدله سلطنة خيرًا من سلطنته، فاجاب داعى الحقّ لما دعاه،

اولآءك الناس ان عدّوا وان ذكروا   ومن سواهم فلغوٌ غير معدود
لو خلد الدهر ذو عزّ لعزّته   كانوا احقّ بتعمير وتخليد،

وجدّه الاعلا السلطان عثمان الغازى رحمه الله تعالى اصله من التراكمة الرّحالة النّزّالة من طايفة التتار والسلطان عثمان اول من ولى منهم السلطنة فى بلاد الروم فى سنة ٦٩٩ وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه ويتّصل نسبه الى يافث بن نوح عم وهو الجدّ الاربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى ولمّا كانت اسماءهم بلغة الترك القديم لم نذكرها لعُسْر ضبطها وهى مذكورة فى التواريخ التركيّة، وكان سليمان شاه سلطاناً فى الشرق فى بلاد ماهان قُرب بَلْخ فلمّا ظهر جنكيزخان اخرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرّقت اهل تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلد ماهان بخمسين الف بيت من التركمان الى ارض الروم ومرّ بحَلَب وعبر بحر الفرات، فغرق بفرسه فى الفرات، واخرج منه الى بحر الرحمة فى اعلا الجنات، ودفن امام قلعة جَعْبَر وتفرّق من معه من التركمان، فى اطراف تلك البلدان، وذراريهم موجودون رحّالون نزّالون الى الآن، وكان لسليمان شاه اربعة اولاد عادا اثنان منهم الى بلاد العجم وهما سُنْقر ودينذار وتوجّه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغرل وكون دوغدى وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقى وكان سلطان بلاد قرمان وتخت ملكه قونية فاكرمهما واذن لهما فى الاقامة فى ارضه فاستاذنا منه فى جهاد الكُفّار واجتمع عليهما من التراكمة طايفة من الغُزاة وصار دأبهم الجهاد فى سبيل الله وكان مقرّهم ما بين قره حصار وبلجك فى محلّ يقال له سُكوتجك صيّروه قشلاقهم وجبل ايلانيج جعلوه ييلاقهم فسكنوهما مع مواصلة

العظمى شموس الايالة العثمانية، واسطع من اوج سماء السلطنة الكبرى بُدُور كمال المعدلة الخاقانية، واجلس على سرير الملك من ملّكه الله اعظم ممالك الاسلام، وفتح على يَدَيْه اكبر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام، والحسام الحاسم مَوَادّ الظُّلْم من كلّ ظالم وظلّام، ونشر به جناح الامن والامان على اهل الايمان من الاثم، فاخذ احاسن محاسن ممالك هذا الربع المسكون، وكان مُظْهِراً لقول من يقول للشيء كُنْ فيكون، ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون، واستولى بتأْييد الله ونصره، على شام البلاد ومِصْرِه، وملأ نطع الدنيا بدماء سيف قهره، كما ملأها بافاضة سيل عدله وسَيْب لطفه وبرّه، وتشرّفت بذكره فى الحرمَيْن الشريفين صدور المنابر، ورؤس المنابر، وعمر مساجدها وتلا انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، واقام الملّة الحنيفية واحيى ما لها من مآثر، الملك المالك الهُمام، الليث الباسل الضرغام، السلطان الاعظم، والخاقان الاكرم الافخم، خير خلف خلفاء الرحمن، اشرف سلف سلاطين آل عثمان، السلطان سليم خان، ابن السلطان بايزيد خان، ابن السلطان محمّد خان، ابن السلطان مُراد خان، ابن السلطان محمد خان، ابن السلطان يلدرم بايزيد خان، ابن السلطان مراد خان الغازى، ابن السلطان اورخان، ابن السلطان عثمان الغازى تغمّدهم الله تعالى بالرحمة والرضوان، وحفّهم بروايح الروح والريحان، وابدلهم عمّا انتقلوا عنه من الملك الفانى بالملك الباقى فى اعلا غرف الجنان، وابقى السلطنة فى عقبهم خالدة تالدة الى يوم الحشر والميزان،

هم معشر كلّهم غازٍ وكلّهم   خير الملوك صناديد الصناديد

الشريف معززًا مكرّمًا ومعه احكام شريفة بكل ما طلبه واراده، وارسل حكم مع السيّد عرار بن عجل الى السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الامير حسين الكردى المذكور وهو الذى استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأُخذ مقيّدًا الى جُدّة ورُبط فى رجله حجر كبير وغُرّق فى بحر جدّة فى موضع يقال له امّ السمك فاكلته الاسماك، بعد ان كان يُعَدُّ من الاملاك، وكان طعامًا للحيتان، بعد اطعامه الضيفان، وغرق مقيّدًا بالاصفاد، بعد ان قتل ما شاء الله من العباد، وتفرّق فى البلاد جنوده واعوانه بددًا، ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربّك أَحَدًا ✿

الباب السابع

في ظهور ملوك آل عثمان * خلّد الله تعالي سلطنتهم القاهرة الي اخر الزمان *

وذكر نبذة من مناقب اسلافهم السلاطين العظام *

وذكر ما عمّروه في بلد الله الحرام * وفعلوا فيه من الخيرات الحسان *

وذكر بناء المسجد الحرام * علي الوضع الذي هو عليه الآن * وفيه فصول

الفصل الاول فى ذكر الفتح الخاقانى، ودخول ممالك العرب والعجم فى سلك الملك العثمانى، ونبذة من ذكر اسلافهم الكبار، بطريق الاختصار، خلّد الله ملكهم مَدَى الزمان، وابقى مُلك الارض فيهم وفى عقبهم الى انتهاء الدَّوَران، لمّا اراد الله تعالى باهل الارض احسانًا وافضالًا، وقدّر ظهور العدل والفضل فيهم اكرامًا لهم واجلالًا، وقضى باطفاء نيران الظُّلْم والفتن، ورفع موادّ الفساد والمحن، وتأييد دين الاسلام، وتقوية اهل السُّنّة السنية المتمسّكين بسُنَنِ سَنَنِ محمّد عليه افضل الصلوة والسلام، واقامة الشرع الشريف على رغم الملاحدة اللئام، اطلع فى افق الخلافة

بنادر كجرات الى بنادر الدّكن وتحصّنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك في
تخت ملكهم الى الآن يقال لها كُوَّه بالكاف المعجمة المضمومة والواو
المشددة المفتوحة بعدها هاء ساكنة يسّر الله تعالى فتحها لسلطان
الاسلام، وقطع بسيفه دابر الافرنج اللئام، وكافّة عباد الصليب والاصنام،
ولقد احسن من قال

اعُبّاد المسيح يخاف صحبى   ونحن عبيدُ مَنْ خَلَقَ المسيحَا ،

ولم يستقرّ الامير حسين فى كجرات بل عاد الى اليمن وافتتح فى طريقه
على عوده مملكة اليمن من بنى طاهر ملوك اليمن ظُلْمًا وعدوانًا فى سنة
٩٢٢ بعد امور يطول شرحها وترك بها نايبًا له فى زبيد اسمه برسباى
جركسى من مماليكه وقتل السلطان عامر بن عبد الوهّاب مع اخيه
عبد الملك بن عبد الوهاب وكانوا ملوكًا من اهل السُّنّة والجماعة طاهرين
فى الاعتقاد، ظاهرين على اهل البدع والالحاد، رحمهم الله تعالى وانقرضت
به دولة بنى طاهر من اليمن، وعاد الامير حسين لمنيّته وحتفه،
كالباحث عنها بظلفه، وقدم الى مكة وكانت دولة الجراكسة قد
انقرضت بمصر وملكها السلطان الاعظم السلطان سليم خان بن بايزيد
خان بن محمّد خان، رحمه الله تعالى واسكنه فسيح الجنان، وسقى
عهده صوب الرضا والغُفران، فتوجّه سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى
سيّد السادات الاشراف، وتاج روس الشرفاء من بنى عبد مناف، مولانا
السيد الشريف جمال الدنيا والدين محمد ابو نمى بن بركات خلّد الله
تعالى سعادته، وابّد عزّه وسيادته، ارسله والده الشريف بركات ليدوس
البساط السلطانى بمصر وعمره يومئذ اثنا عشر عامًا فحصل له بذلك
غاية التعظيم والاكرام، وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام، وعاد الى والده

بنفسك ساعة فضربه خمسماية سوط ثم اطلقه، وكانت للامير حسين المذكور اسمطة ممدودة فى ساير الايام، وكان اكولاً بَذْوَلاً للطعام، سمحًا فى المواكلة والاطعام، يستوفى الخروف وحده مع ارغفة عدّة، ونفايس له معدّة، وكان كرديًّا دخيلًا فى طايفة الجراكسة لا يملا اعينهم ولا يعتبرونه فيما بينهم فاراد السلطان الغورى ابعاده عنهم حماية له منهم وكان معتنيًا به فاعطاه بندر جُدّة على وجه التيمار له وجهّز معه عمارة ليقاتل الافرنج الذين ظهروا فى بنادر ارض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من ورآء جبال القمر التى هى منبع ماء النيل وعاثوا فى ارض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى جزيرة العرب وبنادر اليمن وقصد السلطان الغورى دفع اذاهم عن المسلمين بارسال الامير حسين الكردى الى جُدّة فلمّا اتى الى جدة سوّرها، وبنى ابراجها واحكمها، وهدم كثيرًا من بيوت الناس، ممّا يقارب موضع السور لوَضْع الاساس، واخذ حجارتها وبنى بها السور فى شدّة باس، واستخدم عامّة الناس، فى حمل الحجر والطين، حتى التجار المعتبرين، وساير المتسبّبين، وضيّق على البَنّاءين، بحيث يحكى ان احدهم تأخّر قليلاً عن المجىء فلمّا جاء امر ان يُبْنَى عليه فبُنى عليه واستمرّ قبره جوف البناء، الى يوم الجزآء، الى غير ذلك من الظلم الشديد، والجور العنيد، وبنى السور جميعه فى دون عام من شدّته وغشمه، واقدامه وظُلمه، واستمرّ حاكمًا بجُدّةَ الى ان تقوّى بالمال وتأثّل وجمع خزاين من كل صنف فتوجّه الى الهند فى حدود سنة ٩٢١ ودخل واجتمع بسلطان كُجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفّر بن السلطان محمود شاه الكجراتى فاكرمه وعظّمه وانعم عليه بنعمة طايلة جزيلة فلمّا سمع الافرنج به ارتفعوا عن

مسوّرة وكانت العُربان فى ايام الفتنة تهاجم على جُدَّة وتنهبها واسرَتْ
عربانُ زُبَيْد فى ايام الفتن الخواجا محمَّدًا القارى وكان من اعيان التجار،
من اهل الاعتبار، فهاجموا على بيته وانزلوه من السطح واركبوه معهم
على ظهر فرس ارتدفه واحد من زبيد واخذوه الى اماكنهم وهى قرب
عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم اياماً الى ان
اشترى نفسه منهم بثلاثين الف ذهب فردّوه الى مكة بعد ان استوفوا
هذا القدر منه، ونُهِبَتْ جُدَّةُ مرارًا فى الفتن التى وقعت بارض الحجاز
بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بين اولاده وجرت
احوال يطول تفسيرها، فارسل السلطان الغورى احد امرآئه المقدّمين
وهو الامير حسين الكُرْدى وجهّز معه عسكرا من الترك المغاربة واللَّوَنْد
فى نحو خمسين غرابًا لدفع ضرر الفُرُنْقال فى بحر الهند وكان مبادى
ظهورهم وامره بدفع الفتن الواقعة اذ ذاك فى جُدَّة وجعلها له اقطاعًا
فلمّا وصل الامير حسين الكردى الى جدّة بنى عليها سورًا فى سنة ٩١٧
وهو الباقى الى الآن، وكان ظلومًا غشومًا يسفك الدماء، ولا يرحم من
فى الارض ليرحمه من فى السماء، فاذا ضمّ أُوطاقه بمكان فى سفر او
حضر، رتب حوله اعوانه وجنوده ترتيبًا خاصًّا لارهاب من حضر،
ونصب اعوادًا للصَّلْب والشَّنْق والشنكلة، واقام جَلّادين للقتل
والتوسيط والضرب والبَهْدلة، فأىّ مسكين وقع فى يده قتله بأَدْنَى
سبب، او عذبه بالمقارع او صلب، اظهارًا للناموس الفرعونى المهيب،
واخافة للخلق بالسياسة والترهيب، كما يُحْكَى ان الحجّاج دخل بلدة
فصادف انسانًا عند دخوله فمسكه وامر بضربه فقال له اىّ ذنب لى
تضربنى بسببه فقال له لا ذنب لك ولكنّى اريد ارهاب اهل البلاد فحملنى

والاكراد والعُبَيْديّين من الدول وهكذا شان الدنيا فى ابناءها تتقلّب
بهم وتتحوّل عنهم اىّ تقلُّب واىّ تحوُّل كما قيل

ما اختلف الليل والنهار وما   دارت نجوم السماء فى فَلَك
الّا لِنَقْلِ السلطان من ملك   قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذى العرش دايم ابدًا   ليس بفانٍ ولا بمشترك ❊

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكًا اولهم السلطان الملك الظاهر
برقوق وآخرهم طومان باى ومدّة ملكهم ماية وثمانية واربعون عامًا
وليس لطومان باى اثر لقصر ايام سلطنته ❊ وللاشرف قانصوه مآثر
جميلة وعماير حسنة جليلة رحمه الله وسامحه ❊ فمّا عمّره السلطان
قانصوه الغورى بمكة المشرفة باب ابراهيم بعقد كبير جعل عُلُوّه قصرًا
وفى جانبَيْه مَسْكنين لطيفين وبيوتًا معدّة للكرا حول باب ابراهيم وقف
الجميع على جهات الخير ولا يصحّ وقف ذلك القصر لانه فى هواء
المسجد وكذلك المسكنان لان اكثرهما واقع فى ارض المسجد الحرام
وما امكن العلماء ان ينكروا ذلك فى ايام سلطنته ودولته لعَدَم اصغاءه
الى كلام اهل الشرع والدين، وعدم اقدام العلماء على الملوك
والسلاطين، للطمع فى الدنيا الدنيّة، وللخوف على مناصبهم الاعتباريّة،
فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ❊ وبنى ايضًا ميضأةً خارج باب
ابراهيم عن يمين الخارج من المسجد هى بطّالة الآن لان روايح عفونتها
قد تَصِل الى المسجد فيتأذّى بها المصلّون فابطل وغلق قريبًا فى سنة
٩٠٨ بالامر الشريف السلطانى ❊ ومن آثار الاشرف الغورى ايضًا الترخيم
الواقع فى حجر البيت الشريف عُمل بامره فى ايامه واسمه مكتوب فيه
وفرغ من عمله سنة ٩١٧ ❊ ومن آثاره بناء سور جُدَّة فانها كانت غير

طهارة وانا مفكر فى امرهم واحدّث نفسى بذلك واقول كيف يزول مُلك هذا السلطان العظيم وقد ملأتْ جنوده الارض وأنّى للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا، وتطمئنّ فى دولته البرايا، فاخذنى النوم فرايت فيما يرى النائم ملايكة نزلت من السماء وبايديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة من ارض مصر ويلقونهم فى بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يَتْلُو القران فانصتُّ له فاذا هو يقرا قوله تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين، فعلمت ان الله تعالى ياخذهم اخذًا وبيلًا فما مضى قليل الا وبرز الغوريُّ بجنوده وامواله وخزاينه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فجاء الخبر بعد قليل بانه انكسر وقُتل اكثر جنوده وفُقد تحت سنابك الخيل فى مرج دابق وهرب بقية الجيوش من الجراكسة الى مصر وصيّروا الدوادار طومان باى سلطانًا والسلطان سليم فى اثرهم يفتتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الى الريدانيّة خارج مصر فخرج طومان باى ومن معه الى قتاله فما تمّ هو ومن معه ساعة الا وانكسروا ودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه فى الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باى الى البرّ ومسكه شيخ عرب وجاء به الى وطاق السلطان سليم فامر بصلبه فى باب زُوَيْلة ليَرَاه الناس ويصدّقون بقتله فان الناس صاروا لا يصدّقون بانه مُسِكَ وصاروا يزعمون بانه اختفى لتَحْصُلَ له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنّة الفساد وكثرة القيل والقال فامر السلطان سليم بصلبه تسكينًا للفتنة ، وكان صلبُه فى باب زويلة فى حادى عشر ربيع الاول سنة ٩٢٣ وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة من قبلهم من ارباب الدول من الاتراك

ان يصير فقيرًا بعد غناه، ومُعْدِمًا بعد ثَرْوَته واستغناه، وجمع من هذا الباب اموالًا عظيمة، وخزاين واسعة جسيمة، ذهبت فى آخر الامر سُدًا، وتفرّقت بيد العدًا، وتمزّقت بَدَدًا، وهكذا كلّ مال يوخذ على هذا الاسلوب، وُيجْمَع على هذا الطريق المنكوب، لا ينفع مَنْ جمعه، بل يضرّ صاحبه ويهلك معه، وهيهات ان ينفع مال حصل بأنين كلّ حزين، وسُلب بالقهر والعُسر من كلّ مظلوم مسكين، اوكيف ينفع سالبه، ولا نفع صاحبه، وكيف يتهنّى به من اكتسبه، على هذا الوجه وابكى كاسبَهُ،

الا ان مالاً كان من غير حلّه سيخرب يومًا اهله واقاربه

واما الميراث فبطل فى ايّامه وصار اذا مات احد يوخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك اولاده فقراء الا ان اعتنا به اعتناء كبيرًا، جعل له نزرًا يسيرًا، من مال ابيه، واخذ لنفسه باقيه، واشتدّ طمعه، وكثر ظلمه، فى آخر ايّامه، فاستجاب الله فيه دُعآء المظلومين، وقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين، حكى لى والدى رحمه الله تعالى عن شخص كان مجاب الدعوة من اولياء الله تعالى انه راى بمصر فى آخر ايام السلطان الغورى جنديًّا من الجراكسة الجلبان اخذ متاعًا من دلّال ولم يُرْضه فى قيمته فتبعه الدّلّال يطلب حقّه منه وهو يمتنع فقال له الدلال بينى وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدّبّوس فشجّ راسه وقال هذا شرع الله وسقط الدلال مغشيًّا عليه ومضى الجندىّ بالمتاع وما قدر احدٌ من المسلمين على منعه ممّا فعل قال الرجل فصَعُبَ علىّ مشاهدة هذا الحال فرفعتُ يدى الى الله تعالى ودعوت على الجندى المزبور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من اعوانه فصادف ساعة الاجابة وبتّ تلك الليلة على

خصومة فارد ودیعتکم الیکم فقالوا له نعم قبلنا منک هذا الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا الیه بعد مدة وقالوا له نرید الودیعة بنزاع شدیدة وخصومة ومضاربة فقال لهم هذه ودیعتکم حاضرة خذوها بلا نزاع وضرر معی کما اشترطت علیکم فقالوا لا بل لا بدّ لنا معک من الخصام والنزاع فانّهم علی الباطل وانّهم علی الحقّ ففهموا مُراده واستعفوا منه فقال لهم انا ما جلست معکم الا لتعلموا انی کاحدکم لا امتاز عنکم بشیء وهذه السلطنة اسلّمها لایّکم اراد ولا انازع فیها ولا اخاصمکم علیها وانما انا والله من الجند، فقبّل کلٌّ منهم یده وانعنوا له بالسلطنة وسالوه فی استمراره سلطانًا علیهم وسکنت الفتنة بهذا التدبیر وغفلوا عنه مدّة واشتغلوا عنه بضرورات أُخْرٰی وطال معه الحبل الی ان صار یاخذهم واحدًا بعد واحد ویتغافل ثم یحصل حیلة أُخْرٰی وعلّة اخری لاخذهم فیاخذهم بها ویوقع بین الاثنین ویاخذ هذا بذاک وذاک بذا ویدسّس لهم الدسایس من الطعام السمّ ونحوه حتی افنی قرانستهم ودُهَاتهم الا قلیلًا منهم واتّخذ ممالیک لنفسه جُددًا، واستجلب جُلْبَانًا وأَعَدَّ عَدَدًا وعُدَدًا، فصاروا یظلمون الناس ظُلْمًا، ویعاملون الخلق عسفًا وغشمًا، وصار یغضی عنهم ویتغاضی لهم فاظهروا الفساد، واهلکوا العباد، واکثروا العناد، وطغوا فی البلاد، وصار هو یصادر الناس، ویاخذ اموالهم بالقهر والباس، وکثرت العوانیة فی ایامه لکثرة ما یصغی الیهم وصاروا اذا شاهدوا احدًا توسّع فی دنیاه، او اظهر التجمّل فی ملبسه او مثواه، دَسُّوا به الی السلطان، فیرسل الیه الاعوان، ویطالبه بالقرض ویستصفی امواله، ویسلّمه الی الصوباشی لیاخذ ماله، ویهتک اهله وعیاله، ویعذبه بانواع الاسکنجة الی

كثير الدهاء ذا راى وفطنة وتيقّظ الا انه كان شديد الطمع كثير الظُلم والعسف بخيلًا محبًّا للعمارة ، ومن جملة عماراته لجامع والتربة بالقرب من بين القصرَيْن بمصر وكان فى نيّته ان يُدْفن بها ووقف عليها اوقافًا كثيرة وما قُدِّر له دفنه فيهـا بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عُرف وما تدرى نفسٌ باىّ ارض تموت ، وله آثار جميلة فى طريق الحجّ فى عقبة ايلة ومآثر بمكّة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حُرمته على الامرآء بالدربة والتنزُّل معهم من غير تشديد عليهم ولا اظهـار عظمة او امر او نهى وذلك فى ابتدآء امره الى ان تمكّن من قوّته وباسه ، حكى شيخنا الشيخ شهاب الدين احمد بن موسى بن عبد الغفّار المغربى الاصل ثم المصرى نزيل الحرمَيْن وهو الطف من اخذنا عنه رحمه الله عن والده وكان من المباشرين ارباب الاقلام فى ديوان السلطان قانصوه الغورى رحمه الله قال استشمّ الغورى مبادى فتنة ارادوا الامرآء احداثها وارادوا ان يجعلوها مقدّمة لخلعه من السلطنة فلمّا استشعر الغورى ذلك منهم عمل ديوانًا جمع فيه الامرآء والمقدمين وامرهم بالجلوس وجلس بينهم كاحدهم وكانت عادة الامرآء الوقوف بين يدى السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط فى الاكل فقطّ فلمّا اجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يفتقدون عن سبب ذلك وكلٌّ مُصْغٍ الى ما يقول متوجّه الى السلطان غاية التوجُّه فقال لهم يا اغوات انما جمعتكم لأسأَلكم سُؤالًا خطر ببالى واطلب منكم جوابه على الوجه الذى ترونه صوابًا فقالوا نعم فقال اسالكم عن جماعة جاؤوا الى رجل وناولوه صُرّةً من الدراهم مربوطة مختومة واودعوها عنده فقال لهم انا استودع منكم هذه الوديعة بشرط ان تاتونى وتطلبوا وديعتكم منّى بلا نزاع معى ولا

ثم ولوا بعده خاله الملك الظاهر ابا سعيد قانصوه وهو خال الناصر محمد بن قايتباى كان سادجًا اميًا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وخطّه الشيب وصار يرقيه بواسطة زوجته خَوَنْد امّ الناصر لانه اخوها وهى التى اقامته مقام ولدها الناصر وبذلت له الاموال والخزاين وارادت تقويته واقامته واصلاحه ولن يُصلح العَطّار ما افسد الدهر فما استكمله الجند للايالة وما اهّلوه للسلطنة وكيف له بها وأنّى له فخلعوه بعد ان ساسهم سنة وسبعة اشهر واخرجوه من الملك فى اواخر سنة ٩٠٥ وولوا بعده السلطنة الامير الكبير جان بلاط وتلقب بالملك الاشرف جانبلاط فى اوايل سنة ٩٠٦ ولا تَهَنّأ بالسلطنة ولا وافقه احد عليها وخلع بعد ستة اشهر وتولى مكانه الملك العادل طومان باى وما استكمل يومًا واحدًا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم احد على السلطنة وكانت الامرآء متوفّرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض فى الجلوس على تخت الملك فاتّفقوا على ان يولوا قانصوه الغورى لانهم راوه لين العريكة سهل الازالة اى وقت ارادوا ازالته ازالوه لانه كان اقلّهم مالاً واضعفهم حالاً واوهنهم قوّة فاشاروا عليه ان يتقدّم فأبى فالزموه بذلك فقال اقبل ذلك منكم بشرط ان لا تقتلونى فاذا اردتم خلعى من السلطنة اخبرونى بما تريدونه وانا اوافقكم على ذلك واترك لكم الملك وامضى حيث اريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقّبوه الملك الاشرف ابا النصر قانصوه الغورى فى سنة ٩٠٦ وفرح العسكر بولايته لانهم سَئِمُوا تعدّد السلاطين وسُرعة تقضّى ملكهم بل فرح العامّة وامنوا على انفسهم واموالهم فى الجملة، وكان قانصوه الغورى

وكان شاباً يغلب عليه الجنون والسفه ما كان له التفات الى الملك ولا الى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة يحكى عنه امور قبيحة منها انه كان اذا سمع بامراة حسناء هجم عليها وقطع داير فرجها ونظمه فى خيط أعدّه لنظم فروج النساء ومنها ان والدته وكانت من اعقل النساء واجملهن هيّأت له جارية جميلة جدًّا وجمعتها به فى بيت مزيّن اعدّته لهما فدخل بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلّادين وهى حيّة فلمّا سمعوا صوت بكاءها ارادوا الهجوم عليه فما امكنهم لانه قفل الباب من داخل واستمرّ كذلك الى ان سلخها وحشى جلدها بالتبوب وخرج يظهر لهم استاديته فى السلخ وان الجلّادين يعجزون عن كماله فى صنعته ومنها انه مرّ وهو فى موكبه بدكّان حلوانىّ يبيع الحلاوة وبسطته قدامه فاقامه من دكّانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله امراءه يشترون منه الحلاوة واخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى ان حيرت وكذلك دكّان الاقسمة واللدس وغيرها وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكى الى ان سقط من اعين العسكر وسطوا عليه كما سطى بالحسام الابتر وسلخوه من الملك كما سلخ تلك الضعيفة بالخنجر ومزّقوه كل ممزّق ولعذاب الاخرة اكبر فمن غروره انه خرج متخفيًا منفردًا عن عبيده وخدمه متباعدًا عن خوله وحشمه فتوجّه يمشى وحده الى برّ الجيزة فاكمن له عشرة انفس من مماليك ابيه فى خيمة على ممرّه فلمّا وصل اليهم وكان وحده منفردًا خرجوا عليه من الخيمة ومسكوا بلجام فرسه وضربوه بالسيوف الى ان قطعوه وجاءوا به مقتولاً الى القاهرة ودفنوه فى تربة ابيه فى سنة ٩٠٤.

ايامه كالطراز المذهب، ودولته تنجلى كالعروس فى حُلَل الجواهر والذهب، وعاشت الرعية فى ايامه عيشًا رَغَدًا، وظهرت العلماء فى ايامه ونموا فصاروا نجوم الهُدَى، الى ان تنبّه له الزمان الجاير، واستيقظت له عيون صروف الليالى والجدود العواثر، ودارت عليه كما دارت على من قبله الدواير، وهذا شان الدنيا الدنيّة فى ابناءها الاصاغر والاكابر، ودابها فى السلاطين والملوك الغوابر، والبقاء والدوام لله عزّ وجلّ القدير القاهر، فقدم على قايتباى بريدُ اجله، وما اغنى عنه ما جمعه من خيله وخَوَله، ولا منع عنه شئ من حيله وحوله، فاقدم على ما قدّم من صالح عمله، وترك ما خوّله من متاع الدنيا وراء ظهره، وأُدْرِجَ فى اكفان اعماله بعد ما غسل بدموع فقره، وانزل من سرير الملك على التابوت الى قبره، وقدم على ربّ كريم، ووقف بين يدى ملك غفور رحيم، وانشد لسان حاله وهو بين يدى ملك الملوك الحكيم الحليم،

اذا امسى فراشى من تراب　　وصرت مجاور الرمس الرميم
فهنّونى اصيحا بى وقولوا　　لك البشرى قدمت على كريم،

وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى فى اواخر يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٩٠١ وصُلّى عليه يوم الاثنين ودفن فى الصحراء بتربته بناها فى حياته فى غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقُرّاء واوقاف دارّة عليهم الى الآن ليس بمصر احسن تربة منها وصلى عليه بعد ذلك صلوة الغايب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يُعْهَد لملك قبله وكانت مدّة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية اشهر ولم يملك احد من ملوك الجراكسة قدر مدّة ملكه،

وتولّى بعده الملك ولده **الملك الناصر ابو السعادات محمد**

بصدر الايوان وقدامه المصحف على كرسى وفرق على الحاضرين اجزآء الربعة الشريفة وتناول السلطان جُزْءًا منها كاحد القُرّاء وقرءوا الى ان ختم القاضى ابراهيم ولم يُؤخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه وجُمعت الاجزآء فى صَنْدُوق الربعة ودعى الداعى للسلطان ومدّ للحاضرين سماطًا حلوا بدَوْر المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضى ابراهيم واكلوا ثم سقاهم سُكّرًا وسُوبية وفرق عليهم فتوحًا وانصرفوا ، ثم بنى السلطان سبيلاً على يمين الداخل الى خان البزّازين بالمَسْعَى يقال له العلقمية وكان امامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضى شهاب الدين الطبرى على يمين الذاهب الى المروة فاشار الخواجا شمس الدين ابن الزمن والمهندس ان يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهُدِمَ وصار المَسْعَى مكشوفًا وعمارة الخان والسبيل ظاهرًا ، وخرج السلطان فى ظهر يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبّة زمزم ومشى القَهْقَرى الى ان خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد ابن بركات واولاده وقاضى القضاة ابراهيم ابن ظهيرة الى الزاهر ثم ردّهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته لم يختل عليه شىء من امر مملكته مع غيبته عن تخت مصر مدّة سفره الى الحجّ وعوده اليها وهو نحو ثلاثة اشهر وذلك لاتقانه امر المملكة وتدبيره فيه وضبطه رحمه الله ، وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة ، واقربهم الى قلوب الرعية فى اللُّطف والموانسة ، واجملهم جمالاً واجمالاً ، واحسنهم احسانًا وافضلهم افضالاً ، واكملهم عقلاً ونُبْلاً واعتدالاً ، واكثرهم فى جهات الخير آثارًا ، واوفرهم عماير واوقافًا وادرارًا ، واطولهم طولاً وزمانًا ، واكملهم ملكًا وقُوّة وامكانًا ، وكانت

الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومَدّ له بهـا مولانا السيد الشريف محمد بن بركات سماطا حافلاً جليلاً واستمرّ على ذلك تُمَدّ له صُبْحًا وليلاً الاسمطة الجليلة ومَدّ له فى ثانى يوم قاضى القضاة البرهـان ابراهيم سماطًا جميلاً واستمرّ السلطان بمدرسته ما ظهر لاحد غير انه يتصدّق بالليل كثيرًا ، وركب مرّةً الى درب اليمن ليشاهد ما قدم له مولانا السيد الشريف من الابل والخيل وتشكّر من فضل السـيـد الشريف واستمرّ بمدرسته الى ان طلع الى عرفات ومعه امامَه راكب الى جانبه وهو شيخ الشيوخ البرهان ابراهيم ابن الكركى والامير يشبك الجمالى واولاد القاضى يحيى بن الجيعان كاتب السرّ وحفيده القـاضـى ابو البقاء ابن الجيعان ورمضان المهتـار ووقف بجبل الرحمة متضرّعًا الى الله تعـالى سايلًا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فافاض مع الناس واتمّ حجّه وقرّب الاضاحىّ غنما كثيرة واهدى شيئًا كثيرًا وكان يناسب ان ينحر شيئًا من البُدْن فما اشار عليه احدٌ بشىء من ذلك وعاد بعد ايام التشريق الى مكة ، وتوجّه الركب المصرى وتأخّرَ هو بمكة ايامًا وقرّر وظـايف مدرسته لاهلهـا من المدرّسين والطلبة وقراءة صحيح البخارى وقراءة الربعة وخادمها وخادم المصحف والفرّاشين والبوّابين والوقّادين والخبّازين والسّقّاءين والبمّيل والايتام والعريف والفقـيـه والموذّنين وناظر المدرسة والوقف والجابى والصيرفى واصحاب الخَلاَوى ونحو ذلك وجعل لكلّ واحد كفايته من القمْح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية اشهد على نفسه بذلك فيهـا وعمل من الخيـرات ما لم يُسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة بطرف الايوان الشمالى وقاضى القضاة البرهان ابراهيم ابن ظهيرة

بفرسه منه فجفل به جواده فسقطت عمامته واستمرّ مكشوف الراس الى ان تقدّم المهْتار رمضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطانَ فلبسها وكان ذلك تاديبًا له من الله تعالى حيث كان يتعيّن عليه ان يترجّل ويدخل مُحْرِمًا مكشوف الراس تواضُعًا لله تعالى ٭ ثم لمّا وصل الى العتبة الداخلة من باب السلام ترجّل ونزل وقرأ بين يديه الريّيس بصَوْت جَهْوَرىّ قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحقّ لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلّقين رؤسكم ومقصّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا هو الذى ارسل رسوله بالهُدَى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيدًا ٭ ثم انه رفع يده للدُّعآء للسلطان وأمّن من حوله من اهل الاصوات ودخل من باب السلام ومولانا القاضى ابراهيم يُلَقّنه الدعاء الى ان دخل الطواف وقبّل الحجر الاسود وهو الذى يُطَوّفه ويُلَقّنه الادعية والرئيس ينادى بالدعاء له من اعلا قبّة زمزم والناس محيطون بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى ان اتمّ طوافه وصلّى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصّفَا الى الصفا وسَعَى راكبًا ومعه مولانا القاضى ابراهيم يلقّنه الدعاء فلمّا فرغ من سَعْيه ركب فعاد الى الزاهر وبات فى مخيّمه وركب فى الصُّبْح فى موكبه ولاقاه مولانا الشريف السيد محمد بن بركات واولاده وقاضى القضاة البرهان ابراهيم ابن ظهيرة وابنه الجمال ابو السعود واخوه القاضى فخر الدين وابن عمّه والخطباء واعيان الناس واكابر التجار فخلع السلطان قايتباى على الجميع ومشوا امامه فى موكب عظيم وأُبّهة عظيمة ولم يتخلّف احد بمكة من الرجال والنساء حتى المخدّرات ودخل مكة بهذا العُنوان الى ان وصل الى مدرسته فترجّل

قال العزّ ابن فَهْد فلمّـــا وصل الخبر الى بدر بعود السلطـــان وبُروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به فى منزلة الصفرآء وتلاقيا على ظهور الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضـــى برهان الدين ابن ظهيرة عن يساره وبلق من معهما سلموا على السلطان على بُعد ومشوا امامه وصار السلطان يلاطفهم ويســـأل عن احوالهم ويشكر مسعاهم ويطمّن خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلّموا واستمرّوا كذلك الى ان وصل السلطان اوطاقه فرجعوا عنه الى مُخَيَّمهم ثم صاروا يسايرونه فى الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدى لهم وافر الانبساط والبسهم السلطان خلعًا فاخرة مرارًا عديدة وفارقوه من بدر وتقدّموا على السلطان الى وادى مرّ الظهران ورتبوا هناك سماطًا حافلًا جميلًا للسلطان ولمن معه فلمّا كان صُبح يوم الاحد مستهلّ ذى الحجة وصل السلطان مُخَيَّمه بالوادى ووجد السماط ممدودًا فجلس السلطان ومن معه على السماط واكل منه واطعم وفرّق على من معه من عسكره الخاصّ به وخلع على الخُدّام والانفار الذين مدّوا السماط خلعًا فاخرة متعدّدة جميلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا امامه وركبوا وركب السلطان ومعه شيخ الاسلام القاضى ابراهيم ابن ظهيرة وولده القاضى ابـــو السُّعُود واخوه القاضى ابو البركات وامام السلطان الشيخ بـــرهـــان الدين الكركى الحنفى واستمرّوا الى ان دخلوا مكة من اعلاهـــا وكان القاضى ابراهيم هو الذى تقدّم لتطويف السلطان وصار يلقّنه الادعية والتلبية الى ان وصل السلطان ودخل من باب السلام البرّانى فطـــالع

السيّد السمهودى رحمه الله فبدانى السلطان بالملاطفة وسالنى عن بعض المباحث فرايت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فانشدته بَيْتَى التلخيص وهما

كانت مسايلة الركبان تخبرنى عن احمد بن سعيد اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعتْ اذنى باطيب ممّا قد راى بَصَرِى

فطرب بهما جدًّا واجتمعت به قرب صلوة المغرب فى الروضة ففاتحنى بالكلام وراى فى المحراب النبوى مكتوبًا قوله تعالى قد نرى تقلّب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام فسالنى عن هذه الاية هل نزلت قبل المعراج ام بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له فى الجواب فاقيمت الصلوة فى اثناء ذلك فصلّينا فلمّا فرغ من هذه الصلوة صلّى ستّ ركعات بسكون وتأدّب فلمّا انقضت الصلوة اقبل علىّ طالبًا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلوة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت له ما حُكى فى تعدّد نسخ القبلة وصلاته صلعم بمكة بين الركنَيْن اليمانيَّيْن جاعلًا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوايد وهو مُصْغٍ اليها متلذّذ بسماعها فاستمرّ بنا على ذلك حتى اقيمتْ صلوة العشاء فصلّينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فامر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فامر بازالتها وجعل لامير المدينة فى مقابلة ذلك الف اردب قرّرها له فى كلّ عام وفرّق بالمدينة الشريفة على فقرآءها وفقهاءها وعلماءها نحو ستّة الاف ذهب وحصل لى منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز فى اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدًا حجّ بيت الله الحرام انتهى كلام السيد السمهودى ملخصًا

ابن بركات وولده السيّد هيزع بن محمد ومولانا القاضى ابراهيم ابن ظُهيرة الشافعى وابنه القاضى ابو السُّعُود واخوه ابو البركات ابن ظهيرة قاضى جُدَّة فبلغهم فى اثنـــاء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبىّ عليه الصلوة والسلام فتوجّهوا الى منزلة بدر واقاموا به منتظرين عـود السلطان من المدينة الشريفة، قال السيّد على السمهودى فى تاريخه الكبير حجّ السلطان الملك الاشرف قايتباى فى سنة ٨٨۴ وبدا بالمدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحالّ بها افضل الصلوة وازكى التسليمات فقدمهـــا طلوع الفجر من يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى القعدة الحرام فلبس لدُخُولها حُلل التواضع والخشوع، وتحلّى بما يجبُ لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع، فترجّل عن فرسه عند باب سورها، ومشى على اقدامه بين ربوعها ودورها، حتى وقف بين يدى الجنـــاب الرفيع، الحبيب الشفيع، عليه الصلوة والتسليم، وناجاه بالتسليم، وفاز من ذلك بالحظّ الجسيم، ثم ثنّى بضجيعَيْه رضى الله عنهمـــا بعد ان صلّى بالروضة الشريفة التحيّة، وعفّر جبهته فى ساحتها السَّنِيَّة، وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فتعاظم ذلك وقال لو امكننى ان اقف ابعد من هذا الموضع وقفت فالجناب عظيم، ومن ذا الذى يقوم بما يجب له من التعظيم، ثم صلّى صُبح الجمعة فى الروضة الشريفة فى الصفّ الاول بين فقرآء الزُّوّار والى جانبه الشيخ الامام العلامة برهان الديـــن ابن الكركى ثم توجه لزيارة السيّد حمزة عمّ النبىّ صلعم ومن حــوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أُحُد رضوان الله عليهم اجمعين فمشى مترجّلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دابه ولم يـــركـــب بالمدينة تَأَدُّبًا مع النبىّ صلعم وعاد من الزيارة وحضر لصلوة الجمعة، قال

فعله من الآثار الجميلة فى الحرمين الشريفين فاقام الامير اللبيب يشبك الدوادار نايبًا عنه بمصر وخرج الى الحجّ فى سنة ۸۸۴ قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوى بنحو عامَيْن وكان امير الحاج فى عام حجّته الامير خشقدم خرج بالمحمل الشريف وبركب الحاجّ المصرى فخرج السلطان قايتباى بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة ايام ۰ ووصلت القُصّاد الى شريف مكة يومئذ سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى جمال الدنيا والدين السيّد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من اخصّ المخصوصين به وصاحب الحلّ والعقد عنده قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى برهان الدين ابراهيم بن على ابن ظهيرة القاضى الشافعى يومئذ بمكة طيّب الله ثراه فتهيّأ هو والسيّد الشريف محمد ابن بركات لملاقاة السلطان فان القُصّاد اخبروا انهم فارقوه من عقبة ايلة وهى نهاية الربع الاول من طريق الحجّ وارسل مولانا السيد الشريف احد قُوّاده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حُلْوَى فوصل الى الحَوْرآء ولاقى السلطان ومدّ له السماط الحُلْوَى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه واظهر غاية اللُّطْف والمجابرة واكل وقسم على امرآءه وعسكره وكان سماطًا كبيرًا جليلًا ۰ ويُحْكَى من لطافة السلطان قايتباى انه لما جلس على السماط تناول شيئًا من الحلوى يقال له كُلْ واشكرْ فاكل منه وسال من الذى جاءه بالسماط ايش اسم هذا عندكم فقال له القايد هذا اسمه كُلْ واشكرْ فقال له سلّم على سيّدك وقُلْ له اكلنا وشكرنا ۰ ثم لمّا وصل السلطان الى اليَنْبُع عدل منه الى المدينة النبوية لزيارة النبى صلعم وتوجّه اليها وكان قد خرج لملاقاته سيّدنا ومولانا الشريف محمد

سنقر الجمالى مبادرًا الى المدينة الشريفة وارسل اليه نحوًا من ثلاثماية من ارباب الصنايع وكثيرًا من الحمير والجمال والبغال وساير مُؤَنهم ومبلغًا من الخزانة نحو ماية الف دينار فاكثر وجهّز المؤن الكثيرة إلى ان امتلات البنادر بها كالطور واليَنْبُع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجدّ واجتهاد الى ان كملت عمارة المسجد الشريف والقبّة الشريفة والموازن وفرغوا منهما على هذا الوجه الذى هو عليه الآن فى هذا الزمان ، وذكر السيّد السمهودى رحمه الله تفصيله فى كتابه خُلاصة الوفا فراجعه ان اردتَ احاطة العلم به وذكره بابسط من ذلك فى تاريخه الكبير الذى سمّاه وفاء الوفا باخبار دار المصطفى صلعم ، وامر السلطان قايتباى ان يبنى له رباط ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف النبوى فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطًا مشرفًا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وارسل الى المدرسة خزانة كُتُب جليلة جعل مقرّها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وارسل مصاحف كثيرة وكُتُبًا لخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق فيه منها ، ووقف قُرًى كثيرة بمصر تُحمل غلّاتها الى جيران رسول الله صلعم فيفرّق عليهم لكلّ شخص ما يكفيه من الحبّ بطول السنة فكان حصّة كلّ نفر سبعة ارادب فى العام سَوّى فى ذلك بين الصغير والكبير والحُرّ والعبد وذلك الخير جارٍ الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان اكثر ممّا وقفه السلطان قايتباى لمكة والمدينة جزا الله المحسنين خيرًا وضاعف لهم ثوابًا واجرًا انه كريم حليم ،

فصل فى حجّ السلطان قايتباى رحمه الله تعالى ، اعلم ان ملوك الجراكسة ما حجّ منهم احد غير السلطان قايتباى لتمكّنه فى الملك وكثرة ما

اثر النار الى جوف الحجرة الشريفة النبوية على ساكنهـا افضل الصلوة والسلام لسلامة القبّة السُّفْلَى وعدم التأثير فيها مع ما سقط عليهـا كما هو امثال الجبال واحترقت حتى حجارة الاساطين وسقط منها نحـو ماية وعشرين اسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوى والصنـدوق الذى فى المُصَلّى الشريف والمقصورة التى حول الحجرة الشريفة وسلمـت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد من البيوت وشوهد اشكال طيور بيض يحومون حول النار كانها تكفّها عن بيوت جيران النبى صلعم مع وقوع بعض شَرَر النار فيها وعدم تاثيره فيها ٭ قال مورّخ المدينة وعالمها وفقيههـا مولانا السيّد نور الدين على بن عبد الله السّمْهودى رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بابسط من هـذا فى كتابه خُلاصة الوفا باخبار دار المصطفى صلعم وفى ذلك عبرة تامّـة وموعظة عامّة ابرزها الله تعالى للانذار فخصّ بها حضرة النذير الاعظم صلعم وقد ثبت ان اعمال أُمّته تُعْرَضُ عليه فلمّا ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار النار المجازَى بها فى يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفًا وقال تعالى ذلك يخوّف الله به عباده يا عبادى فاتّقون ٭ قال وشرعوا فى تنظيف المسجد ونقضوا ما به من الانقـاض ونقلوها من مقدّم المسجد الى موخّره للصلوة فيه وعمل فى ذلك اميـر المدينة وقضاتها وعامّة اهلها حتى النساء والصبيان تقرّبًا الى الله تعـالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتبـاى رحمـه الله فتهوّل من هذا الحادث العظيم وتوجّه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العماير المكية وغيرها وان يتوجّه شادّها السيفى جمال الديـن

خارجها قدر قامة وغسلوا ارض الكعبة وساير المطاف الشريف وطيّبوها بالطيب وكان ذلك يوم الخميس لثمان بقين من ذى الحجة الحرام من السنة المذكورة ء

فصل ومن اعظم ما وقع فى ايام السلطان قايتبــاى من الامور الهايلة حريق المسجد الشريف النبوى ذكرناه استطرادًا لانه امرٌ هايل عظيم الهول ء وتفصيل ذلك ان فى ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ۸۸۶ طلع رئيس المؤذّنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المادنة الشريفة اليمانية من ركن المسجد الشريف المعروفة بالريسية وهو يذكر ويمجّد وكانت السماء متراكمة بالغيوم متوارية النجوم اذ سُمع رعدٌ هايل وسقطت صاعقة لها لهبٌ كالنار اصاب بعضهــا هلال المادنة فانشقّ راسهــا ومات المؤذّن رحمه الله وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المادنة فعلقت النــار فيه ففُتحت ابواب المسجد ونُودى بالحريق فى المسجد ء فحضر امير المدينة يومئذ السيّد قسطل بن زهير الجمالى وشيخ الحرم والقضــاة وساير الناس وصعد اهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالميــاه فى القِرَب يسكبونها على النار لتطفى فالتهبت واخذت فى جهة الشمــال والمغرب وعجزوا عن اطفاءها فهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشر انفس وعظمت النــار جدًّا واحاطت بجميع سقف المسجــد الشريف واحرقت ما فى المسجد من المصاحف وخزايــن الكُتُــب والربعات وكانت كُتُبًا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحرٍ لجّيّ من النــار يرمى بشَرَر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميــع المسجد والقبّة العليا التى فوق قبّة النبى صلعم وذابَ رَصاصه ولم يصلْ

جزءًا من القرآن وجعل فقيهًا يعلّم اربعين صبيًّا من الايتام ورتب لكلّ
واحد من الايتام واهل الخلاوى ما يكفيهم من القمح فى كل سنة
وللمدرّسين والمؤذّنين وقُرّاء الاجزآء مبالغ من الذهب تُصْرَف لهم كلّ
سنة ء وبنى عدّة ربوع ودور تغلّ فى كلّ عام نحو الفى ذهب ووقف
عليهم بمصر قُرًى وضياعًا كثيرة وحُبُوباً كثيرة تُحمل الى مكة فى كل عام وعمل
من الخيرات العظيمة ما لم يعمل ذلك سلطان قبله وذلك باقٍ الى الآن الا
ان الاكلة استولت على تلك الاوقاف فضعفَتْ جدًّا وهى آيلة الى الخراب
وصارت المدرسة سكنًا لامرآء الحاج ايام موسم الحجّ وسكنًا لغيرهم من
الامرآء اذا وصلوا الى مكة فى وسط السنة وصارت اوقافها ماكلة للنظار عمّر
الله من عمّرها وأَحْيَى من احياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة
والرباط والبيتين احدهما من ناحية باب السلام والثانى من ناحية باب
الحريريّين فى سنة ٨٨٤ على يد الامير سنقر الجمالى رحمه الله ء وفى هذه
السنة وردت احكامٌ من السلطان قايتباى الى صاحب مكة يومئذ
مولانا السيّد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن
عجلان رحمه الله يتضمّن انه راى مناماً وان بعض المعبّرين عبّر له ذلك
المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف امنه
امره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيّد الشريف محمد بن بركات رحمه
الله بنفسه وقاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن على ابن ظهيرة
وباش الترك الراكز بمكة الامير قانى باى اليوسفى والامير سنقر الجمالى
والدوادار الكبير الامير جانى بك نايب جُدّة المعمورة وبقية القضاة
والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن ابى راجح الشيبىّ
والشيبيّون والخُدّام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن

سنة ۸۸۱ اصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقى وغيّر رخام الحِجْر الشريف من داخله وخارجه ورُصِّصَت الشقوق التى بين احجار المطاف ورُخِّم داخل البيت الشريف ، وفى سنة ۸۸۲ امر السلطان قايتبساى وكيلَهُ وتاجِرَهُ الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن وشادّ عمايره الامير سُنْقُر الجمالى ان يحصّل له موضعــًا مشرفًا على الحرم الشريف ليبنى له فيه مدرسة يدرّس فيهــا علمــاء المذاهب الاربعة ورباطًا يسكنه الفقراء ويعمّر له رُبُوعًا ومسقفات يحصل منهـا ريع كثير يُصْرَف منه على المدرّسين وعلى القُرّاء وان تقرا له ربعــة فى كلّ يــوم يَحْضُرها القضاة الاربعة والمتصوّفون ويقرّر لهم وظايف ويعمل مكتبًا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل له رباط السدرة ورباط المراغى وكانا مُتَّصِلَيْن وكان الى جانب رباط المراغى دار للشريفة شمسيّة من شرايف بنى حسن اشتراها منهــا وهدم ذلك جميعه وجعل فيهــا اثنتين وسبعين خلوة ومجمعًا كبيرًا مشرفًا على المسجد الحرام وعلى المَسْعَى الشريف ومكتبًا ومأذنة وصيّر المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملوّن والسقف المذهب وقرّر فيها اربعة مدرّسين على المذاهب الاربعة واربعين طالبًا وارسل خزانة كُتُب وقفها على طلبة العلم وجعل مَقَرَّهــا المدرسة المذكورة وجعل لها خازنًا عيّن له مبلغًا وقد استولت عليها ايدى المستعيرين وضيّعوا منها جانبًا كبيرًا وبقى منها ثلاثمايــة مجلّد وهى تحت تكلّم مؤلّف هذا الكتاب صُنْتُهــا وكمّلت بعض ما فات منها وجلّدت منها ما يحتاج الى التجليد واستخلصت بعض ما وجدته واعدّته الى الوقف صانه الله تعالى ، وجعل الواقف فى ذلك المجمع للقضاة الاربعة حضورًا بعد العصر مع جماعة من الفقهاء يقرءون له ثــلاثــين

صهريج كبير جُعل فى صحن المسجد يمتلى من المطر وجعل للمسجد بابًا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذى فى سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذى أُنزلت فيه سورة المرسلات على النبىّ صلعم، وبالجملة فهذا المسجد اثر عظيم باقٍ الى الآن من آثار المرحوم السلطان قايتباى وقد غلب عليه الدثور عمّر الله تعالى من عمّره او تسبّب فى تعميره، وعمّر السلطان المذكور مسجد نمرة فى عرفة وهو المسجد الذى يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جَمْع تقديم فى يوم عرفة للحجّاج الحرمين فى ذلك الآن لا يجمع عند ابى حنيفة فى غير ذلك الحال جمع تقديم الا فى ذلك المسجد ولا جمع تأُخير الا فى المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجاج وجعل فى صدر ذلك المسجد رواقَيْن عظيمين يتظلّل بهما الحجاج وقت الصلوة عن الشمس، وجدّد العَلَمَيْن الموضوعين لحدّ عرفة والعلمين الموضوعين لحدّ الحرم وبيّض المسجد الذى بمزدلفة على جبل قُزَح وهو المَشْعَر الحرام على راىٍ وجدّد عين عرفات وابتدا المعمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادى نعمان فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يَصِلْ الى أُمّ العين وكانت قد انقطعت منذ ماية وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون فى يوم عرفة من قلّة الماء ما لا يُصْبَر عليه ثم اصلح البرك وملأها بالماء ثم اصلح عين خُلَيْص واجراها واصلح بركتها واجرى قُنيّها وامتلات البرك وعمّ النفع بها وبعَيْن عرفات وكان ذلك من اعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوّار، وفى سنة ٨٧٩ وصل منبر خشب للمسجد الحرام فى الخامس والعشرين من ذى القعدة الى مكة المشرفة فى البحر فرُكِبَ فى جهة باب السلام وجُرّ الى المطاف وخطب عليه الخطيب فى اول ذى الحجة، وفى

لعلّ هذه الليلة ليلة القدر والدُّعاء فيها مستجاب فليَدْعُ كلٌّ واحد منّا
بما يحبّه فقال قايتباى أَمَّا انا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال
الثانى وانا اطلب ان اكون اميرًا كبيرًا والتفتنا الى الجَمَّال وقالا له اىّ
شىء تطلبه انت فقال انا اطلب من الله تعالى خاتمة الخير، فصار
قايتباى سلطانًا وصار صاحبه اميرًا كبيرًا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز
الجَمَّال من بيننا رحمهم الله، وكان ملكًا جليلاً وسلطانًا نبيلاً له اليد
الطولى فى الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرّات بنى المساجد الثلاثة
وعدّة رُبُط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار وباهرة الانوار وله بمصر والشام
وغزّة وغير ذلك آثار جليلة وخيرات جميلة اكثرها باقٍ الى الآن وجميع
عمايره يلوح عليها لوايح النورانية والانس، وفى اول ولايته ارسل الى
مكة بالمراسيم والخلع للسيّد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن
عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضى القضاة بُرهان الدين
ابراهيم بن على ابن ظهيرة الشافعى بقضاء مكة ومراسيم تتضمّن الامر
بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من
اساطين الحرم الشريف فى باب السلام، وفى اواخر سنة ٨٧٤ والتى قبلها
بنى مسجد الخيف بناء عظيمًا محكمًا وجعل فى وسط المسجد قبة
عظيمة هى حدّ مسجد رسول الله صلعم فى خيف مِنًى وبُنيت
جداراته المحيطة به وبنا اربع بوايك من جهة القبلة فصارت قبة عالية
فيها محراب النبىّ صلعم وبلصق القبة ماذنة غير الماذنة التى على عقد
باب المسجد ارى مهندسها فيها الصناعة العظيمة حيث جعلها على
باب المسجد بثلاثة أَدْوار صنعة الأُسْتاذين، وبنى دارًا بلصق الباب
كانت مسكن امرأة الحاج وعلى الباب فى الدار المذكورة سبيل يُملأ من

الخامس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر ولكن يقال انه رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق عتقه وربّاه صغيرًا الى ان جعله خاصكيًّا ثم سلحدارًا ثم خزندارًا ثم دوادارًا ثانيًا ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارًا كبيرًا ثم أُخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الظاهر خوشقدم فصار مقدّم الف ثم صار فى دولة الظاهر بلباى اتابك العساكر ثم تسلطن وكان له فضل وصلاح وتودّد للناس وحذق ببعض الصنايع بحيث صار يعمل القِسِيّ الفايقة بيده ويعمل السهام عملاً فايقًا فيهما ويرمى بها احسن رمى يفوق غيره فيها مع الفروسية التامّة ومع ذلك ما صَفى له دهره يومًا ورماه عن كبد قوسه ابعد مَرْمى وما زال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولى السلطنة اتابك العساكر يومئذ

الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى فى ظهر يوم

الاثنين وهو سادس شهر رجب سنة ٨٧٢ وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبًا فى بضع وعشرين وثمانماية جلبه الخواجا محمود الى مصر فنُسب اليه واشتراه الاشرف برسباى وعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقّل فى المراتب الى ان صار فى دولة الظاهر خوشقدم امير ماية مقدم الف ثم صار فى دولة السلطان بلباى راس نوبة النوب ثم فى دولة الظاهر تمربغا اتابكًا ثم صار بعد خلعه سلطانًا بعد تعزّز منه وتمنُّع وحصّلت له البشارة بالسلطنة من عدّة من اولياء الله تعالى الصالحين قبل ان يليها وكان محبًّا للخير معتقدًا فى الصلحاء حُكى عنه انه كان يحكى عن نفسه انه لمّا جُلِبَ الى مصر للبيع وهو إمّا مراهق او بالغ كان معه رفيقه احد المماليك المجلب فتحادثوا مع الجمّال فى ليلة من ليالى شهر رمضان فقالوا

خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده الملك المويد شهاب الدين ابى الفتح احمد بن اينال العلامى فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٨٦٥ وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه اتابكه خُوشقدم بعد خمسة اشهر وخمسة ايام وولى السلطنة عوضه الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد خوشقدم الناصرى فى يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٨٦٥ وهو رومىٌّ جلبه الخواجا ناصر الدين وبه عُرف واشتراه المؤيّد شيخ واعتقه وصار خاصكيًّا عنده ثم تقلّب فى الدولة الى ان جعله الاشرف اينال اتابكًا لولده فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبًّا للخير وكسى الكعبة الشريفة فى اول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الجانب الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سُود وفى الجامات الله بالجانب الشرقى بعض ذهب، وارسل فى سنة ٨٦٦ منبرًا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعاء والخميس فخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجّة الحرام، وكانت مدّة سلطنته ستّ سنين ونصفًا تقريبًا ومرض فطال مرضه وتوفى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ٨٧٢ وتسلطن فى ذلك اليوم خشتاسه الاتابك يَلْبَاى وهو الملك الظاهر ابو النصر بلباى المويدى وخلع على الامير تمربُغَا الظاهرى بالاتابكية عوضاً عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك وتنفيذ الامور فخلعه الامرآء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة ٨٧٢ وكانت مدّة سلطنته شهرَيْن الا اربعة ايام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه الملك الظاهر ابو سعيد تمربغا الظاهرى وهو

الملك المنصور وعقد له البيعة ورضى الناس به واطمانوا وهو الحادى
عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وتسلطن وسنُّهُ دون العشرين وركب
بشعار السلطنة وحمل الاتابك اينال العلاءى امير كبير القبّة والطير على
راسه وجلس على تخت الملك فى قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفى
والده بعد سلطنة ولده المذكور باثنى عشر يوماً فوقعت فتنة بين
الامرآء فخلع الملك المنصور عثمان وتسلطن الملك الاشرف سيف
الدين ابو النصر اينال العلاءى فى صبيحة يوم الاثنين لثمان
مضين من شهر ربيع الاول سنة ٨٥٧ وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة
واولادهم وهو جركسىٌّ جلبه الخواجا علاء الدين الى مصر فاشتراه الظاهر
برقوق واعتقه الناصر فَرَج بن برقوق وتنقّل فى الدولة الى ان صار فى
ايام الاشرف برسباى امير ماية مقدّم الف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية
الكبرى الى ان جعله اتابكاً واستمرّ الى ان تسلطن وتمّ امره فى الملك
وطالت ايامه نحو ثمان سنين وشهرَيْن واياماً وكان طويلاً خفيف اللحية
بحيث اشتهر باينال الاجرود وكان قليل الظُّلْم قليل سفك الدماء
متجاوزاً عن الخطاء والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم فى الناس ٥
وفى ابتدآء سلطنته سافر الى امير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب
مكة الامير بُرْدبك التاجى وولى عوضه امير الترك الراكز بمكة يَشبك
الصوفى وطوغان شيخ الحرم ومحتسب مكة وولى مشدّاً على جُدّة جانى
بك وهو الذى بنى البستان الذى على يسار الذاهب الى مِنَى المعروف
به الى الآن وحفر فيه عدّة ابيار وغرس فيه ما قدر عليه من الاشجار .
حتى شجر التمرهندى وادركناه فيه ووقف عليه مسقفات بمكة ٥ ولم
يَقَعْ فى ايام الاشرف اينال عمارة للحرم الشريف واستمرّ سلطاناً الى ان

وصرف مالاً عظيماً فى جهات الخيرات، ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجى
الامير بُرْدبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من
شعبان سنة ٨٥۴ وطاف وسَعَى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من
اعلا مكة ولاقاه اكابر مكة واعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرا مرسومه
بالحطيم وهو مورّخ بثانى عشر جمادى الاخرة يتضمّن انه ولى نظر الحرم
الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان
يكون محتسبًا بمكة واستمرّ بهذه الوظايف وهو قايم الجاه نافذ الكلمة
وباشرها مع التمكين وعمّر فى اواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام،
وفى هذه السنة آجر قاضى القضاة ابو السعادات ابن ظهيرة الشافعى
رحمه الله رباط رامشت لوكيل القاضى ناظر الخاصّ ثم وصلت فتاوى
بعَدَم صحّة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدل له وحكم بصحّة
الاستبدال حاكم حنفىّ ثم امر بعمارته رباطًا فعمّره له ناظر الحرم الشريف
التاجى بُردبك وفتح فيه عدّة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع
الذى هو باقٍ عليه الى الآن، وفى سنة ٨٥٦ وصلت احكام من الظاهر
جقمق تتضمّن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة
المنسوبة الى شاهُرخ ميرزا والكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباى وان
تبقى كسوة الملك الظاهر جقمق وحدها ففعلوا ذلك، وفيها سافر
امير الترك الراكز بمكة الامير جانبك النوروزى وولى عوضه فى منصبه
ناظر الحرم التاجى بُرْدبك،

وفى سنة ٨٥٧ وردت القُصّاد من مصر تخبر بان الملك الظاهر جقمق زاد
به مرضه فخلع نفسه من السلطنة فى يوم الخميس لتسع بقين من المحرم
الحرام من السنة المذكورة لولده ابى السعادات فخر الدين عثمان ولقّبه

عمّره خواجا قبيبى مولانا محمد بن محمود افندى قاضى مكة المشرفة فى
سنة ٩٦٧ وقدّمه لجانم سلطان زوجة الوزير الاعظم رستم باشا وأُمّها
والدة السلاطين خاصكى سلطان رحمهمـــا الله وهو الآن فى تصرّف ناظـر
عمارتهــا بمكــة المشرفة ، وفى موسم سنة ٨٥٠ ايضًا حجّ وزيرٌ من وزراء
السلطان مراد الثانى طيّب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة
جزيلة لاهل الحرمين الشريفين ورمى فى بركة قبّة العباس بالحرم الشريف
ثلاثماية وستّين راس سُكّر وعدّة قناطير من العَسَل وسقى الناس وملأ
القرب وخرج بهـــا السّقّاؤون الى المَسْعَى يسقون النــــاس وصدّق عـلى
الحجاج واهل الحرمين اموالاً جزيلة تقبّل الله منه صالح اعمـاله ، وفى سنة
٨٥١ عمّر ناظر الحرم بيْرَم خواجــا فى الجانب الشرقى قطعــة من جــدار
المسجد الحرام تلى رباط السدرة الذى هو الآن رباط الاشرف قايتباى
وعمّر شبــاك خلوة منسوبة للشيخ عفيف الدين عبد الله بن اسعد
اليافعى وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم
المرشدى وجدّد فى الرواق القبلى من الجانب الشامى سبعة عقود وعمّر
ايضًا عين حُنَيْن واصلح مجاريها ورمّها ترميمًا مُحْكَمًا ، ووصلت فى ذلك
العام كسوة لحِجْر اسماعيل مع كسوة البيت الشريف ولم يُكْسَ بها الحِجْرُ
الشريف لانه لم تجر بذلك عادة قبل هذا ووُضعت داخل البيـــت
الشريف ثم كُسِىَ بهـا الحِجْر الشريف من داخله فى العشر الاخير من
ذى الحجة سنة ٨٥٣ بعد ان حفظت فى جوف البيت الشريف سنــة
كاملة ، وعمّر ناظر الحرم الشريف بيْرَم خواجا عدّة برك فى عرفة كانت
داثرة مملوة بالتراب فاخرج ترابها واصلحها وساق اليها الماء من الابار التى
بقربهـا ليشرب الحجاج وعمّر مسجد نمرة بعرفة وعمّر مسجد الخيف بمنى

يوقد بالليل من قناديل الحرم الشريف فى شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضىء للمعتمرين وفى بعض ذى الحجة للاضاءة على الحجاج اذا ارادوا السّعْىَ وجعل على الصفا قنديلاً وعلى المروة قنديلاً، ثم عمّر الامير سُودُون المذكور ما بقى من المواضع الماثورة فى مِنَى وفى المشعَر الحرام بمُزْدَلفة ومساجد نمرة بعَرَفَةَ وقطع جميع اشجار السَّلَم والشوك الذى كان بين المَأْزِمَيْن فى طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والحاير عند مزاحمة جمال الحاجّ فى ذلك المحلّ وكانت الحرامية تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وازال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسّعها وشكره الحجاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضرُّ فى طريق المسلمين والاّ فشاجرُ الحرم لا يُعْضَد ولا يُقْطَع فرحم الله تعالى روحَه الشريفة واثابه الحُسْنَى، وكذلك الامير خُوشكلدى نايب جُدَّةَ فى عصرنا فى حدود سنة ٩٥٠ قطع اشجار السلم ما بين المازمَيْن وكسر الاحجار الكبار ورضمها فى سفح الجبلَيْن ومهّد ووسّع الطريق للحاجّ ودفع بذلك عنهم شرّ السُّرّاق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس على ذلك اثابه الله تعالى وسيأتى شىء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى، وفى موسم سنة ٨٤٨ وصل مع الركب المصرى رسول سلطان العجم شاهرُخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكُسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة فى يوم عيد الاضحى وفُرّقت الصدقة على اهل الحرم، وفى سنة ٨٥٠ وصل بَيْرَم خواجا ناظرًا على المسجد الحرام وبنى بالمعّلاة سبيلاً وحوضًا ينتفع بهما الناس والبهايم على يمين الصاعد الى المعابد وصار الآن فى عصرنا بستانًا

عيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجدْ له انصاراً، واتّخذ تحت الارض بعد
تخت الملك قراراً، واصفرت الارض منه فى سابع صفر سنة ٨٥٧ ه

وكان الظاهر جقمق اول ما ولى السلطنة التفت الى مكة المشرفة وارسل
خلعًا ومراسيم للسيّد بركات بن حسن بن عجلان بولاية مكة وارسل
اليه سُودُون المحمدى ليكون اميرًا على خمسين فارسًا من الترك مقيمًا
بمكة وولاه نظر الحرمَيْن الشريفين وشيّد العماير بها وكان من عمارة الامير
سُودُون بالمسجد الحرام سنة ٨٤٣ انه قلع الرخام الذى فى سطح الكعبة
الشريفة لانه كان ينقط منه الماء فى وقت المطر الى جوف الكعبة الشريفة
وكان الخشب الموضوع فى السطح الشريف الذى تُرْبَطُ فيه حبالُ
الكسوة الشريفة قد تاكّل وتاكّل خشب الروازن الاربعة التى فى سقف
الكعبة التى كانت للضوء فغيّر ذلك جميعه وجرّد الكعبة الشريفة من
خارجها عن الكسوة ووُضعت الكسوة داخل البيت الشريف واستمرّت
مجرّدة يومَيْن وليلتَيْن فصارت مكشوفة يشاهد الناس احجارها الى ان
كمل ترميمها واصلاحها وأُعيدت الكسوة عليها فى ضحى يوم الاثنين
لثمان بقين من شهر صفر سنة ٨٤٣ ه واصلح ايضاً رخام داخل الكعبة
من الجدر المقابل للباب الشريف واصلح ايضاً رخام الحجر وبيّض ماذنة
باب السلام واصلح ماذنة باب العُمرة وبيّض ماذنة باب الحزورة ورمّم
اسافل ماذنة باب علىّ واصلح سقف المسجد الحرام فى تلك الجهة
الخرابة واصلح الرفرف الداير بالمسجد الحرام وبيّض عُلُوَّ مقام ابراهيم
وعلوّ مقام الحنفية وقبّة باب ابراهيم والاميال التى بلصق دار
العباس فى المَسْعَى والميل الذى فى ركن المسجد بقرب باب بازان
والذى يقابله التى هى علامة للسَّعْى بينهما وعيّن فى كلّ ميل قنديلًا

اربعة عشر عامًا وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبّر مملكته الاتابك جقمق العلآءى ولا زال يقوى امره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباى بعد ان تسلطن نحوًا من خمسة اشهر لم يكن له فيها الا مجرد الاسم وتسلطن مكانه فى يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ٨٤٢ ولقبوه **الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد جقمق** العلاءى الظاهرى وجلس على سرير الملك وتمّ امره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جُلِبَ من بلاد جركس الى مصر وباعه جالُبه فاشتراه علاء الدين على بن الاتابك اينال اليوسفى فنُسب اليه فقيل له جقمق العلاءى ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهرى وكان عنده خاصكيًّا ثم صار فى دولة الناصر ساقيًا عنده ثم صار امير عشرة ثم صار فى دولة المويد خازندارًا ثم صار من مقدمى الالوف ثم فى دولة الاشرف صار حاجب الحجّاب ثم امير اخور كبير ثم امير سلاح ثم صار اتابك الى ان تسلطن فخرج عن طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله ، ثم خرج عن طاعته نايب حلب تغرى برمش ثم اينال الحكمى نايب الشام فجهّز عليهما العساكر فقاتلوهما واحدًا بعد واحد وظفر بهما وقتلهما وبعد قتل هولآء صفى له الوقت فأَخذ وأَعْطا واقدم وسَطا وصار متواضعًا محبًّا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفًا من المنكرات طاهر الفم والذيل لا يُعْلَم من ملوك الجراكسة قبله ولا بعده اعفّ منه وكان على قاعدة الاتراك الدّعْوَى عنده لمن سبق يذاكر بمسايل فقهيّة ويتعصّب لمذهب ابى حنيفة رضه وملك مصر نحوًا من خمسة عشر عامًا الى ان أَوْرَى الدهر له من زنده نارًا ، وبدّل

وكثر ريعها وبالغ فى تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها
جزاه الله على ذلك خيرًا انتهى ۶ وكفاه فخرًا ذكر هذا الثناء والوصف
الجليل فى مثل ذلك بهذا التاليف العظيم ۶ ورايت فى شرح ايضاح
المناسك للسيّد نور الدين على السَّمْهُودى الحسنى عالم المدينة رحمه الله
ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية فى هذه
الأَعْصُر من وقف قرية يقال لها سندبيس فى طرف القَلْيُوبية ممّا يلى
القاهرة شراها السلطان الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاون من
وكيل بيت المال ووقفها لان تكسى منها الكعبة الشريفة كلّ سنة
وتكسى الحجرة الشريفة النبوية فى كلّ خمس سنين مَرّةً على ما قاله
الزّين المراغى فى ذلك فى عشر الستّين وسبعماية ۶ اقول هذه القرية
موجودة الآن بمصر لكن ذكر لى من كتبة ديوان مصر الفاضل الكامل
مولانا مُصْطَفى جلبى ابن مَسيح زاده لمّا كان مقيمًا بمكة المشرفة ناظرًا
على الحرم الشريف المكّى ذكره الله تعالى بالصالحات والرحمة ان هذه
الاوقاف ضَعُفَت جدًّا وقلّ محصولها وصارت لا تفى بكسوة الكعبة الشريفة
فعرض ذلك على ابواب المرحوم السلطان سليمان خان اسكنه الله
تعالى فسيح الجنان فامر بالحاق قُرًى أُخرى اشتُرِيَتْ من بيت المال
واوقفها وأُلحقها باوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهى باقية الى الآن ومنها
كسوة الكعبة الشريفة فى كلّ عام ۶ ولنَعُد الى تكميل ترجمة القاضى عبد
الباسط كانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الثلثاء لاربع ليال مضين من شوال
سنة ٨٥٤ ۶ وتوفى السلطان الملك الاشرف برسباى يوم السبت لثلاث
عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة سنة ٨٤١ وفى يوم وفاته تولّى الملك بعده
ولده الملك العزيز ابو المحاسن جمال الدين يوسف وعمره يومئذ

يقدمها راس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الفخّ اليينبعى، وروى ابو الفرج الاصبهانى فى مقاتل الطالبيّين باسناده الى النبىّ صلعم قال انتهى رسول الله صلعم الى فخّ فصلّى باصحابه صلوة الجنايز ثم قال يُقْتَل ههنا رجل من اهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم بأَكْفان وحُنوط من الجنّة تسبق ارواحهم الى الجنّة اجسادهم انتهى، وعبد الباسط هذا هو ابن خليل بن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى ايام الظاهر ططر فمن بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة عالى الجاه واسع العطايا كثير الهمّة له فى كلّ واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزّة وله على جميع هذه المدارس اوقاف كثيرة بمصر كانت تغلّ مغلّا كثيرا واستولى عليها الخراب الآن وكانت له سحابة للفقرآء تُنْصَب له فى الطريق ليستظلّوا تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف اعدّها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلّما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والبكسماط وكان يطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى مكة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم واصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلّما على اوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمّرها ونماها الى ان فاضت وكثرت فى ايامه، وقد ذكر شيخ الاسلام قاضى القضاة بمصر الشهاب احمد بن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى ان الصالح بن الناصر بن قلاون اشترى ثلثى قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها فى كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تُكْسَى من ريع تلك القرية الى ان فوّض امرها المويد شيخ الى الزَّيْنى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنَمَتْ

بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة ورمّم باقى ابواب المسجد وبيّض غالبه واصلح سقفه وكلّ ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمه الله، وفى هذه السنة جدّد الاشرف برسباى الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وازال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزينى عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التى على باب العجلة على يسار الداخل الى المسجد الحرام وهى مدرسة وخلاوى للفقراء فى غاية الاستحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الى الآن بيد الخاونين من أئمّة مقام الحنفى تسكنها الاعيان الواردون الى الحجّ وكانت عليها اوقاف بمصر دُثرت الآن، وبَنَى ايضًا عبد الباسط سبيلًا وحفر بيرًا فى طريق العُمرة على الثنية على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فَخّ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن الامام ابى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن ابى طالب رضه وكان احد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما اظنّ ان لى اجرًا فيما اعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لانّ الله تعالى يقول لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون ووالله ما هذا عندى وهذا الحَصَى الا بمنزلة واحدة، وكان خرج على الهادى العباسى بمكة وقاتل خالد اليزيدى ومن معه من جنود العبّاسيّين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أُخرى من قبل الهادى ونزل الحسين بن على بفخّ وقاتل قتالاً شديدًا الى ان قُتل هو وجماعة من شيعة اشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحُملت روسهم وهى ماية راس

يقدمها راس الحسين بن على الى الهادى ويقال له الحسين بن على الفخّ اليَنبعى ، وروى ابو الفرج الاصبهانى فى مقاتل الطالبيّين باسناده الى النبىّ صلعم قال انتهى رسول الله صلعم الى فخّ فصلّى باصحابه صلوة الجنايز ثم قال يُقْتَل ههنا رجل من اهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم بأَكْفان وحُنوط من الجنّة تسبق ارواحهم الى الجنّة اجسادهم انتهى ، وعبد الباسط هذا هو ابن خليل بن ابراهيم الدمشقى ثم القاهرى ناظر الجيش فى ايام الظاهر ططر فمن بعده كان عزيزًا رئيسًا كريمًا نافذ الكلمة عالى الجاه واسع العطايا كثير الهمّة له فى كلّ واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزّة وله على جميع هذه المدارس اوقاف كثيرة بمصر كانت تغلّ مغلًّا كثيرًا واستولى عليها الخراب الآن وكانت له سحابة للفقرآء تُنْصَب له فى الطريق ليستظلّوا تحتها وكانوا يحملون على جمال فى شقادف اعدّها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلّما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطرى والبكسماط وكان يطبخ لهم فى المناهل ويذبح لهم الغنم فى الذهاب من مصر الى مكّة وفى مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم واصلح كثيرًا من درب الحجاز وكان متكلّمًا على اوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمّرها ونماها الى ان فاضت وكثرت فى ايامه ، وقد ذكر شيخ الاسلام قاضى القضاة بمصر الشهاب احمد بن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى ان الصالح بن الناصر بن قلاون اشترى ثلثى قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها فى كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تُكْسَى من ريع تلك القرية الى ان فوّض امرها المويد شيخ الى الزّينى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنَمَتْ

بابى الزيادة وهو الواقع فى الركن الغربى من الزيادة ورمّمر باقى ابواب المسجد وبيّض غالبه واصلح سقفه وكلّ ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمه الله، وفى هذه السنة جدّد الاشرف برسباى الكسوة الحمرآء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وازال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزينى عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التى على باب العجلة على يسار الداخل الى المسجد الحرام وهى مدرسة وخلاوى للفقرآء فى غاية الاستحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الى الآن بيد الخازنين من ائمّة مقام الحنفى تسكنها الاعيان الواردون الى الحجّ وكانت عليها اوقاف بمصر دُثرت الآن، وبَنى ايضًا عبد الباسط سبيلاً وحفر بيرًا فى طريق العُمرة على الثنية على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذى يقال له فَخّ بالفاء والخاء المعجمة فيه مدفن الامام ابى عبد الله الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن بن على بن ابى طالب رضه وكان احد الاجواد فى الاسلام وكان يقول ما اظنّ ان لى اجرًا فيما اعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لانّ الله تعالى يقول لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون ووالله ما هذا عندى وهذا الحَصَى الا بمنزلة واحدة، وكان خرج على الهادى العباسى بمكة وقاتل خالد اليزيدى ومن معه من جنود العبّاسيّين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أُخرى من قبل الهادى ونزل الحسين بن على بفخّ وقاتل قتالاً شديدًا الى ان قُتل هو وجماعة من شيعة اشراف بنى حسن رحمهم الله تعالى وحُملت روسهم وهى ماية راس

وعمّر اماكن بهذا الموضع بين باب علىّ وباب العبّاس وموضع اخر يتّصل
بباب الافضلية انتهى ۔ قلتُ رباط المراغى هو الآن محلُّ مدرسة
السلطان الاشرف قايتباى ـلله ـهـ منزل امير الحاجّ المصرى فى هذا
الزمان والمدرسة الافضلية ـهـ من اوقاف لخواجا محمد بن عباد الله
وبينهما بابان للمسجد الحرام اصلُهما باب واحد يقال له باب النبىّ
صلعم وكان يدخل المسجد من هذا الباب لان دار السيّدة خديجة
رضها فى هذا الصّوْب وهى الان مزار يزار وهذا الباب يقال له الآن باب
الحريريّين لان الحرير يُباع خارج هذا الباب ۔ قلتُ وعادة الناس فى
زماننا ادخال الجنايز من باب العباس وتخرج من باب السلام وانا ارى ان
تدخل الجنايز وتخرج من باب الحريريّين ما بين مدرسة قايتباى ودار
الخواجا ابن عباد الله لان النبى صلعم كان يدخل من هذا الباب الى
المسجد ويخرج منه لا شكّ انه اكثر بركةً وخيرًا من ساير ابواب
المسجد الحرام وانّما يقال له باب القَفَص لان الصّبّاغ يضعون الحُلىّ فى
أقْفاص للبيع بقرب هذا الباب ۔ قال النجم عمر بن فَهْد وفيها عمّر الامير
مُقبل المذكور عدّة عقود بالمسجد الحرام فى الجانب الشامى من الدّكّة
المنسوبة الى القاضى ابى السعود ابن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام
الحنفية وزاد فى عرض العقود ـلله تلى الصحن من هذا الجانب ثلاثة
عقود فى الصفّ الثالث واحكم الاساطين ـلله عليها هذه العقود وهى
سبع اساطين فى الرواق الاول وثمان فى الذى يليه وثلاث فى الذى
يليه وسبع متّصلة بجدار المسجد ۔ وجدّد من ابواب المسجد الحرام
باب العبّاس وهو ثلاثة ابواب وباب علىّ وهو ثلاثة ابواب ايضًا والباب
الاوسط من ابواب الصّفا وهى خمسة وباب العجلة وهو باب واحدٌ وأحَدَ

انه سايغٌ فى مذهب غير الامام ابى حنيفة رضه من الائمّة المجتهدين رضى الله عنهم فلا نقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلباً لمزيد الرحمة والرضوان والبركة واختلاف الائمّة رضوان الله عليهم رحمةٌ ويجوز للمقلّد الاخذُ بكلامِ مجتهدٍ من المجتهدين فى بعض المسايل وان خالَفَ امامُهُ رضى الله عنه ومع ذلك فقد وجدت نقلاً صريحًا فى المحيط البُرهانى عن الامام الثانى ان فى رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعى رضه وصورة ما نقل وانّما تكره الصلوة على الجنازة فى المسجد الجامع ومسجد الحىّ عندنا وقال الشافعى رحمه الله لا تكره، وعن ابى يوسف روايتان فى رواية كما قال الشافعى وفى رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم فى المسجد لا تكره انتهى، فترجّح عندى ان افتى بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية واحسنت الظنّ بالسلف الصالح وكفى بالامام ابى يوسف رضه قَدْوَة فى هذه المسئلة فاعلمْ ذلك واحفظْه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على ان الكراهة كراهة تنزيه نصّ عليه شرف الائمّة العقيلى كما نقله عنه الامام الزاهدى رحمه الله، قاله الفقير قطب الدين الحنفى غفر الله تعالى ذنوبه،

قال النجم عمر بن فَهْد رحمه الله تعالى فى كتابه اتحاف الوَرَى باخبار أُمّ القُرَى فى حوادث سنة ٨٣٦ وفيها عمّر الامير مقبل القديدى باب الجنايز على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق احد البابَيْن الى منتهى جدر المسجد الحرام المقابل لرباط المراغى وتخرب ما بين هذا الباب والباب الآخر وأُزيل الحاجز الذى كان بينهما وازيلت الاسطوانتان الرخام اللتان كانتا تليان هذا الحاجز وعُمّر بحجارة منحوتة حتى ارتفع

هذه الرواية عن الامام ابى حنيفة رضه فهى قول له وان كان غير ظاهر الرواية فاخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله وجيران نبيه صلعم فى الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذى نقلده رضى الله عنه، وقد رفع الىّ سؤال فى ذلك صورته ما قولكم فى مسئلة الصلوة على الميت فى المسجد الحرام المكّى ومسجد النبى صلعم فى الروضة الشريفة هل يجوز للحنفىّ ادخال الميت اليهما والصلوة عليه فيهما كما هو عمل اهل الحرمين قديما وحديثا وهو شانُ السلف الصالح الى الآن ام لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب ابى حنيفة رضه كراهة الصلوة على الميت فى المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم الى مقابلة وجه النبىّ صلعم طلبا لبركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التى هى بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنّة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يُوضع على باب الكعبة منطرحا فى باب مولاه الكريم تعالى ويُحرَم من هذه البركات كلّها ويأثم من ادخله مواطن هذه الرحمة والخير افتونا، فكتبتُ ما صورته اللهم وفقنا للصواب اعلم رحمنا الله تعالى واياك ان شرف المسجد الحرام وروضة النبىّ صلعم ونزول الرحمة فيهما على من حلّ بهما امرٌ واضحٌ لا شكّ فيه ولا مِرْيَة تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسنٌ وقد تواطأ اهل الحرمين الشريفين وتطابقت ارآءهم قديما وحديثا من صدر الاسلام والى الآن على ادخال ماتاهم الى المسجد طلبا لمزيد التبرك والاسترحام ولم يعهد من علماءنا بالحرمين الشريفين التّأبّى من ذلك او الانكار على فاعله مع

العمارة هو الامير مقبل القديدى الاشرفى والناظر عليها الخواجا علىّ الكيلانى تاجر السلطان وحضر فى العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة فى شهر صفر ، وفى اول هذا العام عمر الرخام الذى فى ارض الحجر فى باطنه وظاهره واعلاه واسفله على يد الامير مقبل المذكور ، وفيها عمر باب الجنايز احد ابواب المسجد الحرام الواقع امام رباط سيّدنا العبّاس رضه امام هذا الباب وانّما سمّى باب الجنايز لانه كان مخصوصًا بدخول الجنايز منه الى المسجد الحرام للصلوة عليها فيه وجرت عادة اهل الحرمَيْن الشريفين بادخال جنايزهم المسجد الحرام والصلوة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك اهل المدينة يدخلون جنايزهم المسجد الحرام ويقفون بها امام وجه النبى صلعم ويصلّون عليها فى الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعى والامام مالك والامام احمد ابن حنبل رضى الله عنهم وامّا الحنفية فى الحرمَيْن الشريفين فيقلّدون اولئك الائمّة ليجوزوا هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم ابى حنيفة رضه عدم جواز ادخال الميّت الى المسجد ، وطالما تصفّحتُ كُتُبَ الفتاوى وتفحّصتُ عن رواية ائمّتنا بالجواز الى ان ظفرت بعون الله تعالى برواية عن الامام ابى يوسف رضه فى جواز ذلك وهى رواية عن ابى حنيفة رضه ففرحت بها كثيرًا كانّى ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانّها من مهمّات المسايل لا سيما لاهل الحرمَيْن الشريفين فعضّ عليها بالنواجذ واعتمدْ على ما افتيتُ به فى هذه المسألة فقد ذكر علماءنا رضى الله عنهم ان كلّ قول قال به الامام ابو يوسف والامام محمد والامام زُفر فهو رواية عن الامام ابى حنيفة رضه وحيث ثبتت

ان تسلطن على الوجه الذى قدمناه واستمرّ فى السلطنة مدة طالت وحسنت ايامه ومن جملة مناقبه انه اخذ بلاد قبرس واسر ملكها فى سنة ٨٢٩ وهو فى تخت مُلكه بمصر لم يتحرّك وكان عاقلاً مدبّراً سيوساً ذا وقار وسكينة متجمّلاً فى ملبسه وموكبه محبًّا لجمع المال واشترى من ماله ثلاثة الاف مملوك جركسىّ وعمّر بالقاهرة المدرسة الاشرفيـــة وهى من احسن مدارس مصر ووقف عليها اوقافاً كثيرة وعمّر ايضاً جامعاً عظيماً بخانقاه سرياقوس ووقف عليه ايضاً اوقافاً كثيرة ، وفى اول سنى سلطنته ارسل الامير مقبل القديدى وامره بعمارة اماكن متعدّدة بالمسجـــد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فاحسن بناءها وجدّد كثيراً من اسقف المسجد الحرام كان قد تاكّلت اخشابها وكذلك جدّد سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التى تُربط فيها كسوة الكعبة الشريفة قد تاكّلت وذابت فقلعها ووضع عوضها اخشاباً جديدة مُحْكَمة بمسامير كبار من الحديد واحكم كلّ ذلك غاية الاحكام واتقنه غاية الاتقان ، وفى سنة ٨٣٦ امر الاشرف برسباى اميراً له بمكة يقال له مقبل القديدى الاشرفى بقلع الرخام المفروش فى باطن الكعبة وجدرانهـــا من داخـــل لتخرّبه وتقلّعه وان يجدّده برخام جديد وان يُعيد ما كان صحيحـــاً غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التى فى جوف الكعبة الشريفة ويحكّمها ، وذكر شيخ الكعبة انه سمع صريراً فى سقف الكعبة الشريفة فتتبّعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التى تقابل باب البيت قـــد مال راسها عن محلّها فاعادها الى محلّها واحكمهـــا وعمّر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباى فى لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه فى صدر البيت الشريف وهو باقٍ فيه الى الآن ، وكان مشـــدّ

يكلّف شريف مكة التجار على اخذ القرض منهم والسوارى المكتوبة بهذا العهد موجودة فى المسجد الحرام الى الآن؛ ثم لما سخّر الله للملك الظاهر ططر مملكة الشام وحلب عاد الى مصر فمرض فى اثناء الطريق وصار يتعلّل الى مصر وجعل فيها مواكب ولزم الفراش ولم يتهنّ بالسلطنة وما كمل فرحه بالملك، وما امهله الدهر بل سلبه المُلك، واسلمه الى الهُلك، وتوفى يوم الاحد لاربع مضين من ذى الحجّة سنة ٨٢٤ وكانت مدّة ملكه اربعة وتسعين يومًا وتولّى بعده من يوم موته ولده **الملك الصالح محمد** بن الظاهر ططر وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة وصار اتابكه ومدبّر مملكته الاتابك جانى بك الصوفى الى ان تغلّب غليه الاتابك بَرْسَبَاى الدُّقْمَاقى فقبض عليه وارسله الى سجن الاسكندرية وصار اتابكًا فى مكانه واستبدّ بامور الملك من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن برسباى عوضه فى يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاخر سنة ٨٢٥ وكانت مدّة سلطنة الملك الصالح ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً واستمرّ بعد الخلع عند والدته فى القلعة الى ان توفى بالطاعون فى سنة ٨٣٣ وعمره نحو العشرين عامًا؛ وتولّى بَرْسَبَاى السلطنة وتلقب **بالملك الاشرف سيف الدين ابى النصر برسباى الدقماقى** وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أُخِذَ من بلاد جركس وبُيع فى بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الامير دقماق الظاهرى نايب ملطية وقدّمه الى الظاهر برقوق فقرّبه واعتقه فصار يترقّى الى ان ولاه الملك المويد مقدّم الف وجرت عليه نكبات وحبوس الى ان ولى الظاهر طَطَر فقرّبه وانعم عليه بتقدمة الف ثم جعله دوادارًا واستمرّ على ذلك الى

المظفر ابو السعادات احمد بن المويّد شيخ المحمودى الظاهرى بعهد
منه فى يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره انذاك سنة وثمانية
اشهر وسبعة ايام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار مدبّر مملكته
الامير طَطَر امير مجلس اتابك العساكر وخالف عليه امرآء الشام
فتجهّز عليهم ططر ومعه الملك المظفّر احمد طفلاً وقاتلهم وقتل كثيراً منهم
الى ان صفى له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه فى يوم الجمعة
لليلة بقيت من شعبان سنة ٨٢٤ ورجع بالمظفر احمد بن المويد الى مصر
واستمرّ بالقلعة الى ان نقل الى الاسكندرية فتوفى بها مطعوناً فى سنة ٨٣٣
وكانت مدّة سلطنته سبعة اشهر وعشرين يوماً وتنقّلت جنازته من
الاسكندرية الى مصر ودُفن بالجامع المويّدى داخل باب زُوَيْلَة ؁

وتسلطن الملك الظاهر ابو الفتح سيف الدين ططر
الظاهرى فى يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة ٨٢٤ وهو السادس
من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق اعتقه
وقدّمه ولا زال يترقّى الى ان صار عند المويّد راس نوبة النوب ثم امير
مجلس ثم تسلطن كما ذكر وتلقّب بالظاهر لقب استاده ؁ ومهّد مملكة
الشام وقتل نايبها وقبض على الامرآء المخالفين وقدّم المخالفين ؁ وله آثار
جميلة ومقاصد حسنة جليلة من اعظمها انه قرّر لصاحب مكة
الشريف حسن بن عجلان الف دينار ذهب تحمل اليه من خزنته
بمصر فى كلّ عام وجعل ذلك له فى مقابلة ترك المكس على الخضرة والفواكه
والحبوب وغيرها بمكة وامر ان يكتب عهده واعترافه بذلك على سوارى
المسجد الحرام من ناحية باب السلام وناحية باب الصفا باسقاط المكس
الذى كان يوخذ على الخضر والفواكه وغيرهما من الماكولات وان لا

والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند السلطان احمد شاه الكجراتى ورباط الخواجا الطاهر ، واشتريت دور أُخرى وعمّر فى مكانها المدارس الاربع السليمانية لاهل المذاهب الاربعة وبيد مؤلّفه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيرًا من كان سببًا فى انشاءها وسياتى بيان عمارتها ان شاء الله تعالى ، وفى مستهل ذى الحجّة سنة ٨١٦ قدم الى الحجّ احد خواصّ مماليك السلطان الملك المؤيّد شيخ فراى جانب باب الكعبة الايمن محتاجًا الى الحلية فاخرج من ماله مقدار ما يقارب مايتى درهم فضّة خالصة فجلّاه به ثم طلاه بالذهب وفرغ من عمل ذلك قبل الصعود الى عرفة وشكر الناس صنيعه وعرفوا تعظيمه لبيت الله تعالى واثنوا على همّته والخَيْرُ يُذْكَرُ ولو بعد حين ، وفى اواخر سنة ٨١٨ ارسل المويد منبرًا حسنًا الى المسجد الحرام ودرجة يصعد عليها الى الكعبة ووصل ذلك الى مكة فى الموسم وخطب الخطيب على المنبر الجديد خطبة التروية فى سابع ذى الحجّة وارسل المويد ايضًا صدقة كثيرة لتفرّق بالمسجد الحرام فتولّى بفرقتها الامير تغرى برمش باش التُّرك المقيمين بمكة ، وفى سنة ٨٢٢ لسبع مضين من شهر ربيع الاول هُدمت ظُلّة المؤذّنين التى فوق زمزم لخراب خشبها وتأكُّله وبُنيت بالحجر المنحوت ووُسعت احواض زمزم واتقن عملها وفرغ منه فى شهر رجب من هذه السنة ، وفيها عمّرت قناة عين بازان لان السيل كان قد اخربها فانقطع ماء العين فجدّدت الى ان جرى الماء وامتلات البرك التى فى المعلاة ورخص الماء بعد غلوّه ، وكانت وفاة الملك المويّد شيخ المحمودى فى يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة ٨٢٤ وقد اناف على الخمسين وكانت مدّة سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر وتسلطن بعده ولده الملك

بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ادام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالى من المسجد الحرام البيمارستان الذى كان وَقْفًا للمستنصر العباسى فخُرِبَ ودُثِرَ فاستاجره من قاضى القضاة بمكة يومئذ القاضى جمال الدين ابن ظهيرة الشافعى اجارة طويلة مائة عام باربعين الف درهم بوزن مصر واذن القاضى جمال الدين السيّد حسن بن عجلان ان يصرف الاجرة المذكورة فى عمارة ما تخرب من البيمارستان المذكور وان يهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمّم ما يحتاج الى ترميمه وان ينتفع به مُدّة اجارته فشرع السيّد حسن فى عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدّد فيه ما يحصل به النفع للفقرآء وجدّد به ايوانًا وصهريجًا ووقف جميع ذلك ممّا عمّره وممّا يستحقّ الانتفاع به على الفقرآء والمساكين والمرضى والمنقطعين يأوون فيه عُلُوًّا وسُفْلًا وينتفعون بالاقامة والسُّكْنى فيه لا يزعجهم احد ولا يخرجهم بل يستمرّون الى ان يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فاذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولدَيْه بركات واحمد ثم من بعدهما للارشد فالارشد من ذريته الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن ، وثبت ذلك وحكم بصحّته القاضى السيّد رضى الدين ابو حامد محمد بن عبد الرحمن الفاسى الحسنى المالكى فى يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ٨١٩ وانما استحكم فيه المالكى لان متأخّريهم اجازوا وقف المنافع وهو خلاف راى ابى حنيفة والشافعى واستمرّ الى ان خُرب ودُثر فاستبدل مرارًا آخِرُ ذلك فى اواخر دولة المرحوم المقدّس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صَوْب الرحمة

محمود اليزدى واعتقه وجعله امير عشرة ثم صاحب طبلخانة ثم مقدّم الف ثم ولى نيابة طرابلس ثم اسره تيمورلنك لمّا اسر نُوّاب البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له امور مع الناصر فرّج من الخروج عليه وعصيانه الى ان آل امره الى ان صار سلطاناً وعَصَى عليه نُوّاب البلاد الشامية وتوجّه الى قتالهم مراراً كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألَم المفاصل فصار يُحْمَل على الاكتاف ويركب المحفّة وكان شجاعاً مقداماً مهيبًا وكانت اسواق ذوى الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحبّ العلماء والفضلاء ويُجِلُّ قدرهم، وفى ايامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بُبِعَت الغرارة الحنطة وهى حمل جمل معتدل بعشرين دينارًا ذهبـاً وكان عامًّا فى جميع الماكولات بحيث بُيعت البطيخة بدينار ذهب الى ان رفع الله عن المسلمين تلك الشدّة وكان فى سنة ٨١٥، ومن عجيب ما وقع فى ذلك ان جملاً كان لجمّال يقال له الفاروني يحمّله فوق طاقته فى جمادى الاخرة من تلك السنة فرّ من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت الشريف والناس حوله يريدون إمْساكه فيعضّهم ولا يمكّن احدًا من نفسه فتركوه الى ان اتمّ ثلاثة اسابيع ثم جاءَ الى الحجر الاسود فقبّله ثم توجّه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب الشريف فنزل عنده وبكى والقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك، وفى هذه السنة عمّرت اماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليمانى المتّصل بصحن المسجد، وفى سنة ٨١٦ عمّر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رُمَيْثة جدّ سيّدنا ومولانا شريف مكة الآن السيّد الشريف حسن بن ابى نُمَىّ بن

اللوح كما كان ووضع بقرب بعض الروازن الّة للضوء وكان اصلاح المواضع
المذكورة بالجبس بعد ان قلع الرخام الذى كان هناك وأُعيد فى
موضعه وأُبدل بعضه بغيره وتصلّحت الروازن كلّها بالجبس وكانت
الاخشاب المطبقة باعلا الروازن الّة عليها البناء المرتفع فى سطح البيت
قد تخرّبت فعوّضت بخشب سوى ذلك وأُعيد البناء الذى كان عليها
كما كان الا الروزن الذى يلى باب الكعبة فان خشبه لم يغيّر وكان
الروزن الذى يلى الركن الغربى قد تخرب بعض الخشب الذى فى جوفه
ممّا يلى السقف والكسوة الّة فى جوف الكعبة وكانت الكسوة الّة تليه
قد زال تشبُّكُها فسُمّرت وكان الروزن الذى يلى الركن اليمانى منكسرًا
فقُلع وعُوّض بروزن جديد وُجد فى اسفل الكعبة، قُلْتُ وهذه الروازن
لا وجود لها الآن فانها سدّت جميعها واصلح فى الدرجة اخشاب
منكسرة وكان اصلاح ذلك عقيب مطر عظيم حصل بمكة فى اوايل شهر
رمضان من هذا العام،

ولمّا قُتل الناصر فَرَج بن برقوق على الوجه الذى تقدّم شرحه ما قدم
احدٌ من امرآء الجراكسة على التلبُّس بالسلطنة خوفًا من مخاصمة
العسكر وجُبْنًا ان يقدموا على قتله فاتوا الى الخليفة العبّاسى وابرموا
عليه وسلطنوه بالجبر وهو المستعين بالله ابو الفضل العباس بن محمد
ابن ابى بكر العباسى المصرى بعد التمنّع الشديد منه فولى السلطنة
كرهًا فى المحرم سنة ٨١٥ وكان القايم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودى.
ثم خلع المستعينَ بالله وتسلطن مكانه وتلقّب الملك المويد شيخ
ابو النصر الظاهرى فى مستهل شعبان سنة ٨١٥ وهو الرابع من ملوك
الجراكسة وكان اصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمّى

وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثى خادمًا له يسمّى حاجى اقبال ارسله بصدقة أُخْرى من عنده لاهل المدينة المنوّرة وجهّز معه مالًا يبنى له به مدرسة ورباطًا وهديّة الى امير المدينة يومئذ جَمّاز الحُسَيْنى فانكسرت السفينة التى فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جُدّة فاخذ مولانا السيّد حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم واخذ ما يتعلّق بالسيد جَمّاز الحسينى لانه عَصَى وظهرت منه شنايع بالمدينة الشريفة منها اخذ مفتاح خزانة النبى صلعم من قاضى المدينة جبرًا بعد ان اهانه وهو القاضى زين الدين ابو بكر بن الحسين المراغى وضرب شيخ الخُدّام واخذ من خزانة النبى صلعم احد عشر حوشخانه وصَنْدُوقَيْن كبيرين وصندوقًا صغيرًا كلّها مهور فيها ذهب مودعٌ لملوك العراق وخمسة الاف كفن وصادر الخُدّامَ واراد اخذ قناديل الذهب من الحجرة الشريفة فنعه الله تعالى ورجَمَتْه العامّةُ فهرب من المدينة الشريفة واخذه الله تعالى ونهب العُربان ما جمعه ومات لا رحمه الله تعالى ، فارسل مولانا السيّد حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرًا وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان بن نُعَيْر الحسينى وكلّ ذلك فى سنة ٨١١ ، وفى سنة ٨١٤ وقع فى اواسط رمضان اصلاح مواضع فى صدر سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى اسفلها ، منها موضع عند الطابق الذى على الدرجة التى يصعد منها الى سطحها ومنها موضع عند الميزاب وكان الفتح الذى فى هذا الموضع متّسعًا يَصِلُ الماء منه الى الجدر الشامى من الكعبة لقربه منه وينزل الماء منه فى وسط الجدار وذلك بعد قلع اللوح الذى يستر مجرى الماء واُعيد

ياقوت الغياثى لينتصدّق بها على اهل الحرمين ويعمّر له بمكة مدرسة ورباطًا ويقف على ذلك جهاتٌ يصرف ريعها على افعال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت المذكور بأوراق سلطانية الى مولانا السيّد حسن بن عجلان شريف مكة يومئذٍ جدّ اشرافنا الآن، جمل الله تعالى بوجودهم الزمان ه وكان وصول ياقوت الغياثى الى مولانا السيّد الشريف حسن بن عجلان رحمه الله مع هدايا جليلة اليه فقبلها وامره ان يفعل ما امره به السلطان غياث الدين لكنه اخذ ثُلْث الصدقة على معتاده ومعتاد آبائه ووزع الباقى على الفقهاء والفقراء بالحرمَيْن الشريفين فختَّهم وتضاعف الدعاء له على الخير والدال عليه ه واشترى ياقوت الغياثى لعمارة المدرسة والرباط داريْن متلاصقتين على باب ام هانى فهدمهما وبناهما فى عامه رباطًا ومدرسة واشترى اصيلتين واربع وجبات ماء فى الركانى وجعلها وقفًا على مدرسته وجعل لها اربعة مدرّسين من اهل المذاهب الاربعة وستّين طالبًا ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى دارًا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسماية مثقال ذهبًا وقفها على مصالح الرباط واخذ منه مولانا السيّد حسن بن عجلان فى الداريْن اللتين بناهما رباطًا ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركانى اثنى عشر الف مثقال ذهبًا واخذ منه مَبْلَغًا لا يُعلم قدره كان جهّزه معه سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيّد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون الف مثقال ذهبًا، ثم ان مولانا السيّد حسن عيّن احد قوّاده وهو الشهاب بركات المكين لتفقّد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتَيْن بالمعْلاة وكانتا معطّلَتَيْن فاصلحهما الى ان جرت عين بازان فيهما ه وكان خان جهان

وحَوْله، وظنّ انه لا يقابله احد لعزّته وطَوْله، ولا يقاتله احد لهيبته وزَوْله، فخلّاه خياله الفاسد بغرور، وخيّب ظنّه كما يخيب ظنّ كلّ مغرور، وخلته الزمان الجائر، ودارت عليه الدوائر، وخذله الدهر فما كان للناصر، من قوّة ولا ناصر، وانقلب اليه بصره وهو حسير، وظفر به عدوّه الحقير، وقُيّد وهو اسير كسير، وقُتل وما للناصر نصير، وما جاء الفرجُ فَرَجًا الا لبشرى الشهادة والى الله المصير، وطعنَتْه المَشاعلية بالسكاكين، الى ان انقطع منه الوَتين، وسكن منه الأنين، فصار عبرة للناظرين، وهو مقيّد محبوس بايدى القاتلين، فى ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة ٨١٥ والقى بعد هذه القتلة فى سباطة مَزْبلة وهو عريان عن اللباس، يمرّ به الناس، وينظرون الى ذلك البدَن الممتهن، والجسد العارى الممتحن، وذلك من اعظم العبر واكبر المحَن، الى ان حنّن الله عليه بعض الانام، بعد عدّة ايام، فحمله وغسّله وادرجه فى كفن وواراه فى التراب فى مقبرة باب الفراديس، ولعلّ الله سبحانه واسكنه الفراديس، والرجا من الله الكريم ان يكون قد غفر له فان السيف محّا الذنوب، والله علام الغيوب،

ومن العماير الحرمية فى ايامه تجديد عقد المروة بعد سقوطه فى سنة ٨١١ ومنها ان تاجرًا يسمّى الخواجا حسين بن احمد الشروانى اوصى فى مرض موته ان يصرف على عمارة عين مكة من ماله عشرة الاف درهم وان تعمر الميضاة الصرغتمشية بخمسة الاف درهم فنفذت وصيّته بعد ذلك فى العام المذكور، ووقع فى ايام الناصر هذا ايضًا ان سلطان بنكالة من سلاطين اقصى الهند يومئذ السلطان غياث الدين اعظم شاه بن اسكندر شاه ارسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه

فلمّا اصبح الامرآء وفقدوا السلطان اقاموا فى السلطنة اخاه الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن آنص ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت امور المملكة فى ايامه لصغر سنّه واختلاف امرآء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكانت مدّة ملك المنصور شهرين وعشرة ايام فظهر الملك الناصر فرج بعد هروبه واختفاءه وركب معه امرآء من مماليك ابيه واخذ القلعة بالحراب من اخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيـًا فى يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الاخرة سنة ٨٠٨ ونفى اخاه الملك المنصور عبد العزيز واخًا له اسمه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفّيا بها فى ليلة الاثنين سابع ربيع الاخر سنة ٨٠٩ واتّهم الناصر بقتلهما والله اعلم بذلك واحكم، ثم صار الملك الناصر يتتبّع اعدآءه من الامرآء فصار يقتلهم واحدًا بعد واحد فتجمّعوا عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه الى الشام فتبعهم فصاروا يكرّون به ويهربون عنه ويتعبونه فى طلبهم مع غاية الاحتراز منه والحرب خداع، ومخالفة الجمّ الغفير والجمع الكبير لا تُستطاع، الى ان ملّ منه الخدم والاتباع، وتفرّقوا منه وسئموا من الاتباع، وهو يتبعهم بالجدّ فى الطّلب، الى ان صادفوه فى طلبهم بعد التعب والدّأب، وهو ومن معه اتعبوا خيولهم فى طلب العدوّ من العشاء الى الصباح، واشرفوا فى الصُّبح على الامرآء العُصاة عليه وهم بطول الليل فى الراحة والارتياح، فحمل السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حقيرون، على امرآءه العاصين له وهم متوفّرون كثيرون، فنعه اصحابه من هذه الجملة، وعلموا انه هو ومن معه فى غاية التعب والقلّة، فلم يُطعهم واطاع غروره وجهله، واغترّ بشجاعته

من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة ٨٠٧ وعمّر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر اعوادها ومال بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الشريف فاصلح الامير بَيْسَق جميع ذلك بالطبطاب والنورة في سطح الاسقف ودلكها وسوّاها واتقن عملها وعمّر ما في صحن المسجد من المقامات الاربع الّتي وضعت للمذاهب الاربعة على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الاموال العظيمة٠ وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في ايام الملك الناصر زين الدين ابي السعادات فرج بن برقوق بن آنص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد من ابيه عند وفاته كما تقدّم صبيحة يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٨٠١ وكان الامير الاتابك ايتمش مدبّر مملكته وكان الامير يشبك خازنداره فوقع بينهما منافرة أدّت الى مشاجرة ثم الى مقاتلة فانكسر ايتمش فهرب الى نايب الشام الامير تنم الظاهري فجيّشا جيوشاً الى مصر لقتال الناصر ويشبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا منه واضطربت احوال مصر لاختلاف الكلمة٠ ثم وصل تمرلنك الى بلاد الشام واخذها من سودون الظاهري واسره وقتله ونهب بلاد الشام واخرب ديار الدوادار وخرج الناصر فرج بجيوشه من مصر لقتال تمرلنك فوجده قد ترك البلاد وتوجّه الى بلاد الروم فاعطى الشام لتغري بردى وعاد الى مصر وذلك في سنة ٨٠٣٠ ثم كثرت الفتن بمصر من الامرآء الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلّت الاحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الى ان ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الاول سنة ٨٠٨ واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب احد رؤسآء المباشرين فاخفاه عنده

وعمّره بعد تهدّمه فى اوايل القرن العاشر وهو من طايفة المباشريـــن فى
ديوان السلطنة بمصر فى خدمة السلطان جقمق العلاءى ومن بعـده
وكان من اهل الخير رحمه الله ٭ وفى سنة ٨٠٧ قدم الى مكة الامير بيْسَق
لعمارة سقف الجانب الغربى من المسجد الحرام وغيره ممّا تشعّث من
سقف المسجد الشريف من كلّ جانب فنهض الى هذه الخدمة واحضر
الاخشاب المتناسبة لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيّأها لعمل السقف
ونقشها بالالوان وزوّقهـــا واستعان بكثير من خشب العرعر الذى يوتى
به من جبال الحجاز من جهة الطايف لعدم وجود خشب الســنــسـاج
يومئذ بمكّة وبذل همّته واجتهاده الى ان اسقف جميع الجانب الغربى
من المسجد الحرام واكمله بخشب العرعر المذكور وعمّر معه بعض الجانب
الشامى ايضا الى باب العجلة فتمّ عمارة المسجد الحرام على تشتكك
الاسطوانات المنحوتة من الحجر الصوّان وعلّق فى تلك الاسقف سلاسل
من نحاس وحديد لتعليق القناديل فى الرواق الوسطانى من الأروقة
الثلاثة على حكم ساير المسجد الحرام غير ان الجانب الشرقى واليمانى
واكثر الشامى الى باب العجلة كان فى كلّ عقد من العقود التى تلى صحن
المسجد الشريف ثلاث سلاسل احدها فى وسط كلّ عقد والثانى عن
يمينه والثالث عن شماله لتعليق القناديل ٭ ولمّا هذا الجانب الغربى
كانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلمّا احترق هذا الجانب واُعيدت
عقوده لم تركّب فيها هذه السلاسل ولا ادرى هل كانت هذه السلاسل
التى هى خارجة عن الاروقة تحت العقود البرّانية منهما تعلّق فيهـــا
القناديل احياناً ام كانت لمجرّد الزينة ولم اطلع على ذكر قناديلها ولا
كيف كانت ومتى بطلت واكمل عمارة سقف الجانب الغربى مما احترق

الصنوبر والسَّرْو ونحو ذلك ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخُّر اكماله الى
احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب ٭ وشكر الناس همّة
الامير بيبسق على سرعة اتمام هذا المقدار من العمل في هذه المدّة
اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان يصلح للصلاة فيه وكان
ذا همّة عالية وحُسن توجّه وكان كثير الصدقة والاحسان وحجّ الامير
بيسق في ذلك العام وعاد الى مصر لتجهيز ما يحتاج اليه من خشب
سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل الى مصر في اوايل سنة ٨٠٥
وكان صاحب مكّة يومئذ جدّ ساداتنا اشراف مكّة الآن السيّد
الشريف حسن بن عجلان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان
وكان ممّن يحبّ الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه
وهو الذي يقول فيه شرف الدين ابن المقرى الشافعي صاحب الارشاد
والروض وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه ويعرّض بصاحب
اليمن يومئذ

احسنتَ في تدبير ملكك يا حسن . واجدت في تسكين اخلاط الفتن

الى ان يقول ،

موسى بتربة لا يُطاق نزاله . في الحرب لكن اين موسى من حسن
هذاك في يمن وما سلمت له . يَمَنٌ وذا في الشام لم يَدَع اليمن

ومن جملة خيراته وآثاره انه لمّا ولى رُباط رامشت وما آل اليه بعد
الحريق الى ان صار سُباطة بذلك المحلّ امر باعادته رباطًا للفقراء كما كان
وصرف من ماله عليه الى ان عاد احسن من الاول وزالت السباطات من
ذلك المكان وانصاف للحرم الشريف وتضاعفت ادعية الناس له بسبب
ذلك والله يجزى المتصدّقين ويسمّى الآن رباط ناظر الخاصّ لانه رمّه

الى باب العجلة فظهرت اساس الاسطوانات مثل مقاطيع الصليب تحت كلّ اسطوانة فبناها واحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض وبناها الى ان رفعها الى وجه الارض على اشكال زوايا قايمة وقطع من جبل بالشُّبَيْكة على يمين الداخل الى مكة احجار صوّان صلبة منحوتة على شكل نصف دايرة يصير مع آخر منحوت مثله دايرة تامّة فى سَمْك ثلثى ذراع وُضعت على قاعدة مربّعة منحوتة على محلّ التقاطع الصليبى على وجه الاساس المرتفع على الارض ووضعت عليها دايرة اخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له بسين الحجرين المدوّرين وسبك على جميع ذلك بالرصاص الى ان ينتهى طوله الى طول اساطين المسجد فيُوضع عليه حجر منحوت من المرمر هو قاعدة ذلك العمود من فوق وينجر له خشب مربع يوضع عليه ويُبنى من فوق طاق يُعْقد الى العمود الاخر ويبنى ما بين ذلك بالاجر والجصّ الى ان يصل الى السقف الى ان تمّ الجانب الغربى من المسجد الحرام على هذا الحكم وبقيت القطعة الّتى من الجانب الشامى الى باب العجلة فاكملوها بالقطع من عُمُد الرخام الابيض مُوَصَّلة بالصفايح من الحديد الى ان لاقوا به العمد الّتى بنوها بالحجر الصوّان المنحوت لعدم القدرة على العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام بعمد الرخام ثلاثة اروقة وبالجانب الغربى وحده بالحجر الصوّان المنحوت المدوّر على شكل عمد الرخام ، وكملت عمارة هذه العمد فى اواخر شعبان سنة ٩٨١ ولم يبق غير عمل السقف واخّر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة اذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوّة ويحتاج الى خشب الساج ولا يُجْلَب الاّ من الهند او خشب

وكم لله من لطف خفيّ   يدقّ خَفَاه عن فهم الذكيّ

فصار ما احترق من المسجد الحرام اكواماً عظاماً تمنع من روية الكعبة الشريفة ومن الصلوة فى ذلك الجانب من المسجد، قال النجم ابن فَهْد وتحدث اهل المعرفة بان هذا مُنْذر بحادث جليل يقع فى الناس وكان كذلك فقد وقعت المِحَنُ العظيمة بقدوم تمرلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم ونهب اموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور فى التواريخ المفصّلة، قال الحافظ السّخاوى فى ذيله على دول الاسلام للذهبى رحمهما الله تعالى وفى اواخر شوّال سنة ٨٠٢ وقع بالحرم المكّى حريق عظيم اتى على نحو ثُلْث المسجد الحرام ولولا العودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد جميعه واحترق من العمد الرخامماية وثلاثون عموداً صارت كلّها كلساً ولم يتّفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل فى جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأَفْواه القِرَب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شقّ الباب فهدم من الرواق الذى يلى باب الحجلة عدّة اساطين وخرب منازل كثيرة ومات فى السيل جماعة رحمهم الله انتهى، قال التقى الفاسى رحمه الله ثم قدّر الله تعالى عمارة ذلك فى مدّة يسيرة على يد الامير بَيْسَق الظاهرى وكان قدومه الى مكة لذلك فى موسم سنة ٨٠٣ وكان هو امير الحاجّ المصرى وتخلّف بمكة بعد الحجّ لتعمير المسجد الحرام فلمّا خرج الحجّاج من مكة شرع فى تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض وكشف عن اساس المسجد الشريف وعن اساس الاسطوانات فى الجانب الغربى من الحرم المحترم وبعض الجانب الشامى منه

الجمال البختية خمسة الاف جمل وكان عليق دوابه فى كلّ شهر احد عشر الف اردب شعير وفول ۶ وفى ايام الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق فى المسجد الحرام فى ليلة السبت لليلتَيْن بقيتا من شوال سنة ٨٠٢ وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من ابواب المسجد الحرام فى الجانب الغربى منه ورامشت هو الشيخ الامام ابو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسى وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية اصحاب المرقعات فى سنة ٥٢٩ فترك بعض اصحاب الخلاوى سراجًا موقودًا فى خَلْوته وبرز عنها فسحبت الفارة الفُوَيْسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فاحرقت ما فى الخَلْوة واشتعل اللهيب فى سقف الخلوة وخرج من شُبّاكه المشرف على الحرم الشريف فاتّصل بسقف المسجد الحرام لقربه منه فما كان باسرع اشتعال سقف المسجد والتهابه وعجز الناس عن طفيه لعلوّه وعدم وصول اليد اليه فعمّ الحريق الجانب الغربى من المسجد الحرام واستمرّت النار تاكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاءها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامى واستمرّ ياكل من سقف الجانب الشمالى الى ان انتهى الى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذى دخل المسجد الحرام فى اليوم الثامن من جمادى الاولى من ذلك العام يعنى عام حريق المسجد الحرام واخرب عمودَيْن من اساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليها من العقود والسقوف فكان ذلك سببًا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والاّ لعمّ المسجد جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق الى باب العجلة وسلم الله تعالى باقى المسجد الحرام

فاستجاب الله تعالى فيهم دعاء المظلومين، ومزّقهم كلّ ممزّق ودار الظالم خرابٌ ولو بعد حين، والملك يدوم بالكفر ولا يدوم بالظلم والله لا يحبّ الظالمين، وان الملك بيد الله يوتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، وكانت مدّة سلطنتهم بمصر من سنة ٧٨٤ الى سنة ٩٢٣ وهذا كلامٌ وقع فى التبيين، فلنرجع الى احوال الملك الظاهر برقوق فنقول انه بعد سلطنته استمرّ على حاله سلطاناً الى ان اختلفت عليه الامرآء ووقعت حروب كثيرة الى ان خُلع وحُبس فى الكرك ثم تسحّب من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأُعيد الى السلطنة وصار يتتبّع اعدآءه ومن خرج عليه وخالفه، ويقدّم من وافقه وحالفه، الى ان استصفاهم وما صفى له الزمان، وظنّ انه آمنٌ واين الامان، من يد الدهر الخوّان، ومالت شمس سلطنته الى الزوال، وانمحق بدر حياته ولا بُدّ من المحاق بعد الكمال، وبَرَق بَرْقُ الزوال، على برقوق وشاهد الانفصال، فعهد بالسلطنة الى ولده الناصر فرج بن برقوق فطلب الخليفة والقضاة والامرآء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنّه عشرة اعوام وعيّن الاتابك ايتمش البجاشى لتدبير المملكة وتوفى الى رحمة الله تعالى فى ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوّال سنة ٨٠١ وفى ذلك يقول احمد ابن المقرى الشاعر

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك الى ربّه يرقى الى الخلد فى الدرج
وقالوا ستاتى شدّة بعد موته فاكذبهم ربّى وما جاء سوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين الفى الف دينار واربعماية الف دينار ومن القماش والفرو والاثاث ما قيمته الف الف دينار واربعماية الف دينار ومن الخيول المسوّمة والبغال الفارهة ستّة الاف ومن

والصلوة والقراة بحسب قابليّته فقد يفوق فى الخطّ ومعرفة القران والفقه وامور دينه، ثم يترقّى الى معرفة الثقاف والصراع ورمى السهام ثم يترقّى الى الفروسية الى ان يتفرّس فى كلّ ذلك ثم يترقّى الى الخاصكية ثم الى الامرة ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة فكانّ خيال السلطنة فى دماغ كلّ واحد منهم من حين يُجْلَب الى السوق ليُباع الى ان يموت حتى ان واحدًا من الجلبان جُلِبَ وهو حقير فاحش القَرَعة فاحش العَرَج قال للدلال الذى يبيعه هل ولى الأَقْرَع الأَعْرَج سلطانًا فى مصر، وبالجملة فقد كانوا طوايف سوادج لهم سماحة وحماسة وصداقة لمن صادقوه وكانت ارزاق مصر بيدهم وكانت اهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانوا بيد فقهآءهم ومباشريهم وكانوا ينخدعون فيرتب لهم مباشروهم المصريون مَصارف فيكون للجندى فقيهٌ يعلّمه القران وامامٌ يصلّى به ومكبّر ومباشر يكتُبُ دَخْلَه وخَرْجه وخزندار وركابدار وجامدار ومهتار وسرّاج وسايس وحلّاق وغير ذلك فاذا ترقّى الامير للامرة ترقّى معه خدامه ويرتبون له سماطات وحَلاوى وتفكهات وكانوا فى رفاهية وكان اهل مصر يعيشون فى ظلّهم رغدًا بحيث ان اسمطتهم كانت تكفى ساير جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والوزّ وساير النفايس وكان لهم سوق يبـاع فيه ما يفضل من اطعمتهم التى اخذتها خدامهم من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والتُرَب وكانت لهم خيرات جارية ومبرّات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعُدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيئّاتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين، وأَخَلّوا بشعاير الشرع والدين،

مقدّمها ويمينها ويسارها شكل ستّة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان فى مواكبه وديوانه ويلبس قفطاناً من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين قطعة طراز مُزَرْكش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصاً بالسلطان بل يلبس ذلك من اراد من الامرآء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرّز على من اراد ويحمل على راس السلطان قبّة لطيفة صغيرة كالجتر وفى وسط ذلك صورة طير صغير يظلّل السلطان بتلك القبّة والذى يحملها على راس السلطان هو امير كبير وظيفته ان يصير سلطاناً بعد ذلك ٬ واكابر امرآءه اربعة وعشرون اميرًا بطَبْلَخانات تُضْرَب على بابهم صُبْحاً وعصرًا كلّ واحد منهم امير ماية مقدم الف بمنزلة البكلربكية عندهم يلبس كلّ واحد منهم عمامة باربعة قرون ودونهم امير عشرة مقدم ماية بمنزلة السنجق يلبس كلّ واحد منهم عمامة بقرنَيْن ودونهم الخاصكية يكون له فرس وخادم وعلى راسه زنط عليه عمامة بعَذَبَة يديرها من تحت حَنَكه ودونهم الجُلبان وهم مشاة على روسهم طواقى من جوخ احمر ضيّق من موضع يدخل فى راسه وسيعٌ من اعلاه لا يلطأُ براسه ٬ وملبوس اكثرهم الملّوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مُخْمَل او اطلس او مزركش وفى اوساطهم شدود بيض مصقولة يشدّون بها اوساطهم ويسدلون طرفها الى انصاف سوقهم ٬ وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويتغالون فى اثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا من عشرين الف فارس الى ثلاثين الفًا وكانت لهم اصطلاحات فى تربيتهم وكانت لهم اطباق يوظفون فيها المعلّمين من حفظة القران وكان الجَلَب يُدْخله سيّده اوّلًا الى الطبقة فيتعلّم الخطّ والاستخراج

فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك فى يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة ٧٨٤ ومن آثاره مدرسة انشاها بمصر بين القصرين كان مشدّ عمارتها جركس الخليلى فقيل فى ذلك

قد انشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على ارم مع سُرعة العمل
يكفى الخليلى ان جاءت لخدمته صُمّ الجبال بها تمشى على عجل،

وجهّز الى الحرم المكّى مالاً لعمارة ما تهدّم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبى من مصر الى مكة بعد طول انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمرّوا متغلّبين على ملك مصر الى ان كثر ظلمهم وزاد عَسْفُهم وغَشْمهم فازالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرّفت بدولتهم القاهرة مصر والتُّخوت اليوسفية الكنعانية ملكهم الله تعالى كافّة البسيطة وجعل معدلتهم ورحمتهم عامّة بساير اهل الارض محيطة، وكان الظاهر برقوق متمكّنا من المملكة جمع الاموال والخزاين واكثر من شرآء المماليك الجراكسة فتمكّنوا من الملك وتلاعبت بعده المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوّة والغلبة والاستيلآء وكانت تقع فتنٌ وقتال، وجلاد وجدال، وقتل نفوس، وحرب بَسوس، وخوف وبُؤس، الى ان استقرّ الامر على سلطنة واحد منهم فيركب فى شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصّة اخذوها من الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولاً عندهم فان العُرف يحسّن ويقبّح وان كان صورة مضحكة عند من لا يالفها ولكلّ اقليم وضع خاصّ وسلطان ذلك الاقليم يكون مهيباً مهولاً فى اعين اهل ذلك الاقليم لألفهم بتلك الهيئة لسلاطينهم، وكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة كبيرة ملفوفة بصنايع مكلفة يجعلون فى

هذه الطوايف لملك سراى كالرعيّة يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى الاطراف فى البُلدان والاقاليم هكذا ذكر المقريزى رحمه الله فى عقوده قال واستكثر الملك المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الأيّوبيّة ملوك الاكراد اصحاب مصر من شرآء المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وادخلوهم فى الخدم الخاصّة فصاروا سلحدارية وجامدارية وجاشنكيرية وامرآء وكبّروا عليهم وسلكوا طريق اسيادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلّوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد انتظم بها دولتهم وولى منهم ومن اولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكًا وكانت مدّة ملكهم ماية وثمان وعشرين سنة؛ فاوّلهم السلطان الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد برقوق بن آنص العثمانى الجركسى كذا ذكره المقريزى فى عقوده وخططه؛ قال الجمال يوسف بن تغرى بردى هو جركسىّ الاصل قام بدولة الجراكسة جَلَبَه عثمان بن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثمانى فاشتراه الاتابك يَلْبُغَا العمرى وهو من جملة الاتراك الذين مَسّهم الرِقّ من مماليك بنى ايّوب المتغلّبين عليهم بمصر ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وانّما سُمّى برقوق لجحوظ فى عينَيْه وتنقّلت به الاحوال الى ان صار امير ماية مقدم الف فكان اتابكا للملك الصالح حاجى بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلّبين عليهم غير الجراكسة وكان سنّ الملك الصالح حاجى لمّا ولى السلطنة عشرة اعوام ليس له من السلطنة غير الاسم فالزَم الامرآء الاتابك برقوق ان يخلع الملك الصالح ويتولّى السلطنة بدله

المرحوم سليم خان لما افتتح مصر اخذه سُرْكُنًا الى اسطنبول عوضًا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنّه وذهاب بصره فلمّا توفى السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وصار خليفة بها واستمرّ الى ان توفى الى رحمة الله لاثنتى عشرة ليلة مضت من شعبان سنة ٩٥٠ فى ايام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر ايضًا وكان المتوكل هذا فاضلًا اديبًا له شعر منه قوله

لم يَبْقَ من مُحْسن يُرْجى ولا حَسَن ولا كريم اليه مشتكى الحَزَن
وانّما ساد قومٌ غير ذى حَسَب ما كنتُ أُوثِرُ ان يَمْتَدَّ بى زمنى

ضمّن فيه قول الطُّغرآئى من لامية العجم

ما كنت اوثر ان يمتدّ بى زمنى حتّى ارى دولة الأَوْغاد والسُّفَلِ

وقد اجتمعتُ به واخذتُ عنه فى رحلتى الى مصر لطلب العلم الشريف فى سنة ٩٤٣ وكانت مصر اذذاك مشحونة بالعلماء العظام، مملوءة بالفضلاء الفخام، ميمونة بيُمْن بركات المشايخ الكرام، كانّها عَروس، تتهادى بين اقمار وشموس،

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانّها وكانّهم أَحْلَامُ

الباب السادس

فى ذكر ما عمّرته ملوك الجراكسة

وانّما ذكرتهم لان بعضهم او اكثرهم عمّر فى المسجد الحرام، وسبق لهم فيه من الترميم والنظام، لمّا صاروا من سلاطين الاسلام، اعلم ان الجراكسة جنس من الترك فى جنوب الارض لهم مداين عامرة ولهم جبال ومزارع يرعون الغنم ويزرعون وهم تابعون لسلطان قاعدة ملك خوارزم وملوك

منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدًا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدًا ويولونه سلطنة لجهة الله هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمّن به ولا يخفى ان هولآء ليس لهم من الخلافة ولا الصورة كما كان للخلفاء العبّاسيين ببغداد المحجور عليهم من جهة امرآئهم صورة الخلافة فقطّ وهولآء ليس لهم ولا تلك الصورة ايضًا وانّما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كلّ وجه، ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله عدّهم من جملة الخلفاء العبّاسيين وكتب تاريخًا للخلفاء ذكر هولآء من جملتهم وقام بشانهم واعتبارهم وآخر من ذكر منهم فى تاريخ الخلفاء المتوكّل على الله ابو العزّ عبد العزيز بن يعقوب وانه بويع له فى يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرّم سنة ٨٨٤ بحضرة مولانا السلطان الاشرف قايتباى والقضاة والاعيان بالقلعة فى مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يومًا مشهودًا وبه ختم كتاب تاريخ الخلفاء، ورايت فى تاريخ لطيف للحافظ السيوطى ايضاً سمّاه الورقات فى الوفيات ان فى سنة ٩٠٣ مات فى المحرم منها الخليفة المتوكّل على الله ابو العزّ العبّاسى المصرى رحمه الله قال وعهد لابنه يعقوب ولم يلقّبه فلقّبه الناس المستمسك بالله انتهى، قلتُ واستمرّ يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كَبُرَ سنّه وكفّ بصره ودخلت ايام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الاشمّ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها، وازال عنها مظالم الجراكسة وعمّرها، وعاد مع الفتح والبُشرى، الى دار السلطنة الكُبرى، قسطنطينية العُظمى، فتوفى الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثانى سنة ٩٢٧ وولى بعده ولده ابو عبد الله محمد بن يعقوب ولقّب المتوكّل على الله وكان السلطان

باثمه واثم من ظلم بسببه وكان من اهل النار، وسيعلم الكفّار لمن عُقْبَى الدار، قلتُ واما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيّدنا علىّ رضّه ولا حلاوته واثار الوضع ظاهرة عليها وكانهم اخترعوه بعد وقوع الطامّة، وعند حصول هذه الفتنة العامّة، والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع، وتناقلته الرواة فى كلّ مجموع، والله اعلم بالسراير، وما تجنّه الاحشاء والضماير،

فصل كان ممّن نجا من سيوف هولاكو من بنى العبّاس ابو القاسم احمد وتلقّب المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضى بن المستنجد بن المقتفى بالله العبّاسى فوصل الى مصر وافدًا على سلطانها اذذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البُنْدُقْدارى فى سنة ٦٥٩ فخرج السلطان بيبرس الى ملاقاته واكرمه واثبت نسبه فى موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف واعانه الظاهر بجيش وتوجّه الى بغداد ووصل الى الفرات فى ثالث ذى القعدة سنة ٦٥٩ فقاتله قره بُغا نايب هولاكو على بغداد فقُتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل ولم يتمّ له الامر، ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بنى العبّاس ابو العبّاس احمد وتلقّب بالحاكم بامر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدى العبّاسى فاكرمه الملك الظاهر واثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة واجرى عليه نفقة وسكن مصر وليس له من الامر شىء وانما اسمه لخليفة واولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذى يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألْقاب لخلفاء واحدًا بعد واحد فكانت سلاطين الاقاليم يتبرّكون بهم ويرسلون اليهم احيانًا يطلبون

كُتُب مدارس بغداد فى بحر الفرات فكانت لكثرتها جسراً يمُرّون عليها ركاباً ومشاة وتغيّر لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من اعظم مصايب الاسلام ، وأُخذ المستعصم هو واولاده وجماعته واتوا به الى هولاكو اسيراً ذليلاً فقيراً حقيراً فسبحان المعزّ المذلّ القادر القاهر ، تعالى شانه الباهر ، وعلا سلطانه على كلّ ذى سلطان قاهر ، فاستبقى هولاكو الخليفة اياماً الى ان استصفى امواله وخزاينه ، وذخايره ودفاينه ، ثم رمى رقاب اولاده وذريته واتباعه ومتعلّقيه وامر ان يُوضَع الخليفة فى غرارة ويُرفس بالارجل الى ان يموت ففُعِلَ به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٦٥٩ وانقطعت خلافة بنى العبّاس وهم سبعة وثلاثون خليفة اولهم السفّاح وآخرهم المستعصم ، وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينَل ابن العلقمى ما اراده من نقل الخلافة الى من اراد ولم يستفد غير سلامة اهل الحلّة من النهب والقتل بمُسَاعَدته لهم فان مَجْد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلّى وسديد الدين يوسف بن المطهّر الحلّى ارسلا كتاباً الى هولاكو على يد ابن العلقمى وفيه كلام يَرْوونه عن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضه صورته اذا جاءت العصابة لله لا خلاق لها لتُخَرَبنّ يا امّ الظلمة ومسكن الجبابرة وامّ البلايا وَيْل لك يا بغداد ولداركِ العامرة لله لها اجنحة كالطواويس تُماثين كما تُمَاثُ الملح فى الماء ويأتى بنو قطورا مقدمهم جَهْوَرِيٌّ الصوت لهم وجوه كالمجانّ المطرّقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يَصِلْ الى بلدة الّا فتحها ولا بُرايَة الا نكسها ، فلمّا وصل الكتاب الى هولاكو امر ان يترجم له فلمّا قراه امر لهم بسهم الامان وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وبآء ابن العلقمى

وباسل، وفاتك وقاتل، يثبون وثوب القِرَدَة، ويتشكّلون باشكال المَرَدَة، يقطعون المسافات الطويلة، فى ساعات قليلة، ويخوضون الأَوْحال، ويتعلّقون بالجبال، ويصبرون على العطش والجوع، ويهجرون الغُمْض والهُجُوع، ولا يبالون بالبرد والحرّ، والسهل والوعر، والبرّ والبحر، طعامهم كفّ شعير، وشربهم من طرف البير، يكاد احدهم يتقوّت بطرف اذن فرسه يقطعها وياكلها نيًّا ويصبر على ذلك اياما عديدة، او يكتفى هو وفرسه بحشيش الارض مدّة مديدة، فوقع المصافّ والتحم القتال، ووقع الطراد والنزال، وزحف الخميس الى الخميس، فى يوم الخميس، عاشر المحرم الحرام سنة ٦٥٦ وثبت اهل بغداد مع ترافتهم على حدّ السيوف، وصبروا مضطرّين على طعم الحتوف، واعطوا الدارَ حقّها، واستمطروا غمايم السهام وَابلها ووَدْقها، واستقبلوا بحرّ وجوههم صواعق الحرب وبرقها، ورزقوا فى تلك المكابدة الفوز بالشهادة، وارتقوا فى الدار الآخرة رُتب السعادة، وجادوا بانفسهم فى سبيل الله واجادوا احسن اجادة، واستمرّوا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار، فعجزوا عن الاصطبار، وانكسروا اشدّ انكسار، وولوا الأَدْبار بالادْبار، وانهزموا وما اغنَى عنهم الفرار

ولزّهم الطِراد الى قتال ... أَحَدُّ سلاحهم منه الفِرارُ
مَضَوْا متسابقى الاعضاء فيه ... لأَرؤسهم بأَرْجُلهم عِثَارُ
يَرَوْنَ الموتَ قُدَّاماً وخَلْفاً ... فيختارون والموت اضطرارُ،

وغرق كثير منهم فى دجلة، وقتل اكثرهم اشدّ قتلة، واعقبهم التتار، ووضعوا السيف فيهم والنار، وقتلوا من المسلمين فى ثلاثة ايّام ما ينوف على ثلاثماية الف وسبعين الف نفس، وسبوا النساء والاطفال، ونهبوا الخزاين والاموال، فاخذ هولاكو جميع النقود وامر باحراق الباقى ورموا

العدوّ مالنا، ونتقوّى به علينا، وانّا ابعدنا الصديق اعتمادًا على صداقته، وقرّبنا العدوّ استجلابًا لمحبّته، فصار الصديق عدوًّا بالابعاد، ولم يَصِر العدوُّ صديقًا بالاستجلاب،

احذر عدوّك مرّة   واحذر صديقك الف مَرّهْ
فلربّما انقلب الصديق   فكان أعْلَمَ بالمَضَرّه،

وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو سلطان المغل وجغتاى من دشت قفجاق زحف على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرّار لا يعلم عدده الاّ الله تعالى وكان اقوى سلاطين الاسلام انذاك السلطان علاء الدين خوارزمشاه وكان يملك من العراق الى اقصى بلاد المشرق وكان له قوّة وشوكة وعسكر وافر وجُند متكاثر فظهر هولاكو وقاتله خوارزمشاه مرارًا وهو ينكسر الى ان قُتل هو واولاده وجنوده واستباح بلاده هولاكو وأَسَرَ اولاده وقتل جنوده واستباح كثيرًا من بلاد الاسلام، وقتل من فيها بالقتل العامّ، وصار يجول هولاكو فى الديار، وناره فى غاية الاشتعال والاستعار، والمستعصم ومن معه فى غفلة عنه لاخفآء ابن العلقمى عنه ساير الاخبار، الى ان وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلاً وأَسْرًا وتوجّه الى بغداد وارسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستَيْقَظَ الخليفة من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من اهل بغداد وخاصّة عبيده وخدامه ما يقارب اربعين الف مقاتل لكنهم مُرْفهون بلين المِهاد، ساكنون على شطّ بغداد، فى ظلّ نخيل، وماء معين، وفاكهة وشراب، واجتماع احباب واصحاب، فما كابدوا حربًا، ولا دافعوا طعنًا ولا ضربًا، وعساكر المغل ينوفون على مايتى الف مقاتل، ما بين فارس وراجل، وسالب

يرشونهم، فاوّل سبب زوال الملك ان المستنصر بالله كان له ولدان احدهما يعرف بالخفاجى كان شديد الباس، شجاعاً فاتكاً صعب المراس، والثانى المستعصم بالله وكان هيّنا ليّنا ضعيف الراى، فاختاره الامير اقبال الشرابى على اخيه الخفاجى ليستبدّ بالامور ويستقلّ باحوال الملك ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما خشى من اخيه الخفاجى فلمّا توفى المستنصر اخفَى الامير اقبال موته نحو عشرين يومًا حتى دبّر لولاية المستعصم وبويع له بالخلافة وفرّ اخوه الى العُربان وتلاشى امره، ثم اعظم سبب الزوال ان مُؤيّد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمى صار وزيراً للمستعصم وكان رافضيّاً سَبّابًا مستوليًا على المستعصم عَدُوًّا له ولاهل السُّنّة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بنى العبّاس واعادتها الى العَلَويّين وطَمْس آثار اهل السُّنّة واطفاء انوارهم وتقوية اهل البدعة وابقاء ديارهم، فصار يكاتب هولاكو خان ويطمّعه فى ملك بغداد ويطالعه باخبار بغداد ويخبره عن صورة اخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر عنه وصار يُحَسِّن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر والاذن لهم بالتفرّق والذهاب اين شاءوا ويقطع ارزاقهم ويشتّت شملهم بحيث انه اذن مرّة لعشرين الف مقاتل ان يذهبوا اين ارادوا ووفّر علوفاتهم فى الخزينة واظهر للمستعصم انه وفّر من علوفاتهم خزاين واموال عظيمة توفّرت فى بيت المال فاعجب المستعصم رايه وتوفيره وكان يُحِبّ المال ويجمعه وما علم انه يجمعه لعَدُوّه، وقد سُئِلَتْ بنو أُمَيّة بعد ذهاب مُلكهم ما الذى كان سببا قويًّا فى زوال الملك عنكم فقالوا اقواها انّا اعتمدنا على المال، واستَهْوَنّا بالرجال، فوفّرنا المال، وقلّلنا الرجال، فأُخذ

امير المومنين بلّغه الله آماله، وزيّن بالصالحات اعماله، وذلك فى شهور سنة ٦٣١ وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله، انتهى، وهذا اللوح باقٍ الى زمان تاليف هذه الرسالة، وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة ٦٤٠ وكتم موته وخُطِبَ له بعد موته الى ان جاء الامير اقبال الشرابى الى ولده ابى احمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة ٦٤٠ فبويع له ذلك اليوم ولقّب المستعصم بالله وهو آخر الخلفآء العبّاسيين فى بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنَشْرَحُه ان شاء الله تعالى، وحجّت والدة المستعصم بالله فى سنة ٦٤١ وهى امّ ولد حبشيّة اسمها هاجر وكان فى خدمتها اقبال الشرابى الدوادار ومعه ستة الاف خلعة وتصدّق بنحو ستّين الف دينار وعُدّت جمال ركب بغداد تلك السنة فكانت مائة الف وعشرين الف جمل ثم عادت الى بغداد رحمهما الله، ولمّا جرَت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزّة والبقاء بالله عزّ وجلّ آلت دولة آل العبّاس الى الانقراض والزوال، وغيّرتهم الغِيَر ونابتهم النوائب وحالت بهم الاحوال، ودالت دولة غيرهم ولكلّ زمان دولة ورجال،

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغيّر الدهر من حال الى حال

ولكلّ شىء سبب من الاسباب، وعلّة يدور عليها التقلّب والانقلاب، وكان سبب ضعف خلفاء بنى العبّاس استيلآء مماليكهم وامرآءهم عليهم، وتفويض جميع امور المملكة اليهم، وتلقيبهم بألْقاب السلطان، وفرط ادلالهم على مواليهم، وامتهانهم غاية الامتهان، الى ان صاروا اسماء بلا مسميات، وصُوَرًا هيولانيّة يتصرّف فيهما بالمحو والاثبات، وصاروا امرآءهم يَغْشونهم ويَغُشّونهم، ويصل ارباب الغرض الى اغراضهم الفاسدة لما

نزول الفتح والنصر فاتّخذت لك جيشًا كثيفًا وعسكرًا منيفًا ويسمّى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلاً قامت هذه الجيوش على اقدامهم صفوفاً بين يدى ربّهم وارسلوا دموعهم، واطلقوا بالدعاء السنتهم ومدّوا الى الله اكفّهم، فرموا سهاماً تخترق السموات والارضين وسلّوا سيوفًا تعمل فى كل حين، طوالاً تبلغ الى الصين، فانت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون، وببركاتهم تُمْطَرون، وبدُعاءهم تنصرون، فبكى السلطان ابو الفتح بكاء شديدًا وقال شاباش يا ابت استكثر من هذا الجيش فانه هو الذى لا بُدّ لنا منه، ولمّا كان كلٌّ منهما له قابلية الخير مجبولًا به ما آثر عند ملكه كلام الحُسّاد مع تكرّره الا تاثيرًا ضعيفًا وزال فى الحال وعاد الى حُبّ الخير الذى جُبِلَ عليه واستغفر الله تعالى ممّا فرط من تقصيره فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة ومتّعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة فلقد زالوا وما زالت اخبارهم تُروَى، واحاديثهم الحسنة تُنْشَر على ألسنة الرُّواة ولا تُطْوَى،

عُدْنا الى ما كُنّا فيه، ومن جملة خدام المستنصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابى المستنصرى العبّاسى بَنَى بمكّة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كُتُبًا كثيرة فى سنة ٦٣١ ذهبت شَذَرَ مَذَرَ والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطًا وفيه محلّ الدرس وبه كُتُبٌ وقفها بعض فقهاء اهل الخير ممن ادركناه رحمه الله تعالى، وبلصق الكعبة الشريفة فى وسط مقام سيّدنا جبريل عم حجر من الرخام الازرق الصافى منقور فيه بالمثقب ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارة هذا المطاف الشريف سيّدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على ساير الامم ابو جعفر المنصور المستنصر بالله

هو مشاهد بالعيان فى كلّ اوان، وما وجدوا للطّعن على نظـام الملك طريقـا غير انّحافه فى الاخراج من الاموال السلطانية فى هذه الوجـوه فوشوا به الى السلطان ابى الفتح من طُرُق شتّى وكرروا فى سمعه ان نظام الملك اخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزايدة لمّا يخرجهـا فى هذه الوجوه يمكن ان تُصْرَف فى جَمْع جيش كثيف يركز رايته فى سور قسطنطينية وكانت يومئذ مملكة النصارى وهى الآن بحمد الله دار مُلْك مَلِك الاسلام، عمّرها الله تعـالى بمعدلة سلطان سلاطين الانام، وحرسها بالنصر والتّأييد الى يوم القيام، وانه يمكن ان يُوخَذ بذلك الجيش كثير من الممالك والاقاليم وتتّسع بها المملكة ويكثر الخراج والاموال، فلمّا تكرّر ذلك على سمع السلطان اثّر كلامهم فى قلبه واعتقد نصحهم وكلّ كلام تكرّر على السمع قَبِلَهُ القلب وانطبع فى الطبع ولو كان واهيًا واهنًا فى نفس الامر فطلب نظام الملك وقال له يا ابِ وكان يخاطبه بالاب تعظيمًا له لكبر سنّه وعقله بلغنى انك تخرج من بيت المـال فى كلّ سنة ستّماية الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يُغْنى عنّا شيئًا فبكى نظام الملك وقال يا بنى انا شيخ عجمى لو نُودى علىّ فى السوق ما سـويـت خمسة دنانير وانت شابّ تركىّ لو نُودى عليك عساك تسـاوى ثلاثين دينارًا وقد اختارنا الله تعالى وفوّض الينا امور عباده وبلاده فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت انا فى كتابتى وضبطى وانت منهمكٌ فى لذّاتك ولَهْوِكَ واكثر ما يصعد الى الله تعـالى معاصينا دون طاعتنـا وشُكْرنا وجيوشك الذين اعددتهم للنوائب اذا احتشدوا يومًا كافحوا عنك بسَيْف طوله ذراعان وسهم لا يعدو مَرْمَاه وهم مع ذلك مُنْهَمِكون فى المعاصى والخمور والملاهى هم أَحْرَى بنزول القهر عن

والادب، يزداد كلّ وقت عُجْبًا وكُبْرًا، ويتعاظم على كلّ احد تيهًا وفخرًا، ولم ينتق من أوْضار الاخلاق الرذيلة، ولو اكتسب مَهْمَا اكتسب من الفضيلة، وقلّمـــا يتحلّى احدهم بحَلى الاخلاق الحسنة الجميلة، والسؤايا الفاضلة الكاملة الجليلة، وما ثمرة كسب العلوم غير التخلّق بحسن الاخلاق، والعمل بمقتضى طيب الاصول والاعراق، والله تعــالى يُبَصّرنا بعيوبنا، ويستر علينا معايب ذنوبنا، وينيّر بصر بصايرنا ويزيل عـــوار قلوبنا، ويُرِينا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتّباعه، ويُرِينا الباطل باطلاً ويوفقنـــا لاجتنابه،

قُلْتُ وحيث انجرّ الكلام الى ذكر نظام المُلْك فاذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وصل الحبيب ونديم اللبيب قال ذكروا ان نظام الملك لمّا استوزر بالعراق للسلطان ابى الفتح السلجوقى قام بالدولة احسن قيام فشيّد اركانها، واسّس بُنْيانها، ووالى الاولياء، واستمال الاعداء، وعمّ احسانه العدوّ والصديق والقريب والبعيد وكان اقبل اقبـــالاً عظيمـــًا على العلمـــاء والصلحـــاء والفقهـــاء وبنى المدارس العظيمـــة والخانقاهات العالية واجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفـــاخـــرة لطبقـــات طلبة العلم والمشايخ الصوفية وغيرهم ممّن يتوهّم فيه الدين والصلاح وعمّ بذلك ساير الاقطار من بلاد العراقيْن الى الحرميْن الشريفين بحيث كان يخرج من خاصّة الخالصة السلطانية والخزاين الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستّماية الف مثقال ذهب غير الذى ينفقه من خاصّة امواله ومحصّلات غلاله وما يدخل عليه من الهوآءيات وغيرها ولعلّه كان يقرب من القدر الذى يُخْرِجه من اموال السلطنة فطار صيتُهُ فى الافاق وكَثُرَ حُسّادُهُ ولا يَخْلُو السُّعدآء من الحُسّاد فى كلّ زمان، كما

وبذل الانصاف وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد والربط والمدارس وهو الذى بنى المدرسة المستنصرية ببغداد لله لم يُبْنَ مثلها فى مداين الاسلام ولم يوجد فى المدارس اكثر كُتُباً منها ولا اكثر اوقافاً عليها وكان لهذه المدرسة اربعة مدرّسين يدرّسون فيها على المذاهب الاربعة ورتب فيها الخبز واللحم والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها ثلاثين يتيمًا ووقف على ذلك ضياعًا وقُرًى كثيرة سَرَدَها الذهبىّ وغيره، فرحم الله اهل الخير واهل الصلاح والاحسان، ورفع الله درجاتهم فى اعلا الجنان، وألْهَمَ فعلَ الخير سلاطين الزمان، ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان، وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل فى ارتفاع العماد، واتقان المهاد، وطيب الماء، ولطف الهوآء، ورفاهية الطلاب، وسعة الطعام والشراب، وغير ذلك من الاسباب، ولقد حُكى ان اول مدرسة بُنِيَتْ فى الدنيا مدرسة نِظَام المُلْك فى بغداد فبلغ علماء ما ورآء النهر هذا الخبر فاتّخذوا للعلم مأتمًا وحزنوا على سُقُوط حُرمة العلم فسُئِلوا عن ذلك فقالوا ان العلم مَلَكَةٌ شريفة فاضلة لا يتطلّبه الا النفوس الشريفة الفاضلة بجانب الشرف الذاتىّ والمناسبة الطبيعية ولمّا جُعل عليه اجرة تتطلّبه النفوس الرذلة وتجعله مَكْسَبًا لحطام الدنيا وتتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدُّنْيَوِيّة السفلة الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه الا ترى الى علم الطبّ فانه مع كونه علمًا شريفاً لمّا تعاطته اراذل اليهود رذل برذالتهم ولم تشرف اراذل اليهود بشرف علم الطبّ، وهذا حال اكثر طلبة العلم فى هذا الزمان الفاسد وهذا شانُ طُلّاب هذه العلوم المتداولة الآن فى هذا السوق الخاسر الكاسد فانك ترى اكثرهم مع إدْأَابه فى الطلب، وإكْبابه على فنون العلم

بامر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة واكثر المؤرخين على نفى شرفهم والله اعلم بحقيقة ذلك ،

وطالت مدّة خلافة الناصر فأحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صايبة وكانت ايامه من غرر الزمان وكان له احسان الى اهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تُكسى الديباج الابيض فى زمن المامون الى آخر ايام الناصر فكساها الديباج الاسود واستمرّت الى زماننا هذا تكسى الديباج الاسود ، ثم كساه الحِمام ثياب اكفانه، وعزله عن سرير مُلكه وتخت سلطانه، واودعه بطون المقابر، وما له من قوّة ولا ناصر، وكانت وفاته فى سلخ شهر رمضان سنة ٦٢٢ .

وتولّى مكانه بعد موته ولده ابو نصر محمد بن الناصر ولقّب الظاهر بامر الله وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهد منه اليه فاظهر العدل والاحسان وابطل المكوس وورث ذوى الارحام وكان العمّال يكيلون للديوان بكيل زايد على ما يكيلون به للناس فابطل الظاهر ذلك وكتب الى وزيره ويل للمطفّفين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظنّ اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين فقال له الوزير ان تَفَاوُتَ الكيلِ ينوف على ثلاثين الف دينار فقال ابطِلْه ولو انه ثلاثماية الف دينار ، وفرّق ليلة عيد النحر على الفقرآء ماية الف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركنى افعلُ الخير فانى لا ادرى كم اعيش فلم يلبث ان وفّاه الله بالكيل الأوْفَى، واثابه على عمله الصالح ووَفَّى، فعاش حميدًا، ومضى سعيدًا، وتوفى فى رجب سنة ٦٢٣ ، وتولّى بعده ولده ابو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل

انك تلى الخلافة فى سنة ٥٥٥ فكان كذلك ، توفى الى رحمة الله تعالى فى
يوم السبت لليلتين خلتا من شهر ربيع الثانى سنة ٥٦٦ وتولى بعده ابنه
ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله ولقب المستضى بالله وبويع له
يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس اسقط المكوس فى ممالكه
وكثر ثناء الخلق عليه وتوفى فى مستهل ذى القعدة سنة ٥٧٥ وتولى
بعده ابنه ابو العباس احمد ولقب الناصر لدين الله وبويع له
بالخلافة ثانى ذى القعدة وهو اليوم الثانى من وفاة والده ،

وفى ايامه كان ظهور السلطان صلاح الدين بن ايوب واستخلاصه
بيت المقدس من ايدى نصارى الافرنج واستيلاءه على مصر وازالة
دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسى على منابر مصر ووقع
بينه وبين السلطان صلاح الدين بن ايوب منافرة بسبب تلقبه بالناصر
لدين الله فان صلاح الدين تلقب به ، والفاطميون ويقال لهم
العبيديون اربعة عشر خليفة اولهم عبيد الله المهدى واختلف
المورخون فى نسبهم وهم منتسبون الى فاطمة الزهراء رضوان الله عليها
وانكر ذلك كثير من المورخين وطعنوا فيه بانهم من اولاد الحسين بن
محمد بن احمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا ، وثانيهم
المنصور وثالثهم القايم ورابعهم المعز وهو الذى انتقل من بلاد المغرب الى
مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن
بعده من العبيديين بمصر الى ان كان اخرهم العاضد وهو الرابع عشر
منهم توفى فى يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن
ايوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله
وانقرضت دولة العبيديين وكانوا ارفاضا سبابين ومنهم ملاحدة كالحاكم

وكانت أُمّه أُمّ ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخطّ لا يقاومه احدٌ فى كتابته حافظًا للقران عالمًا فاضلاً وكان قد غلب عليه ملوك آل سَلْجوق وكانت مدّة خلافته اربعًا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وتوفى يوم الاربعاء لستٍّ بقين من شهر ربيع الاخر سنة ٥١٢ وولى بعده ولده ابو منصور الفضل بن المستظهر ولقّب المسترشد بالله وبويع له بالخلافة يوم مات والده وأُمّه أُمّ ولد تسمّى لُبابة وكان شجاعًا ديّنًا مشغولاً بالعبادة حفظ القران والحديث ونظم الشعر ومن شعره

انا الأَشْقَى الموعودُ بى فى الملَاحِمِ ومن يملك الدنيا بغير مُزاحِمِ

وكان هذا التخيّل من خيالاته الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا فناء دارِهِ وخرج الى قتال مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتله معه احدٌ فقاتله وحده الى ان قُتل فى ذى القعدة سنة ٥٢٩ رحمه الله وتوفّى بعده ابنه ابو جعفر منصور بن المسترشد بالله ولقّب الراشد بالله وبويع له بالخلافة يوم قتل ابوه رحمه الله ولم تطلْ مدّته بل قبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة المحرام سنة ٥٣٠ وحبسه وقتله فى حبسه وولى عمّه ابا عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقّبه المقتفى بالله وبويع له يوم خلع ابن اخيه وكان عالمًا فاضلاً حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعًا توفى يوم الاحد لليلتَيْن خلتا من شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ وتوفّى بعده ولده ابو المظفّر يوسف بن المقتفى ولقّب المستنجد بالله وبويع له يوم وفاة ابيه وأُمّه أُمّ ولد حبشيّة اسمها طاوس ويحكى انه قبل ان يصير خليفة راى فى منامه ان ملكًا نزل من السماء فكتب فى كفّه خمس خاآت فلمّا اصبح سال بعض المعبّرين عن منامه فقال له

نجباء خلفاء بنى العبّاس وصالحيهم ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملكشاه من آل سُبُكْتكين قصد ان يتحكّم عليه ويظهر الجَنَف والحَيْف على الخليفة المذكور فارسل اليه وهو يقول له لا بُدّ ان تترك لى بغداد وتذهب الى اىّ بلد شئت فارسل الخليفة اليه يتلطّف به فى ذلك فأَبَى الا شدّةً وغلظًا فقال لرسوله اساله المُهْلَةَ لى ولو شهرًا فأَبَى وقال ولا ساعةً فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة ايام فامهله فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرّع الى الله تعالى ويضع خدّه على التراب ويناجى ربّ الارباب ويدعو على ملكشاه فنفذ دُعآءه وهو مظلوم، نفوذ السهم المسموم، فى كبد الظلوم، واستجاب الله دُعآءه، وتقبّل ضَراعته، فهلك السلطان ملكشاه قبل مُضىّ عشرة ايّام، وكفاه الله تعالى شرّه وما ربّك بظلّام، وعُدّت هذه كرامة للخليفة المقتدى، وهذه عُقْبى كلّ ظالم معتدى، فرحم الله من قال

وكم لله من لُطْفٍ خفىّ ... يدقّ خفاه عن فهم الذكىّ

وكم فرج اتى من بعد عُسْرٍ ... وفَرّج كربة القلب الشجىّ

وكم همّ تساءه به صباحًا ... فتاتيك المسرّة بالعشىّ

اذا ضاقت بك الاحوال يومًا ... فثِقْ بالواحد الفرد العلىّ

تمسّكْ بالنبىّ فكلّ همّ ... يزول اذا تمسّكت بالنبىّ

وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مُكْتَئِبًا ... ولا تبيتنّ الا خالىَ البالِ

ما بين غُمْضة عين وانتباهتها ... يغيّر الدهر من حال الى حالِ

وكانت وفاة الخليفة المقتدى بالله فى محرم سنة ٤٨٧ وتولّى بعده ابنه ابو العبّاس احمد ولقب المستظهر بالله بويع له بالخلافة يوم مات ابوه

امير المومنين وقبّل الارض فامر ان يفاض عليه سبع خلع فافيضت عليه وهو يقبّل الارض فى كلّ واحدة وانصرف وانصرف النـــاس خلفه وقـــد هالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظمـة الا صـــورة صناعية وكلفة اصطناعية حقيقتها واهية وقوّتها واهنة فان السلطنة لمّا آلت الى ابى نصر بن بويه ركب الطايع اليه وخلع عليه سبع خلـــع وطوّقه بطوق مجوهر وسوّره بسَوَارين ولقّبه بَهاَء الدولة وضيـآء الملّة فى سنة ۳۷۹ ثم فى سنة ۳۸۱ جاء بهـــاء الدولة الى الطايع وقبّل الارض بين يديه وجلس على الكرسى وامر خدامه من الديلم فجذبوا الطايع من سريره ولفّوه فى كساء وامره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل واتى بابى العبّاس احمد بن اسحاق بن المقتدر ولقّبه القادر بالله وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان فى ذلك العام وكان على غاية من العبادة والديانة والفضل وصنّف كتاباً فى الردّ على القايلين بخلق القران وامـر ان يُقرا فى كل جُمعة فى حلق اصحاب الحديث بحضرة النـــاس وعَــدَّه ابن الصلاح فى علمـاء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدّة خلافته حتى انافت على احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر وتـوفى الى رحمـــة الله تعـــالى فى سنة ۴۲۲ وولى بعده بعهد منه ولده ابو جعفر عبد الله بـــن القادر بالله ولقّب القايم بامر الله وكان خيّرًا ديّنًا باهر الفضل الا انه مغلوب بيد امرآءه وطالت مدّته مع ذلك وكانت خلافتـه خـــمـــس واربعين سنة ووفاته فى شعبـــان سنة ۴۶۷ وتولّى بعده بعهد منه حفيده ابو القاسم عبد الله بن محمد بن القايم بامر الله ولقّب المقتدى بالله بويع له بالخلافة يوم وفاة جدّه بحضرة الامام الكبير والولىّ الشهير مولانا ابى اسحاق الشيرازى احد اركان ائمّة الشافعىّ رضه وكان ديّنًا خيّرًا من

ايام المطيع لله هذا وتمّ امرُهُ على ضعف الخلافة ووَهْنهــا واستيلاء بنى بويه على الملك وطالت ايامه الى ان خلع نفسه رحمه الله وبويع لـولـده ابى بكر عبد الكريم فى سنة ٣٦٣ ولقب الطايع لله وكان مغلوبًا عليه من قبل امرآءه وما كان له الا العظمة ظاهرة لا غير بحيث لمّا ورد فى سنة ٣٦٩ رسول العزيز بالله بن المعزّ العُبَيْدى صاحب مصر الى بغداد سـال عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطايع وبيده امر المملكة ان يزيد فى أَلْقابه ويقال له تاج المِلّة ويجدّد عليه الخلـع ويلبسه التاج فاجابه الى ذلك فجلس الطايع على سرير عالٍ واوقف حوله ماية سيف مسلول وبين يَدَيْه مصحف عثمان رضّه وعلى كتفه بُرْدة النبىّ صلعم وبيده قضيب النبىّ صلعم وهو مقلد بسَيْف النبىّ صلعـم وكان ذلك جميعه ممّا يتوارثه الخلفاء ويجعلونه لمواكبهم العامّة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقفوا ارباب المراتب صفَّيْن ثم اذن لعضد الدولـة فدخل ثم رُفعت الستارة وقبّل الارض وادخل رسول العزيز صـاحـب مصر فارتاع واهاله ما راى وقال لعضد الدولة اهذا هو الله تعالى فقـال له هذا خليفة الله في ارضه ثم استمرّ يمشى ويقبّل الارض سـبـع مـرّات فالتفت الطايع الى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له آستدنـه فقرّبه الى رجل السرير وقبّل رجله فثنى الطايع يمينه على راس عـضـد الدولة وامره ان يجلس على كرسى وُضِعَ له قريبًا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فاقسم عليه ليجلس فقبّل الكرسى ثم جلس عليه فلمّا استقرّ جالسًا قال له الطايع قد فوّضت اليك ما وكل الله تعـالى الىّ من امور الرعيّة فى شرق الارض وغربها فقال يُعيننى الله تعالى على طاعة

فى البيت الشريف حفظــًا له وصونًا عمّن اراده بسُوء ثم امروا صايغَيْن فصَنَعَا له طوقًا من فضّة وزنه ثلاثة الاف وسبعة وثلاثون درهمًا فطوّقوا به الحجر وشدّوا عليه به وأَحْكَمَا بناءه فى محلّه كما كان ذلك قديمًا وكما هو الآن ايضًا كذلك؛ وكان قلع الحجر الاسود فى ايام المقتدر ثم وقـع بينه وبين مونس حربٌ فتوغّل فى المعركة فضربه واحد من البربـر من خلفه فسقط الى الارض فقال لضاربه ويحك انا الخليفة فقـــال له انــت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع راسه على الرمح وسلب ما عليه وبـــقـــى مكشوف العورة حتى سُتر بالحشيش ثم حُفِرَ له مكان ودُفن به وعُفِـىَ اثرُهُ فسبحــان المعزّ المذلّ السميع البصير؛ له الملك وحده لا شريك له وهو على كلّ شىء قدير؛ وكانت مدّة خلافة المقتدر اولاً وثانيًا وثالـثـًا خمسًا وعشرين سنة الا ايامًا وقُتل لثمان بقين من شوّال سنة ٣٢٠ ﻫ؛

وولى اخوه مكانه ابو منصور محمد بن المعتضد ولقّب القاهر بالله وقُهِرَ القاهر المذكور وسُمِلَ عينَيْه وجاءوا بابى العبّاس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقّبوه الراضى بالله وبايعوه فى سنة ٣٢٢ وصار خليفة الى ان مات فى سنة ٣٢٩ وبويع لاخيه ابى اسحق ابراهيم بن المقتـدر بعده ولُقّب المتقى بالله وقَبَضَ عليه توزون التركىُّ وسَمَلَ عينَيْـه فى صفر سنة ٣٣٣ وبويع بعده لابن عمّه ابى القاسم عبد الله بن المكتفى بالله بن المعتضد ولُقّب المستكفى بالله واستمرّ فى خلافته سـنـة واحدة وأَمْسَكَه من امرآء معزّ الدولة ابن بويه فسمل عينيه وضمّه الى المتّقى بالله والقاهر بالله وصاروا ثلاثة اثافى العمَا وولى الخلافة ابو القاسم الفضل بن المقتدر ولقّب المطيع لله وبويع له بالخلافة فى سـنـة ٣٣٤ وكان ردّ الحجر الاسود من بلاد هجر الى مكانه من البيت الشريف فى

الى محلّه وورد سُنْبر بن الحسن القرمطى الى مكّة فى يوم النحر يوم الثلثاء عاشر ذى الحجّة الحرام سنة ٣٣٩ ومعه الحجر الاسود فلمّا صار بفناء الكعبة حضر معه امير مكة يومئذ وهو ظنًّا ابو جعفر محمد بن الحسن ابن عبد العزيز العبّـــاسى فاظهر سفطـــًا اخرج منه الحجر الاسود وعليه ضِبَابٌ من فضّة فى طوله وعرضه تضبط شُقُوقًا قد حدثت فيه بعـــد قلعه واحضر معه جصًّا يشدّه به فوضع حسن بن المرزوق البنّاء الحجر فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال اخذناه بقدرة الله تعالى واعدناه بمشيّته وقد اخذناه بامر ورددناه بامر ونظر النـــاس الى الحجر فقبّلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى؛ وحضر ذلك محمد بـــن نافـــع الخزاعى ونظر الى الحجر الاسود وتامّله فاذا السواد فى راسه دون ســـايـــره وسايره ابيض؛ وحضر معهم ممّن حجّ تلك السنة محمد بـــن عـــبـــد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد ردّ الحجر الى مكانه؛ ولمّا أُعيد الحجر الاسود الى مكة حُمِلَ على قَعُود هزيل فسَمِنَ وكان لمّــا مضوا به مات تحته اربعون جملًا وكانت مدّة استمراره عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا اربعة ايام وكان المنصور بن القايم بن المهدى العبيدى راسل احمد ابن ابى سعيد القرمطى اخـــا ابى طاهر بخمسين الف ذهب فى الحجـــر الاسود ليردّه فلم يفعل وبذل حكم التركىّ مدبّر الخلافة خمسين الـــف دينار للقرامطة على ردّ الحجر الاسود فأبوا وقالوا اخذناه بامر ولا نـــردّه الّا بامر الى ان اراد الله تعالى ردّه على الوجه الذى ذكرناه؛ وفى التواريخ صُوَرٌ أُخْرى لهذه القصّة رايناها متناقضة وهذا اصحّ ما روى فيـــهـــا فاعتمدنا عليه فعضّ عليه بالنواجذ؛ ثم ان الحجبة خافوا عـــلى الحجـــر الاسود من استطالة يد خاينٍ اليه لعُدْم استحكام بناءه فقلعوه وجعلوه

للحجّ الى مسجد الضرار الذى سمّاه دار الهجرة وعلّقه فى الاسطوانة السابعة ممّا يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد وبقى موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليًا يَضَعُ الناس ايديهم فيه ويلثمونه تبرُّكًا بمحلّه ٭ وامر هذا الفاجر ان يخطب لعبيد الله المهدى اوّل الخلفاء العُبَيْديّين الفاطميّين وكان اول ظهوره فبلغ عبيدَ الله المذكور ذلك فكتب اليه ان اعجب العجب ارسالك بكتبك الينا مُمْتَنًّا بما ارتكبتَ فى بلد الله الامين من انتهاك حُرمة بيت الله الحرام الذى لم يزل محترمًا فى الجاهلية والاسلام وسفكتَ فيه دماء المسلمين وفتكت بالحُجّاج والمعتمرين ثم تعدّيت وتجرّأْتَ على بيت الله تعالى وقلعتَ الحجر الاسود الذى هو يمين الله فى الارض يصافح بها عباده وحملْتَهُ الى ارضك ورجوتَ ان اشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدّم فى يومه ما ينجو به فى غده فلمّا وصل كتاب عبيد الله الى ابى طاهر القرمطى وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمرّ الحجر عندهم اكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعًا ان يتحوّل الحجّ الى بلدهم ويأْبَى الله ذلك والاسلام، وشريعة محمّد عليه افضل الصلوة والسلام، وهذه من اعظم مَصَايِب الاسلام، واشدّها فى الدين من اولئك الفجرة اللئام، ذابت لها اكباد العبادة وعمّتْ فتنتها فى الحاضر والباد، الى ان دمّر الله تعالى تلك الطايفة الفاجرة، وتمزّقت كلّ ممزّق بيد الله القاهرة، وابتلى ابو طاهر النجس هذا بالآكلة، فصار يتناثر لحمه بالدود، ومات اشقى ميتة الى دار الخُلُود، وتعذّب بأَنْواع البلاء فى الدُّنْيا، ولعذابُ الآخرة اشدُّ وأَبْقَى٭

ولمّا أَيِسَت القرامطة عن تحويل الحجّاج حجّهم الى هَجَر ردّوا الحجر الاسود

من العلماء والصلحاء والصوفية والحُجّاج من اهل خراسان والمغاربة ونُهبت اموالهم وسُبيت نساؤهم وذراريهم ونُهبت دور الناس وقُتل من وُجد من اهلها الّا من اختفى فى الجبال؛ وممّن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هارون القرشى مع عياله الى وادى رَهْجان ونَهَبَت القرامطة من داره وأثاثه واموالة ما قيمتُه مايـة الف دينار فافتقر بعد تلك الثروة؛ وكذلك نُهبت دور اهل مكة الى ان صار الباقى ممّن نجا من تلك الواقعة فُقَرآء يستعطون ولم يحجّ فى هذا العام احد ولا وقف بعَرَفَةَ الا عدد يسيرٌ فازوا بانفسهم وسمحوا بارواحهم فوقفوا بدون امام واتمّوا حجّهم مستسلمين للموت؛ واخذ ابو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضّة وكسوة الكعبة وحُليّها وما نهبه من اموال الحُجّاج فقسمها بين اصحابه واراد اخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيّدنا ابراهيم صلوات الله وسلامه على نبيّنا وعليه وعلى ساير انبيـاء الله تعالى ورُسُله فلم يظفر به لان سدنة الكعبة اخفوه وغيّبوه فى بعض شعاب مكة وتألّمَ لذلك فاستدعى بجعفر بن ابى علاج البنّاء وامره بقلع الحجر الاسود من مكانه فقلَعَه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار يزَنْدَقَته يقول قاتله الله تعالى ولعنه واخزاه

فلو كان هذا البيت لله ربّنا لصَبّ علينا النار من فوقنا صبّا
لانّا حججنا حجّة جاهليّة محلّلة لم تبقِ شرقًا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصّفا جنايز لا تبغى سِوَى ربّها ربّا

وقلع ذلك الكافر قبّة زمزم وباب الكعبة واقام بمكة احد عشر يوماً وقيل ستّة ايام ثم انصرف الى بلده هجَرَ وحمل معه الحجر الاسود يريد ان يحوّل

وهو ينشد

ترى المحبّين صَرْعى فى ديارهم   كفِتْيَة الكَهْف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تقفوه الى ان سقط ميتـًا رحمه الله ٭ وطُمّتْ بأشْلآء الشهدآء بيرُ زمزم . وما بمكة من ابآرٍ وحُفَرٍ قد مُلِئَت بهم وطلع ابو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها الشريف وصار يقول

انا بالله وبالله انا   يَخْلُق الخلقَ وافنيهم انا

وصاح فى الحُجّاج يا حَمِير انتم تقولون ومن دخله كان آمِنـًا فأيْنَ الامنُ وقد فعلنا ما فعلنا فاخذ شخصٌ بلجام فرسه وقال وقد استشهد مستسلمًا للقتل ليس معنى الاية الشريفة ما ذكرتَ وانّما معناها ومن دخله فامنوه فلَوَى ابو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وصانه الله تعالى ببركة بذل نفسه فى سبيل الله والردّ على ذلك الكافر اخزاه الله تعالى واراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيًّا يقلعه فأُصِيبَ بسَهْمٍ من جبل ابى قُبَيْس فما اخطأ نحره وخرّ ميتًا وامر آخر مكانه فسقط من فوق الى اسفل على راسه فهاب الثالث عن الاقدام على القلع فمضى ابو طاهر وتركه على رغم انفه وقال اتركوه حتى ياتى صاحبُهُ يعنى المهدى الذى يزعم انه يخرج منهم ٭ وكان ممّن قُتل بمكة اميرها ابن محارب والحافظ ابو الفضل محمد بن الحسين بن احمد الجارودى الهَرَوى اخذته السيوف وهو متعلّق بيَدَيْه بحلقة باب الكعبة حتى سقط راسه على عتبة باب بيت الله تعالى واخوه امام الفقهاء الحنفيّة الفقيه ابو سعيد احمد بن الحسين البَرْدَعى والشيخ ابو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهَاوى وشيخ الصوفية على بن بابويه الصوفى والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرون

فسبحان من لا يزول ولا يزال، ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال، ولا تغيّره السنون ولا تحوّله الاحوال، وهو الله الملك الكبير العظيم المتعـــال، له الملك وحده لا شريك له ولا ضِدّ ولا نِدّ ولا مثال، كوّن الاكوان وقدّرها تقديرًا، ولم يتّخذ صاحبة ولا وزيرًا، تعالى شأنُهُ وعلا سلطانه عُلُـــوًّا كبيرًا، وقُلْ الحمد لله الذى لم يتّخذ ولدًا ولم يَكُنْ له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذُّلّ وكبّره تكبيرًا ٥

فصل واوّل ما ظهر من الوَهْن للخلافة فى ايام المقتدر ظهور الطايـــفـــة الملحدة التى تُسَمّى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يُؤدّى الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينتسبون الى موالاة محمد ابن الحنفيّة من اولاد سيّدنا على بن ابى طالب رضه ويرون ضلال كافّة المومنين فاوّل نجس خبيـــث ظهر منهم ابو طاهر القرمطى وبَنَى دارًا فى هَجَر سمّاها دار الهجرة اراد نقل الحجّ اليها لعنه الله تعالى واخزاه ٥ وكثر فتكه فى المسلمين وسفك دماء المومنين الى ان اشتدّ به الخطب وانقطع الحجّ فى ايامه خوفًا منــه ومن طايفته الفاجرة واشتدّت شَوْكتهم ٥ ففى اواخر عام ٣١٧ لم يشعر الحُجّاج يوم التروية بمكّة الا وقد وافاهم عدوّ الله ابو طاهر القرمطى فى عسكر جرّار فدخلوا بخَيْلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف فى الطايفين والمصلّين والمحرمين مجرّدين فى احرامهم الى ان قتلـــوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها زهاء ثلاثين الف انسان وتلك مُصيبة ما أُصيبَ الاسلام بمثلها وركض ابو طاهر بسيفه مشهورًا فى يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فراث وبال والحجّاج يطوفون حول بيت الله الحرام والسيوف تَنُوشهم الى ان قُتل فى المطاف الشريف الف وسبعماية طايف مُحْرم ولم يقطع طوافه علىّ بن بابويه وجعل يقول

المحاسن يوسف سبط ابن الجوزى رحمه الله وكان المقتدر يصرّف فى كلّ سنة فى طريق مكّة والحرمين ثلاثماية الف دينار وخمسة عشر الف دينار٠ وقال الحافظ السيوطى كان النساء غلبن على المقتدر فاخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفايسها واعطى بعض حظاياه الدرّة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة مثاقيل واعطى زيدان القهرمانة سُبحة جوهر لم يُرَ مثلها وكان فى داره احد عشر الف غلام خصىّ غير الصقالبة والروم والسود وكان مبلغ النفقة على بيمارستان امّ المقتدر فى كلّ عام سبعة الاف دينار وانه ختن خمسة من اولاده فصرّف فى ختانهم ستّماية الف دينار وقدمت رُسُل ملك الروم بهدايا لطلب الهُدْنة فعمل المقتدر موكبًا عظيمًا لارهاب العدوّ فاقام ماية وستّين الف مقاتل بالسلاح الكامل سِماطَيْن من باب الشمّاسية الى دار الخلافة ببغداد تمرّ الرُسُل بينهما فى هذه المسافة واقام بعدهم الخدام وهم سبعة الاف خادم ثم الحجّاب وهم سبعماية حاجب وكانت الستور التى نُصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البُسُط الفاخرة التى فُرشت فى الارض اثنين وعشرين الف بساط وفى الحضرة ماية سَبُع فى سلاسل الذهب والفضّة وغير ذلك٠ وزاد الجمال يوسف ابن تغرى بردى من جملة الزينة شجرة صيغت وصُنِعَت من الذهب والفضّة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غُصْنًا اوراقها من الذهب والفضّة واغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور مصنوعة من ذهب وفضّة تنفخ الريح فيها فيسمع لكلّ طير صَنْجٌ مفرد وصفير خاصّ وهذا بعد وَهْن الدولة العبّاسية وضعفها فكيف كانت زينتها فى ايام قوّة دولتهم فى كمال وصفها٠

يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى قطعة عند باب الخيّاطين وباب بنى جُمَح وهى السُّوح الذى كان بين دارى زبيدة امّ الامين وعمل ذلك مسجدًا أَوْصَلَه بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التى فى وزان جُدر المسجد الحرام الى العتبة التى عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعًا الّا سُدْس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها الشامى الى جانبها اليمانى وذلك من جدر رباط الخوزى الى جدر رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعًا ورُبع ذراع وفى هذه الزيادة فى جانبها الشرقى المتّصل بالمسجد الكبير صفّان من الرواق على اساطين منحوتة من الحجارة وكذلك فى جانبها الشمالى ولم يكن فى جانبها الغربى رواق وفى جانبها اليمانى سبيل ماء وسط رواقَيْه ٭ وكانت لهذه الزيادة منارة ذكرها التقى الفاسى فى شفاء الغرام ٭ قُلْتُ امّا المنارة فلا ادرى من بناها ولا متى بُنيت ولا متى هُدمت وامّا السبيل فكان موجودًا الى سنة ٩٨٣ فهُدم عند وصول العمارة الشريفة السلطانية اليه وأُعِيدَ بناؤه سبيلاً كما كان ٭ وهذه الزيادة الثانية وقعت فى ايام المقتدر العبّاسى رحمه الله تعالى ٭

ومن جملة محاسن المقتدر ايضًا انه ابطل من ديوانه استخدام اهل الذمّة من اليهود والنصارى وابطل تصرّفهم فى الاموال السلطانية واعاد الامر بتوريث ذوى الارحام فى ساير ممالك الاسلام وأَتْلَفَ كثيرًا من الاموال وافرغ خزاين بيت المال وباع كثيرًا من الضياع حتى ارضى الجند باكمال عطيتهم ٭ وكان يغرّق يوم عرفة كلّ عام من الابل والبقر اربعين الف راس ومن الغنم خمسين الفًا كذا ذكره الجمال يوسف بن تغرى بردى فى تاريخه مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ٭ وقال ابو

فجلس على السرير وأُتوا باخيه محمد القاهر اليه وهو مقهور يبكى ويقول الله الله يا اخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبّل بين عينى اخيه وقال له يا اخى لا ذنب لك انت مغلوب على امرك والله لا ينالك منّى مكروه فطِبْ نفسًا وقرّ عَيْنًا ٭ ولما زال رَوْعه آوَى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئِس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرّة والثالثة ثابتة والله اعلم ٭

فصل ومن جملة محاسن المقتدر انه زاد فى المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وهى الزيادة الثانية فى الجانب الغربى من المسجد الحرام ويقال لها زيادة باب ابراهيم وليس المُراد به سيّدنا الخليل عليه وعلى نبيّنا وساير الانبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا خيّاطًا يجلس عند هذا الباب دهرًا فعُرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متّصل بأَرْوقة المسجد الحرام بقرب باب الحَزْوَرة يقال له باب الخيّاطين وبقربه باب ثانٍ يقال له باب بنى جُمَحَ وخارج هذين البابَيْن ساحة بين دارين لزُبَيْدَةَ أُمّ الامين بُنِيَتَا فى سنة ثمان ومايتَيْن وما بقى لتلك الدارين اثر الآن والذى يظهر ان دارَىْ زُبَيْدة كانت احداهما فى الجانب الشامى فى مكان رباط الخُوزى الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليمانى من تلك الزيادة وهى رباط رامشت الذى يعرف الآن برباط ناظر الخاصّ فأُدخلت هذه الساحة التى بين الدارين فى المسجد الحرام وأُبطل البابان يعنى باب الخيّاطين وباب بنى جُمَحَ حيث دخلا فى المسجد الحرام وجُعل عوض البابين باب كبير هو المسمّى بباب ابراهيم فى غربى هذه الزيادة ذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فَهْد رحمه الله فى حوادث سنة ٣٠٦ فى كتابه اتحاف الوَرَى باخبار أُمّ القُرَى وفيها زاد قاضى مكة

يصوغ عليها الماء شُبّاك فضّة
لها حَلَقٌ بيضٌ تحلّ وتُعْقَدُ
وقتنيَ من نار الجحيم بنفسها
وذلك من احسانها ليس يُجْحَدُ ؛

وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب اشعار الملوك وكتاب طبقات الشعرآء وديوان شعره وغير ذلك ؛ ومن كلامه البلاغة لبلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ؛ واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة لا نطوّل بها هذه العجالة ؛

ولمّا تقرّر امر المقتدر في التمكّن والاقتدار، واستقرّت خلافته اتمّ استقرار، استوزر ابا الحسن على بن محمّد بن الفُرات فسار احسن سيرة واستقرّ في الخلافة الى سنة ٣١٧ فخرج مونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه الجيش والامرآء وجاءوا الى دار الخلافة فهرب خواصّ المقتدر من داره ونهبوا فَوْرًا دار الخلافة فكان ممّا نهب ستّماية الف دينار لأُمّ المقتدر فاشهد المقتدر على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٨ واحضروا ابا منصور محمد بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وبايعه مونس والامرآء ولقّبوه **القاهر بالله** وفوّضت الوزارة الى الوزير ابي على ابن مُقْلَة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى ساير البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فنعهم الحاجب من الدخول الى الخليفة فقتلوا الحاجب ومالوا الى دار مونس واخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على اعناقهم الى دار الخلافة

عشيَتْ عيناى من طول البُكا   وبكى بَعْضِى على بَعْضِى مَعِى

غُصْنُ بانٍ مال من حيث التَوى

مات من يهـواه من فَرْط الجَوى

خَفْقُ الاحشـاء موهون القوى

كلمـا فكـر فى البـين بـكى   ويحه يبكى لما لم يقـع

ليس لى صبرٌ ولا لى جَلَـدُ

يا لقومى عذلوا واجتهدوا

انكروا شكوَاىَ ممّا أجِدُ

مثل حـالى حقّهـا ان يُشْتكى   كمُدُ اليـأْسِ وذُلّ الطَّمَع

كَبِدى حَرّا ودَمْعى يَكِفُ

يَذْرِفُ الدمع ولا يعترِفُ

ايّها المُعرض عمّـا أَصِـفُ

قـد نمـا حُبّى بقَـلْـبى وزكا   لا تَقُل فى الحُبّ انى مُـدّعِى

ومن تشبيهاته الرايقة واشعاره الفايقة قوله

ومقرطـق يَسْعَى الى الندماء   بعقيقة فى درّة بَيْضاء

والبدر فى افق السماء كدرهم   مُلْقَى على ياقوتة زرقاء

وله فى المثلث وهو معنى بديع

خليلىّ طاب الراحُ من بعد طبخها

وقد عُدْتُ بعد السُّكْر والعَوْد أحْمَدُ

فهاتا عقارًا من قميـص زُجـاجـة

كياقـوتـة فى دُرّة تـتـوقّـد

وكنتم اسارى بطون الحبوس وقد شفّكم لثم اعتابها
فاخرجكم وحباكم بها وقمّصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشرّ الجزا لطغوى النفوس واعجابها
فدع فى الخلافة فضل الخلاف فلست ذلولاً لركّابها
وما انت والفحص عن شانها وما قمّصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة فما كنت اهلاً لأسبابها
ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف وجاءوا القناعة من بابها
عليك بلهوك بالغانيات وخلّ المعالى لاربابها
ووصف العذار وذات الخمار ونعت العقار بألقابها
فذلك شانك لا شانهم وجرى الجياد باحسابها،

ومن السحر الحلال الذى عقده فى سلك اللآل، ورقّمه بقلم البلاغة على صفايح الايام والليال، هذا المُوَشّح الذى يصلح وشاحاً لكواكب الجَوْزآء، واكليلاً على التاج المحلّى بنجوم الثُّرَيّا، سارت به الرُّكْبان، وتناقلته الرُّواة بألسنة الازمان، قوله

ايّها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تَسْمَع
ونديم هِمْتُ فى غرّته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سَكْرَته
جذب الزقّ اليه واشتكى وسقانى اربعاً فى أربع
ما لعَيْنى عشيت بالنظر
انكرت بعدك ضَوْء القمر
واذا ما شيت فاسمع خبرى

فردّ عليه شاعر زمانه وبليغ اوانه الصّفي الحلّي بقوله

الا قُلْ لشرّ عبيد الالٰه وطاغي قريش وكذّابها

اانت تفاخر آل النبيّ وتجحدها حقّ انسابها

بكُمْ باهَلَ المصطفى ام بهم فردّ العداة بأوْصابها

اعَنْكم نفى الرجس ام عنهم لطُهْر النفوس وألْبابها

اما الشربُ واللّهْوُ من دَأْبكم وفرْط العبادة من دابها

هم الصايمون هم القايمون هم العالمون بآدابها

هم الزاهدون هم العابدون هم الساجدون بمحْرابها

هم قطب ملّة دين الالٰه ودَوْر الرحىّ باقطابها

تقول ورثنا ثياب النبيّ فكم تجذبون بأهْدابها

وعندك لا تُورَث الانبياء فكيف حظيتم باثوابها

ابوهم وصىّ نبىّ الالٰه واهل الوصيّة اولى بها

أَجدُّك يَرْضَى بما قُلْتَه وما كان يومًا بمُرتابها

وكان بصِفّينَ من حِزْبهم لحرب البُغاة وأحْزابها

وصلّى مع الناس طول الحياة وحَيْدَر فى صَدْر محرابها

فهَلّا تقمّصها جَدُّكم وهل كان من بعض خُطّابها

واذ جعل الأمْر شُورَى لهم فهل كان من بعض اربابها

وقولك انتم بنو بِنْتِه ولكن بنو العمّ اولى بها

بنو البنت ايضًا بنو عمّه وذلك ادنى لانسابها

وقلت بانّكم القاتلون أُسُود امية فى غابها

كذبتَ ولولا ابو مُسْلِم لعَزّت على جهد طلّابها

وقد كان عبدًا لهم لا لكم راى عندكم قُرب انسابها

وهذا منتخب تلك القصيدة الّتى فاخر فيها بين قومه بنى العبّاس وآل ابى طالب رضى الله عنهم فى الخلافة وما انصف فيما ادّعاه ولكنه اتى بشعر بليغ فى معناه فقال

الا من لعينٍ وتسكابها   تشكى القذآء بكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان   ترامى القسىّ بنشابها
ويا رُبَّ أَلْسنةٍ كالسيوف   تقطع ارقاب اصحابها
وكم دُهِيَ المرْءُ من نفسه   فزقّه حدّ انيابها
وان فرصة امكنت فى العَدُوّ   فلا تبد فعلك الا بها
فان لم تلج بابها مُسْرِعًا   اتاك عَدُوّك من بابها
وما نافع ندمٌ بعدها   وتاميل اخرى وأنّى بها
وما ينتقص من شباب الرجال   يُزَد فى نهاها والبابها
نَهَيْتُ بنى رحمى ناصحًا   نصيحة برٍّ بانسابها
وقد ركبوا بغيهم وارتقوا   معارج تهوى بركّابها
وراموا فرايس أُسْد الشَّرَى   وقد نشبت بين انيابها
دَعُوا الأُسد تفرس ثم اشبعوا   بما تَفْضُلُ الاسد فى غابها
قتلنا أُمَيَّة فى دارها   وكُنّا احقّ باسلابها
ولمّا ابى الله ان تملكوا   نهضنا اليها ونلنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبىّ   فكم تجذبون باهدابها
لكم رَحِمٌ يا بنى بنته   ولكن بنو العمّ اولى بها
فَمَهْلاً بنى عمّنا انّها   عطيّة ربٍّ حَبَانا بها
وكانت تزلزل فى العالمين   فشدّت لدينا بأطْنابها
واقسم انكم تَعْلَمون   بانّا لها خير اربابها ٭

الى المقتدر يامره باخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر
فينظر فى امره فلمّا جاء الرسول الى المقتدر وبلّغه الرسالة قال ليس له
عندى جوابٌ غيرِ السيف ولبس السلاح وركب مع جماعة قليلة من
خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف والرعب فهاجموا على عبد
الله بن المعتز فاهاله ذلك والقى الله تعالى فى قلبه الرعب فانهزم هو
ووزيره وقاضيه وكلّ من فى ديوانه ظنًّا ان خلف هولاء اعوانًا وانصارًا
وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى بعض الامرآء والفقهاء وسلّمهم
الى مونس الخادم وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز ثم
أُخرج من الحبس ميّتًا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار
احسن سيرة واستقام امره بعد الاضمحلال، وطلعت شمس سعادته
بعد الزوال، ولاح بدر فَلَاحِهِ من أَوْجِ الكمال، والعزّة لله الكبير المتعال،
وحيث انجرّ الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتزّ فلا باس بتنميق هذه
العجالة، وتزويق هذه الرسالة، بذكر بعض اشعاره المستظرفة ليعلم
البلغاء مرتبته فى البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته فى المجانسة
الّتى فاخر بها آل النبىّ صلعم ولا يخفى ان الاقدام على مثل ذلك يدُلّ
على قوّة الطَّبْع فان الادّعآء لمثل هذا المطلب العالى من امثاله محجوجٌ فى
الاسماع منفور فى الطباع فاذا ابرزه مع ذلك فى قالب مطبوع دلّ ذلك
على قوّة طَبْع الشاعر كما قال شاعر عصره الاديب المفوّه ابن الرومى رحمه
الله تعالى

فى زخرف القول تزيينٌ لباطله ... والحقّ قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وان تعبْ قلتَ ذا قىء الزنابير
مدحًا ونمًّا وما جاوزت حدّهما ... سِحر البَيَان يُرِى الظلماء كالنور

وولى بعده بالخلافة اخــوه ابو الفضل جعفر المقتدر بالله بــن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بــن هارون الرشيد العبّــاسى بايعه النــاس وعُمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله اصغر منه ذكره الجلال السيوطى ، وأُمّه أُمّ ولد تسمّى شغب وولى الخلافة ثلاث مرّات هذه الاولى منها ولم يتمّ له فيها امــرٌ لصغر سنّه فتغلّب الجند عليه واتّفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة لابى العبّاس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ٢٩٦ واستمــرّ خليفة ساعة من ذلك النهار وعبد الله بن المعتزّ لقصر زمان خلافته لا ينبغى عدّه من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وادبه وهو اشعر بنى العبّاس بل اشعر بنى هاشم على الاطلاق واكثرهم فضلاً وادباً وتخولاً ومعرفة بعلم الموسيقا واشعر الشعراء مطلقاً فى التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة الموقظة التى لا يشقّ غباره فيها احدٌ ، مولده فى شعبــان سنة ٢٤٩ قال المعافا بن زكرياء لمّا بويع لابن المعتزّ دخلتُ على شيخنا محمد بن جرير الطبرى العالم الكبير المفسّر المحدّث المؤرّخ رحمه الله تعالى فقال لى ما الخبر فقلتُ بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتزّ قال فمن توشّح لوزارته فقلــت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت ابو المثنّى فاطرق قليلاً ثم قال هــذا امرٌ لا يتمّ فقلت ولم لا يتمّ قال كلّ واحد ممّن ذكرتَ ذو شان عظيم متقدّم فى علمه وفضله وعقله وان الدنيا مُولّية والزمان مُــدبِــرٌ ولا مناسبة لاحد ممّن ذكرتَ بالرياسة فى مثل هذا الزمان وما ارى هــذا العقد الّا الى الانحلال والاضمحلال فقدّر الله تعــالى انهم خلعوه فى ذلك اليوم وتلاشا امره ، فان عبد الله بن المعتز لمــا عُقدَتْ له الخلافة ارسل

وتلقب بالمهدى وخص انه المراد بالسورة الشريفة ولقب غلاماً له مظلماً بالطوق بالنور تسمى امير المومنين وزعم انه المهدى ودعى لنفسه على المنابر وافسد بالشام وعاث فيهما فحوربوا وقتل الثلاثة وحزت روسهم وطيف بهما فى البلاد سنة ٢٩١ وخلف من بعدهم خلف ظهرت منهم مفاسد سيأتى ذكرها استطراداً وتعب المسلمون كثيراً فى امرهم الى ان خذلهم الله تعالى وسنذكر ذلك قريباً ان شاء الله تعالى ٭ ولم يطل زمان المكتفى بالله وكانت مدة ملكه ستة اعوام ونصف ولما مرض مرض الموت وتيقن بانقضاء والفوت سال عن اخيه ابى الفضل جعفر بن المعتضد قيل له انه احتلم واتضح ذلك عنده فجعله ولى عهده ولقبه المقتدر بالله فبويع له على ان يكون الخليفة بعده ٭ قال الصولى رحمه الله سمعت المكتفى يقول فى علته الله مات فيها والله ما آسى الا على سبعماية الف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين فى ابنية وعمارات لا احتاج اليها ٭ وذكر ابو منصور الثعالبى قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذى خلفه المكتفى مما جمعه هو وابوه لا غير ماية الف الف دينار ما بين عين وامتعة واوانى وعقارات وكان من جملة الامتعة ثلاثة وسبعون الف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون ٭ ولما جاءه الاجل المحتوم المقدر، وتلى لسان حاله ان اجل الله اذا جاء لا يوخر، انقصف غصن شبابه الاشيب، ويبس عنقود جماله النضر الرطيب، وصار بدر كماله مخسوفاً، وعاد نور محياه المشرق بالجمال مظلماً مكسوفاً، فانتقل من دار الفناء، الى دار الجزاء والبقاء، فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذى القعدة الحرام سنة ٢٩٥ رحمه الله وخلف ثمانية اولاد ذكور وثمانى بنات ٭

يوماً مشهوداً زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور
سبع خلع عظيمة ومدحه الشعراء وانعم عليهم بالجوايز السنية وكان
مولده فى غرة ربيع الاول سنة ٢٦٤ وأمه أمّ ولد تركية اسمها جيجك
وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وقال فيه القايل يصف الدنيا

ميّزت بين جمالها وفعالها ۞ فاذا الملاحة بالقباحة لا تفى
والله لا اختارها ولو انّها ۞ كالبدر او كالشمس او كالمكتفى

وكانت سيرته حسنة وافعاله حميدة فاحبه الناس وفرحوا بخلافته ودعوا
له ۞ وذكر عبد الغافر فى تاريخ نيسابور عن ابن ابى الدنيا وكان معلماً
للمكتفى قبل ان يلى الخلافة قال فلما افضت الخلافة الى المكتفى كتب
اليه هذين البيتين

ان حقّ التأديب حقّ الأبوّة ۞ عند اهل الحجى واهل المروّة
واحقّ الرجال ان يحفظوا ذا ۞ ك ويرعوه اهل بيت النبوّة

انتهى ۞ ومن اعظم الحوادث فى ايامه ظهور القرامطة الملحدين ۞ بل
الكفرة المفسدين ۞ اعداء الدين ۞ فاول من خرج منهم يحيى بن مهرويه
القرمطى ومحلّ خروجهم ودار ملكهم هجر وهم طايفة اباحية يستحلّون
دماء الحجاج والمسلمين يدّعون ان الامام الحقّ بعد النبيّ صلعم محمد
ابن الحنفيّة ابن على بن ابى طالب رضه وينتسبون اليه بالوسايط
ويسندون اليه اقاويل باطلة لا أصل لها ويكفّرون من خالفهم وهم الكفرة
الفجرة قاتلهم الله تعالى ۞ ولمّا ظهر بالخروج يحيى المذكور جهّز عليه
المكتفى بالله جيوشاً واستمرّ القتال بينه وبين عساكر الخليفة الى ان
قتل وسيق الى جهنّم ۞ ويئس المصير ۞ فقام بعده اخوه الحسين واظهر
شامة بوجهه الاسود زعم انها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه

نزهة للناظرين، في غاية الاتقان والتزيين، في زمان سلطاننا الاعظم، ودولة خاقاننا الافخم الاكرم، سلطان سلاطين الزمان، السلطان مُراد خان، ابن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان، خلّد الله تعالى سلطانه، وافاض على العالمين بِرّه واحسانه، رجعنا الى ما كنّا فيه من اخبار المعتضد العبّاسي، ما وقع له من البلاء الذي ليس منه آسي، ولمّا ان عضّد المعتضد عضد الموت العاضد، وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد، ومنا حمّته من الحمام قوّته، ولا منعته عنه منعته ولا هيبته، فانزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك، واركبته سرير الآلة الحدباء الى شفير حفير الفناء والهُلك، ودفنته في تربة عمله الصالح، وسقت ثراه بما طاب من ثنائه الفايح ، ومن اغرب ما حكاه المسعودي رحمه الله عن المعتضد في وفاته انه اعتلّ من افراطه في كثرة الجماع وطالت علّته وغشي عليه فشكّ مَنْ حوله في موته وكان لا يجسُر عليه احدٌ لشدّة هيبته فتقدّم اليه الطبيب يختبره بجسّ نبضه ففتح عينيه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسةً فدحاه اذرعًا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الاخر سنة ٢٨٩ وخلّف من الاولاد اربعة ذكور واحدى عشرة بنتًا وكانت مدّة ملك المعتضد تسع سنين وتسعة اشهر ونصف رحمه الله

فصل لمّا اشتدّ المرض بالمعتضد جعل وليّ عهده من بعده ولده ابا محمّد عليًّا ولقبه المكتفي بالله واخذ له البيعة قبل موته بثلاثة ايام فلمّا توفي المعتضد رحمه الله تعالى كان المكتفي غايبًا بالرقّة فنهض باعباء البيعة له الوزير ابو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقّة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله

على هذه الهيئة بل غُيّرت بعد قليل الى وضع آخر احسن منه بعد المعتضد المذكور، قال محمد بن اسحاق الفاكهى فى تاريخ مكة ان ابا الحسن محمّد بن نافع الخزاعى ذكر فى تعليق له ان قاضى مكة محمّد ابن موسى القاضى لمّا كان اليه امر البلد جدّد بناء زيادة دار الندوة وغيّر الطاقات التى كانت فتحت فى جدار المسجد الكبير وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كلّ من فى زيادة دار الندوة من مصلّ ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل اساطينها حجرًا مدوّرا منحوتا وركّب عليها سقوفًا من الخشب الساج منقوشا مزخرفًا وعقودًا مبنيّة بالآجر والجصّ ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولًا احسن من الاول وجدّد شرفتها وبيّضها وانه عمل ذلك فى سنة ستّ وثلثماية انتهى، ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة الكبرى مأثرة عظيمة، ومَنْقَبة كريمة، اتى بها المعتضد بالله، وأثرا باقيًا له على صفحات هذا الدهر ما فاز بها سواه، وفعل الخير لا يزال يُذْكَر، وصاحبُهُ يُمْدَح بألسنة الخلق ويُشْكَر، وقد بلى عظامه تحت التراب الأعْفَر، فما مات من يُذْكَر بالجميل بعد ان يُقْبَر، وما عاش من عاش بالسّوْء حين يُذْكَر،

فما عاش من عاش مذموماً خصايله ولم يَمُتْ من يَكُنْ بالخير مذكورا،

واستمرّت تلك الاساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها السقف الساج المزخرف المنقوش مشيدة باقية الى ان ادركناها فى عصرنا، ثمّ بدّلت بالاساطين المنحوتة من الرخام الابيض المرمر بما بينها لتقويتها اساطين منحوتة من الشميسى الأصْفَر، بعقود محكمة أزيَن من عقود الجوهر، وجعل عوض السقف الذى يَبْلَى خشبهُ كلّ حين، قُبَبًا مرفوعة

الله بن يوسف وكان مقدّمًا على حوائج الخلافة ومصالح طريق الحجّ
وعمارتها وارسل بباقي المال سفاتج سلّمها الى ولده المذكور ليتسلّمها ممّن
كتب اسمه من تلك السفاتج بمكّة وعيّن معه لهذه الخدمة رجلاً يقال
له ابو الهيّاج عميرة بن حيّان الاسدي له امانة وحسن رأي ونيّة
جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة المشرفة في موسم حجّ سنة ٢٨١
فحلّى بالذهب الخالص باب الكعبة الشريفة وحجّ وتخلّف بعد الحجّ بمكة
ابو الهيّاج المذكور ومن معه من العُمّال والاعوان وعاد عبد الله بن
القاضي يوسف مع الحجّاج الى بغداد ليُرسل اليه ما يحتاج اليه من
بغداد لتكميل ما امر به من العمارة المذكورة فشرع ابو الهياج في حفر
الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرًا جيّدًا حتى ظهر من درج
المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنتا عشرة درجة وانما كان الظاهر
منها خمس درجات فحفرت الارض ورُمي بترابها خارج مكة ونُظفت
دار الندوة من القمائم والاتربة وهُدمت وحُفر اساسها وبُنيت وجُعلت
مسجدًا ثم أُدخلت فيها ابواب المسجد التي كانت شارعة قبل هذا
البناء ثم فتح لها من جدار المسجد الكبير ستّة ابواب كبار سعة كلّ
باب خمسة اذرع وارتفاع كلّ باب من الارض الى جهة السماء احد عشر
ذراعًا وجعل بين الابواب الكبار ستّة ابواب صغار ارتفاع كلّ باب ثمانية
اذرع وسعة كلّ باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابين بطاقين
شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وبابه بطاق واحد في جانبها
الغربي واقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة ورُكّبت سقوفها
على اساطينها وسُوّيت سقوفها بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ
من عمارتها في ثلاث سنين ولعلّ اكمالها في سنة ٢٨٤ الّا انها لم استمرّت

الحجّ تبرّكا بذلك المكان الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت
الفضّة فيجدّد تمويهها كلّ سنة والمناسب اعادة تلك ذهبًا صِرْفًا كما كان ،
وان رخام الحِجْر بسكون الجيم قد تكسّر ويحتاج الى التجديد وان بلاط
المَطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تامًّا ويحتاج الى ان يتمّ من جوانبها
كلّها وان ذلك من اعظم القُرُبات واكرم المثوبات ، وقد رُفع ذلك الى
الديوان العزيز للمبادرة الى امتثال ذلك والامر راجع الى آرآء الخلافة
الشريفة والسلام ،

فلمّا اشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير
عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من اهل الخير له قدم
راسخ في قصد الجميل وفعل الحسنات ، ونيّة جميلة في احراز الاجر
والمثوبات ، بادر الى عرض ذلك على اسماع الخليفة المعتضد وحسّن له
اغتنام هذه الفُرصة والمبادرة اليها وبذل المقدور فيها فبرز امر المعتضد
اليه والى غلامه المومر بالحضرة بعمل ما رُفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة
والحِجْر والمَطاف والمسجد الحرام وان تُهْدَم دار الندوة وتُجْعَل مسجدًا
يلتحق بالمسجد الحرام ويُوصَل به وان يحفر الوادى والمسيل والمَسْعَى
وما حول المسجد الحرام ويُعَمَّق حفرها الى ان يعود الى حالة الاوّل
ويجرى ماء السيل فيه ولا يدخل شئ منه الى المسجد الحرام فيصان
المسجد بذلك من دخول السيول اليه وان يُحْكَم ذلك غاية الاحكام
ويُعْمَر عمارة محكمة على وجه الاتقان والاستحكام وامر ان يُحْمَل من
خزانته مالاً عظيمًا لهذا العمل وامر قاضى بغداد يومئذ وهو القاضى
يوسف بن يعقوب ان يرتّب ذلك ويجهّز لعمله من يعتمد عليه وامر
بحمل المال اليه فجهّز بنفسه نقدًا في ايام الحجّ مع ولده ابى بكر عبد

سليمان بن وهب تتضمّن ان دار الندوة قد عظم خرابها وتهدّمت وكثيرًا ما تُلْقى فيها القمايم حتى صارت ضررًا على المسجد الحرام وجيرانه وانّا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمايم الى المسجد الحرام وانها لو اخرج ما فيها من القمايم وتهدّمت وبُنِيَتْ مسجدًا يوصل بالمسجد الحرام او جُعلت رحبة يصلّى الناس فيها ويتّسع الحجّاج بها لكانت مكرمة لم تتهيّأُ لاحد من الخلفاء بعد المهدى والهادى ومَنْقَبة باقية وشرفًا واجرًا باقيًا على طول الزمان وان بالمسجد خرابًا كثيرًا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادى مكة قد انكبس بالاتربة فعلَت الارض كما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليمانى ايضاً الى المسجد الحرام ولا بُدّ من قطع تلك الاراضى وتمهيدها وتنزيلهـا الى حدّ تمرّ فيه السيول منحدرة عن الدخول الى المسجد الحرام ٭ ووفد ايضًا الى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعّث وان الرخام المفروش فى ارضها قد تكسّر وان عُضَادَتَيْ باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة سنة ٢٥١ بخروج بعض العلويّين فقلع عامل مكة يومئذ ما على باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب العلوىّ الذى خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتَيْن بالديباج ٭ ووقعت بعد هذا ايضاً فتنة بمكة فى سنة ٢١٨ فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الرُّبع من الذهب الذى كان مصفحًا على باب الكعبة ومن اسفله وما على انف الباب الشريف من الذهب فضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضّة مموّهة على الباب الشريف وعلى انف الباب المنيف فاذا تمسّح الحجّاج به ايام

بالاتّفاق على راى يجمعون على كونه صَوابًا فياتون به بعد ذلك وكانت الندوة ممّا تتفاخر به قريش فى الجاهلية وكان قد اجتمع فى قُصَىّ بن كلاب الرفادة والسقاية والسدانة واللوآء والندوة ففرّقها فى اولاده ولمّا ظهر شان النبىّ صلعم وآمن به كثير من قريش ومن الانصار خاف منه كُفّار قريش واجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فى قتله صلعم فظهر لهم ابليس لعنه الله فى صورة الشيخ النَّجْدى واختار لهم من الراى ما اختاره فنجّاه الله تعالى من كيد المشركين واذن له فى الهجرة كما هو مشهور مذكور فى كُتُب السيرة وذكره الله تعالى فى كتابه العزيز حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خيرُ الماكرين ، وليست الزيادة هى عين دار الندوة بل محلّها فى تلك الاماكن لاعلى التعيين من خلف مقام الحنفىّ الآن الى آخر هذه الزيادة ، وكانت دار الندوة بعد ظهور الاسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارًا واسعةً تنزل بها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخرجون منها الى المسجد الحرام للطواف والصلوة وكان لها فناء واسع صار سُباطة تُرْمَى فيه القمايم فاذا حصلت الامطار القويّة سار من الجبال طلة فى يسار الكعبة مثل جَبَل قُعَيْقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت أَوْساخه وقمايمه الى دار الندوة والى المسجد الحرام واحتيج الى تنظيف تلك الاوساخ والقمايم من المسجد الشريف كلّما سالت سيول هذا الجانب الشمالى وصار ضَرَرًا على المسجد الحرام ، فكتب قاضى مكة يومئذ من قبل المعتضد العبّاسى القاضى محمّد بن عبد الله المقدمى وامير مكة يومئذ من قبله ايضًا عجّ بن حاجّ مولى المعتضد المذكور مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن

يا حبيبًا لم يَكُنْ يَعْـــدِلُهُ عندى حبيبُ
انت عن عينى بعيـد ومن القلب قـريـبُ
ليس لى بعدك من شى ء من اللَّهوِ نصـيـبُ
لك من قلبى عـلى قـلـبـى وان غبت رقيبُ
لو ترانى كيف حـالى فرط عَوْلٍ ونحيـبُ
وفُؤادى حَـشْـوه من حرق القلب لهيبُ
لـتـيـقـنـت بانّى فيك محزون كَئيبُ

وقال لما احتضر

تمتَّعْ من الدنيا فانك لا تبقى وخُذْ صَفْوَها لمّا صَفَتْ ودع الرَّنْقا
ولا تأمنَنَّ الدهرَ انى امنـتـه فلم يبقِ لى حالا ولم يَرْعَ لى حَقّا
قتلت صناديد الرجال فلم أَدَعْ عدوًّا ولم امهِلْ على حَسَدٍ خَلْقَا
وأَخْلَيتُ دور الملك عن كلّ نازلٍ وفرّقتهم غربًا ومـزّقـتـهم شَـرْقا
فلمّا بلغت النجم عزًّا ورفعةً ودانت رقاب الخلق اجمـع لى رقّا
رمانى الرَّدَا سَهْمًا فأَخْمَدَ جَمرتى فهاانا اذا فى حُفرتى عاجلاً مُلْقَـى
وافسدت دُنْياى ودينى سفاهةً فمن ذا الذى منّى بمَصْرَعه اشقى
فيا ليت شعرى بعد موتى ما ارى الى رحمة الله ام ناره أُلْقـى ٭

وممّـا وقع فى ايام المعتضد من عمارة المسجد الحرام زيادة دار النَّدْوَة وادخالهـا فى المسجد الشريف من الجانب الشامى وهى اوّل الزيادتَيْن وهى صَحْن مربّع باربعة أَرْوِقَة من جوانبه الاربعة أُضيف الى المسـجـد الحرام فى وسط الجانب الشامى ملصقة الى رواق الجانب المذكور وهذا المحلّ يسمّى دار الندوة وهى كانت فى زمن الجاهلية دارًا تجتمع صناديـد قريش فيها عند نزول حادث بهم للاستشارة فى دفع ذلك الحادث عنهم

بسبب ذلك وبعض الظلم باقٍ الآن يسّر الله تعالى ازالته على يد
سلطان عصرنا وفقه اللهُ لاحياء المكارم، واسدآه المراحم، واعانه على
ابطال المظالم ؞ ولمّا امر المعتضد بابطال ديوان المواريث فى ساير مملكته
فرح الناس بذلك واحبّوه ودعوا له بدوام دولته وصار ما بذلك صيتٌ
عظيم، واجرٌ جميل عند الله الكريم، ولعلّه هو الذى نفعه فى آخرته
وادخله الله جنّات النعيم ؞ وكان من قُضاته الامام العالم العلّامة
القاضى ابو خازم بالخاء المعجمة والزآء المهملة وهو من اكابر العلماء اهل
الدين والتقوى وكان من بعض تصلُّباته فى الدين ان شخصا انكسر
عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضى المذكور فامر
بتوزيع ماله على غرماءه بالمحاصّة وكان قد انكسر على ذلك المَدْيُون
مال للخليفة المعتضد ايضًا فارسل المعتضد الى القاضى ابى خازم يقول
له اشركْنى مع غرمآء هذا المديون بالمحاصّة فان لى ايضًا مالاً فى ذمّته
فآجعلنى كأحد غرماءه فقال ابو خازم انى لا احكم لمُدَّعٍ بدون بيّنة
عادلة فارسلْ وكيلاً وبيّنة ارضاها لتكون بإسْوَة غرماء هذا المديون
فاحكُمُ لك بعد سماع الدَّعْوَى والبيّنة والتزكية سِرًّا وجَهْرًا ؞ فامر
المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى وكانوا من اكابر امرآءه واماثلهم
فما حضر احد منهم الى القاضى خوفًا من ردّ شهادتهم ولم يحكم القاضى
للمعتضد ان يكون بإسْوة غرماء ذلك المديون فاعجب المعتضد ديانة
القاضى وثباته على الحقّ وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه ؞ وما
احوجَ زماننا هذا الى قاضٍ مثل هذا خصوصًا فى اطراف البلاد، يقول
الحقّ ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد ؞ وكان المعتضد ينظم شعرًا
حسنًا ومن نظمه ما رثى به جاريته دريرة

يا طالبًا للمُلك كُنْ مثله تستوجب الملكَ والاّ فَلا ،

ولكن مع سَطْوَته وباسه يتوخّى المعدلة ويُبْرز اموراً فى صورة الجبروت والعسف وهو فى الباطن محقٌ فيما يفعله وهذا هو الراى السديد للحاكم الرشيد لجمعه ما بين سياسة الدنيا وملاحظة ما هو الحقّ عند الله تعالى ، وقد نقل الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمّدون قال خرج المعتضد للصَّيْد يوماً ولنا معه فمرّ بقثأة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسال عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فاخربوها فامر عبيده باحضارهم فضرب اعناقهم ومضى وهو يحادثنى فقال اصدقنى يا عبد الله ما الذى ينكره الناس علىّ من احوالى فقلتُ له تسفكُ الدماء كثيرًا فقال لى ما سفكت دمًا حرامًا قطُّ فقلت له باىّ ذنب قتلت احمد بن الطيّب فقال انه دعانى الى الالحاد فظهر لى الحاده فقتلُته لنُصرة الدين قلتُ فالثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بِمَ استحللتَ دماءهم ولأىّ شىء قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانّما استحضرتُ ثلاثة من قُطّاع الطريق وأَوْهَمْتُ الناس انهم هم الذين نزلوا المقثاة فامرت بضرب اعناقهم ، ثم احضر صاحب الشرطة فامره باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة فاحضرهم باذنفسهم وشاهدتهم ثم امر باعادتهم الى الحبس ، وهكذا ينبغى تدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند وارهابهم ، ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوى الارحام وكانوا يحرمونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الاموال بالظلم ولا يتّصل الوارث بجميع حقّه من الارث بل يُؤخَذ كثير من عين حقّه بانواع من التعلّلات وكان يَحْصُل على الرعيّة ظلم كثير

بالغِيَر والعِبَر، وانها لا تبقى ولا تَذَر، فما حال عليه الحَوْل، حتى استلب ذلك الطول والحَوْل، ولم يكن له بعد خذلان الناصر، من قوة ولا ناصر، ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر، ولم يسبق للمعتمد عماد ولا اعتماد على الدهر الخَؤُون الغادر، فانتقل من سرير الملك، الى خطير الهُلك، ومضى كأنّه لم يكن شيئًا مذكورا، وكان امر الله قدرًا مقدورا، وكانت وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ رحمه الله

وولي الخلافة بعده في تاريخه ابن اخيه **ابو العباس احمد المعتضد** بالله ابن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العبّاسي مولده سنة ٢٤٣ وبويع له بالخلافة بعد عمّه المعتمد في تاريخ وفاته المذكور آنفًا وأُمّه أمّ ولد اسمها صَواب وكان ملكًا مهيبًا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعًا يقْدَم على الاسد وَحْده شديد السياسة قليل الرحمة اذا غضب على احد القاه في حُفرة وطمّ عليه التراب وكان اسقط المُكوس في ايامه ورفع الظلم عن الرعيّة وجدّد ملك بني العبّاس بعد ما وَهَى ووَهَن، واظهر عزّة الملك بعد ما تذلّل وامتهن، وكان يُسَمّى السفّاح الثاني حيث جدّد كلّ منهما ملك بني العبّاس وفي ذلك يقول ابن الرُّومي

هنيئًا بني العبّاس انّ امامكم امام الهُدى والبأس والجود أحْمَدُ
كما بابي العباس انشئ ملككم كذا بابي العباس ايضًا يجدَّدُ
امامٌ يظلّ الأمْس يَشْكو فِراقه تأسّف ملهوف ويشتاقه غَدُ

وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتزّ ايضًا

اما ترى مُلْك بني هاشم عاد عزيزًا بعد ما ذُلّلا

ما كانت خرابا بينما اكثرها مأوى البوم والصدا، ولا تغرق اهلها ورعيتها من جور ولاتها بددا، عمرها الله تعالى بمعدلة سلطاننا الاعظم، وخليفة عصرنا الاكرم الافخم، الذى عمر بمعدلته البلاد، سلطان السلاطين السلطان مراد، الهمه الله تعالى العدل والرفق بالعباد، ومحق بسيفه الصارم اهل الظلم والفساد، واطال عمره ودولته حتى تلحق الاحفاد بالاجداد، فكاتب المعتمد على الله احمد بن طولون، وامره ان يقاتل اخاه الموفق ليخف امره بذلك عليه ويهون، وجرت بينهما من ذلك شؤون، واشتغل الموفق بذلك عن اخيه، وصار يواليه تارة ويداريه، ويباعده تارة ويدانيه، ومضى على ذلك ايام، وانقضى عليه اعوام، الى ان مالت قناة حياة الموفق كل الميل، ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل، ووهى جسده ووهنت قواه، ولا صانه حصانه ولا وقاه،

وخانه يده عن حمله قلما من بعد حطم القنا فى لبة الاسد،

فلما اشتد جباله، وتحقق عند غلمانه ماله، بادروا الى الحبس وكسروه، واخرجوا منه ولده المعتضد وآووه ونصروه، وجاءوا به الى والده الموفق، فلما راه ايقن بالموت وتحقق، وقال له يا ولدى لهذا اليوم خبأتك وفوض اليه واوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة ايام فعطف الموت على الموفق عطف النسق، فركب طبقا عن طبق الى اطباق الثرى بالعنق، ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والتحق، وكانت وفاته رحمه الله فى سنة ٢٧٨ وشمت فى موته اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق، وما علم انه عن قليل باخيه ملتحق، وحسب انه صفا له زمانه ودهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر، وان الدهر ما صفى لاحد من البشر، وان صروف الدهر تاتى

من العمائر والبنيان، ودار عليهما الدَّوَران، ولا يبقى الاثر ايضًا بعد زمان، الدهر يفجع بعد العَيْن بالاثر فما البُكاء على الاشباح والصُّوَرِ،
وقد نقلتُ صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام ابى عبد الله محمد ابن اسحاق الفاكهى رحمه الله تعالى، وكان للموفّق بالله ولد نجيب هو احمد ابو العبّاس جعله الموفّق ولىَّ عهده واستعان به فى حروبه واحواله وظهرت به نجابة وقوّة فخشى الموفق منه على نفسه وعلى اخيه المعتمد لما راى من شجاعته وبَسالته فأَوْدَعه بطن الحبس ووكّل به من يَثِق به فى امره واستمرّ محبوسًا الى الزمان الذى قدره الله تعالى له، ثم وقعت الوحشة بين الخليفة المعتمد على الله واخيه الموفق بالله المذكور وتباغضت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرياسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك، والغيرة على الملك والسلطنة اسرع شىء يُوغِر صدور الاملاك، والانفراد والاستقلال ممّا يتهافى عليه ابناء الدنيا من اصحاب الاملاك،

ما هى الّا جيفة مستحيلة عليها كلابٌ همّهنّ اجتذابُها
فان تجتنبها كنتَ سِلْمًا لاهلها وان تجتذبها نازعَتْك كلابُها،

ولمّا كان المعتمد على الله مع كونه عاجزًا عن اخيه الموفّق كان يحسُدُه ويريد هَضْمه لاستيلائه على المملكة ورضاء الناس عنه واشتغاله بالفحص عن احوال الرعيّة عن الملاهى والملاذ فاستعان المعتمد على الله فى هَضْم جانب اخيه بصاحب مصر يومئذ احمد بن طُولُون وكان ملكًا شجاعًا فاتكًا صاحب جيوش وجنود كثير الاموال والخزاين مستقلًّا بمملكة مصر ياخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة المحصول لرِفْقه برعيّته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجَوْره عليهم فكان يَحْصُل منها اموالاً كثيرة جدًّا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج على زهرتها ونضارتها بعد

دار زُبَيدَة بنت ابى جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سقف المسجد الحرام فانكسرت اخشابه وانهدمت اسطوانتان من اساطين المسجد الحرام ومات تحت ذلك عشرة انفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هارون بن محمد بن اسحاق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى ٥ فلمّا رُفع امرُ هذا الهدم الى بغداد امر ابو احمد الموفق بالله عامله على مكة هارون المذكور بعمارة ما تهدّم من المسجد الشريف وجهّز اليه مالاً بسبب ذلك فشرع فى عمارته وجدّد له سقفاً من خشب الساج ونقشه بالألوان المزخرفة واقام الاسطوانتين الساقطتين بنى عقودها وركب السقف ونصب فى ايام عمارته سُرادقاً بين العمّال والبنّائين وبين الناس ليَسْتُرَهُمْ من اعين من بالمسجد الى ان اكمل ذلك ولله الحمد فى سنة ٢٧٢ وركب من الحَجَر لَوْحَيْن فى جدار المسجد الشريف فى ذلك الجانب نقش على احدهما بالنقر فى لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر ابو احمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولىّ عهد المسلمين اطال الله بقاءه بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزُّلْفى اليه وتمّ ذلك على يد عامله على مكة ومخاليفها هارون بن محمد بن اسحاق بن موسى فى سنة ٢٧٢ وعلى اللوح الثانى نقر كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم امر الناصر لدين الله ولىّ عهد المسلمين ابو احمد الموفق بالله اخو امير المومنين اطال الله بقاءهما القاضى يوسف ابن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما فى ذلك من رجاء ثواب الله تعالى اجزل الله ثوابه واجره وتمّ ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبّار فى سنة ٢٧٢ والحجران المذكوران لا وجود لهما الآن بل محاهما الدهر والازمان وعفى اثرهما القديم الجديدان كما عفى اثر غيرهما

الكافر مُدُنًا كثيرة اخذها من المسلمين واستأصل اهلها وجعلها دار مملكته كواسط ورامهرمز وما والاها، فانتدب لقتاله الموفّق بالله وجمع الجموع والعساكر ممّن حنكته وقايع الحروب، ووسّمته قوارع الخطوب، فاتّخذهم جنانًا ويدًا، ورضى بهم ساعدًا وعضدًا، وتعصّب لعمود الاسلام، واعدّ السيوف والرماح والسهام، فركض بجحفله الى الاعدآء الكفرة اللئام، الى ان التقت الفئتان على حومة الحرب، وتساقيا كوس الطعن والضرب، فجفلت السودان من لمعان الصارم الابيض، وولّوا الادبار للفرار كما يفرّ الليل الاسود من النهار المبيّض، وانهزموا ما بين مقتول ومأسور، ومجروح ومكسور وغير مجهور، الى ان قُتل كبيرهم بهبول، ووجوه عسكره المخذول، ونصر الله تعالى ملّة الاسلام، ومحى الله تعالى بنوره ذلك الظلام، واستردّت المُدُن التى اخذها بالكفر والعناد، كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد، واطمأنّت المسلمون وكافّة العباد، ولقّبوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان، ودخل الى بغداد فى عظمة وعلوّ شان، وراس ذلك الكافر على رمح وروس كبار عسكره على الارماح، ودعى له المسلمون وقصده الشعرآء بالقصايد والامداح، فاحبّه الناس وبعد صيته وكثر فى بابه المدّاح، واستفحل امره ولاحت له السعادة والفلاح، واستمرّ اخوه المعتمد على حالة منهمكًا فى لهوه ولذّاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقّاها الموفّق بصدر منشرح وسدّ غاية السداد،

وفى ايّامه فى سنة ٢٧١ وقع وهىٌ فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم وكان فى نفس الجدار الغربى من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخيّاطين وكان بقربه دار تسمّى

الرشيد العبّاسى ولقّبوه المعتمد على الله وبايعوه على الخلافة فى رجب سنة ٢٥٦ ومولده سنة ٢٢٩ وأُمّه أُمّ ولد رومية اسمها فتيان وكان له انهماك على اللّهو واللّذّات فقدم اخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقّبه الموفّق بالله وجعله ولىّ عهده وولّاه الحجاز والمشرق واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند، وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقّبه المفوّض الى الله وولّاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما لوآءين ابيض واسود وعقد لهما البيعة وشرط على اخيه الموفق انه ان حدث له الموت وولده صغيرٌ كان الموفّق ولىّ عهده وان كان حينئذ ولده كبيرًا كان ولده ولىّ عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كلّ منهما خطّه عليها وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وارسلها الى مكّة لتعلّق فى الكعبة فعُلّقت فيها وما افاد مع هذه التدابير حذر عن قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى، وكان الموفق عاقلاً مدبرًا شجاعًا مشتغلاً بامور المملكة ملتفتاً لاحوال الرعيّة وكان أخوه المعتمد مكبًّا على لَهْوه ولَذّاته مهمّلاً لاحوال الرعية غير ملتفت لامور المملكة فكرهه الناس واحبّوا اخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات كثيرة وكان مَيْمُون النقيبة مظفّرًا فى الحروب، وكان ظهر فى ايّام المعتمد على الله طايفة الزنج وتغلّبوا على المسلمين وكان لهم راس اسمه بُهْبُول يدّعى انه ارسله الله تعالى الى الخلق وادّعى علم المغيّبات وفتك فى المسلمين بحيث نكر الصولى انه قتل الف الف وخمسماية الف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهنّ باخس الاثمان وكان ينادى على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند الزنجىّ عشر نساء شرايف يَطَوُهنّ ويمتهنهنّ فى الخدمة الشاقة وكان ذلك من اعظم المصايب فى الاسلام وتملّك هذا

الباب الخامس

في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد تربيعه الذي امر به المهدي بن المنصور العبّاسي وشرع فيه فادركته الوفاة قبل اتمامه واتمّ في ولاية الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدّم

ووقع ترميم فى الجانب الغربى من المسجد الحرام قبل الزيادتين فى ايام المعتمد على الله العبّاسى ثم بُنيت الزيادة الكبرى من الجانب الشمالى من المسجد الحرام فى ايام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى فى الجانب الغربى من المسجد الحرام فى ايام المقتدر بالله فنذكر تراجم هذه الخلفاء ولنذكر ما احدثوه فى المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكر فى ضمن ذلك من الفوايد الاستطرادية ترويحاً للنفس وتسبيباً لحصول الفوايد والانس وتوقيفاً على احوال الدهر وتعريفاً بما يحدُث من الحوادث فى كلّ عصر لئلّا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله فى غدر هذه العجوز العمّيا وهذه الفوايد فى الحقيقة نتايجُ علم الاخبار ليعتبر المعتبر حال نفسه بحال غيره فى هذه الدار، فان من قواعد الحكمة ان افعال الفاعل الواحد متشابهة الآثار، والله تعالى هو الفاعل المختار، والعبد العاجز غير مختار، وربّك يفعل ما يشاء ويختار، وان الدار الاخرة لهى دار القرار،

وقد وجدت محلّ القول ذا سعة فان وجدتَ لساناً قايلاً فقُلِ

لمّا قتل متغلّبة العبيد الاتراك الخليفة المهتدى بالله صَبْراً عمدوا الى الحبس فاخرجوا منه ابن عمّه ابا جعفر احمد بن المتوكّل على الله بن

خليفة وكان بديع الحسن مليح الصورة وليس فى الخلفاء اجمل حُسْناً منه وكان مستضعفاً مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستولياً على المعتز خليفاً منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا انفق عليهم ارزاقهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه فيصفوا له الملك ولم يكن فى خزاينه مال يصرفه عليهم فطلب من أُمّه وكانت تركيّة اسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فأَبَتْ عليه وشحّتْ بالمال وسخت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتّفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بُغا واتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتزّ وجرّوا برجله واوقفوه فى الشمس وعذّبوه حتى خلع نفسه وادخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشاً رحمه الله تعالى ۞ واحضروا ابا عبد الله محمد بن الواثق ولقّبوه المهتدى بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥ وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف قبيحة أُمّ المعتزّ وعذّبها حتى اخذ منها الف الف دينار ذهباً جديداً ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرّد وسُدس اردب ياقوت احمر ثم أُخْرِجَتْ الى مكة واقامت بها الى ان ماتت واقلّ الناس الترحّمَ عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحّتْ به على ولدها ۞ وكان المهْتَدى كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهى ومنع الظلمة من المظالم فاتّفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه بالسيف وعصروه على بطنه الى ان مات رحمه الله فى رجب سنة ٢٥٦ وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوماً ۞ ثم ولى الخلافة بعده ابن عمّه ابو جعفر احمد وتلقّب المعتمد على الله وستأْتى ترجمته قريباً ان شاء الله تعالى ۞

فيأخذ بثار ابيه فاختاروا من اولاد المعتصم المستعين بالله ومولده سنة ٢٢١ وأمه أمّ ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة إلا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستوليين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركي وبغى التركي حتى قيل في ذلك

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

واستمرّ كذلك وهو يترصّد لهما الى ان ظفر بوصيف التركي فقتله ونفى باغر التركي الذي كان سطى في المتوكل وفتك به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرّا الى بغداد فارسلوا اليه يعتذرون منه ويسالونه في العود الى سامرّا وهو محلّ الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلاً ديّناً اخبارياً مطّلعًا على التواريخ متجمّلاً في ملبسه وهو اول من احدث الأكمام العراض فجعل عرض الكمّ ثلاثة اشبار وهو الآن من شعار ساداتنا اشراف مكة بنى حسن اعزّهم الله تعالى ولمّا أبى المستعين من العود الى الاتراك في سامرّا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمّدًا ابا عبد الله بن المتوكل على الله ولقّبوه المعتزّ بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عامًا ولم يل الخلافة اصغر سنًّا منه وخلعوا المستعين بالله في اول سنة ٢٥١ وجيّشوا الى بغداد جيشًا كثيفًا على المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال شهرًا وكثر القتل وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى امر المستعين بالله الى ان خلع نفسه واشهد القضاة والعدول على نفسه بالملك فاخذوه وانحدروا به الى واسط وحبسوه بها تسعة اشهر ثم ندب له سعيد الحاجب فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة ٢٥٢ وله احدى وثلاثون سنة واستمرّ المعتزّ بالله

نقش فرأى فيه صورة راس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من
يستخرج تلك الكتابة فاحضر لذلك رجل من الاعاجم فقرأه بلسانه
وعبس عند قراءته فسأله المنتصر عنها فقال لا معنى لها قائح عليه فقال
ع انا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت ابى فلم اتمتّع بالملك
بعده الا ستّة اشهر وهى مشهورة فتغيّر وجه المنتصر لذلك وقام من ذلك
المجلس وترك اللهو الذى اراده وصار مغتمّا لذلك مهتمّا به ء وكان على
خلاف رأى ابيه فى آل ابى طالب واعاد قبر الحسين بن على رضه بعد ما
كان هدمه ابوه وامر بزيارته وردّ على آل الحسين حايط فدك وقصّته
مشهورة وهى ممّا تنقمه الشيعة على سيّدنا ابى بكر الصدّيق رضه وانما
فعل ذلك لحديث سمعه من النبىّ صلعم حيث قال نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه صدقة ء ووافقه على ذلك اصحاب رسول الله صلعم
ورضى به سيّدنا علىّ رضه ولم ينقض ذلك الحكم لمّا آلت الخلافة اليه
لعلمه ان ذلك هو الحقّ وما ذا بعد الحقّ الا الضلال ء وكانت خلافة
المنتصر ستّة اشهر كما توهّمه ء قال ابو منصور الثعالبى فى ذيل العجايب
ان اعرق الاكاسرة فى الملك شيرويه قتل اباه فلم يعش بعده الا ستّة
اشهر واعرق خلفاء بنى العبّاس المنتصر قتل اباه فلم يعش بعده الا
ستّة اشهر انتهى ء قلت وكلّ منهما مات مسموماً وكانت وفاة المنتصر
بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الاول سنة ٢٤٨
وكان عمره ستّا وعشرين سنة سامحه الله تعالى ✿

ثم ولى بعده ابو العباس احمد المستعين بالله بن المعتصم بالله
عمّ المنتصر بالله اخو المتوكّل على الله وانما قدّمه الترك واختاروه وعدلوا
عن اولاد المتوكّل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلى الخلافة احد من اولاده

سيّدكم وابن سيّدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقى الفتح وحده والمتوكّل غايب عن نفسه من السُّكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقدّه الى خَصْره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ضربة ثانية فماتا جميعًا فلفّهما معـًا فى بساط ومضى هو ومن معه ولم تَنْتَطِح فى ذلك شاتان ، وكان قتله فى ليلة الاربعاء لليلتَيْن مَضَتَا من شوّال سنة ٢٤٧ فى القصر الجعفرى وكان بناه المتوكّل ولمّا قُتل دُفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره الفتح بن خاقان الذى قُتل معه رحمه الله تعالى وكانت خلافته اربع عشرة سنة وعمره احد واربعون عامًا ۞

وولى بعده ولده **محمد ابو جعفر المنتصر بالله** بن المتوكل على الله ابن المعتصم بن الرشيد بويع له بالخلافة بعد قتل ابيه ولم يتهنّ بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه وَاطَأَ الاتراك على قتل ابيه لِيَلى الخلافة بعده والله اعلم بذلك وكان على حَذَر من الاتراك وبَسْبّهم ويقول هولآء قتلة الخلفآء فلم يُؤمّنوه وارادوا قتله فما امكنهم الاقدام على ذلك لشدّة محاذرته منهم فدَسّوا الى طبيبه ابن طَيْفُور ثلاثين الف دينار عند توعُّكه ليسمّه ففصده بمِبْضَع مسموم فاحسّ بذلك واراد قتل الطبيب فقال له انك تصبح طيّبًا وتندم على قتلى فأمْهِلْنى الى الصُّبْح فأمْهَلَه فأَصْبَحَ ميّتـًا ، ويُحْكَى انه بات ليلة فى وَعْكه وانْتَبَهَ فزعًا وهو يبكى فسألَتْه أُمّه ما يبكيك فقال افسدت دينى ودُنْياى رايت ابى الساعة وهو يقول قتلتنى يا محمّد لاجل الخلافة والله لا تتمتّع بها الّا ايّامًا قلايل ثم مصيرك الى النار فاستمرّ مَوْهُومًا من ذلك المنام فما عاش بعد ذلك الا اياما قلايل ، وذكر ابن يحيى المنجّم ان المنتصر جلس يومًا للّهْو وامر بفرش بساط من ذخاير الخزينة تداولَتْه الملوك

ان النجوم ماجت في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد ولم يُعْهَد قبل
قط مثل ذلك ٭ ورُجِمَتْ قرية السُّوَيْدا بناحية مصر بأحجار من السماء
فوُزِنَ حجر منها فكان عشرة ارطال ٭ وسار جبلٌ باليمن عليه مزارع الى
جبل آخر ٭ ووقع في قرية طايرٌ ابيض دون الرخمة فصاح يا معاشر
الناس اتقوا الله تعالى اربعين مرّة وجآء من الغد ففعل كذلك فكتبوا
خبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيه شهادة خمسماية انسان
سمعوا ذلك باذانهم وذلك في رمضان سنة ٢٤١ وحصلت الزلازل وغارت
عيون مكة فارسل المتوكّل الى مكة ماية الف دينار ذهبًا لاجرآء مآء عين
عرفات اليها فصُرِّفت فيها الى ان جرت كذا ذكره الحافظ السيوطى
رحمه الله ٭ وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى
باخبار أُمّ القرى في حوادث سنة ٢٤٥ فيها غارت عين مُشَاش وهي عين
مكة فبلغ ثمن القربة درهمًا فبعث المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم
مالًا فانفق عليها حتى جَرَتْ كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه وهذه
العين من عمل زُبَيْدَة وهي عين بازان ظنًّا انتهى ٭ قلتُ عين مُشاش
موجودة الى الآن وهي من جُمْلة العيون التي تنصبُّ في ذَنْبِل عين حُنَيْن
وهي تجرى وتَضْعف احيانًا بقلّة المطر ومحلّها معروف ٭ ولمّا كثرت المماليك
الاتراك في بغداد وأُدْخلوا في امر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم
الحلّ والعقد والولاية والعزل الى ان حملهم الطُّغْيَانُ على العُدْوان وسَطَوْا
على الخليفة المتوكّل لمّا اراد ان يُصادر مملوك ابيه وَصِيفًا التركيّ لكثرة
امواله وخزاينه فتعصّب له باغر التركيّ وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر
عليه ومعه عشرة اتراك وهو في مجلس أُنسه وعنده وزيره الفتح بن
خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فصاح الفتح وَيْلكم هذا

قال الصولى اجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات فى الرقّة واللُّطف، مات بسرّ من راى يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجّة سنة ٢٣٢ وحُكِيَ انه لمّا مات تُرِكَ وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكّل فجاء جرذون واستلّ عَيْنَيْه واكلهما، فسُبْحان العزيز المتعال، وتبارك القوى القادر ذو الجلال، بيده الملك لا يزول ولا يزال ۞

ثم ولى بعده اخوه ابو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسى، مولده سنة ٢٠٥ وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه اخوه وأمّه أمّ ولد تركيّة اسمها شجاع وكان كريمًا ما اعطى خليفة شاعرًا ما اعطاه المتوكّل وكان سُنّيًّا سَنِيًّا اظهر السُّنّة واكرم علماء الحديث وامات البدع ومنع القول بخلق القران والزم النصارى بلبس الغُلّ وشنّع على الجَهْمية والمعتزلة وامر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضى مصر محمد بن ابى الليث ويطوف به الأسواق على حمار لانه كان جهميًّا معتزليًّا يقول بالجهمة وخلق القران ففُعِلَ به ذلك، ومن افعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن على رضه فى سنة ٢٣٦ وهدم ما حوله من الدور وجُعِلَ مزرعة ومنع من زيارته فتألّم الناس من ذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت اميّة قد اتــت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد اتاه بنو ابيــه بمثــله ... هذا لعمرى قبره مهــدوما

اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبّعوه رميــمــا،

وهذا الفعل الشنيع محى جميع محاسنه، وصار ما عَذُبَ من زُلال احسانه مغلوبًا بأُجاجه وآسنه، وعُدّت عليه هذه الزلّة افضح فضيحة، وهذه الخلّة الشنيعة اقبح من كلّ قبيحة، ووقعت فى ايّامه عجايب منها

بالله فى تاسع عشر ربيع الاول سنة ٢٣٢ ومولده لعشر بقين من شعبان سنة ١٩٩ وأُمُّه أُمّ ولد روميّة اسمها قراطيس واستخلف تركيًّا اسمه اشناس ولقّبه بالسلطان وهو اول خليفة استخلف سلطانًا والبَسَهُ وُشَاحَيْن مجوهَرَيْن وتاجًا مجوهرًا وتبع اباه فى الامر بالقول بخلق القران ثمّ رجع عن ذلك فى آخر عُمره، قال الخطيب كان احمد بن ابى دُؤاد قد استولى على الواثق وحمله على التشدّد بالقول بخلق القران فحُمِلَ اليه رجل فيمن حُمِلَ فى هذه المِحْنَة وابن ابى دواد حاضر فقال له الرجل وهو مكبّل بالحديد اخبرونى عن هذا الراى الذى دعوتم اليه الناس هل هو شىء عَلِمَهُ رسول الله صلعم ولم يَدْعُ اليه الناس ام هو شىء لا يَعْلمه فقال ابن ابى دواد بل هو شىء علمه فقال الرجل فكان يَسَعُه ان لا يَدْعُو الناس اليه وانتم لا يَسَعُكم، فبَهَتُوا وضحك الواثق وقام قابضًا على فمه المنديل ودخل بيته ومدّ رجلَيْه وهو يقول هو شىء علمه رسول الله صلعم ووَسِعَهُ أن يَسْكُتَ عنه ونحن لا يَسَعُنا، وأَمَرَ ان يُعْطَى الرجل ثلاثماية دينار وان يُرَدَّ الى بلده ولم يمتحن بعدها احدًا ومَقَتَ من يومئذ احمد بن ابى دواد ولم يرتفع له شان، والرجل هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدى شيخ النَّسَاءىّ، وكان الواثق عالمًا شاعرًا حاذقًا كثير الاكل اكثر بنى العبّاس رواية للشعر ومن شعره فى واقعة حال

حَيَّاك بالنرجس والوَرْد ... معتدل القامة والقَدّ

فالهبت عيناه نار الجَوى ... وزاد فى اللَّوْعَة والوجد

أَمَّلْتُ بالملك وصالاً به ... فصار مُلكى سبب البُعْد

مولًى تشكّى الظلم من عبده ... فانصفوا المولى من العَبْد،

ومجانيه، وحُظ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه، وكان المعتصم من اغلظ الخلفاء الذين الزموا الناس القول بخلق القران، وجَبَرَ علماء الاسلام على ذلك وأَذاقهم الهَوان، وهذه من اعظم خلاله الرديّة، مع انه كان عاميًا لا حظّ له من الكمالات العلميّة، بل حمله على ذلك مجرّد الجهل والعصبيّة، وما كان اغناه هو واخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عُدْوَانًا وبَغْيًا، وما لهم والدخول فى هذه المسالك الضيّقة ضلالاً وغيًّا، وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فما اسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وعزّهم بَدَدًا، ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربُّك احدًا، ولمّا جرّد عليه الاجل سيف المنون، ما عصم المعتصم ظهور الحصن ولا بطون الحصون، ولا منعه عن حُسام الحِمام مال ولا بنون

كلُّ حيّ لاقِى الحِمامِ فمُودِى . ما لحيّ مؤمّل من خُلودِ

لا تَهابُ المنونُ شيئًا ولا تُرْعِى على والدٍ ولا مَوْلُودِ

يَقْدَحُ الدهرُ فى شماريخِ رَضْوَى وتَحُطُّ الصُّخورُ من هَبُودِ

ولَقَدْ تترك الحوادث والايّام وَهْنًا فى الصَّخرة الجُلْمُودِ

وارانا كالزَّرع يَحْصُدنا الدَّهر فمن بين قايم وحَصيدِ

يَحْكُمُ الله ما يشاء ويَمْضِى ليس حُكْمُ الالٰهِ بالمردُودِ

ليس ينجى من المنون حصون عاليات ولا حصار حديد

ومن أَرْجَى دعائه لمّا احتضر اللهمّ انك تعلم انى اخافك من قبلى لا من قبلك وأَرْجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحمْ ملكًا قد زال ملكه، وتوفّى رحمه الله تعالى يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ٢٢٧هـ

فصل وولى الخلافة بعد المعتصم ولده ابو جعفر هارون ولقّب الواثق

فَتْحُ الفتوح المعلّى ان يحيط به
نظمٌ من الشعر او نثرٌ من الخُطَبِ
تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ
لله مرتقبٍ فى الله مُرْتَغِبِ
لم يَرْمِ قوماً ولم ينهض الى بَلَدٍ
الا تَقَدَّمَهُ جيشٌ من الرُّعُبِ
لو لم يقد جَحْفَلاً يوم الوَغى لغدا
من نفسه وَحْدَها فى عسكرٍ لَجِبِ
جداك حَرُّ الثغور المستضامة عن
برد الثغور وعن سلسالها الحَصِبِ
حتى تركت عمودَ الشرك منعفراً
ولم تُعَرِّجْ على الاوتاد والطُّنُبِ
انّ الأُسُود أُسُود الغاب هِمَّتها
يوم الكريهة فى المسلوب لا السَّلَبِ
خليفة الله جازى الله سَعْيَك عن
جُرْثُومة الدين والاسلام والحَسَبِ
ان كان بين صُرُوف الدهر من رحمٍ
موصولةٍ او ذمامٍ غير مُنْقَضِبِ
فبين ايّامك اللاتى نُصِرْتَ بها
وبين ايام بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

انظُرْ الى هذا الدُّرّ المنضود، والجوهر الذى يُزرى بجواهر العُقُود، وتنزّه فى رياض الفاظه ومعانيه، واَجْتَنِ ثمار البلاغة من مقاطف ازهاره

بجوابه فكُتِبَ له الجواب فلم يُرْضِه شىء منها ومزّق الكتاب الذى ورد عليه وامر ان يُكْتَب فى ظهر قطعة منها بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقراه وسيعلمُ الكافر لمن عُقبى الدار، وتجهّز من ساعته فنعه المنجّمون وقالوا ان الطالع نحسٌ فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقته العساكر ووقع حربٌ عظيم قُتل فيه ستّون الفًا من النصارى وأُسر منهم ستّون الفًا وهرب ملكهم وتحصّن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونزل به الى ان فتحه واسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحًا عظيمًا من اعظم فتوح الاسلام، ومدحه الشعرآء بقصايد طنّانة واحسن ما قيل فيها قصيدة ابى تمام التى سارت بها الركبان وطنّت حصَاتها فى الاسماع والاذان وهى

السيفُ اصدقُ انبـاءً من الكُتُـب
فى حدّه الحدُّ بين الجدّ واللّعب
بيض الصفايح لا سُودُ الصحايف فى
مُتُونِهنّ جلآء الشّكّ والرِّيَب
والعلم فى شهب الارماح لامعة
من الخميسين لا فى السّبْعة الشُّهُب
اين الرواية بل اين النجوم وما
صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِب
ولو تبيّن امرٌ قبل موقعه
ما يخف ما حلّ بالاوثان والصُّلُب
فيه تفتّح ابواب السماء له
وبرّت الارض من اثوابها القُشُب

وثامن اولاد الرشيد والثامن من ولد العبّاس واستخلف سنة ٢١٨ وملك ثمانية اعوام وثمانية اشهر وثمانية ايام وعاش ثمانية واربعين سنة وروى الصولى رحمه الله قال كان مع المعتصم غلامٌ في الكُتّاب يتعلّم معه القران نات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيّدى قد استرلح من الكتاب فقال يا ولدى ان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لعلمه أتركه لا تُعَلّمه شيئًا فانتشأ عاميًا يكتب كتابة مغشوشة ويقرا قراة ضعيفة ۔ وقال نِفْطَوَيْه كان المعتصم من اشدّ الناس قُوّةً وبطشًا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها احد قال وهو اوّل من ادخل الاتراك الدواوين وكان يتشبّه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفًا وبعث الى سمرقند وفرغانة اموالاً لشرآء الاتراك والبسهم اطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم اهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تُخْرِج جُنْدَك الاتراك عنّا حاربناك قال وكيف تحاربونني وانتم عاجزون عن حربى قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونَسُلُّ عليك سيوف الدُّعآء فقال والله لا اطيق ذلك ولكن أَنْظِرُونى لأَنْظُرَ لى بلدًا انتقل بهم فيها ولا تتضرّرون بى وكفّوا عنّى سهام دُعائكم ۔ فبَنَى مدينة سرّ من راى بقرب بغداد وانتقل اليها فى سنة ٢٢٠۔ وللمعتصم عدّة غزوات مع الكُفّار من اشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضآء ونصر فيها المِلّة المحمّدية الغرّاء وخذل فيها الكفرة اعدآء الدين، واعزّ فيها الاسلام والسلمين ۔ وملخّصها ان ملك الروم اذذاك من اكبر ملوك النصارى ارسل كتابًا الى المعتصم يتهدّده فاستشاط غضبًا وامر

بالرّضى وضرب الدراهم والدنانير باسمه وزوّجه ابنته وامر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولىّ عهده فى الخلافة فاشتدّ ذلك على بنى العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدى ولقّبوه المبارك فسار المامون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المامون فى صفر سنة ٢٠٤ وتوفى الامام على بن موسى الرضى فى سنة ٢٠٣ وأسف عليه المامون واراد اقامة غيره فذكر الصولى رحمه الله تعالى ان بعض اصحابه قال له انك فى برّك بأولاد على بن ابى طالب كرّم الله وجهه والامر فيك اقدر على برّهم والامر فيهم وكلّمه العبّاسيّون فى اعادة لبس السواد فأبى فكرّروا عليه ذلك الى ان اجابهم الى ذلك واعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذى افتتح قره حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة وكان العلماء ممتحنين فى ايامه بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى اكل سمكة تُدْعَى الرعادة ان لمسها احدٌ اخذَتْه النفاضة من ساعته لشدّة بردها فاكل منها فمات لوقته، وما آمن المامون، من اظفار ريب المنون، ونقل من المُلك الى الهُلك جسمُهُ المَصُون، وواراه التراب، عن الاحباب، وسالت عليه العيون، ورجع الى ربّهٔ الكريم فانا لله وانا اليه راجعون، وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ بارض الروم ودُفن بطَرْسُوس وفيه قال ابن سعيد المخزومى

هل رايت النجوم اغنت عن المأ مون او عزّ ملكه الماسوس

خلّفوه بعرصتى طرسوس مثل ما خلّفوا اباه بطوس ❁

فصل لمّا مات المامون ولى بعده الخلافة **ابو اسحاق محمد المعتصم** ابن هارون الرشيد مولده سنة ١٨٠ وكان يقال له المثمّن لانه ثامن الخلفاء

فتطيّر من ذلك وقال غنّى غير هذا فغنّت

ابكى فراقهم عيـنى فأرّقـهـا　　ان التفرّق للاحباب بـكّـاء

ما زال يعدو عليهم رَيْبُ دهرهم　　حتى تفانوا وريب الدهر عَدّاء

فقال لها لَعَنَكِ الله اما تعرفين غير هذا فقالت

اما وربّ السكون والحرك　　ان المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا　　دارت نجوم السماء فى الفلك

الا لنقل السلطان عن ملك　　قد زال سلطانه الى ملك

وملك ذى العرش دايمٌ ابداً　　ليس بفانٍ ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت بكاس بلّور فكسرتْه فازداد تطيُّره وقال يا ابراهيم ما اظنّ امرى الا قد قرُبَ واذا بصَوْت سمعناه من الشارع قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقام مغتمًّا ونمتُ عنه فأُخِذَ بعد ليلتَيْن وقُتل تجاوز الله تعالى عنه ، وعظم قتل الامين على المامون وكان يريد ان يُرْسل به طاهر بن الحسين اليه حيًّا ليَرَى رأْيَه فيه فحقد بذلك على طاهر حتى عاش طريداً بعيداً وآلَ امره الى ما آل ✿

فصل لمّا تمّ على الامين ما تمّ ، وكان ذلك على امّه زبيدة اشدّ مأْتم ، آل الملك الى عبد الله المامون بعد قتل اخيه فى سنة ١٩٨ وكان من اتمّ رجال بنى العبّاس حزمًا وعزمًا وعلمًا وحلمًا وفراسة وفهمًا وسمع الحديث على جماعة وتأدّبَ وتفقّهَ وبرع فى فنون التاريخ والادب ولمّا كَبُرَ اعتنى بالفلسفة وعلوم الاوّل فضلّ واضلّ وامتحن الناس بالقول بخلق القران ولولا ذلك لكان يُعَدُّ من اكمل الخلفاء وكان يُضْرَبُ المثل بحلمه ، ومن إنْصافه انه راى ان آل النبىّ صلعم احقّ بالخلافة من غيرهم وهمّ بخَلْع نفسه وتفويض الامر الى على بن موسى الكاظم وهو الذى لقّبه

الدُّرَّة الله فى انفها لصايدتها فرفع الامين راسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد تنبّه لذاتك فقال اليك عنّى ودعنى فان الجارية فلانة صادت مُشَنَّقَتَيْن وانا ما صدت شيئًا ثمّ رجع مسرور باهتًا واذا بالجنود قد احاطوا بدار الخلافة ونهبوها وامسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلمّا شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر ابن الحسين يا طاهر اعلم انه ما قام لنا قائم قط فكان جزآؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك او دَع يَلُوح بابى مسلم الخراسانى وبامثاله الذين بذلوا اموالهم فى قيام الدولة فكان مالهم الى القتل، وهذه عادة الله تعالى فى من ذكر من مُقيمى الدول كعمرو بن سعيد اقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وابى مسلم الخراسانى المذكور اقام دولة السفّاح العبّاسى فقتله المنصور وكعبد الله القسايني بدولة العُبَيْدِيّين قتله عبيد الله المهدى وامثال ذلك كثيرة، فأثّرت هذه الكلمات فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى ان كان آخره قتله بيد المامون، ولمّا راى طاهر بن الحسين بعد الاستيلآء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة ادخل عجمًا لا يعرفون اللسان على الامين وامرهم بقتله فقتلوه فأخذ براسه وطيف به فى مدينة بغداد ونُودى عليه هذا راس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرّم سنة ١٩٨، قال محمد بن راشد رحمه الله تعالى اخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لمّا حُوصر قال فطلبنى فى ليلة مقمرة فجيئته فقال ما ترى فى حُسن هذه الليلة وضَوْء هذا القمر فاشربْ معى نبيذًا فقلتُ نعم فسقانى ثم طلب جارية تغنّيه فجآءت جارية اسمها ضعف فتطيّرتُ منها وغنّت بيت النابغة الجَعْدى

كُلَيْبٌ لعمرى كان اكثر ناصرًا   وأَيْسَرَ ذَنْبًا منك ضُرِّجَ بالدَّم

للعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولاخويه فزّقها وعهد الى ولد لا رضيع سمّاه الناطق بالحقّ ودعى له على المنابر ، وممّن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث خازم بن خزيمة فقال له يا امير المومنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشّك من صدقك وانى انصحك واصدقك ولا اكذب فى نصحك لا تجرّى القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثون عهدك وان الغدر شوم والناكث منكوب وصاحب الحقّ مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم ووجهت القلوب اليه ورقّت النفوس له ولذلك تأثير فى الظاهر والباطن ، فأبى الامين قبول ذلك منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمّم على ذلك اشدّ تصميم . وارسل جيشًا مع على بن عيسى على اخيه المامون عدّتهم اربعون الفا وارسل المامون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه اربعة الاف مقاتل فانهزم علىّ بن عيسى وقتل ونُهب وتشتّت عساكره وجاء طاهر ابن الحسين براسه الى المامون وكم من فيّة قليلة غلبت فيّة كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون بذلك وكثر اتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الامين ولا زال امر المامون يحسن بحسن تدبيره واقبال الناس اليه ويضعف امرُ الامين لكثرة لهوه وتقصيره ونفور القلوب عنه الى ان حُصِرَ فى بغداد وتفرّقت عنه جنوده وهربوا منه الى المامون كلّ ذلك والامين فى لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن اهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو فى جنب حوض ماء مع جواريه يصيد معهنّ السمك فى ذلك الحوض وكان وضع فى انف كلّ سمكة درّة نفيسة شبكها بقضيب الذهب . فكلّ من صادت من جواريه سمكة كانت

شانه، مُتَأَسِّفٌ على عُلُوّ مكانه، بيده خزاين الارض ولا يملك منها نقيرًا ولا قطميرًا، ولا يَقْدِرُ على شيء وكان ربّك قديرًا، ولما جرّت المنيّة مُوسى الحمام على هارون، ومزّقت ثياب رُشْد الرشيد مخالب المَنُون، وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان، وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان، وحنّطته بحنوط اعماله، وادرجته في اكفان خصاله وجلاله، ونقلته من سرير السعود، الى خُدُود اللُّحُود، فصى كان لم يكن شيئًا مذكورًا، وكان امرُ الله قدرًا مقدورًا، وقد حكى ان الرشيد كان راى منامًا انه يموت بطُوس فلمّا وصل الى طوس وقد غلب عليه الوَعَك عرف انه ميّت فبكى واختار لنفسه مدفنًا وقال احفروا لى قبرًا في هذا المحلّ فحفروا له فقال قرّبوني الى شفيره فحملوه في قبّة الى ان نظر الى القبر فسالت عَبْرَتُه، وزادت عبرَتُه، وقال يا ابن آدم الى هذا تصير، ولا بُدَّ من هذا المصير، وامر ان ينزل الى لحده من يقرا ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلّى عليه ابنه صالح واُلحِدَ في القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الاخرة سنة ١٩٣ وتقدّم ان مولده بالرّيّ سنة ١٤٥ وكانت مدّة مُلْكه ثلاثًا وعشرين سنة وشهرين ونصف شهر رحمه الله تعالى ۞

فصل لمّا توفّى الرشيد ولى الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة ابيض فصيحًا جميلًا بليغًا سَيِّئ التدبير كثير التبذير ضعيف الراى أرْعَن لا يَصْغى الى قولِ المشير ولمّا ولى الخلافة اتّخذ اللَّهْوَ شعارا، وشرب الخمر خمارا، وخلع العِذار في العَذارا، واشترى غريب المغنّية بماية الف دينار واخذ جارية ابن عمّه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف الف دينار وعزل اخاه الموتمن وخلع اخاه المامون وارسل الى الكعبة

ولكنما الاقدار تجرى بقدرة   من الله لا تجدى تدابير طالب ٭

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ذكر محمد بن الصبّاح الطبرى ان اباه شيّع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل يحادثه فى الطريق ويشكو الرشيد همومه ويتنفّس عنده نفاثات الصدور الى ان قال له يا صبّاح اظنّك لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر امير المومنين ونفديه بارواحنا ويعيش سالمـًا من الآفات فقـال انك لا تدرى ما اجد فقلت لا والله فقال تعال حتى اريك ما اخفيه عن غيرك فتنحّى عن الطريق واومى الى من معه بالتنحّى عنه فابعد عنـهم وهم يرمقونه بطرف خفىّ ثم قال امانة الله يا صبّاح اكتم امرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير عريض معصوبة على بطنه فقال هذه علة اكتمها عن كلّ احد وحولى رقباء وكلّ واحد من اولادى يعدّون انفـاسى علىّ فمسرور رقيب المامون وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين وفلان وعدّ ثالثـا انسيته رقيب المؤتمن وكلّ منهم يحصى ايّامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى ويظهر ذلك الآن منهم فانى اطلب منهم برذونـًا لركوبى فياتوننى به اعجف ضعيفًا يزيد فى علّتى ويضاعف علىّ مرضى ٭ ثم طلب منهم برذونًا لركوبه فاتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكره وهو يداريهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الىّ نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبّلت رجله وودّعته وفارقته وهم ينظـرون الىّ نظرة خفت عاقبتهـا وكفانى الله تعالى شرّهم ٭ واستمرّ الرشيد عليلاً الى ان بلغنى وفاته بطوس رحمه الله تعالى ٭ فانظر الى هذا الملك الجليل، والخليفة النبيه النبيل، والسلطان الذى قلّ ان يوجد له مثيل، وهو عاجز فى يد غلمانه، مغلوب عليه فى ملكه وسلطانه، متحسّر على عظم

امّه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المامون ولىّ العهد بعد محمد الامين فى سنة ١٨٣ وولاه مملكة خراسان بأسرها وعهد الى ولده الثالث فى سنة ١٨٦ وولاه الجزيرة والثغور وهو صبىّ ولقّبه المؤتمن وقسم مملكته بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد القى بينهم واضرّ الرعيّة بهم قال عبد الملك بن صالح

الله قلّد هارون خلافته لما اصطفاه فاحيى الدين والسّننا

وقدّم الامر هارون لرأفته بنا امينا ومامونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرّابع وهو محمد المعتصم لكونه امّيّا فاراد الله تعالى خلاف ما اراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المامون وصارت الخلافة بعد المامون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلفاء كلّهم من نسله ولم يجعلهم من نسل غيره من اولاد الرشيد وان الملك بيد الله يوتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وامرهم بمبايعة اولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما وضع الاعيان والاكابر والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهّز الى بيت الله تعالى وامر بتعليقه فى وسط الكعبة الشريفة ليشتدّ الوثوق به ولا يقع خلاف فى ذلك قال ابراهيم الموصلى

خير الامور معيّنة واحقّ أمر بالتمام

امرٌ قضى احكامه مولاى فى البيت الحرام

فلم يغن عن ذلك التدبير، عمّا رقّمه قلم التقدير، فى لوح المقادير، والله على كلّ شىء قدير،

ولو كانت الدنيا تنال بغبْطة وتدبير راى نيل اعلا المراتب

وايضا بقدر الصعود يكون الهبوط فاياك الرتب العاليه
وكن فى مقام اذا ما وقعت تقوم ورجلاك فى عافيه،

وطالما رضيت الملوك والسلاطين، بحال الفقرآء والضعفاء والمساكين،

فى كل بيت كربة ومصيبة ولعل بيتك إن رايت أقلها

فارض بحال فقرك، واشكر الله تعالى على خفة ظهرك، ولا تنفد طورك، وقف عند قدرك، تجد ذلك نعمة خفية ساقها الله تعالى اليك، ورأفة ورحمة افاضها الله تعالى من خزاين لطفه عليك، فاعتبر بهذه الكلمات، وخذ لنفسك حظًا وافرًا من هذه العظات، ومن ذلك ان هارون الرشيد من اعقل الخلفآء العباسيين واكملهم رايًا وتدبيرًا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزاين بحيث كان يقول للسحابة امطرى حيث شيت فان خراج الارض لله تمطرى فيها يجىء الىّ، ومع ذلك كان اتعبهم خاطرًا وايشتهم فكرًا واشغلهم قلبًا، وكان من اولاده محمد الامين ابن زبيدة بنت ابى جعفر المنصور،

تقسيم الرشيد مملكته بين ولديه الامين والمامون، وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف ارادت وكان ولده منها محمد الامين شديد النزف والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبًا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة، وولده الثانى من جارية سودآء اسمها مَراجل من جوارى المطبخ ماتت فى نفاسها عن عبد الله المامون اتم عقلاً واكمل رايًا واصح تدبيرًا واكثر فضلاً ومعرفة فيه صلاح لتدبير الملك واهله لان يكون خلفًا عن ابيه فى خلافته وما قدر ابوه ان يجعله ولىّ عهده بعد محافظته على خاطر زبيدة على ذلك فجعل محمد الامين ولىّ عهده فى سنة ١٧٥ ولقبه الامين وعمره يومئذ خمس سنين بحرص

الحرام غير ان عامله بمصر موسى بن عيسى اهدى الى مكة المشرفة منبراً منقوشاً مكلّفاً له تسع درجات فجُعِلَ فى المسجد الحرام وأُخِذَ المنبر القديم الذى كان يخطب عليه بمكة ووُضِعَ فى عرفة وذلك فى اول حجّات الرشيد فى سنة ١٧٠ وقيل فى سنة ١٧٤ من الهجرة ووصل الى مكة المشرفة منبر صغير له ثلاث درجات ووُضِعَ فى وجه البيت الشريف فخطب عليه معاوية بن ابى سفيان وهو اول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفآء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياماً على اقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحِجْر ٥ قال ابو الوليد الازرقى حدّثنى جدّى عن عبد الرحمن بن حسن عن ابيه قال اول من خطب بمكة على مِنْبَرٍ معاويةُ بن ابى سفيان وساق ما قدّمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جآء به معاوية ربما خُرِبَ فيُعمر ولا يزاد فيه حتى حجّ الرشيد فأُتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لم يُغيّر الى ايام الواثق بالله العبّاسى فاراد ان يحجّ فامر ان يُعْمَل له ثلاثة منابر منبر بمكة ومنبر بمِنًى ومنبر بعرفات وحجّ وخطب عليها وفرّق فى الحرمَيْن على اهلهما مالاً كثيراً ٥ وفى ايّامنا لله ادركناها من الشباب الى المشيب شاهدنا منابر عملها سلاطين عصرنا وسنذكرها فى محلّها ان شآء الله تعالى ۞

فصل اعلم ان ممّا يتحقّقه العاقل ولا يذهل عنه الا الابلة ان الدنيا دار الاكدار ومحلّ الهموم والغموم والحسرات وان أَخَفّ الخلق بلآء وألماً الفقرآء واعظم الناس تعباً وهمّاً وغمّاً هم الملوك والامرآء والكبرآء ويقال لكلّ شبر قامة من الهمّ وقيل

لقد قنعت همّتى بالخمول وصدّت عن الرُّتَب العاليه
وما جهلت طيب طعم العُلا ولكنّها تؤثر العافيه ٥

المرحوم المغفور المبرور، المحسن المشكور، الامير المأمور، باجراء عين عرفة الى بلد الله المعمور، الباذل نفسه واموالة واولاده فى سبيل الله طلبا لنيل المثوبات والاجور، دفتردار مصر سابقا صاحب اللوآء المنشور المنصور السلطانى السعيد الشهيد المشهور، المذكور بالاحسان الى يوم النشور، ابراهيم بيك ابن تغرى بردى المهمندار، اسكنه الله تعالى فى دار القرار، جنات عدن تجرى من تحتها الانهار، ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب چلبى افندى ناظر الصدقات السليمية لحضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذى الخلق الحليم، والطبع الكريم، المرحوم المغفور السلطان سليم، نقله الله تعالى الى جنات النعيم، وملكه ملكا اعظم من ملكه العظيم، فملكها وهو شاه زاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشى فيها عماير وخيرات وجهات، تصرف الى فقرآء تلك الجهات، فلم يقدر على ذلك وزاحمته امور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار، وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجاير، ولا ساعده الدهر الغادر الغابر، ولكن حصل له ثواب ما نواه من الخيرات، فالاعمال بالنيات، وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فصارت هذه الدار الآن، من املاك ملك العصر والزمان، سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان، الى منتهى الدوران، صاحب تخت السعادة والاسعاد، وارث سرير الملك من الآبآء والاجداد، السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد، خلد الله تعالى ايام سلطنته القاهرة الباهرة الى يوم الحشر والتناد، والهمه العدل فى الرعية لاحيآء رسوم المعدلة بين العباد، قلت ولم اطلع للرشيد مع كثرة خيراته على انه عمر فى ايامه شيئا من المسجد

الخطّاب رضّه فوقف له هارون واقبل عليه فصاح به يا هارون قال لبّيك يا عمّ قال أرْقِ إلى الصفا فلمّا رقاه قال أرْمِ بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هم يعنى الحجيج قال ومن يُحْصيهم الّا الله تعالى قال فاَعْلَمْ ايها الرجل ان كلّ واحد من هذه الخلايق يُحَاسَبُ من خاصّة نفسه ويُسْأل عنها وَحْدَها يوم القيامة وامّا انت وَحْدك فتُسْأل عنهم اجمعين فانظُرْ كيف جوابك حين تُسْأل عنهم يوم القيامة • فبكى هارون بكاءً شديداً وجلس وخدمته يعطونه منديلاً بعد منديل وهو يَبُلُّها بدموعه • فقال له وأُخْرَى أقُولُها لك قال قُلْ يا عمّ فقال ان الرجل اذا اساء التصرُّف فى ماله حُجِرَ عليه فكيف تسرف انت فى مال المسلمين وتسىء التصرُّفَ فيه وانت تحاسَبُ بين يدى الله عزّ وجلّ على جميع ذلك فازداد بكاءه وكثر نحيبه واراد جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفّهم عنه الى ان فرغ من نصايحه كلّها وقام عنه بنفسه وهارون يبكى ويتضرّع ويستغفر ۞

فصل وفى اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أُمّ الرشيد والهادى الى مكة قبل الحجّ فى سنة ١٧١ واقامت الى ان حجّت وعملت الخيرات واشترت دورًا بالصفا الى جانب دار الأرقم المخزومى لله تشتمل على مسجد ماثور يقال له المختبا لان النبىّ صلعم كان يدعو فيه الى الاسلام خفية من صولة المشركين فى اول البعث واسلم فيه جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم • ولمّا اسلم فيه عمر بن الخطّاب رضّه اظهر الاسلام وفيه الآن قُبّة ومزار تُسَمّى قبّة الوَحْى وهذه الدور لله اشترتها الخيزران متّصلة بهذا المزار الشريف وتسمّى الآن دار الخيزران وكانت قد آلت الى بعض السادة الاشراف من بنى حسن ثمّ اشتراها صاحبنا

ويحبّ العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام ٭ وبلغه عن بشر المَرِيسيّ انه
كان يقول بخَلْق القران فقال لإن ظفرتُ به لاضربنّ عُنُقه وكان ياتى بنفسه
الى بيت الفُضَيْل بن عيــاض رضه ويعظمه وكان يبكى على نفسه وعلى
اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام ابو يوسف رضه وكان يعظمه كثيــرًا
ويمتثل امره ٭ ويُرْوَى عن ابى معاوية الضرير قال اكلتُ مع الرشيد يومًا
ثم صَبَّ على يَدَىّ من لا اعرفه فقال لى الرشيد اتدرى من يَصُبُّ عليك
قلتُ لا قال انا اجلالاً للعلم ٭ واراد الرشيد ان يوصل بين بحر الــروم
والقُلْزُم ليتهيّاً له ان يغزُوَ الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكىّ
لو فعلتَ ذلك دخلت سفاين الروم ارض العرب واختطفوا المسلمــين
من المسجد الحرام فتركه ٭ وكانت ايّام الرشيد ايّام خير كانها اعراس
وله اخبــار فى اللّهو واللّذّات سامحه الله تعــالى وله منــاقب لا تُحْصَى
ومحاسن لا تُسْتَقْصَى واسند الصولى عن يعقوب بن جعفــر قال خــرج
الرشيد فى السنة التى ولى فيها الخلافة الى اطراف الروم فغزا اهلها وظفر
وعاد فحجّ بالنــاس آخر السنة وفرّق بالحرمَيْن مالاً كثيرًا وكان راى النبىّ
صلعم فى النوم فقال له ان هذا الامر قد صار اليك فى هذا الشهر فاغْزُ
وحجّ ووَسّعْ على اهل الحرمَيْن ففعل هذا كلّه فى عام واحد اول خلافته
ذكر ذلك الحافظ السيوطى وغيره ٭ قال الحافظ النجم عمر ابن فَهْد رحمه
الله فى حوادث سنة ١٧٠ فيهــا حجّ هارون الرشيد بالنــاس وفرّق مالاً
كثيرًا وكان حجّه ماشيــًا على اللُّبُود تُفْرَش له من منزل الى منزل وقيل ان
الحجّة التى حجّ فيها ماشيًا هى حجّته فى سنة ١٧٧ ٭ قال وفى بعض حجّــات
هارون الرشيد اخلى له المَسْعَى ليَسْعَى فيه فتعلّق ببغلته وهو يَسْعَى ابو
عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بــن

اربع وعشرون سنة فى منتصف ربيع الاول سنة ١٧٠ واختلف فى سبب موته فقيل انه دفع نديماً له فتعلّق به فوقعَا معاً فى مَقْضَبة فدخل القصب فى مخارجهما فماتا جميعاً وقيل بل قتلَتْهُ أُمُّهُ الخَيْزُران لانه عمل على قتلها واراد قتل اخيه هارون الرشيد ليولى العهد ولدًا صغيراً من اولاده عمره عشر سنين ٭ وكانت أُمُّه الخيزران قد استبَدَّتْ بالامور العظام وكانت المواكبُ تَقِفُ على بابها فزجَرَها الهادى عن ذلك وقال لها ان وقف اميرٌ على بابكِ ضربتُ عنقه اما لكِ مُغْزَل يشغلك او مُصْحف او سُبْحة تذكرك فقامت من عنده غَضْبَى فبعث اليها طعاماً مسموماً فاطعَمَتْه لكلب فانتثر لحمُه فعملت على قتله لما وعك وامرت جَوَاريها بان تغمّ وجهَهُ ببساط جَلَسْنَ على جوانبه فانسَدَّ نفسه الى ان مات رحمة الله عليه ٭

وولى الخلافة بعده بعهد من ابيه اخوه هارون الرشيد العبّاسى الخامس من العبّاسيّين ليلة السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ١٧٠ ومولده فى الرّىّ لمّا كان ابوه المهدى اميرًا عليها وعلى خراسان فى سنة ١٤٨ وأُمُّه الخَيْزُران أمّ الهادى وفيها قال مروان بن ابى حفصة الشاعر

يا خيزران هناكِ ثمّ هناكِ   امسى يَسُوس العالمين ابناكِ

وكان فصيحًا بليغًا اديبًا كثير العبادة كثير الحجّ والغزْوِ وفى ذلك يقول بعض شعرآئه

فمن يطلب لقاءك او يرده   ففى الحرَمَيْن او اقصى الثغور ٭

وكان يحجّ عامًا ويغزو عامًا وقد يجمع بينهما فى عام واحد وكان يصلّى فى خلافته كل يوم مائة ركعة لا يتركها الاّ لعلّة ويتصدّق كلّ يوم بالف درهم

فلقبه النـــاس موسى اطبق فعُرف بهذا اللقب ؛ وكان وصّــاه ابوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقًا كثيرًا وكان شجاعًا كريمًا يحبه المدح دخل عليه مروان بن ابي حفصة فانشده قصيدة في مدحه فلمّا بلغ الى قوله

تشابَهَ يوماً باسِهِ ونَوَالُه . فما احد يَدْرى لايّهما الفَضْلُ

قال له الهادى قبل ان يتمّها ايّهـــا أَحَبُّ اليك ثلاثون الفـــاً مُعَجَّلة او سبعون الفـــا مُؤَجَّلة فقال بل ثلاثون الفـــاً معجّلة قال بل جعلنـــا لك المعجّل والمؤجّل ثم قال بل عجّلنـــا لك بهمـــا وامر له بماية الف ؛ وقد مدحه ابراهيم الموصلى بقصيدة اوّلها

سُلَيْمَى أَزْمَعَت بَيْنَا فأَيْنَ لقاؤنا أَيْنَا

فاعطاه سبعماية الف درهم ؛ وكان اكمال المسجد الحرام اوّل شىء امر به الهادى وبادر الموكّلون بذلك الى اتمامه وكمّلوه الى ان اتّصل بعمـــارة المهدى وبنوا بعض الساطين الحرم الشريف من جانب باب امّ هـــانى بالحجارة ثم طُلِيَت بالجصّ وكان العمل فى خلافة الهـــادى دون العمل فى خلافة المهدى فى الاستحكام والزينة والاهتمام ولكن كملت عمارة المسجد الحرام على هذا الوجه الذى كان باقيًا الى هذه الايام وما زِيدَ بعد ذلك الا الزيادتان كمـــا نشرحهمـــا ان شـــاء الله تعالى ؛ وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدى من بلاد مصر والشام واكثرهـــا مجلوب من بلاد اِخْميم من اعمال مصر وهى بلدة خرابٌ الآن من بُلْدان اقليم مصر القديمة كثيرة الرخام تجلب منها الى مصر والى غيرها من البُلْدان الرخام العظيمة والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان اكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله تعالى اعلم ؛ ولم تطل مدّة موسى الهادى وكانت مدّة ملكه سنةً وشهرًا وتوفّى شابًّا عمره

الآن ، ومن ابواب المسجد الحرام من اسفله باب بنى سَهْم يُعْرَف الآن
بباب العُمْرة لان المعتمرين من التَّنْعِيم يدخلون منه الى المسجد من
اعلا مكّة كما هو السُّنّة الشريفة ، وسيأْتى ذكر بقية ابواب المسجد
عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلّد الله مُلك سلاطينها
الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى ، واستمرّ البُناة والمهندسون فى بناء
هذه الزيادة ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج
المنقّش بالألْوان نقرًا فى نفس الخشب كما ادركناه وكان فى غاية الزخرفة
والاحكام باقيًا فيه لون اللازورد فى غاية الصفاء والرَّوْنَق بالنسبة الى
لازورد هذا الزمان واستمرّ عملهم المذكور الى ان توفى المهدى رحمه الله
تعالى لثمان بقين من المحرّم سنة ١٦٩ قبل ان تتمّ عمارة المسجد الحرام
على الوجه الذى اراده وكان مولده فى جمـادى الاخرة سنة ١٢٧ ومدّة
ملكه احدى عشرة سنة وشهرًا وعاش ثلاثًا واربعين سنة وعقب الامر
لولده موسى الهادى ✿

فصل فى ولاية ابى محمد موسى الهادى بن المهدى بن المنصور

العبّاسىّ ، وُلد بالرىّ فى سنة ١٤٧ وأمّه أمّ ولد تُسمّى الخَيْزُران والدة
هارون الرشيد وكان حين موت والده بجُرْجان وقد عهد له ابوه بالخلافة
فاخذ له البيعة اخوه هارون الرشيد لمّا مات ابوه لثمان بقين من شهر
المحرّم سنة ١٦٩ ولم يل الخلافة قبله احد فى مقدار سنّه وركب خيل
البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره
وكان طويلًا جسيمًا ابيض بشفته العليا تقلُّص فيكثر لذلك فتح فمه
ويغفل عن ذلك فيستمرّ فمه مفتوحًا فوكّل به ابوه فى حال صباه خادمًا
كلّما رآه مفتوح الفم قال له موسى اطْبَقْ فيفيق على نفسه ويضمّ شفتيْه

والوادى فيها وهدموا ما بين الصّفا والوادى من الدور وحرفوا الوادى
فى موضع الدور حتى أوْصَلوه الى مجرى الوادى القديم فى الاجياد
الكبير وهو الآن الطريق الذى يمرّ منه الى دور السادة الاشراف امرآء
مكة المشرفة عمّر الله بهم البلاد، وازال بوجودهم موادّ الفتنة والفساد ء
وابتدأُوا من باب بنى هاشم من اعلا المسجد ويقال له الآن باب علىّ
رضّه ووسّع المسجد منه الى اسفل المسجد وجُعِلَ فى مقابلة هذا الباب
بابٌ فى المسجد يعرف الان بباب حَزْوَرَة ويحرّفونه العوامّ ويسمّونه باب
عَزْوَرَة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادى ودخل الى المسجد خرج
من هذا الباب الى اسفل مكة فاذا طفح عن ذلك خرج من باب
الخياطين ايضًا ويُسَمّى الآن باب ابراهيم فيمرّ السيل ولا يَصِلُ الى جدار
الكعبة الشريفة من الجانب اليمانى فكان من جدر الكعبة الى الجدر اليمانى
من المسجد المتّصل بالوادى تسعة واربعون ذراعًا ونصف ذراع ء فلمّا
زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدر المسجد أوّلًا الى الجدر
الذى عمل آخرًا وهو باقٍ الى اليوم تسعون ذراعًا فاتّسع المسجد غاية
الاتّساع ء وأُدْخِلَ فى قرب الركن اليمانى من المسجد فى اسفله دار أمّ
هانى بنت ابى طالب رضى الله عنها ويقال الآن للباب الذى فتح هناك
باب أمّ هانى لان دارها رضّها كانت بقرب ذلك الباب داخل المسجد
الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد شرفآء مكة ساداتنا
امرآء مكة المشرفة آل الحسن بن على بن ابى طالب رضّهم وكانت عند
دار امّ هانى رضّها بير جاهلية حفرها قُصَىٌّ بن كلاب احد اجداد
النبىّ صلعم فأُدخلت تلك البير ايضًا فى المسجد الحرام وحفر المهدى
عوضها بيرًا خارج باب الحَزْوَرة يُغَسِّلون عندها الموتى من الفقرآء الى

عليه بنفسه وكان امير الحاجّ يشبك الجَمَــالى فوصل فى موسم سنة ٨٧٥ ووقف بنفسه بالليل واوقد المشاعل وامر البنّائين والعمّال بالبنــاء خوفًا من انكار العامّة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض وجعل ابــن الزمن ذلك رباطًا وسبيلًا وبنى فى جانبه دارًا وحفر الميضأة جدًّا وجعل لها بابًا من جهة سوق الليل وجعل فى جانب الميضاة مطبخًا تُطْبَخ فيه الدشيشة وتُقْسَم على الفقرآء ووقف على ذلك دُوراً بمكة ومزارع بمصر واستمرّتْ الى ان انقطع ذلك المَطْبخ فى عهدنا وبيعت القدور بل الدور وبالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه من فضله وخَيْريّته كيف ارتكب هذا المحرّم باجماع المسلمين طالبًا به الثواب وكيف تعصّب له سلطان عصره الملك الاشرف قايتبــاى مع انه احسن ملوك الجراكسة عقــلًا ودينًا وخيرية وهو يامر بفعل هذا الامر المجمع على حُرمته فى مشعر من مشاعر الله تعــالى وكيف يعزل قاضى الشرع الشريف لكونه نَهَى عن مُنْكَرٍ ظاهرِ الانْكارِ فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم ؞ واين هذا عمّا يُحْكَى عن انوشروان العادل وهو من اهل الكفر لمّا اراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة ارض لعجوز بعد ان بذلوا لها اضعاف ثمن ارضها فأَبَتْ فامر بعَدَم التعرّض لارضهــا فبقى فى ايوانه ازورارٌ بسبب ذلك فقال هذا الازورار خير من الاستقامة وصــار ذلك مثلاً يُذْكَرُ بعد الوف من السنين

وانّما المرء حديثٌ بعده فكُنْ حديثًا حسنًا لِمَنْ رَوَى ؞

فصل قال الحافظ نجم الدين ابن فَهْد فى حوادث سنة ١٩٧ ما مُلَخَّصُه فيهــا هُدِمَت الدور التى اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثــانية للمهدى فهدموا اكثر دار محمد بن عبّــاد وجعلوا المَسْعَى

الجنوب مسيل وادى ابراهيم الذى يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضه الذى هو الآن رباطٌ يسكنه الفقرآء واستأجر الخواجا شمس الدين ابن الزمن هذه الميضاة وهدمها وهدم من جانب المسعى مقدار ثلاثة اذرع وحفر اساسه ليبنى بهما رباطًا لسكن الفقرآء فمنعه من ذلك قاضى القضاة بمكة علم المسلمين وقاضى الشرع المبين القاضى برهان الدين ابراهيم بن على ابن ظهيرة الشافعى فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضى ابراهيم محضرًا حافلاً حضره علماء المذاهب الاربعة ومن اجلّهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفى رئيس العلمـاء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عُبيد المالكى والقاضى علاء الدين الزواوى الحنبلى وبقية العلمـاء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين ابن الزمن والكبر عليه جميع الحاضرين وقالوا له فى وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعًا واحضر النقل من تاريخ الفاكهى وذرعوا من ركن المسجد الى المحلّ الذى وضع فيه ابن الزمن اساسه فكان سبعة وعشرين ذراعًا فقال ابن الزمن المنع خاصّ بى او بجميع الناس فقال له القاضى امنعك الآن لانك مباشر فى هذا الحال لهذا الفعل الحرام وآمر الغير ايضًا بازالة تعدّيه وتوجّه القاضى بنفسه الى محلّ الاساس ومنع البنّائين والعمّال من العمل وارسل عرضًا ومحضرًا فيه خطوط العلمآء الى السلطان قايتباى وكتب ابن الزمن ايضا اليه وكانت للجراكسة لهم تعصّب وقيام فى مساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلمـا وقف على تلك الاحوال السلطان قايتبـاى نصر ابن الزمن وعزل القاضى ابراهيم وولّى خصمه المنصب وامر امير الحـاجّ ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف

السّعي من غير نكير نقل عنهم، وبقى الاشكال فى جواز ادخال شىء من المسعى فى المسجد كيف يصير ذلك مسجدًا وكيف يصير حال الاعتكاف فيه وحلّه بان يجعل حكم المسعى حكم الطريق العامّ وقال علماؤنا يجوز ادخال الطريق فى المسجد اذا لم يضُرّ باصحاب الطريق فيصير مسجدًا ويصحّ الاعتكاف فيه حيث لم يضرّ بمن يسْعى فاعلم ذلك وهذا ممّا تفرّدتُ ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ❁

فصل وممّا يُلائم ما نحن فيه من تعجيب ما نُقلَ فى التعدّى على المسعى الشريف واغتصابه منها وقع قبل عصرنا هذا بنحو ماية عام فى ايام دولة ملوك الجراكسة فى سلطنة الملك الاشرف قايتباى المحمودى سامحه الله تعالى ومُحصّله انه كان له تاجر يستخدمه قبل سلطنته فى زمان امارته اسمه الخواجا شمس الدين محمد بن عمر بن الزّمن كان مقربًا منه بعد سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخَيْريّته ومآثره الجميلة واعتقاده فى العلماء والصلحاء واتّصافه بطلب العلم ايضًا، وكان السلطان قايتباى ارسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليُعمّر له مدرسته ويعمّر جانبًا من الحرم الشريف ومن الحجر الشريف ومن جوف الكعبة وهو الذى امره بعمارة المسجد الشريف النبوّى بعد الحريق المشهور الواقع فى سنة ٨٨٦ وبنى له المدرسة التى بالمدينة الشريفة واجرى العين الزرقاء بالمدينة وعين خُلَيْص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير ان حُبّ الجاه ونفاذ الامر أوْقَعَهُ فيما نذكره وهو انه كان بين الميلين ميضَأةٌ امر بعملها السلطان الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكانت فى مقابلة باب على حدّها من الشرق بيوت الناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن

ذلك مرّة بعد أُخرى حتى رضى به ثم توجّه الى العراق وخلّف الاموال الكثيرة لشرآء هذه البيوت والصّرف على هذه العمارة العظيمة وهذه هي الزيادة الثانية للمهدى فى المسجد الحرام ، هذا ملخّص ما ذكره الأزرقى والفاكهى والحافظ نجم الدين عمر بن فهْد فى تواريخهم رحمهم الله تعالى ☆

وهاهنا اشْكال عظيم ما رايت من تعرّض له وهو ان السّعْىَ بين الصّفا والمرْوة من الأُمور التعبُّديّة التى أَوْجَبَها الله تعالى علينا فى ذلك المحلّ المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا فى هذا المكان المخصوص الذى سعى رسول الله صلعم فيه وعلى ما ذكره هولاء الثقات ادخل ذلك المَسْعَى فى الحرم الشريف وحوّل ذلك المسعى الى دار ابن عبّاد كما تقدّم ، وامّا المكان الذى يُسْعَى فيه الآن فلا يتحقّق انه بعض من المسعى الذى سَعَى فيه رسول الله صلعم او غيره فكيف يصحّ السّعْىُ فيه وقد حُوِّلَ عن محلّه كما ذكره هولاء الثقات ، ولعلّ الجواب عن ذلك ان المَسْعَى فى عهد رسول الله صلعم كان عريضاً وبُنِيَتْ تلك الدور بعد ذلك فى بعض عرض المسعى القديم فهدَمَها المهدى وادخل بعضها فى المسجد الحرام وترك بعضها للسعى فيه ولم يُحوّل تحويلاً كُلّيًا والّا لا نكره علمآء الدين من الائمّة المجتهدين رضى الله تعالى عنهم مع توفّرهم اذ ذاك ، وكان الامامان ابو يوسف ومحمد بن الحسن رضى الله عنهما والامام مالك بن انس رضه موجودين يومئذ وقد اقرّوا ذلك وسكتوا عليه وكذلك من صار بعد ذلك الوقت فى مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعى واحمد بن حنبل وبقيّة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فكان اجماعاً منهم رضهم على صحّة

الحرام اليوم فهدموا اكثر دار محمد بن عبّاد بن جعفر العايذى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الاخضر الملاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى للمسجد الى الميل الاخضر الاخر الملاصق الآن لرباط العبّاس وكان هذا الوادى مستطيلاً الى اسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقاً بجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى، فلمّا رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستوآء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد جمع المهندسين وقال لهم اريد ان ازيد فى الجانب اليمانى من المسجد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقالوا له لا يمكن ذلك الا بأن تُهْدَمَ البيوت التى على حافّة المسيل فى مقابلة هذا الجدر اليمانى من المسجد ويُنْقَل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدّمناه ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو وادٍ حدورٌ نخاف إن حوّلناه عن مكانه أن لا يثبت اساسُ البنآء فيه على ما نريد من الاستحكام فتذهب به السيول او تعلو السيول فيه فتنصبّ فى المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكبر المُؤْنة ولعلّ ذلك لا يتمّ، فقال المهدى لا بُدّ ان ازيد هذه الزيادة ولو انفقتُ جميع بيوت الاموال وصمّم على ذلك وعَظُمَتْ نيّتُه واشتدّتْ رُغْبَتُه فصار يَلْهَجُ به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على اسطحة الدور من اول الوادى الى آخره وربّعوا المسجد من فوق الاسطحة وطلع المهدى الى جبل ابى قُبَيْس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة الشريفة فى وسط المسجد ورأى ما يُهْدَمُ من البيوت ويجعل مسيلاً محلّا للسّعْيِ وشخّصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له

ويقال له الآن باب ابراهيم وكذلك زاد من الجانب الشامى الى منتهاه الآن وكذلك زاد فى الجانب اليمانى ايضًا الى قُبَّة الشراب وتسمّى الآن قُبّة العبّاس والى حاصل الزيت وكان بين جدر الكعبة اليمانى وجدر المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة واربعون ذراعًا ونصف ذراع وكان ما وراءه مسيل الوادى فهذه الزيادة كلّها الزيادة الاولى للمهدى ، وامر بالاساطين فنُقلت من مصر والشام وحُملت بحرًا الى قرب جُدّة فى موضع كان فى ايّام الجاهلية ساحلاً لمكّة يقال له الشُّعَيْبِيَّة فجُمعت هناك لان مَرْسَاه قريب بخلاف بندر جُدَّةَ لان مرساه الذى تقِف فيه السفينة بعيد عن البرّ ، وصارت اساطين الرخام تُحْمَلُ منها على العجل الى مكة وتحكى العربان ان بها الى الآن بقايا اساطين رخام دفّنها الريح بالرمل والله اعلم بحقيقة ذلك ، وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حُفِرَ لها فى الارض جدران على شكل الصليب اقاموا كلّ اسطوانة على موضع التقاطع كشف عنه السيل العظيم الواقع فى سنة ٩٣٠ فشاهدنا اساس الاساطين على هذا الوجه ، واستمرّ عليهم الى سنة ١٦٤ فحجّ المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب منه ورأى المسجد قد اتّسع من اعلاه واسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محلّ المسيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زُقاقًا ضَيْقًا ثم يصعدون الى الصَّفا وكان المَسْعَى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان باب دار محمد بن عبّاد بن جعفر العابدى عند حدّ ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحر الوادى فيها علم السّعى وكان الوادى يمرّ دونها فى بعض المسجد

عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمَسْعَى من الدور فما كانت من الصدقات والأَوْقاف اشترى للمستحقّين بدلها دوراً فى فجاج مكة واشترى كلّ ذراع مُكَسَّر فى مثله ممّا دخل فى المسجد بخمسة وعشرين دينارًا وما دُخل فى مسيل الوادى بخمسة عشر ديناراً ؛ فكان ممّا دخل فى ذلك الهدم دار الأَزْرَق وهى يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من اعلاه على يمين الخارج من باب بنى شَيْبَةَ وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر الف دينار وكان اكثرها دخل فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الله بن الزبير رضه ودخلت ايضًا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية واربعين الف دينار دُفِعَتْ اليها وكانت شارعة على المَسْعَى يومئذ قبل ان يؤخّر المَسْعَى ؛ ودخلت ايضا دار لآل جُبَيْر بن مُطْعِم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهُدِمَ وأُدْخِلَ فى المسجد الحرام وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمَسْعَى حتى استقطعها جعفر البرمكىّ من الرشيد لمّا آلت الخلافة اليه فبناها دارًا ثم صارت الى حمّاد البربرىّ فعمّرها وزيّن باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفُسَيْفساء ؛ قلتُ وتداولت الأَيْدى عليها بعد ذلك الى ان صارت رباطَيْن متلاصقين احدها كان يُعْرَف برباط المَرَاغى والثانى كان يعرف برباط السِّدْرَة فاستبدلهما السلطان قايتباى فبناها مدرسة ورباطًا فى سنة ٨٨٣ ووقف عليهما مُسَقَّفات بمكة واقطاعاً بمصر وهو باقٍ الى الآن صدقة جارية على سُكّانه غير انه شرع فى اوقافه الخراب لاستيلاء الايادى الحادثة عليها عمّر الله تعالى من عمّرها واحسن الى من احسن نظرها ؛ وهذه الزيادة الاولى للمهدى فى اعلا المسجد وكذلك فى اسفله الى ان انتهى به الى باب بنى سَهْم ويقال له الآن باب العُمْرة والى باب الحَنّاطين

لاحد قبله، ونزل المهدى دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحَجَبى فى ساعة خالية نصف النهار فأُدخل عليه فقال له ان معى شيئًا لم يُحْمَلْ الى احد قبلك فكشف له عن الحجر الذى فيه صورة قدمَىْ خليل الله ابراهيم عم وهو الذى يُزارُ الى الآن بمقام ابراهيم فسُرَّ المهدى بذلك وقبّله وتمسّح به وصبّ فيه مآء فشربه وارسله الى اهله واولاده فتمسّحوا به وشربوا المآء منه ثم احتمله واعاده الى مقام ابراهيم واعطاه المهدى جوايز كثيرة واقطعه ضِيَعاً بوادى نَخْلَةَ يقال له ذات الغريع فباعه بعد ذلك بسبعة الاف دينار، وذكر حجبة الكعبة للمهدى انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة اثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فامر بنزعها فنُزِعَتْ حتى بقيت مُجرَّدة ووجدوا كسوة هِشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامّتها من ثياب اليمن فجُرِّدت الكعبة منها وطُلى جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخُدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسّكة المطيّبة على جدران الكعبة من الجوانب الاربعة وتعلقوا بالبكرات التى تخاط عليها ثياب الكعبة وهم يمسحون الطيب على الكعبة الى ان استوعبوها ثم كُسِيَت ثلاث كساوى من القباطى والخزّ والديباج، وقسم المهدى فى الحرَمَيْن الشريفين اموالاً عظيمة وهى ثلاثون الف الف درهم وصل بها معه من العراق وثلاثماية الف دينار وصلت اليه من مصر ومايتا الف دينار وصلت اليه من اليمن وماية الف ثوب فرق جميع ذلك على اهل الحرمَين، واستدعى قاضى مكة يومئذ وهو محمد الأَوْقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى وامره ان يشترى دُورًا فى اعلا المسجد ويهدمها ويُدْخلها فى المسجد الحرام واعدّ لذلك اموالاً

انّما همّتهم ان ينبشوا ما قد دفنّا
لو سلكنا باطن الار ض لكانوا حيث كُنّا
ان ارادوا كشف امرٍ قد سترناه كشفنا ٥

ومن نظمه هذا البيت من عدّة ابيات نظمها فى جارية كان يُحِبُّها حُبًّا شديدًا
اما يكفيك انك تملّكينى وانّ الناس كلّهم عبيدى

وكان المهدى يحبُّ الحمام فدخل عليه غياث وكان يروى الحديث فقال رُوِىَ عن ابى هريرة رضه مرفوعًا لا سَبْقَ الّا فى حافرٍ او نَصْلٍ وزاد فيه او جناحٍ ففهِمَ المهدى انه وضع له هذه الزيادة فى حديث رسول الله صلعم فلم يُجَبِّهْهُ بالردّ تأدُّبًا وامر له بعشرة الاف درهم فلمّا قام قال المهدى اشهد ان قفاك قفا كذّاب ثم امر بذبح ما عنده من الحمام فذُبِحَتْ ذكره غير واحد من علماء الحديث منهم الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ٥ وكان نقش خاتم المهدى الله ثقة محمد وبه يومن ٥ وحكى الربيع قال عُرِضَ على المنصور يومًا خزاين مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر الف عِدْل ثياب خَزّ فاخرج منها ثوبًا واحدًا ودعى بالخيّاط وقال فصّلْ من هذا جُبّةً لى وجُبّةً لولدى محمّد المهدى فقال لا يجىء منه جُبّتان فقال فصّله جُبّةً وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبًا آخر منها ٥ فلمّا افضت الخلافة الى ولده محمد المهدى امر بتلك الثياب كلّها بعينها ففرقها جميعا فى عبيده وخدمه فى ساعة واحدة ٥ وكان جوادًا شجاعًا كثير اللّهو والصّيد الا انه كان يكره الزنادقة وقتل منهم خلقًا كثيرًا واوصى ابنه الهادى بقتلهم حيث وجدهم ٥ قال النجم عمر بن فَهْد فى حوادث سنة ١٦٠ وفيها حجّ امير المومنين المهدى العبّاسى وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شىء لم يتم

الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان المنصور امير المومنين عبدٌ دُعِيَ فأَجاب وأُمِرَ فأَطاع ثم نرفتْ عيناه ثم قال لقد بَكَى رسول الله صلعم بفراق الاحبّة وقد فارقتُ عظيماً، وقلّدت جسيماً، فعند الله احتسبُ امير المومنين، وبه استعين على تقلّد امور المسلمين، ونزل فبايعه الناس واوّل من جمع بين تعزيته وتهنئته ابو دُلامَةَ الشاعر فقال

عيناى واحدة تُرَى مسرورة بأميرها جَذْلَى وأُخْرى تَذْرِفُ
تبكى وتضحك تارةً ويَسُوءُها ما انكرت ويسرُّها ما تعرفُ
فيَسُوءُها موت الخليفة محرماً ويسرُّها ان قام هذا يخلفُ
ما ان رايتُ كما رايت ولا ارى شعراً أُسَرِّحُهُ واخر انتفُ
هذا حَبَاه الله فضل خلافة ولذاك جنّات النعيم تزخرفُ،

وكان المهدى لمّا شبّ ولّاه ابوه على طبرستان والرّى وما يليها فتأدّب وتميّز وجالس العلماء وكان كريمًا مليح الشكل شجاعاً محبًّا للعلماء وكان يقول أَدْخِلوا علىّ العلماء والقضاة واحضروهم عندى فلو لم يكن من حضورهم الاّ ردّ المظالم حياءً منهم لكان ذلك خيرًا كثيرًا، وقدم عليه مروان بن ابى حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلمّا وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله
وما نحن نخشى ان يخيب مسيرنا اليك ولكن أَهْنَأُ البرّ عاجله.

فضحك المهدى وقال كم بيت قصيدتك قال سبعون بيْتًا فامر له بسبعين الف درهم قبل ان يتمّ انشادها وله شعرٌ رقيق لطيف إحسن من شعر ابيه واولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولى

ما يكفُّ الناسُ عنّا ما يُريد الناسُ منّا

فهلك رحمه الله وفى سنة ١٥٨ عزم على الحجّ ابو جعفر المنصور وكان يريد قتل سُفيان الثورىّ رضه فلمّا وصل الى بير مَيْمُون بعث الى الخَشّابين فقال لهم ان رايتم سفيان الثورىّ فأصلبوه فجاءوا ونصبوا له الخشب وكان جالسًا بفناء الكعبة وراسُهُ فى حُجْر فُضَيْل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عُيَيْنة فقيل له يا ابا عبد الله قُمْ واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدّم الى استار الكعبة واخذها ثم قال برئتُ منه ان دخلها ابو جعفر وعاد الى مكانه فركب ابو جعفر من بير مَيْمُون فلمّا كان بين الحَجُونَيْن سقط عن فرسه فاندقّتْ عُنُقُهُ فمات لوقته فى سابع ذى الحجّة وقت السحر فحفروا له ماية قبر ودفنوه فى احدها ليُعَمّوا قبره عن الناس وبرّ الله تعالى قسم عبده سفيان رضه، فانظُرْ الى عباد الله تعالى المخلصين، وادلالهم على جناب قدس ربّ العالمين، وكيف حال اهل الدنيا المغرورين، وكيف تضمحلّ عظمتهم فى عظمة سلطان السلاطين، وما احقر سلطنة البشر المخلوق من ماء مَهين، وما اسرع زوال مُلكه وصَيْرورته عبرة للمعتبرين، ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار، وعظة لمن اراد ان يتذكّر عواقب هذا الاغترار، ويعلم ان المُلك لله الواحد القهار، لا شريك له فى الملك ولا ولىّ له من الذُّلّ على الدوام والاستمرار، والمنصور هو الذى بنى مدينة بغداد وكان مولده سنة ٩٥ ومدّة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة اشهر وعاش اربعًا وستّين سنة وكان راى مناماً يَدُلُّ على قرب اجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحجّ وتوفى كما ذكرنا ۞

وولى بعده الملك والخلافة ولده **ابو عبد الله محمد ولقبه المهدى** ثالث من ولى من العبّاسيّين وقام بالبيعة له بمكة لمّا مات ابوه الربيع بن يونس الحاجب واسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر فى بغداد فكتم

اسئيت فيه فرجًا ومخرجًا، اللهمّ ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي، وسترك على قبيح عملي، اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه منك، فصرتُ أَدْعوك امنًا واسالك مستأنسًا، وانك المحسن اليّ واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك، تتودّد اليّ واتبغّض اليك، ولكن الثقة بك حملتني على الجرءة عليك، فعُدْ بفضلك واحسانك اليّ انك انت التواب الرحيم، قال فقراته واخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى اليّ تستعجلني فأتيته فاذا هو جمرٌ يتلظّى فلمّا وقع نظره عليّ سكن غيظه وتبسّم وقال لي ويلك اتحسن السحر قلتُ لا والله يا امير المومنين ثم قصصتُ عليه امري فقال هات الورقة فناولته اياها فاخذها وصار يبكي الى ان بلّ لحيته وامر لي بعشرة الاف درهم ثم قال لي اتعرف الرجل فقلتُ لا قال ذلك الخضر عم، قلتُ واني اروي هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين احمد القادري الخرقاني النهروالي الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال انبانى بهذه الحكاية العزّ عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن والده عن القاضي زين الدين ابي بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزّي قال اخبرنا الامام ابو الحسن علي بن احمد ابن البخاري عن الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي قال اخبرنا محمد بن ناصر انا المبارك بن عبد الجبار انا محمد بن علي بن الفتح حدّثنا ابو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم بن احمد الخشّاب ثنا ابو علي الحسن بن عبد الله الرازي ثنا المثنّى بن مسلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت ابا المهاجر المكّي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف اخر الليل وساق الحكاية بطولها، قال النجم عمر بن

الحساب هل يُغْنى عنك شىءٌ ممّا كنتَ فيه ، قال فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالى فيما خوّلتُ ولم ار من الناس الاّ خاينًا ، قال يا امير المومنين عليك بالاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فرّوا منّى قال نعم فرّوا منك مخافةَ ان تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فاذا فتحت الابواب وسهّلْتَ الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت بالفضل فانا ضامن لمن هرب منك ان يعود اليك ، وجاء حينئذ المؤذّنون وسلّموا عليه واذّنوا للفجر واقاموا فقام المنصور الى الصلاة فصلّى بالناس فاذا بالرجل قد غاب من بين ايديهم فلمّا فرغ المنصور من الصلاة سال عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تاتونى به عاقبتكم عقابًا شديداً فذهبوا يلتمسونه فوجدوه فى الطواف فتقدّم اليه الحربىّ وقال له انطلق معى والاّ هلكتُ وهلكَ من معى فقال كلا لستُ بذاهب معك فقال انه يقتلنى ان لم آته بك فقال كلا لا يقدر عليك وأَخْرَجَ من جَيْبه ورقةً وقال ضَعْ هذه الورقة فى جَيْبك فلا يصيبك منه سوءٌ فانه دُعآء الفرَج قال وما دعاء الفرج قال دعآءٌ لا يرزقه الله تعالى الا السُّعَدآء من دَعَى به صباحًا ومساءً هُدِمَتْ ذنوبُهُ واستُجيب دعآءه وبسّط الله تعالى رزقه عليه واعطاه امله واعانه على عدوّه وكُتِبَ عند الله صديقًا ، فقال اقرأه لى لآخذه عنك واتلقّنه منك فقال قُلْ اللهمّ كما لطفتَ فى عظمتك دون اللطفآء ، وعلوتَ بعظمتك على العُظَمآء ، وعلمتَ ما تحت ارضك ، كما علمت ما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسرّ فى علمك ، فانْقاد كلُّ شىء لعظمتك ، وخَضَعَ كلُّ ذى سلطان لسلطانك ، وصار امر الدنيا والآخرة كلّه بيدك ، اجعلْ لى من كلّ همّ

وقد اصابت ملكهم آفة اذهبت سمعه فجعل يبكى فقالت له وزرآءه ما لك تبكى لا بكت عيناك فقال انى لا ابكى على فقد سمعى ولكن ابكى على المظلوم يَصْرُخ ببابى يطلب رفع ظلامته فلا اسمع صَوْتَه وحسّه وحيث ذهب سمعى فان بَصَرى لم يذهب فنادوا فى الناس ان لا يلبس الاحْمَرَ الّا مظلوم لأُمَيِّزه بالنظر فأعينه وكان يركب الفيل كلّ يوم ليَرَى المظلومين يستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظُرْ يا مسكين هذا مشركٌ بالله غلبت رَأْفَتُه بالمشركين على رأفتك بالمومنين وانت مومن بالله وابن عمّ نبيّه صلعم وان الاموال لا تُجْمَع الّا لواحد من ثلاثة امور ان قلتَ اجمعها لولدى فقد أَراك الله تعالى عبراً فى الطفل يخرج من بطن امّه عرياناً ما له على وجه الارض مالٌ وما من مال الّا ودونه يد شحيحة به تحويه وتَصُونه عن كلّ احد فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الغلام حتى يَسُوق الله اليه ما قَدَرَه له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست الذى تُعْطى بل الله يُعْطى من يشاء ويمنع من يشاء لا مانعَ لما اعطى ولا مُعْطى لما مَنَعَ وان قلت اجمع المال ليشتدّ به سلطانى فقد اراك الله تعالى عبراً فى من كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضّة وما اعدّوا من السلاح والكُراع وما ضرّك ما كنت انت وولد ابيك عليه من الضعف والقلّة حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هى اعلى ممّا انت فيه فوالله ما فوق ما انت فيه منزلة تُدْرَك الا بالعمل الصالح واعلم انك لا تعاقب احداً من رعيّتك اذا عَصَاك بأَعْظم من القتل فان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خاينة الأَعْيُن وما تخفى الصدور فكيف يكون وقوفك غداً بين يَدَيْه وقد نُزِعَ مُلْكُ الدنيا من يدك ودعاك الى

والحُلْو والحامض فى قبضتى ومن يحول بينى وبين ما أُريـد من ذلـك ،
فقال هل داخل الطمع احداً من الناس ما داخلك يا امير المومنين ان
الله عزّ وجلّ استرعاك امور المومنين وانفسهم واموالهم فاغفلـتَ امـورهم
واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك حجابًا من الحجر والطين وابوابًا من
الخشب والحديد وحُجّابًا معهم السلاح واتّخذت وُزرآء فجرة واعوانًا ظلمـة
ان نسيتَ لا يذكّرونك وان احسنتَ لا يعينونك وقوّيْتَهم على ظُلْـم
النـاس بالاموال والسلاح والرجال وامرتَ ان لا يدخل عليك غيرهم من
الناس ولم تأمُر بايصال المظلوم اليك ومنعتَ عن ادخال الملهوف عليك
وحجبت الجايع والعارى والمحتاج عنك وما احد منهم الاّ وله حقٌّ فى هذا
المال فما زال هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيّتك
وامرتهم ان لا يحجبوا عنك يقولون فى انفسهم هذا قد خان الله فما لنـا
لا نخونه فاتّفقوا على ان لا يصل اليك من اخبار النـاس الا ما ارادوه ولا
يخالف امرهم عامل الا اقصوه عنك وابعدوه فلمّـا انتشر ذلك عنـك
وعنهم عظمهم النـاس وهابوهم واكرموهم وهادوهم وكان اوّل مَنْ صانعهم
وداراهم عمّالك بالاموال والهدايا والرُّشا فتقوّوا بها على ظلم رعيّتك وتبعَهم
من كان ذا قدرة وثروة من رعيّتك ليظلموا من دونهم فامتلات بلاد الله
تعالى بالظلم والغشم وزاد بَغْيُهم وطمعُهم كثر فسادهم وافسادهم فصار
هولآء شُرَكآءك فى سلطانك وانت غافل فان فَاجَـأك متظلّم حيلَ بينه
وبين الوصول اليك وان اراد رفع قصّة اليك وصَرَخَ بين يَدَيْك ضُـرِبَ
ضربًا مُبرّحـًا ليكون نكالاً لغيره وانت تنظر بعَيْنك ولا ترحم بقلبك
فان سالتهم عنه قالوا اساء الادب فأدّبْناه وجهل مقامك فضربناه فما بقآء
للاسلام على ظهور هذه المظالم والآثام وانى سافرت الى ارض الصين فقدمتها

لكل منهم الف دينار ذهبًا واعطى اهل المدينة الشريفة عطايا لم يُعْطِها
احد كان قبله ولمّـا قضى الحجّ والزيارة توجّه الى زيارة بيت المقدس ثم
سلك الى الشام ثم الى الرقّة فنزلها، كذا ذكره الحافظ عمر بن فهْد
رحمه الله تعالى وذكر حكاية مفيدة اذكرها استطراداً وان كانت خارجة
من مقصودنا لعظم فايدتها وهى لمّا حَجّ المنصور كان يخرج من دار الندوة
الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلّى ولم يعلم به احد فاذا طلع الفجر
رجع الى دار الندوة فيجىء المؤذّنون ويسلّمون عليه ويؤذّنون للفجـر
ويقيمون الصلاة فيخرج يُصَلّى بالناس فخرج ذات ليلة فى السحر وشرع
يطوف اذ سمع رجلاً عند الملتزم يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى
والفساد فى الارض وما يحول بين الحقّ واهله من الظُّلم والطمع، فأَسْرَعَ
المنصور فى مشيته حتى مَلأَ مَسَامِعَهُ من كلامه ثم خرج من الطواف الى
ناحية المسجد ثم ارسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلّى ركعتَيْن وقبّل
الحجر واقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذى
سمعتُك تقول من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحـقّ
واهله من الظلم والله لقد حشوتَ مسامعى ما أَقْلَقَنى وامرضنى واشغل
خاطرى، فقال يا امير المومنين ان أَمّنتنى على نفسى واصغيـتَ الىّ
باذنٍ واعية انباتُك بالامور من اصلها والاّ احتجبت عنك بقدرة الله
تعالى فلا تَصِل الىّ واقتصرت على نفسى ففيهـا لى شغل شاغل عـن
غيرى، فقـال انت آمنٌ على نفسك فقُلْ فانّى القى اليك السَّمْـعَ وانا
شهيد بالقلب، فقال ان الذى داخَلَهُ الطمعُ حتى حـال بينه وبين
الحقّ ومنع من اصلاح ما ظهر من الفسـاد والبغى فى الارض هو انتَ،
فقال ايها الرجل كيف يُداخلنى الطمع والصفرآء والبيضـآء بيَدى

اكثرها فى الجانب الاعلى من المسجد فتكلّم مع زياد فى ان يميل عنه قليلاً ففعل فكان فى هذا المحلّ ازورار فى المسجد وامر ابو جعفر المنصور بعمارة هناك فعُملت واتّصل عمله فى اعلا المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل ابو جعفر طاقًا واحدًا باساطين الرخام دايرًا على صحْن المسجد وكان الذى زاد فيه مقدار الضعف ممّا كان قبله وزخرف المسجد بالفُسَيْفِسَاء والذهب وزيّنه بانواع النقوش ورخّم الحِجْر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو اوّل من رخّمه وكان كلّ ذلك على يد زياد ابن عبيد الله الحارثى وَالِى الحرَمَيْن والطايف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك فى عامَيْن وقيل فى ثلاثة اعوام وكتب على باب بنى جُمَح احد ابواب المسجد الحرام من جهة الصَّفَا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ارسله بالهُدَى ودين الحقّ ليُظْهره على الدين كله ولو كره المشركون، ان اول بيت وُضع للناس للذى ببكّة مباركًا وهُدًى للعالمين، فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنًا ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غنىٌّ عن العالمين، امر عبد الله امير المومنين اكرمه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرًا منه للمسلمين واهتمامًا باموره، والذى زاد فيه الضعف ممّا كان عليه قبل، وفرغ منه ورُفعت الايدى عنه فى ذى الحجّة سنة ١٤٠ وذلك بتَيْسير الله تعالى على امير المومنين وحُسن رعايته وكفايته، واكرامه له بأَعْظَم كرامته، فأَعْظَم الله اجر امير المومنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام، واحسن ثوابه وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة واعزّ نصره وايّده، وحَجّ المنصور فى ذلك العام وأَحْرَمَ من الحيرة وبذل على بَحْله الاموال العظيمة واعطى اشراف قريش

وولى بعده اخوه ابو جعفر عبد الله المنصور هو اسنّ من اخيه السفّاح وبويع له بعهد من اخيه فى اول سنة ١٣٧ وكان ظلوماً غشوماً هو اول من اوقع الفتنة بين العبّاسيين والعلويين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابنَىْ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحُسَيْن بن على رضهم وكانا خرجا عليه وأذى بسببهما خلقاً كثيراً من العلماء قتلاً وضرباً ممّن افتى بجواز الخروج عليه منهم الامام ابو حنيفة رضه أكرهه على القضاء فأبى فسجنه فمات فى السجن وقيل انه سمّه فى السجن لكونه افتى بالخروج عليه وسُمّىَ لبُخلهِ ابا الدوانيق لمحاسبة العمّال والصُنّاع على الدانق والحبّة وقتل ابا مسلم الخراسانى وهو الذى قام بدعوة الناس الى بنى العبّاس وشرح ذلك يطول ووُطِّئت له الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأُموىّ فانفرد بالاندلس وطالت مُدّته وملكها بنوه واستمرّت فى يدهم مُدّة ۞

وفى المحرّم سنة ١٣٨ وقيل سنة ١٣٩ امر ابو جعفر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام فزِيدَ فى شقّه الشامى الذى يلى دار النَدْوَة وزاد فى اسفله الى ان انتهى الى المنارة الّتى فى ركن باب بنى سَهْم ولم يزد فى الجانب الجنوبى شيئاً لاتّصاله بمسيل الوادى ولصُعُوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا قَوِى السيلُ عليه ولذلك لم يزد فى اعلا المسجد واشترى من الناس دُورَهم وهدمها وادخلها فى المسجد الحرام وكان الذى ولى عمارة المسجد لابى جعفر امير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثى وكان من شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جدّ مشافع ابن عبد الرحمن الشَّيْبى وكان زياد أجْحَفَ بدار شيبة بن عثمان وادخل

الحسين بن على رضه ان رسول الله صلعم اصبح يوماً وهو مهموم فقيل له ما لك يا رسول الله قال انى رايت فى المنام كأنّ بنى اميّة يتعاوَرون منْبَرى هذا فقيل يا رسول الله لا تهتمّ فانها دنيا تنالهم فانزل الله وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس ، قال ابن عطيّة فى تفسيره ولا يدخل فى هذه الرويا عثمان رضه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز انتهى ، وما كانت فى الحقيقة ولاية بنى اميّة الّا فتنة للناس، وآلَ الْمُلْكُ بعدهم الى آلِ العبّاس، واضحكهم الدهر بعد العُبُوس والبأْس، وأَلْبَسَهم حُلَلَ الامر والنّهى وأفْرحهم بذلك الالباس، وآنسهم بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الايناس، وهكذا الدُّنْيا دُوَل تَدُول وتُدَال، وما زال لكلّ زمان دَوْلَةٌ ورجال ✿

فأوّلُ من ولى منهم **السّفّاح ابو العَبّاس** عبد الله بن محمّد بن على ابن عبد الله بن عبّاس رضه وكان اصغر من اخيه ابى جعفر المنصور ، قال ابن جرير الطبرىّ وكان بَدْء امر بنى العبّاس ان رسول الله صلعم اعلم العبّاس عمّه ان الخلافة تَؤُول الى ولده فلم يزل ولده يتوقّعون ذلك الى ان بويع لأبيه محمّد سرًّا فلمّا مات محمد عهد لولده ابراهيم فسجنه مروان وقتله فى الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له فى الكوفة فى ثالث ربيع الاول سنة ١٣٢ وكان مولده سنة ١٠٨ وتوفى بالجدرى فى ذى الحجّة سنة ١٣٦ وكان نقش خاتمه اللهُ ثقة عبد الله وبه يومن وكان بذولاً سفاكاً قُتل فى مبايعته من بنى اميّة واتباعهم ما لا يُحْصَى كثرة وتوطّأتْ له الممالك من الشرق الى اقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاماً ومدّة امارته اربعة اعوام وجَرَتْ عادة الله تعالى فى الملوك والسلاطين قصر اعمار من اكثر من سفك الدماء منهم ✿

قلوبهم خيول الغدر والغضب، ثم انحرفت عنهم الايّام فاظلمتْ غرر اشراقهم، واذوى بلهيب العكس يانع اوراقهم، ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم، فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحُسام، ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجِسام، وأُذيق الموت الاحمر مروان الحِمار، ونُزِعَ من تحت الملك الى تحت حافر الحِمار، فما بكتْ عليهم السماء والارض، وما بقى لهم الّا ما تلموه من نفل وقرْض، ونُزِعوا من بين الأتْراب، الى بطن التُّراب، وسيقوا للحساب، الى يوم الحساب، فسُحْقًا لدُنْيا لا وَفاء فيها لبنيها، ولا بقاء لحلتي تجلّيها وتجنّيها، ولا ابقاء فيها على مُجْتليها ومُجْتنيها، ثلّتْ عِزّة عاد، وهدمتْ قصْر شدّاد، وأخْربتْ أرِمَ ذات العِماد، فأُفٍّ على الدنيا وزخرفها، والحَذَر الحَذَر من هجوم صرْفها وتصرُّفها، كم نادت عليهم حَذارِ حَذارِ من بَطْشي وفَتْكي، وكم صاحت عليهم لا تغترّوا بضحكي،

ولا يَغْرُرْكم منّى ابتسامٌ   فقَوْلي مُضْحِكٌ والفعلُ مُبْكي،

وكانت مُدّة مُلْكهم الف شهر، وكان ما تحمّلوه من الوِزْر والقَهْر، لتلك المدّة كالمَهْر، وجعل الله لبيت النبوّة عوض ذلك ليلة القدر، وما ادراك ما ليلةُ القدر، ليلة القدر خيرٌ من الف شهر، قال الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى فى الدُّرّ المنثور اخرج ابن ابى حاتم عن ابن عمر رضه ان النبىّ صلعم قال رايت ولد الحكم بن العاص على المنابر كانهم القِرَدة وانزل الله فى ذلك وما جعلنا الرويا التى أرَيْناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القران يعنى الحكم وولده، واخرج ابن مَرْدُويَة عن عايشة رضها انها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلعم يقول لأبيك وجدّك انكم الشجرة الملعونة فى القران، واخرج ابن مَرْدُويَة عن

العظيمة ، قال الذهبيّ عاش للجهاد في ايّامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كايّام عمر بن الخطّاب رضه ، وقال ابن ابي عُبَيْدة واين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبويّ وبنائه ، قال ابو الوليد الازرقي قال جدّى عمّر الوليد ابن عبد الملك المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكمًا وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو اوّل من نقل الاساطين الرخام وسقّفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفايح الذهب وازّر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سُرادقات ، قال النجم عمر بن فَهْد رحمه الله بعث الوليد بن عبد الملك الى وَاليه على مكة خالد بن عبد الله القَسْرى بستة وثلاثين الف دينار فضرب منها على بابَي الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التى فى باطنها وعلى الاركان التى فى جوفها ويقال ان الحلية التى حلّاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هى ما كانت فى مايدة سليمان بن داود من ذهب وفضّة وكانت قد احتملت من طُلَيْطلة من جزيرة الاندلس على بغل قوىّ فتفسّخ تحتها وكانت بها اطواق من ياقوت وزبرجد والله اعلم۞

الباب الرابع

في ذكر ما زاد العبّاسيّون في المسجد الحرام ،

لمّا انطوى بساط مُلْك بنى مروان ، وآلَ الى آلِ عبّاس الامرة والسلطان ، مزّقت بنو أُمَيّة كلّ ممزّق ، وشقّق الدهرُ حُلَلَ اينلسهم ومزّق ، وحرّق بنار البَأْس لباسهم وخرّق ، وكان رقص لهم الدهر وصفّق ، وكانت ثغور امالهم بَواسِم ، وغُرَر ايامهم بصُنُوف اللَّهو مَواسِم ، ورياح عزّتهم فى رياض غُرّتهم نَواسِم ، وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ، وتجرى على حسب

نوراً وادخلها الى المسجد وكان مما اشترى بعض دارنا يعنى دار جدّنا الأزرق وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شَيْبَةَ على يسار الداخل الى المسجد وكانت داراً كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر الف دينار وادخله المسجد الحرام وكتب لنا الى اخيه مُصْعَب ابن الزبير بالعراق يدفعها الينا قال فركب رجال منّا الى العراق فوَجَدُوا مصعباً يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيراً حتى قُتل مصعبٌ فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير يَعِدُنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقُتل ولم ناخُذْ منه شيئاً ، قال وذكر جدّى انه سمع مشيخة اهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقّف المسجد غير انهم لا يدرون اكُلُّه سُقّف أمْ بعضُهُ ، قال ثم عمّره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنّه رفع جدرانه وسقّفه بالساج وعمّره عمارة حسنة ، قال وحدّثنى جدّى عن سُفْيان بن عُيَيْنة عن سعيد بن فروة عن ابيه قال كنتُ على عمل المسجد فى زمان عبد الملك بن مروان فامر ان يجعل فى راس كلّ اسطوانة خمسون مثقالاً من الذهب ، قال وروى جدّى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة اجربة ومسجد مكة سبعة اجربة وذلك فى زمان عبد الله بن الزبير ۞

ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام ، قال شيخ شيوخنا الحافظ السُّيُوطى رحمه الله تعالى كان الوليد جَبّاراً ظالماً اخرج ابو نُعَيْم فى الحلية قال قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وعثمان بن عُبادة بالحجاز وقُرّةُ بن يزيد بمصر امتلأتْ الارض جَوْراً ، قال الحافظ السيوطى لكنّه اقام بالجهاد فى ايّامه وفُتحت فى دولته الفتوحات

الشاميّ بنآء الحجّاج وهو ظاهر الانفصال عن بنـآء عبد الله بن الزبير ، فلمّا فرغ الحجّاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحجّ فى ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله بن ابى ربيعة المخزوميّ وهو من ثقات الرّواة فتحادثنا فى امر الكعبة فقال عبد الملك ما اظنّ ان ابن الزبير سمع من عايشة ما كان يزعم انه سمع منها فى امر الكعبة فقال الحارث انا سمعتُ ذلك من عايشة رضها تقول قال رسول الله صلعم ان قومك استقصروا فى بنآء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكُفر اعدتُ فيه ما تركوا منه واعدته على ما كان عليه فى زمن ابراهيم عم فان بدا لقومك ان يبنوه فهلُمّى لأُريك ما تركوا منه فأراها قريباً من سبعة اذرع وقال عم وجَعلتُ لها بابَيْن موضوعَيْن على الارض بابًا شرقيًّا يدخل الناس منه وبابًا غربيًّا يخرج الناس منه ، فقال عبد الملك انت سمعتَها تقول ذلك قال نعم انا سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب فى يده منكتًا ساعة طويلة ثم قال وددتُ والله انى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ، كذا ذكره النجم عمر بن فَهْد رحمه الله وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوايد المهمّة والحديث شجون ، رجعنا الى ما نحن بصَدَده وذكر زيادة سيّدنا عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام وسندنا المتقدّم ذكره مُتّصِلاً مرفوعاً الى الامام ابى الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الازرقى قال حدّثنى جدّى قال كان المسجد الحرام مُحَاطًا بجدار قصير غير مسقّف وكان الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشىّ يتتبّعون الأفيـآء فاذا قَلَص قامت المجالس ، قال وحدّثنى جدّى قال حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم عن عقبة عن ابيه قال زاد عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام فاشترى

العمرة فى هذا اليوم فى كلّ عام ويأتون من البرّ بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن اكثر واعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيّد قَتادة بن ادريس بن مطاعن الحسنى جدّ ساداتنا الاشراف وُلاة مكة الآن ادام الله تعالى عزّهم وسعادتهم لما علم من امرآء مكة يومئذ وهم طايفة أُخرى من بنى حسن يقال لهم الهَوَاشم الانْهماك على اللّهو واللّذّات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرة القلوب عنهم وعدم توجُّههم الى احوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفُرْصة لاشتغال اهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بجملاتهم الى التنعيم فهاجم بعبيده وذويه ودخل مكة من اعلاها ومنع وُلاتها السابقين من الدخول اليها وكانت مكة يومئذ مسوّرة ووُلاتها من بنى حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن فُلَيْتة ففرّ بمن معه الى جهات اليمن وتمكّن السيّد قتادة من البلاد وذلك فى سنة ٥٩٩ واستمرّت الولاية فى ولده الى الآن والى من يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ۞

وفى سنة ٧٤ من الهجرة كتب الحجّاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها واحدث فيها بابًا آخر فكتب اليه عبد الملك بن مروان ان يُعيدها على ما كانت عليه على عهد رسول الله صلعم فهدم الحجّاج من جانبها الشامىّ قدر ستة اذرع وشبرًا وبنى ذلك الجدر على اساس قريش وكبس ارضها بالحجارة التى فضلت ورفع الباب الشرقىّ وسدّ الباب الغربىّ وترك سايرها لم يغيّر منها شيئًا فهى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع

به البُنيان كما يستمسك بالجصّ فارسل الى صَنْعاء اليمن طلب منها جصًّا نظيفًا محكمًا فأتوه به فبَنَى به الكعبة ، فلمّا اكمل هدمها كشف عن اساس ابراهيم عم فوجد الحِجْر داخلاً فى البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان ادار سترًا على فناء البيت فكان البُناة يبنون من ورآء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحِجْر فى البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابًا غربيًّا فى مقابلة هذا الباب فخرج الناس منه كما كان عليه لمّا جدّدت قريش الكعبة قبل مبعث النبىّ صلعم وحضره النبىّ صلعم وعُمرُهُ الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وكانت النفقة قَصُرَت بقريش لمّا بنوا الكعبة يومئذ فاخرجوا الحِجْر من البيت وجعلوا عليه حايطًا قصيرًا علامة على انه من الكعبة فازال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع واعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وبنى على قواعد ابراهيم عم ، وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة اذرع وزادت قريش تسعة اذرع فلمّا اكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعًا رآها عريضة لا طُولَ لها فزاد فى طولها تسعة اذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعًا ، ولمّا فرغ من بنائها طيّبها بالمسك والعنبر داخلاً وخارجًا من اعلاها الى اسفلها وكساها الديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحو من عشرة اذرع وكان فراغه من عمارة البيت الشريف فى سابع عشرين رجب سنة ٦٤ من الهجرة فخرج الى التَّنْعيم هو واهل مكة معتمرين شكر الله تعالى وذبح ماية بدنة وذبح كلّ واحد على قدر سعته وجعلوا ذلك اليوم عيدًا مشهودًا وبقيت هذه العمرة سُنّة عند اهل مكة الى اليوم يجتمعون للاعتمار فيه ولا يكادون يتخلّفون عن

وكان لمّا حاصره الحُصَيْن بن نُمَيْر فى عسكر جهّزه يزيد عليه التجأ بالمسجد الحرام فنصب عليه المناجيق واصاب بعض حجارته الكعبة الشريفة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض اخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نَعْيه فرأى عبد الله بن الزبير ان يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عم لمّا سمع من حديث عايشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلعم يا عايشة لولا انّ قومكِ حديثوا عهدٍ بشِرْكٍ لهدمتُ الكعبة فالزقتها بالارض وجعلت لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا وزِدْتُ فيها ستة اذرع من الحِجْرِ فان قريشًا استقصرتها حين بَنَت الكعبة فان بدا لقومكِ من بعدى ان يبنوه فهلمّى لأُريكِ ما تركوه فأراها قريبًا من سبعة اذرع اخرجه الشيْخان فى صحيحَيْهما ، وفى رواية عن مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير انى سمعت عايشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلعم قال لولا ان الناس حديثوا عهدِهِم بكفرٍ وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لَكُنْتُ ادخلت فيه من الحِجر خمسة اذرع انتهى ، فاستشار عبد الله بن الزبير من بقى من الصحابة رضهم فى ذلك فكان منهم من أبَى ومنهم من وافقه على ذلك فصمّم واقدم على ذلك ولمّا اراد هدم البيت الشريف لِيُجَدّد بناءه خرج اهل مكة من مكة خوفًا وتَلَكّأ العُمّال عن ذلك فأرْقَى عبد الله بن الزبير عبدًا دقيق الساقَيْن وعبيدًا له من الحُبُوش يهدمونها رجاءَ ان يكون فيهم الحبشىُّ الذى قال فيه رسول الله صلعم يخرب الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة ، قال الامام عبد الله بن أَسْعَد اليافعىُّ رحمه الله فى تاريخه مرآة الجنان اراد عبد الله بن الزبير ان يجعل الطين الذى تُبْنى به الكعبة من الوَرْس فقيل له انه لا يستمسك

فى مثل ما بين مكة والطايف وفى مثل ما بين مكة وعُسْفان وفى مثل ما بين مكة وجُدَّة انتهى ❁

ثم وقعت زيادةُ سيّدنا عبد الله بن الزُّبَيْر رضه وهو صحابى ابن صحابى ابوه احد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأُمّه اسماء بنت ابى بكر الصدّيق رضه ذات النطاقَيْن وخالته عايشة الصديقيّة امّ المومنين رضى الله عنها وُلد بالمدينة الشريفة بعد عشرين شهرًا من هجرة النبىّ صلعم وهو اول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يُولَد لهم ولدٌ وحَنَّكه رسول الله صلعم بتمرة لاكها وسمّاه عبد الله وكنّاه ابا بكر باسم جدّه الصدّيق رضه وكان صوّامًا قوّامًا طويل الصلوة وَصُولًا للرَّحِم عظيم الشجاعة قويًّا قسم الليالى على ثلاث فليلة يصلّى قايمًا الى الصُّبح وليلة يصلّى ويستمرّ راكعًا الى الصبح وليلة يصلى ويستمرّ ساجدًا الى الصبح روى عن النبىّ صلعم ثلاثة وثلاثين حديثًا وكان ممّن أَبَى البيعة ليزيد وفرّ الى مكة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الّا اهل مصر والشام فانهم بايعوا ليزيد فلمّا هلك اطاع اهلهما عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلّب على مصر والشام الى ان ولى عبد الملك فجهّز جيشًا كثيفًا على ابن الزبير وامّر عليهم الحجّاج بن يوسف الثقفى فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فخرج ابن الزبير وَحْده وقاتل قتالًا عظيمًا الى ان استشهد رضه فى سنة ٧٣ من الهجرة وانشد فيه النَّابِغَةُ الجَعْدىُّ

حَكَيْتَ لنا الصِّدّيق لمّا وليتنا ... وعثمان والفاروق فرتاح مُعْدِم

وسَوَّيْتَ بين الناس بالحقّ فاستوى ... وعاد صباحًا حالك اللون أَسْحَم

من اتخذ الجدار للمسجد الحرام، فلمّا استخلف عثمان رضه ابتاع
منازل ووسّعه بها ايضًا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان رضه
اول من اتخذ للمسجد الاروقة انتهى، قال الحافظ النجم عمر ابن فهْد
فى تاريخه فى حوادث سنة ٢٦ فيها اعتمر امير المومنين عثمان بن عفّان
رضه من المدينة فاتى ليلاً فدخلها وطاف وسَعَى وامر بتوسيع المسجد
الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدّد انصاب الحرم وكلّمه اهلُ مكة عثمانَ
رضه ان يحوّل الساحل من الشُّعَيْبية وهى ساحل مكة قديماً فى الجاهلية
فى ساحلها اليوم وهى جُدّةُ لقربها من مكة فخرج عثمان رضه الى جُدّة
ورأى موضعها وامر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه
وقال انه مبارك وقال لمن معه ادْخُلوا البحر للاغتسال ولا يدخله احدٌ
الا بمئزرٍ ثم خرج من جدّة على طريق عُسْفان الى المدينة وترك الناسُ
ساحل الشُّعَيْبية فى ذلك الزمان واستمرّتْ جُدّةُ بندرًا الى الآن لمكة
المشرفة وهى على مرحلتَيْن طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب
احداهما الليل كلّه فى ايام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية
على جميع الليل بشىء قليل وامّا الراكب المجد والساعى على قدميه
فيقطعهما فى ليلة واحدة وما رايتُ من علمائنا من صرّح بجواز القصر
فيها بل رايت من ادركتُ من مشايخى الحنفيّة كانوا يكملون الصلوة
فيها وامّا انا فأرَى لزوم القصر فيها لان مُدّة مسافة القصر عندنا ثلاث
مراحل يقطع كلّ مرحلة فى اكثر من نصف النهار من اقصر الايام بسير
الاثقال وهتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فازيده
ثم رايتُ فى مُوَطّأ الامام مالك رضه حديثًا صحيحًا يدلّ على صحّة ما
جنحتُ اليه صورتُه عن مالك انه بلغه ان ابن عبّاس كان يَقْصُر الصلوة

وصارت هذه الجهة من يوميذ الى اثناء هذا مرتفعة عن ممرّ السيل وصار السيل الكبير كلّه ينحدر الى جهة سوق الليل ويمرّ بالجانب الجنوبىّ من المسجد الى ان يخرج من اسفل مكة وهذا السيل سَيْلُ وادى ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى اسفل مكة سيل آخر يَعْتَرِضه يُسَمَّى سيل ابراهيم يجتمع من الجهات التى فى جنوب مكة وينْصَبُّ من محلّة اجياد ويمرُّ عرضًا الى ان يَصْدِم الركن اليمانى من المسجد وينحرف الى اسفل مكة وقوّة جريانه تمنع من جريان سيل وادى ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة فى كلّ عشرة اعوام تقريبـًا مرّةً فتدخُلُ المسجد الحرام ويحتاج الى التنظيف وتبديل الحصا ونحو ذلك وقد عمل المتقدّمون والمتأخّرون لذلك طُرُقًا واهتمّوا غاية الاهتمام فاندثرَتْ اعمالُها بطول الزمان ولم تَفْطُن الملوك بعدهم لذلك فاستمرّت السيول العظيمة بعد كلّ مُدّة تدخل الى المسجد ولَسْنَا الآن بصدد شرح ذلك ❁

واما زيادة امير المومنين عثمان رضه فى المسجد الحرام فقد ذكرها الامام ابو زكرياء النَّوَاوى نقلًا عن ابى الوليد الازرقى والامام اقضى القضاة الماوَرْدى فى كتابه الاحكام السلطانية وغيرهما من الائمّة المعتمدين رحمهم الله وفى كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا امّا المسجد الحرام فكان فِناءً حول الكعبة وفَضَاءً للطايفين ولم يكن له على عهد النبى صلعم وابى بكر رضه جدرٌ يحيط به وكانت الدور محدقة به وبين الدور ابواب تدخل الناس من كلّ ناحية، فلمّا استخلف عمر بن الخطّاب رضه وكثر الناس وسّع المسجد واشترى دُورًا وهدمها وزادها فيه واتّخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه وكان عمر رضه اول

عن روية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة
القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المُدَّعَى ٭ وقال مولانا
القاضى جمال الدين محمد ابو البقاء ابن الضياء الحَنَفيّ فى كتابه
البحر العميق فى مناسك الحجّ الى بيت الله العتيق انه كان يُرى فى زمنه
راسُ الكعبة لا كلّها من راس الردم يعنى المدعى فاذا ظهر له يقف ويدعو
ويسال الله تعالى حوايجه فان الدعاء مستجاب عند روية الكعبة الشريفة
انتهى ٭ ونقل حافظ الدين النَّسَفى فى المنافع عن صاحب الهداية
رحمهما الله انه استوصى عن شيخ له سمّاه فقال له اذا وصلتَ سوق كذا
ورايتَ الكعبة فادْعُ الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال ان من
رآها اوّلا ودعى كانت دعوتُه مستجابة انتهى ٭ وكان القاضى ابو البقاء
ابن الضياء المذكور فى اواسط المائة التاسعة وفاتُه فى سنة ٨٥٤ ولا شكّ
ان من عهد الصحابة رضى الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون
ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا اعلم هل وقف النبىُّ صلعم فيه ام
كان ذلك المحلّ غير مرتفع فى عهده صلعم وما رفعه الّا سيّدنا عمر رضه
بالردم الذى بناه فارتفع الارض وصار البيت الشريف يشاهد منه
حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه
وبالجملة فالآن لا يُرَى البيت الشريف منه ولكنّى انظر فى جميع عُمرى فى
المُدَّعَى يقف فيه فاللايق استمرارُ وقوف الناس بهذا المحلّ الشريف
والدعاء فيه تبرُّكًا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى اعلم ٭ ولمّا رُدِمَ
هذا المكان صار السيل اذا وصل من اعلا مكة لا يَعْلُو هذا المكان بل
كان ينحرف عنه الى جهة الشمال المستقبل البيت الشريف للبناء الذى
بناه عمر رضه فلا يصل هذا السيل الى المَسْعَى ولا الى باب السلام الى الآن

فكُتبَ بذلك الى امير المومنين عمر بن الخطّاب وهو بالمدينة الشريفة فأهاله ذلك وركب فزعًا مروعًا الى مكة فدخلها بعُمرة فى شهر رمضان فلمّا وصل الى مكة وقف على حجر المقام وهو مُلْصَق بالبيت الشريف فتَهَوَّل من ذلك ثم قال أُنْشِدُ اللهَ عبدًا عنده علمٌ من هذا المقام فقال المطلب ابن ابى وَدَاعة السَّهْمى رضه انا يا امير المومنين عندى علمٌ بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل هذا الامر فاخذتُ قدرَهُ من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بِمقاط وهى عندى فى البيت فقال له عمر رضه أجلس عندى وارسل اليها من يأتى بها فجلس عنده وارسل اليها فاتى بها فقيّس بها ووضع حجر المقام فى هذا المحلّ يعنى الذى هو فيه الآن واحكم ذلك وأستمرّ الى الآن ؞ قال وفيها وسّع امير المومنين عمر رضه المسجد الحرام بدُور اشتراها وهدمها وادخلها المسجد وذكر ما قدمناه آنفًا ؞ قال وفيها عمل امير المومنين عمر رضه الرَّدْمَ الذى بأَعْلَا مكة صَوْنًا للمسجد بناه بالصفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يَعْلُه سَيْلٌ بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم فى سنة ٢٠٢ فكشف عن بعض احجاره وشوهدَتْ فيه صخار كثيرة عظيمة لم يُرَ مثلها ؞ والأَقْدمون يسمّون هذا الرَّدْم رَدْم بنى جُمَحَ بضمّ الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جُمَحَ بن عمرو بن لُؤَىّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك ؞ اقول المراد بهذا الردم الموضع الذى يقال له الآن المُدَّعَى وهو مكان كان يُرَى منه البيتُ الشريف اول ما يُرَى وكان الناس خصوصًا حين يَرِدُ الحجّ من ثنيّة كَدَا وهى الحَجُون اذا وصلوا ذلك المحلّ شاهدوا منه البيت الشريف والدُّعآء مستجابٌ عند روية بيت الله تعالى وكانوا يَقِفُون هنالك للدُّعآء وامّا الآن فقد حالت الابنية

بتوسيع المسجد واشترى دورًا حول المسجد هدمها وادخلها فى المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر رضه وهدم دورهم وادخلها فى المسجد فضجّ اصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال لهم انما جرّاكم علىّ حلمى عليكم الم يفعل بكم ذلك عمر رضه فلا ضجّ به احدٌ ولا صاح عليه وقد احتذيتُ حَذْوَه فضججتم منّى وصحتم علىّ ، ثم امر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أُسَيْد فتركهم ، ولم يذكر الازرقى رحمه الله تعالى متى كانت زيادة امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه ولا زيادة امير المومنين عثمان رضه وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجزرى فى تاريخهما ان زيادة امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة امير المومنين عثمان بن عفّان رضه كانت فى سنة ٢٦ من الهجرة ، اقول زيادة امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه وعمارته للمسجد كانت عقب السّيل العظيم فى سنة ١٧ من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سَيْل أُمّ نَهْشَل ، قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ النقى محمد بن فَهْد الهاشمى العلوى رحمه الله تعالى فى كتاب اتحاف الورَى بأَخْبار أُمّ القُرَى فى حوادث سنة ١٧ فيها جاء سَيْلٌ عظيم يُعْرَف بسَيْل أُمّ نَهْشَل من اعلا مكة من طريق الرّدم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وُجِدَ بأَسْفَل مكة وغُيِّب مكانه الذى كان فيه لمّا عَفَاه السيل فأُتِىَ به ورُبط بلصق الكعبة فى وجهها وذهب السيلُ بأُمّ نَهْشَل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاصى بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب فماتت فيه واستخرجت باسفل مكة وكان سيلاً هايلاً

دُورهم مسلكًا شارعًا فيه باب يُسْلَكُ منه الى بيت الله تعالى ، ثم كثرت البيوت واتّصلت الى زمن النبىّ صلعم فوُلِدَ عليه افضل الصلوة والسلام على اشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحلّ المسمّى الآن بشعب عَلِيّ وكان يسكن دار سيّدة النّساء أُمّ المومنين خَدِيجَةَ الكُبْرى رضوان الله عليها ، ثم لمّا ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمرّ الحال على هذا الوضع فى زمن النبى صلعم وزمان خليفته سيّدنا ابى بكر الصدّيق ولمّا زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن امير المومنين عمر الفاروق رضه فراى ان يزيد المسجد الحرام فاوّل زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضه فنَبْدَأُ بذكرها فنقول روينا بالسند المتّصل المذكور سابقًا فى المقدّمة عن الامام ابى الوليد الازرقى قال اخبرنى جدّى قال اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدرات تُحيط به وانّما كانت دور قريش مُحدقة به من كلّ جانب غير ان بين الدور ابوابًا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام ، فلمّا كان زمان امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه وضاق المسجد بالناس ولَزِمَ توسيعه اشترى دُورًا حول المسجد وهدمها وادخلها فى المسجد وقد بقيت دور احتيج الى ادخالها ايضًا فى المسجد فأبَى اصحابها من بَيْعها فقال لهم عمر رضه انتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورًا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة فى سُوحكم وفنائكم فقُوِّمَت الدور ووُضِعَ ثمنها فى جوف الكعبة ثم هُدِمَت وأُدْخلت فى المسجد ثم طلب اصحابُها الثمن فسُلِّمَ اليهم ذلك ، وامر ببناء جدار قصير احاط بالمسجد وجعل فيه ابوابًا كما كانت بين الدور قبل ان تُهْدَم جعلها فى محاذاة الابواب السابقة ، فلمّا كثر الناس فى زمان امير المومنين عثمان رضه فامر

الباب الثالث

في بيان ما كان عليه وَضْعُ المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام
وبيان ما أُحْدِثَ فيه من التوسيع والزيادة في زمن خلافة سيّدنا امير
المومنين عمر بن الخطّاب رضه وزمن خلافة سيّدنا امير المومنين عثمان
ابن عفّان رضه وزمن سيّدنا عبد الله بن الزبير رضه وهدم عبد الله
ابن الزبير بناآء قريش للكعبة واعادتها علي قواعد ابراهيم عليه السلام
ثم هدم الحجّاج جانب الحِجْر والميزاب من الكعبة واعادتها علي ما
بَنَتْه قريش في زمن النبيّ صلعم قبل مبعثه الشريف ٭

اعلم ان الكعبة الشريفة لمّا بناها سيّدنا ابراهيم الخليل عم لم يكن
حولها دار ولا جدار واستمرّت كذلك في ايام العمالقة وجُرْهُم وخُزاعة لا
يستجرى احدٌ ان يبنى بمكة دارًا ولا جدارًا احترامًا للكعبة الشريفة ٭
فلمّا آل امرُ البيت الى قُصَىّ بن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما
تقدّم بيانُه جمع قُصَىٌّ قومه وامرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة
بيوتًا من جهاتها الاربع وكانوا يُعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتًا او
يدخلوا الى مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارًا فاذا أَمْسَوْا خرجوا
الى الحلّ فقال لهم قُصَىٌّ ان سكنتم حول البيت هابَتْكم الناس ولم
تستحلّ قتالكم والهجوم عليكم ٭ وبَدَأَ هو وبنا دار النَّدْوَة من الجانب
الشامى كما تقدّم بيانه ويقال انها محلّ مقام الحنفيّة الذى يُصَلّى فيه
الآن الامام الحنفىّ الصلوات الخمس ٭ وقسم قُصَىٌّ باقى الجهات بين قبايل
قريش فبنوا دُورَهم وشرّعوا ابوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا
للطايفين مقدار المطاف بحيث يقال انه القدر المفروش الآن بالحجر
المنحوت الى حاشية المطاف الشريف الآن وجعلوا بين كلّ دارَيْن من

انهم يشترون ذلك من بنى شيبة فانهم لا يملكونه فقد روى عن ابن عبّاس وعايشة انهما قالا يبيع ذلك ويجعل ثمنه فى سبيل الله تعالى انتهى ، وقد ورد فى الحديث الصحيح لولا حداثة قومكِ بكفر لانفقت كنز الكعبة فى سبيل الله وقال القرطبى من علماء المالكية رحمه الله كنز الكعبة المال المجتمع ممّا يُهْدَى اليها بعد نفقة ما تحتاج الكعبة اليه وليس من كنز الكعبة ما تُحَلّى به من الذهب والفضة لان حِلْيَتها حُبُسٌ عليها كحُصُرِها وقناديلها لا يجوز صَرْفُها لغيرها انتهى فعَلَى قول القرطبى تكون كسوتها ايضًا حُبْسًا عليها كحُصْرِها وقناديلها فلا يملكها احدٌ انتهى ، وقال الزركشى من علماء الشافعية رحمه الله فى قواعده قال ابن عَبْدَان امنع من بَيْع كسوة الكعبة واوجب ردّ من حمل منها شيئًا ، وقال ابن الصلاح هى الى راى الامام والذى يقتضيه القياس ان العادة استمرّت قديمًا بانّها تبدل كلّ سنة وتاخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرّفون فيها بالبيع وغيره وتقرّهم الائمّة على ذلك فى كلّ عصر فلا تردد فى جوازه ، والذى يظهر لى ان كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمْرُها راجعٌ اليه يُعْطيها لمن شاء من الشَّيْبِيّين او غيرهم وان كانت من اوقاف السلاطين وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها فهى لمن عيّنها له وان جُهِلَ شرط الواقف فيها عُمِلَ فيها بما جَرَت العادة السابقة فيها كما هو الحُكْم فى ساير الاوقاف وكسوة الكعبة الشريفة الآن من اوقاف السلاطين ولم يُعْلَم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بنى شيبة انهم ياخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيُبَقّون على عادتهم فيها وللعلماء المتأخّرين رسايل فى حكم كسوة الكعبة لم يتيسّر لى الآن الوقوف على شىء منها ۞

يجرد الكعبة ورايته يخلق جدورها ويطيبها ورايت ثيابها التي جردها
منها قد وضعت بالارض ورايت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر
ابن عباس انكر شيئا من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان ء وقال ايضا
حدثني جدي حدثنا ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى حدثنا علقمة
عن أمه عن أم المومنين عايشة رضي الله عنها ان شيبة بن عثمان
دخل عليها وقال لها يا ام المومنين تكثر ثياب الكعبة عليها فنجردها
عن خلقانها ونحفر لها حفرة ندفن فيها ما بلي منها كيلا تلبسها
الحايض والجنب فقالت له عايشة رضي الله عنها ما اصبت فيما فعلت
فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها
من حايض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله وابن السبيل ء
ومذهب علمآئنا رضي الله عنهم في ذلك رجوع امره الى السلطان وقال
الامام فخر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه
ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان وينتفع به ويستعين به في
امر الكعبة لان الولاية فيه للسلطان لا لغيره ء وفي تتمة الفتاوى عن
الامام محمد رحمه الله في ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شيئا
له ثمن لا ياخذه وان لم يكن له ثمن فلا باس له ء قال الامام نجم الدين
الطرطوسي في منظومته

وما على الكعبة من لباس   إن رث جاز بيعه للناس
ولا يجوز اخذه بلا شرا   للاغنياء لا ولا للفقراء ء

قال الامام الفقيه ابو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء
من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شرآءه ولا وضعه بين اوراق
المصحف ومن حمل شيئا من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه الناس

به على ملوك الانام، ولا يَصِلُ الى ذلك الا اعظم السلاطين الفخام، وهى الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام، زيّن الله تعالى بمزاياهم اجياد الليالى والايام، وخلّد ذكر محاسنهم فى صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيام، ان شاء الله الملك العَلّام ؞

واما نَزْعُ كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس فقد ذكر الازرقى رحمه الله قال حدثنى جدّى عن مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج عن ابيه ان عمر بن الخطّاب رضه كان ينزع كسوة البيت فى كلّ سنة فيقسمها على الحاجّ؞ وقال ايضاً وحدثنى جدّى حدثنا عبد الجبّار بن الورد المكّى قال سمعت ابن ابى مُلَيْكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فلمّا كُسيَت فى الاسلام من بيت المال خُفِّفَت عنها تلك الكساوى شيئًا فشيئًا وكان اول من ظاهر لها كسوتَيْن امير المومنين عثمان بن عفّان رضه؞ فلمّا كان ايام معاوية بن ابى سفيان كساها الديباج مع القباطى ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطى وحبر وامر شَيْبة بن عثمان ان يجرّد الكعبة عن الكساوى ويُخلّقها بالطيب ويلبّسها ما جهّزه اليه فجرّدها وطيّب جدرانها بالخَلُوق وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين اهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عبّاس رضه حاضراً فى المسجد الحرام فما انكر ذلك ولا كرهه؞ قال وكان شيبة يكسو منها حتى راى على امراة حايض من كسوتها فانكر ذلك عليها؞ وقال ايضا حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكم بن عبد الله ابن ابى فَرْوَة عن هلال بن أُسامة عن عطاء بن يَسَار قال قدمتُ مكة معتمرًا فجلستُ الى عبد الله بن عبّاس فى صُفّة زمزم وشيبة بن عثمان

اشترى السلطان الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون قريتَيْن بمصر وَقَفَهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بَيْسُوس وسَنْدَبيس، ثم استمرّت سلاطين مصر من بعده تُرسل كسوة الكعبة فى كل عام وكانوا يرسلون عند تجدُّد كلّ سلطان مع الكسوة السودآء التى تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمرآء لداخل البيت الشريف وكسوة خضرآء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السودآء والحمرآء والخضرآء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات فى قلب دالات وقد تزاد فى حواشى تلك الدالات آيات أُخْرٰى متناسبة او اسمآء اصحاب رسول الله صلعم او تترك سادجة بحسب ما يُؤمَر النّسّاج به، فلمّا آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلّد الله تعالى ايام سلطنتهم القاهرة ما دار الدوران، ودام الزمان، واخذ المرحوم المقدّس السلطان سليم خان، ابن السلطان بايزيد خان، عليه الرحمة والرضوان، مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسّنان، جهّزت كسوة الكعبة الشريفة داخلا وخارجاً وكسوة المدينة الشريفة على ما جرت به العادة وامر باستمرار الكسوة السودآء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد، ولمّا آلت السلطنة العظمى الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان امر باستمرار الكسوة الشريفة على عوايدها السابقة ثم ان قريتَى بَيْسُوس وسَنْدَبيس الموقوفتَيْن على كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضَعُف رَيْعُهما عن الوفآء بمَصْروف الكسوة فامر ان يكمل من الخزاين السلطانية بمصر ثم اضاف الى تلك القريتَيْن الموقوفتين قُرًى أُخْرٰى أَوْقَفَها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفًا عامرًا فايضًا مستمرًّا وذلك من اعظم مزايا السلاطين العظام، الذى يفتخرون

قريش العَدْل لانه عَدَل قريشًا وَحْده فى كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العَدْل، وقال ايضًا اخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابى حُبَيْشة عن ابيه قال كسى النبىّ صلعم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القَبَاطى وكان يُكْسَى الديباج بعد ذلك، وقال ايضًا حدثنى جدّى قال كانت الكعبة تُكْسَى كلّ سنة كسوتَيْن فتكسى اوّلاً الديباج قيصًا يُدْنَى عليها يوم التروية ولا يُخاط ويُتْرك الإزار حتى يذهب الحاجّ لئلّا يخرقونه فاذا كان العاشوراء علّقوا عليها الازار وأَوْصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهى من القَبَاطى، فلمّا كانت ايام خلافة المامون امر ان تُكْسَى الكعبة ثلاث مرّات كلّ سنة فتُكْسَى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطى اول رجب وتكسى الديباج الابيض فى عيد رمضان واستمرّ على ذلك، ثم أُنْهِىَ اليه ان الازار الذى تكسى به الكعبة فى العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذى تكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج الى ان يجدّد لها ازار على عيد رمضان مع قيص الديباج الابيض الذى تكسى به على العيد فامر ان تكسى ازارًا آخر على عيد رمضان، ثم بلغ المتوكّل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مسّ ايادى الناس فزادها ازارَيْن وامر بإسْبال قيص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه فى كلّ شهرَيْن ازارًا وذلك فى سنة ٢٤٠، ثم بعد الخلفاء العبّاسيّين وايام وهنهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارةً من قبل سلاطين مصر وتارةً من قبل سلاطين اليمن بحسب قوّتهم وضعفهم الى ان استقرّت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان

الدنيا وعظمآئها ٭

هو العادل الظّلّام للمال والعِدَى   خزاينهُ قد اقفـرت وديارُهَـا
عليمٌ بنور الله ينظرُ قـلـبُـهُ   فلم يغن اسرار القلوب استتارُهَا
به نصر الله الصليـب واهـلـه   به ملّة الاسلام عال منـارُهَـا
فلا زالت الافلاك تجرى بنصره   ولا زال عنه قطبها ومدارُهَـا ٭

فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديمًا وحديثًا وحكم بيعها وشرآئها والتبرّك بها ٭ ذكر الازرقى وابن جُرَيْج رحمهما الله تعالى ان اول من كسى الكعبة الشريفة تُبّع الحِمْيَرى من ملوك اليمن فى الجاهلية تعظيمًا لها واسم هذا التُبَّع أَسْعَدُ وانه راى فى منامه انه يكسو الكعبة فكساها الأَنْطَاع ثم راى انه يكسوها فكساها من حِبَرِ اليمن وجعل لها بابًا يُغْلَق فقال أَسْعَدُ فى ذلك

وكسونا البيت الذى حرّم اللـه مُلآءً مُعَضَّدًا وبُرُودَا
واقمنـا به من الشهر عـشـرًا   وجعلنا لبابه اِقْلِيدَا
وخرجنا منه الى حيث كُنّا   ورفعنا لوآءنـا معقودًا ٭

قال الازرقى ايضًا حدّثنى جدّى حدّثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن ابى مُلَيْكة قال كان يُهْدَى للكعبة هدايا شتّى من اكسية وحبر وانماط وتُكْسَى بها الكعبة ويُجْعَل ما بقى منها فى خزانة الكعبة فاذا بلى شئ منها جُعل فوقه ثوب آخر ولا يُنْزَعُ ممّا عليها شئ وكانت قريش فى الجاهلية تترفّد فى كسوة الكعبة فيضربون على القبايل بقدر احتمالهم من عهد قُصَىّ بن كلاب حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم وكان مثريًا يتّجر فى المال فقال لقريش انا اكسو الكعبة وَحْدِى سنةً وجميع قريش سنةً فكان يفعل ذلك الى ان مات فسمّته

خلّد الله تعالى خلافته الزاهرة، وابّد ايام سلطنته القاهرة، وجمع له بين سعادتى الدُّنْيا والآخرة، ثم انفضّ ذلك المجلس العظيم، وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم، وكان يومًا شريفًا مشهودًا، ووقتًا مباركًا متيمّنًا مسعودًا، رقمتْهُ الليالى والايام فى صفحات اوراقها، واثبتَتْه فى جرايد دفاترها واطباقها،

وانّما المرء حديثٌ بعده فكُنْ حديثًا حَسَنًا لمن رَوَى،

ثم توجّه محمد چاوش المذكور بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنوّرة، ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهّرة، واجتمعت له اكابر المدينة الشريفة واعيانها، وعُلَمَاؤُها وصلحاؤُها واركانها، وشيخ حرمها وبوّابها، ومن له شان وقدر من مجاوريها وسُكّانها، فعُمِلَ موكب شريف فى الحرم الشريف النبوّى وفُتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام وعُلّق ذلك القنديل تجاه الوجه الشريف النبوى عليه الصلوة والسلام وقُرِئت الفواتح وحصل الدعاء من ساير جيران سيّد الانام، عليه اشرف التحيّة وافضل السلام، بدَوام دولة هذا السلطان العظيم الاعظم، سلطان سلاطين العالم، خلّد الله ملكه السعيد، وابّد مَعْدَلَتَهُ وفضله واحسانه المزيد، فالله تعالى يطيل عمره ويسعده، ويُوَفّقه للخيرات ويُرْشده، ويسوّقه الى الباقيات الصالحات من اعمال الخير ويُسَدّده، وهو اول من علّق قناديل الذهب فى الحرمَيْن الشريفَيْن من سلاطين آل عثمان، خلّد الله تعالى سلطنتهم وابّد دولتهم الى انتهاء الزمان، وقد سبق بهذه المَنْقَبة الشريفة آباءه السلاطين العظام، وفَاقَ بهذه المزيّة الكريمة أَجْداده وأَسْلافه الكرام، لا زال فايقًا كبار سلاطين العالم وخلفآيها، وراقيًا بأَقْدام اِقْدام عزمه هام ملوكها

حضرته العالية ادام الله تعالى عزّه واقباله ومعه اكابر السادة الاشراف وجلس فى الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضى حُسَيْن الحُسَيْنى المُومَى اليه، خلّد الله عظمته واجلاله عليه، وباقى من ذكرنا وساير الاعيان والاهالى، وكافّة العلماء والفقهاء والموالى، واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف، بذلك الموكب المنيف، وفتح باب بيت الله تعالى واحضرت الخلع الشريفة السلطانية، والقناديل السَّنيّة الخاقانية، وقُرِئت المراسيم الشريفة المطاعة فى الاقطار والجهات فوق منبر لطيف بصَوْت جَهْوَرِىّ يسمعه الخاصّ والعامّ وأُلْبِس سيدنا ومولانا السيد حسن نصّره الله تعالى خلعتَيْن فاخرتَيْن ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف سيدنا ومولانا السيد حسن بالبيت بخلعتَيْه على المعتاد والرّئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعُلُوّ زمزمة على العادة والناس كلّهم رافعون أكفّهم بالدّعاء والتّأمين الى ان فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعى بالمُلْتَزَم الشريف ثم صلّى ركعتَى الطّواف فى مقام ابراهيم ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقيّة الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة واحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكاناً عاليًا يقعَ نظر الداخل الى البيت الشريف فى اول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأُحْضِر سُلَّمٌ يُصْعَد عليه فعلّقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيمًا لامر السلطنة العالية المنيفة وقُرِئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودَعَت الناس اجمعون ورفعت اصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرّعون بدَوَام دولة هذا السلطان الاعظم، سلطان سلاطين العالم،

سيّد العلمآء الاعلام، وسند الفضلآء الكرام، ناظر المسجد الحرام، ومدرّس اعظم مدارس اعظم سلاطين الانام، صَفْوَةُ نُخْبَةِ آل سيد المرسلين عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام، وقاضى المدينة المنوّرة سابقًا بدر الملّة والدين، مولانا السيد حُسَيْن الحُسَيْنى المكّى المكين، لا زال حرم الله الامين، مشمولاً فى ايّام نظارته بالعزّ والتمكين، واهل الحرمَيْن الشريفَيْن غارقين، فى بحر احسانه فى كل وقت وحين، وكذلك لقاضى مكة المشرفة يومئذ اقضى قُضاة المسلمين، أَوْلَى وُلاة الموحّدين، مَعْدن الفضل واليقين، وارث علوم الانبياء والمرسلين، مولانا مُصْلِح الدين لُطْفى بك زاده ذكّره الله تعالى بالصالحات، وافاض عليه سوابغ الخيرات، وكذلك لامين العمارة الشريفة افتخار الامرآء العظام، معمّر المسجد الحرام، الامير احمد وفّقه الله تعالى وسدّد، واكرمه واسعد، وجهزت السلطنة الشريفة نصّر الله تعالى بها الاسلام، وأيّد بتأييدها دين سيّدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام، مع الجاوش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مُرَصَّعة بالجواهر ليعلّق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى زاده الله تشريفًا وتعظيما والثالث فى الحُجْرة الشريفة النبوّية تجاه الوجه الشريف النبوّى تعظيمًا لسيّد الانام،

على ذلك الوجه المليح تحيّةٌ مُبَارَكَةٌ من ربّنا وسَلَام،

فلمّا وصل محمد چاوش الى مكة المشرفة شرّفها الله تعالى بما فى يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قُوبل بغاية التعظيم والاجلال، وعُومل بنهاية الاحترام والاقبال، وأُلْبِس الخلع الشريفة الفاخرة، وأُنْعِمَ عليه بالضيافات والانعامات الوافرة، وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن المشار الى

عنه، وافتقد مرّة اميرٌ من امراء جُدّة قنديلًا كان عُلّق قريبًا فى البيت الشريف فكلّم على ذلك الشيخ واراد اهانته فلم يقدر على ذلك فتكلّم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بِنْيَة الانسان اوجبُ من المحافظة على قناديل معلّقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقها ولا يضرّها فقدها، وقد وصلنا الآن الى حدّ المخمصة فنعذر فى ذلك ان وقع فعله منّا والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر فى غاية الصون فى ايام هذا الشيخ الموجود الآن لعفّته وامانته عُلّقت فى ايامه قناديل كثيرة اهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهى محفوظة معلومة عند الناس باقية يَرَوْنها فى سقف البيت الشريف اوقات فتح الكعبة لساير الناس، وقد وصل فى وسط سنة ٩٨٤ من الباب الشريف العالى السلطانى چاوش اسمه محمّد چاوش كان قبل ذلك كاتبًا للحَرَم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجّه ببشارة اتمام عمل المسجد الشريف الى الباب العالى السلطانى وهو رجل فى غاية الامانة والاستقامة وحُسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحُسن الخطّ والمُرُوّة وعُلُوّ الهِمّة سلّمه الله تعالى فاقبلت عليه السلطنة نصّرها الله تعالى وأُنْعِمت عليه بانواع الانعام والترقّى وغير ذلك من الاكرام وادخل فى عداد خواصّ چاوشية الباب العالى وأُرْسل الى الحرَمَيْن الشريفَيْن بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف فى هذه العمارة اجلّهم سيّدُنا ومولانا المقام الشريف العالى سيّد السادات الاشراف، وصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ من شُرَفَآء بنى عبد مناف، السيد الشريف الحسيب النسيب، المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب، بَدْرُ الدُّنْيا والدين مولانا السيد حسن بن ابى نُمَيّ خلّد الله تعالى دولتهما وسعادتهما، ودام عِزّهما وسيادتهما، وكذلك شيخ مشايخ الاسلام،

على الله قدم بها الفضل بن العبّاس فى موسم سنة ٢١١ وكان وزن القصبة ثلاثماية وستّين درهمًا فضة وعليها خارجًا عن ذلك ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لاربع ليـــال خلون من صفر فعلّق هذه القصبة مع معاليق الكعبة، قلتُ وسيأتى ان هارون الرشيد كتب ان يكون ولىّ عهده بعده محمّد الامين ثم عبد لله المامون وبايع لهما على ذلك اعيانُ مملكته وكتب مُبايعتهم وارسل نساخة ذلك العهد وعلّقها فى الكعبة ثم لمّا وقع بعده الاختلاف بينهما وارسل الامين عسكرًا لقتال اخيه المامون ارسل الى مكة واخرج كتاب العهد من الكعبة ومزّقه فمزّق الله تعالى ملكه وانكسر عسكره وانتصر المامون وجاء الى بغداد وحاصر الامين الى ان امسكه عبد الله بن طاهر وقتله واتى براسه الى المامون وسياتى تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى، ثم لمّا وقعت الفتنُ بمكة أُخِذَتْ تلك المعاليق من الكعبة وصُرِّفَتْ فى ذلك، وقد كانت الملوك تُرْسل بقناديل الذهب وتعلّق فى الكعبة وكانت شـيـوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلَسَت منهـا ما تسدّ بـه خَلَلها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد ادركنا فى ايام الصبا وقـد خَفّت القناديل وادركنا من شيوخ الكعبة من كان يتّهم بذلك بل اخبرنى نجّارٌ انه عمل لاحدهم محطًّا مركّبـاً من الخشب مُولَّفـًا من عدّة اعواد طوال كلّ واحد منها نحو ذراع تركّب فتطول ثم تُفَكُّ وتُحْمَل فى الكُمّ فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركّب ذلك المحطّ ونزّل قنديلاً وفكّ تلك الاعـواد وعفس ذلك القنديل ووضعه فى كُمّه الواسع ثم اذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله

اموالًا وجواهرَ فى الزمان الاول وكان سلسان بن بابك أَهْدَى غزالتَيْن من ذهب وجواهر وسيوفًا وذهبًا كثيرًا الى الكعبة ، وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن لُوىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة القُرَشىّ اول من علّق فى الكعبة السيوف المحلّاة بالذهب والفضة ذخيرةً للكعبة ثم نقل عن الازرقى اشياء أُهْدِيَتْ الى الكعبة منها ان امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه لمّا فتح مَدَائن كِسْرَى كان ممّا أُهْدى اليه هلالان فبعث بهما فعلّقهما فى الكعبة ، وبعث السفّاح بالصفيحة الخضراء فعُلّقت فى الكعبة وبعث المامون بالياقوتة التى تعلّق فى كلّ موسم بسلسلة من الذهب فى وجه الكعبة وبعث المتوكّل على الله بشمسة من ذهب مكلّلة بالدُّرّ الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلّق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم وأَهْدَى المعتصم العبّاسى قفلاً لباب الكعبة فيه الف مثقال ذهبًا فى سنة ٢١٩ وكان والى مكة يومئذ من قبله صالح بن العبّاس فارسل الى الحَجَبَة ليُقَبِّضهم القفل فأبوا ان ياخذوه منه واراد ان ياخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فأبوا ان يُعطوه ذلك وتوجّهوا الى بغداد وتكلّموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها واعطاهم القفل الذى كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم ، وذكر الفاكهىّ ان ممّا أُهْدى الى الكعبة طَوْقٌ من ذهب مكلّل بالزمرّد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء ارسله ملك السند لمّا اسلم فى سنة ٢٥٩ فعرض امره على المعتمد على الله فامر بتعليقها فى البيت الشريف فعُلّقت ، قال الشريف التقى الفاسىّ رحمه الله وممّا عُلّق بعد الازرقى قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر بن امير المومنين المعتمد على الله وبيعة ابى احمد الموفّق بالله ابن اخى المعتمد

السعيد على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح ابواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالجصّ ، ثم ورد الحكم السلطانى السليمانى بتصفيح الباب الشريف بالفضّة فاخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليها فضة وجُعلت صفايح وصُفّح بها باب الكعبة الشريفة وسُمّرت الصفايح بمسامير الفضة وأُعيدت الحلقات الاربع على الباب الشريف واصلح الميزاب الشريف وصُفّح بالفضة المموّهة بالذهب الى ان غُيّر بعد ذلك وعُمل الميزاب فى الباب السلطانى مصفّحاً بالذهب وارسل الى هُنا فوضع موضع الميزاب الذى كان فى الكعبة وجُهّز الى الباب الخاقانى فوصل ووُضع فى الخزانة العامرة ،

واما عمارة المَطَاف الشريف فوقعَتْ فى سنة ٩٦١ وكنتُ قد أُمِرْتُ بتاريخ يُكتب على بعض مواضع المطاف فكتبتُ بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت وُضعَ للناس للذى ببكّة مباركاً وهُدًى للعالمين ، فيه آيات بيّنات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنًا تقرّب الى الله تعالى بتجديد فرش احجار المطاف ، وتسويتها تحت اقدام الطايفين فى الطواف ، وتحلية الباب الشريف ، والميزاب المعظّم المنيف ، خليفة الله الاعظم ، سلطان الروم والعرب والعجم ، من اصطفاه الله تعالى واجتباه لترميم بيته الحرام ، واختاره وارتضاه لخدمة الركن والمقام ، السلطان ابن السلطان ابن السلطان ، الملك المظفر ابو الفتوحات سليمان خان ، تقبّل الله منه صالح الاعمال ، وبلّغه ما يُؤمّله من السعادة والاقبال ، ولمّا تمّ ذلك غرّد بالتاريخ طيرُ الهناء عمر الله قبلتنا ،

فصل فى ذكر معاليق الكعبة المعظمة وكسوتها ، اما المعاليق فقال المسعودى رحمه الله تعالى فى مروج الذهب كانت الفرس تهدى الى الكعبة

وسُطِّرَ ثواب ذلك فى صحايف المرحوم السلطان سليمان، عليه الرحمة والرضوان، ثم بعد الفراغ طلبوا منّا شيئًا يمكن كتابته فكتبتُ لهم كلامًا يتضمّن التاريخ وهو

الحمد لله الذى عمّر الكعبة الشريفة بالشرايع المحمّدية فعمرت وهى البيت المعمور حسًّا ومَعْنًى وشيّد قواعد ملك من جَدَّدَ سقفها بتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعايل ربّنا تقبّلْ منّا واصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدارًا يريد ان ينقضّ فاقامَهْ، وخصّه بكَنْزِ انّما يعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر فكان له بذلك اعظم كرامَهْ، وانالَه الحظّ الأوفر من مُلك سميّه نبىّ الله سيّدنا سُلَيْمان، ابن السلطان سَليم خان، الحادى عشر من ملوك بنى عثمان، خادم الحرمَيْن الشريفَيْن، الخافقة ألْوِيَة نَصْره ورايات ظفره فى الخافقَيْن، فلقد جَدَّدَ سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع، واصلح ارضها المقدّسة وجدارها المتّخذة قبلةً للسجود والركوع، وغرّد طيرٌ تاريخ تجديد عمارته على غُصُون حساب ابجد فكان

مجدد سطح بيت الله مالك الدول سليمان

ملّكه الله الارض ومن عليها، وجعل باب سعادته قبلةً تسجد جِبَاهُ المطالب اليها،

ثم لمّا فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلّق به شرع فى تسوية فرش المطاف الشريف فان احجاره انفصلَتْ وصار بين كلّ حجرتَيْن حُفَرٌ وكانت تلك الحفر تُسَدُّ تارةً بالنورة وتُدْلَك وتارةً بالرصاص وتسمّر بمسامير الحديد فازال ما بين الاحجار من الحفر ونَحَتَ طرف الحجر الى ان الصقه بطرف الحجر الاخر من جوانبه الاربعة واستمرّ فى فرش المطاف

برضوانه، واسكنه فسيح جنانه، حضر بنفسه من البرّ الى مكة المشرفة وطلب سيّدنا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملّة والدين الشيخ محمّد بن مولانا الشيخ ابى الحسن البكرى نفع الله به وباسلافه الكرام، وشيّد به آرز شريعة سيّد الانام، عليه افضل الصلاة والسلام، ومالانا الأَفَنْدى الاعظم قاضى مكة المشرفة وسيّدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة ومَرْجع اهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن يعقوب المالكى طيّب الله مَثْوَاهُ وجعل الفردوس الاعلا مَأْوَاهُ، وناظر الحرم الشريف المكّى يومئذ احمد چلبى المذكور فحضروا جميعاً تجاه البيت الشريف عند مقام سيّدنا ابراهيم عم واشير الى سيّدنا ومولانا الشيخ الاعظم محمّد البكرى ان يُلقى دَرْسًا يتكلّم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربّنا تقبّلْ منّا انك انت السميع العليم فتكلّم على جَرى عادته بلسان طَلْق فصيح ولفظ منتظم مليح أَبْهَرَ به الحاضرين وأَدْهَش الناظرين وأَفاد وأَجاد وقلّد نفايس الدرّ الاجياد فلمّا انقضى الدرس أَخْرج الناظر فتوى المفتى للناس فرأها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكرى فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحقّ ومَحْض الصواب، فامر مولانا السيّد احمد العُمّال بالشروع فى العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد، وكلّ ذلك كان بتدبير المرحوم القاضى تاج الدين المالكى رحمه الله وكان عَقْلًا مُجَسَّمًا وراء صواب مَحْضًا وله فضلٌ تامّ، وفكر صايب تمام، توفّى الى رحمة الله تعالى فى سنة ٩٩١، ثم لمّا كشف عن تلك الاعواد فى السقف الشريف وجدوها مكسورة كما ظنّوا فابدلوها بأَعْواد جيّدة فى غاية الإحكام والاستقامة واعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان

الجيمانى المصرى وغيره وذكروا بانه ان لم يتدارك تغيير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى امثال ذلك ان يسقط الى اسفل وتزعزع الجدران بسقوطه ويغلب فى الظنّ اختلال فى جوانب السطح يؤدّى الى سقوط السقف جميعه وتشقّق الجدران او سقوطها ، فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعيّنوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة ٩٥٩ فتعصّبت طايفة حرّكهم الهوى والغرض لمخالفة ما رايناه صوابا وحرّكوا طايفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرّض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدّة المديدة والرياح تنسفها من الجوانب الاربعة ولا يؤثر فيها دليلٌ على ان قيامها ليس بقوّة البناء بل هى قايمة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير اخشابها الّا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتهويلات التى تنبو عن مسامع العقلاء وعوّلوا الامر على عوامّ الناس وغوغائهم وكادت ان تقوم لذلك فتنةٌ من العوامّ ، وكتب مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر تاليفاً واسعاً فى الردّ على اوليك المعاندين واستند الى نقول كثيرة وصمّم على الجواز وجاءنى رحمه الله يحرّضنى على الثبات على ما صدر منّى من القول بالجواز ونقل لى عن المحبّ الطبرىّ فى كتابه استقصاء البيان فى مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عايشة رضى الله عنها فى هدم الكعبة ما نصّه ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً انه يجوز التغيير فى الكعبة لمصلحة ضرورية او حاجة مستحسنة انتهى ، ولمّا بلغ سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيّد الشريف شهاب الدين احمد بن ابى نمىّ صاحب مكة اذذاك تغمّده الله تعالى

الابواب الشريفة السلطانية، فلمّا وصل العرض الى المرحوم المقدّس المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان، بوّأه الله غرف الجنان، ارسل الى مفتى الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا ابى السُّعُود افندى المفتى الاعظم قدّس الله تعالى روحه يَسْتَفْتِيه عن حُكْم الله تعالى فى هذه المسالة جَوَاز او عَدَم جواز فكتب اليه يَجُوز ذلك ان دَعَت الضرورة اليه فارسل بجواب المفتى الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم على باشا فارسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضى مكة يومئذ مع امر شريف سلطانى مضمونه العمل بمقتضى الفتوى، فجمع احمد چلبى مُؤَن العمارة والاخشاب اللايقة بهذا العمل وكان كاتبه صولاق مُصْطَفى چلبى ومعماره مصطفى المعمار، وقبل الشروع فى العمل اقتضى رَأْيُهم مشاورة العلماء فى ذلك فجلس مولانا الافندى محمد بن محمود بن كمال بعد صلوة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ٩٥٩ فى الحرم الشريف واستحضر مفتى العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهَيْتَمى ومولانا الشيخ نُور الدين على بن ابراهيم العُسَيْلى ومولانا القاضى يحيى بن فاير ابن ظهيرة ومؤلّف هذا الكتاب وتفاوضوا فى هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عُودَيْن من أَعْوَاد سقف الكعبة مكسورَيْن نزلا عن محاذاة بقيّة اخشاب السقف الشريف من وسطهما مقدار اثنى عشر قيراطًا وذكر ان عودًا ثالثًا الى جانبهما لنحو الباب الشريف نزل ايضًا تسعة اصابع عن محاذاة اعواد السقف الصحيحة هُبُوطًا الى اسفل فانه يحتمل ان يكون مكسورًا ايضًا ويحتمل ان يكون صحيحًا لكنه اعوجّ باعوجاج ما الى جانبه من العود المكسور، وشهد معه المعلم احمد

قلاوون الصالحى صاحب مصر حلّا باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين الف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعْبان حلّا باب الكعبة فى سنة ٧٧٦ انتهى ما ذكره التقى الفاسى، قلتُ وقد ادركنا البـــاب الشريف مصفّحًا بالفضة وكان يختلس من فضته اوقات الغفلة من قـــلّ دينه وخفّت يده الى ان انكشف سُفل الباب الشريف عن خشب البـاب ومُسِكَ مراراً من يفعل ذلك وحُبِسُوا ويُهْدِلُوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية فى ايام المرحوم المقدّس السلطان سليمان خان، اسكنه الله تعالى فراديس الجنان، فى سنة ٩٦١ فبرز الامر الشريف السلطانى بتصفيح البـاب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة فى مَنْصَب نظـارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كَتَبَةِ مِصْرَ احمد چلبى المقاطعجى صِهْر المرحوم محمّد بن سليمان دَفْتَردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شِعر لطيف بالتُّرْكِىّ وتَرْجَمَ باللسان التركى كتابَ روضة الشهداء لمولانا جامى وضمّنه من لطايف النظم والنثر ما يستحسنه الطَّبْع ومن مَحَاسن السَّجْع ما يخفّ على السَّمْع وهو كتـاب مقبول متداول بين اللُّطَفاء وكان وُصُولُه الى مكة فى افتتاح سنة ٩٥٨ وكان فى البيت الشريف خشبة من اخشاب سقفه المنيف انكسرت وصار المـاء ينزل من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضى مصر يومئذ قَدْوَة عُلَماء الموالى العظام مولانا حامد افندى وهو اليوم مفتى ممالك الاسلام بالباب العالى اطال الله عمره المديد، وادام بقاءه السعيد، قد حجّ الى بلد الله الحرام وقاضى مكة يومئذ الافندى المرحوم مولانا محمّد بن محمود المعروف بخواجه قَيْنى اسكنهما الله تعالى فسيح الجنان، وحفّ تربتَهُ بالروح والريحان، فاطّلَعـا على هذا الاختلال وعرضـاه على

وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأَعْتَابَهُ من الذهب، وذكر ايضًا ان
حَجَبَةَ الكعبة ارسلوا الى المُتَوَكِّل العبّاسى يذكرون له ان زاويتَيْن من زوايا
الكعبة من داخلها مصفّح بالذهب وزاويتَيْن مصفّح بالفضّة والاحسن ان
يكون كلّها ذهبًا فارسل المتوكّل الى اسحاق بن سلمة الصايغ بذهب وامره
بعمل ذلك فكسر اسحاق تلك الزوايا وأَعادها من الذهب وعمل مِنْطَقَةً
من فضّة ركّبها فوق إِزَارِ الكعبة من داخلها عرضُها ثُلُثَا ذراع وجعل لها
طَوْقًا من الذهب مُتّصلًا بهذه المنطقة، قال وكان اسفل الباب عَتَبَةٌ من
خشب الساج قد رَثَّتْ وتَأَكَّلَتْ فأَبْدَلَها بخشب آخر وأَلْبَسَه صفايح
من فضّة، قال اسحاق الصايغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب
ثمانية الاف مثقال ومنطقة الفضّة وما على الباب من الفضة وما حُلِّيَ به
المقامُ من الفضة سبعين الف درهم، وذكر السيّد القاضى تقى الدين
الفاسىُّ رحمه الله ما وقع بعد الازرقى من تحلية البيت الشريف فقال من
ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسىّ ان بعض وُلاة مكة قلع ايام
الفتنة عصادتَىْ باب الكعبة وغيرها وسَبَكَها دنانير وأَصْرَفَها على دفع
الفتنة فامر المعتضد باعادة ذلك جميعه فأُعيدت كما اشار به، قال ومن
ذلك ان أُمّ المقتدر الخليفة العبّاسى امرت غُلَامَها لُؤْلُؤ ان يُلَبِّس جميع
اسطوانات البيت الشريف ذهبًا ففعل ذلك فى سنة ٣١٠، قال ومن ذلك
ان الوزير جمال الدين محمّد بن على بن منصور المعروف بالجواد وزير
صاحب مصر انفذ فى سنة ٥۴٩ حاجبه الى مكة ومعه خمسة الاف
دينار ليعمل بها صفايح الذهب والفضة فى اركان الكعبة من داخلها،
قال وممّن حَلّاها الملك المظفّر الغَسّانى صاحب اليمن وحلّاها حفيدُه
الملك المجاهد صاحب اليمن ايضًا، ثم ان الملك الناصر محمّد بن

شآء الله تعالى ، وبنآء الحجّاج هو جهة الميزاب والحِجْر بسكون الجيم وتعلية
جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذى فى لصق المُلْتَزِم وسدّ الباب
الغربى الذى يلصق المستجار لا غير وما عَدَا ذلك فى الجهات الثلاث
وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليمانى والحجر
الاسود فهو بنآء سيّدنا عبد الله بن الزبير باقٍ الى الآن كما سنذكره فى
زيادة عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنآيها على
قواعد ابراهيم ،

فصل فى تَحْلِيَة الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضّة وقناديلها
الشريفة ، قال ابو الوليد الازرقى رحمه الله تعالى اول من حلّا الكعبة
الشريفة فى الجاهلية عبد المطّلب جدُّ النبىّ صلعم بالغزالتَيْن الذهب
التَيْن وجدهما فى بير زمزم حين حفرها ثم قال واول من ذهّب البيت فى
الاسلام عبد الملك بن مروان ، وقال المسبحى ما يقتضى خلاف ذلك
فقال اول من حَلّا البيت عبد الله بن الزبير جعل على الكعبة واساطينها
صفايح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب ، وذكر الفاكهى رحمه الله
ان الوليد بن عبد الملك جعل الذهب على ميزاب الكعبة ، وذكر
الازرقى ان الوليد بن عبد الملك بعث الى وَاليه على مكة خالد بن
عبد الله القَسْرى بستّة وثلاثين الف دينار يضرب منها على بَابَى الكعبة
صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين الّتى فى جوف الكعبة
وعلى اركانها من داخل ، وذكر الازرقى ان الامين بن هارون الرشيد ارسل
الى عامله على مكة سالم بن الجّراح بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها
صفايح الذهب على بابَى الكعبة فقَلَعَ ما كان على الباب من الصفايح
وزاد عليها الثمانية عشر الف دينار فضربها صفايح استمرّت على الباب

ففاجأنا هذا الامين محمد · فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها أمس سيمة · وفى اليوم مهما يحدث الله فى غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله · اعم وأرضى فى العواقب والبد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا · له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به · أكفهم وافى به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه · فاعظم به من راى هاد ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة · يروح بها هذا الزمان ويغتدى ؟

ولما بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة اذرع زايدة على ما عمره الخليل عم ونقصوا من عرضها اذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التى اعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وجعلوا فى داخلها ست دعايم فى صفين ثلاث فى كل صف من شق الحجر الى الشق اليمانى وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة المشرفة ؟ تنبيه اختلف فى سن رسول الله صلعم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو اشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك قبل المبعث بخمسة عشر عاما والذى جزم به ابن اسحاق انه كان قبل المبعث بخمس سنين والله اعلم ؟

التاسع بناء سيدنا عبد الله بن الزبير للكعبة الشريفة فى زمن الاسلام ؟ وسياتى تفصيل ذكره وما وقع له فى الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى ايام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ؟

العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفى بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير ؟ وسياتى بيانه عقيب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان

ليس فيه مَهْر بغيّ ولا ربًا ولا مظلمة، ثم ان قريشًا اقتسمت جوانب البيت فكان شقّ الباب لبنى زُهْرة وبنى عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ومن انضمّ اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار وبنى اسد ابن عبد العُزّى وبنى عدىّ بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلعم ينقل معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفْضوا الى حجارة خُضْر كالأَسْنِمَة فضربوا عليها بالمِعْوَل فخرج برقٌ كاد ان يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصم فيه القبايل كلُّ قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه وكادوا ان يقتتلوا على ذلك فقال لهم ابو أُمَيّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفًا مطاعًا اجعلوا الحَكَمَ بينكم فيما اختلفتم فيه أوّلَ من يدخل من باب الصَّفَا فقبلوا منه ذلك فكان اول داخل رسول الله صلعم فلمّا رَأَوْه قالوا هذا مُحَمَّدٌ الأَمِينُ وكان يُسَمَّى قبل ان يُوحَى اليه امينًا لامانته وصدقه فقالوا جميعاً رضينا بحُكْمه ثم قَصُّوا عليه قِصَّتَهم فقال عليه الصلاة والسلام هَلُمّ الىّ ثوبًا فأُتِىَ به فاخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لياخذ كبير كلّ قبيلة بطرفٍ من هذا الثوب فحملوه جميعًا واتوا به ورفعوه الى ما يحاذى موضعه فتناوله رسول الله صلعم من الثوب ووضعه بيده الشريفة فى محلّه وفى ذلك يقول هُبَيْرة بن ابى وهب المخزومىّ

تَشَاجَرَت الاحياءُ فى فَصْلِ خُطَّةٍ ... جَرَتْ طيرهم بالنَّحْس من بعد أَسْعَد
تلاقوا بها بالبُغْض بعد مَوَدَّةٍ ... وأَوْقَدَ نارًا بينهم شرّ مُوقِد
فلمّا رَأَيْنا الامر قد جَدَّ جِدُّه ... ولم يَبْقَ شىءٌ غيرِ سَلِّ المُهَنَّد
رضينا وقُلْنا العَدْلُ أَوَّلُ طالِعٍ ... يجىء من البَطْحاء من غير مَوْعِد

ودخلها سَيْل عظيم فصدع جدرانها بعد تَوْهينها فأرادوا ان يشدّوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الاّ من شاءوا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جُدَّةَ لتَاجِرٍ رُومِيٍّ اسمهٔ بَاقُوم بموحّدة وقاف مضمومة وكان بَنَّاءً نَجَّارًا فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى جُدَّةَ فابتاعوا خشب السفينة وكلموا بَاقُوم الرومىّ ان يقدم معهم الى مكة فقدم اليها واخذوا اخشاب السفينة اعدّوها لسقف الكعبة المشرفة ٭ قال الأَموِىّ كانت هذه السفينة لقَيْصَر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة الّتى احرقها الفرس بالحَبَشَة فلمّا بلغت قريب مَرْسَى جُدَّةَ بعث الله عليها ريحًا فحطَمَتْها انتهى ٭ قلتُ لا تُعْرَفُ طريقٌ بين بحر الروم والحبشة يمرّ فيها على جُدَّة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهّزها له من بَنْدَر السُّوَيْس او الطُّور او نحو ذلك ٭ قال ابن اسحاق وكان بمكّة قبطىٌّ يعرف نَجْرَ الخشب وتسويته فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم ٭ قال وكانت حَيَّةٌ عظيمة تخرج من بير الكعبة الّتى يُطْرَح فيها ما يُهْدَى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها احدٌ الاّ كَشَّتْ وفتحتْ فاها وكانوا يهابونها ويزعمون انها تحفظ الكعبة وهداياها وان رأسها كراس الجَدْى وظهرها وبطنها اسود وانها اقامت فيها خمسماية سنة ٭ وقال ابن عُيَيْنَةَ فبعث الله تعالى طايرًا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجو ان يكون الله تعالى رضى لنا بما أَرَدْنا فِعْلَهُ فاجمع رايُهم على هدمها وبنائها ٭ قال ابن هشام فتقدّم عايذ بن عمْرَان بن مخزوم وهو خالُ ابى النبىّ صلعم فتناول حجرًا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من مالكم الاّ حلالاً طيّبًا

عنده فجذب العبّاس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر فى وجهه شجّة لم تزل فى وجه عبد الله الى ان مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتى بابنه فيذبحه فما بقى الناس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه باموالنا وكان بالحجاز عرّافة كاهنة لها تابع من الجنّ فانطلقوا به حتى قدموا عليها وقصّ عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عنّى اليوم حتى ياتينى تابعى وسائله فاسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم كم الدّية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت لهم قرّبوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه فان خرجت على ولدكم فزيدوا عشرة اخرى واضربوا عليها وعلى ولدكم واستمرّوا كذلك الى ان يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربّكم ونجى ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقرّبوا عشرة من الابل فضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمرّوا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الابل ماية فخرج القدح على الابل فاعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتى بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها ادمىّ ولا وحش ولا طير ، قال الزّهرى وكان عبد المطلب اول من سنّ دية النفس ماية من الابل فجرت فى قريش ثم نشأت فى العرب واقرّها رسول الله صلعم ،

الثلمن بناء قريش للكعبة المعظمة ، قال خاتمة الحفّاظ والمحدّثين مولانا الشيخ محمّد الصالحى قدّس الله تعالى روحه فى كتابه سبل الهدى والرّشاد فى سيرة خير العباد وهو احسن كتاب للمتأخّرين واسبطه فى السيرة النبوية ولنا به اجازة عامّة رحمه الله ان امراة جمّرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها

اطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانّما سُمّى هاشماً لهَشْمهِ الخُبز وثرده لقومه كما قال القايل

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

سُنّتْ اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغَزّةَ من ارض الشام تاجراً فولى السقاية والرفادة اخوه المطّلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يُسَمّى الفَيْض لسماحته وفضله وكان اصغر من عبد شمس فتوفّى المطّلب برومان من ارض اليمن وتوفى عبد شمس بمكة وتوفى نوفل بالعراق ثم ولى عبد المطّلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطلب فاقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف فى قومه شرفاً لم يبلغه احدٌ من آبائه وأَحَبّه قومه وعظم خطره فيهم وكان اكبر اولاده الحارث لم يكن له اول امره غيره وبه كان يكنّى فقال له عدىّ بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب اتستطيل علينا وانت فذٌّ لا ولدَ لك فقال له عبد المطلب اوبالقلّة تُعَيّرنى فوالله لَئن اتانى الله تعالى عشرة من الولد لَأَنْحَرَنّ احدهم عند الكعبة، فلما كمّل له عشرة جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفآء لله بذلك فاطاعوا وقالوا له اوفِ بنذرك وافعل ما شِئْتَ قال لياخذ كلُّ واحد منكم قدحًا فيكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ودخل بهم على هُبَل وهو صنمٌ كان يُعْبَدُ فى جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضْرب على هولآء بقداحهم فاعطاه كلُّ واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب اصغرهم سنًّا واحبّهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهمُ على عبد الله فأَخَذَ عبد المطلب بيده واخذ الشَّفْرَة ثم اقبل به على اساف وهو صنم كان على الصَّفا ليَذْبحه

لعبد الدار لَأُلْحِقَنَّك يا بُنَىّ بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له واعطاه السقاية واللوآء وقال لا يشرب احد الّا من سقايتك ولا يُعْقد لوآء لقريش لحربها الّا انت بِيَدِكَ، وجعل له الرفادة وقال له لا ياكل احد من اهل الموسم طعامًا الّا من طعامك، وكانت الرفادة خرجًا تخرجه قريش من اموالها فى كلّ موسم فتدفعه الى قصىّ فيَصْنع به طعامًا للحاجّ فياكله من لم يكن له سعة ولا زادٌ وكان قصىٌّ فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته واهل حرمه وان الحاجّ ضيف الله وزُوّار بيته وهم احقّ الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا ايام الحجّ حتى يَصْدُروا عنكم، فجعل قصىٌّ كُلّما كان بيده من امر قومه الى عبد الدار وكان قصىٌّ لا يخالف ولا يُرَدُّ عليه شىءٌ صنعه لعظم شانه ونفاذ سلطانه، قال ابن اسحاق ثم ان قصيًّا هلك فاقام على امره بنوه من بعده ثم ان بنى عبد مناف هاشمًا وعبد شمس والمطّلب ونَوْفَلًا اجمعوا على ان ياخذوا ما بأيّدى بنى عبد الدار من الحجابة واللوآء والسقاية والرّفادة ورأَوْا انّهم أَوْلَى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم، وتفرّقت قريش فكانت طايفة منهم تَرَى ان بنى عبد مناف احقُّ من بنى عبد الدار وطايفة يَرَوْنَ ابقاء بنى عبد الدار على ما جعله قصىٌّ لأَبيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبنى عبد مناف والحجابة واللوآء والندوة لبنى عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولى الرفادة والسقاية هاشم، وكان عبد شمس سَفّارًا مُقِلًّا ذا ولد وكان هاشم مُوسِرًا وهو اول من سَنّ الرحلتَيْن لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وهو اول من

وشرّعوا ابواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كلّ بيتَيْن طريقًا ينفذ منه الى المطاف الى ان زاد عمر رضه فى المسجد الحرام وتبعه عثمان رضه وتبعهما غيرهما على ما سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى ، وكان قُصَىٌّ اول ملك من بنى كعب بن لُوَىّ اصاب ملكًا فاطاعه به قومه وله كلمات حكم تُؤثَر عنه منها من اكرمَ لَئيمًا أَشْرَكَهُ فى لُؤمه ومن استحسن قبيحًا تركه الى قُبْحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوانُ ومن طلب فوق قدره استحقّ الحِرْمانَ ، وكان اجتمع لقُصَىّ ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرِّفادة والندوة واللوآء والقيادة فالحِجَابة هى سدانة البيت الشريف اى تولية مفتاح بيت الله تعالى ، والسِّقَاية اسْقآء الحجيج كلّهم الماء العذب وكان عزيزًا بمكة يُجْلَبُ اليها من الخارج فيُسْقى الحُجّاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه للحُجّاج وكانت وظيفة فيهم ، والرِّفادة وذلك اِطْعام الطعام لساير الحُجّاج تمدّ لهم الأَسْمطة فى ايّام الحجّ وكانت السقاية والرفادة مستمرّة الى ايّام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيّد التقى الفاسىّ رحمه الله ان الرفادة كانت ايام الجاهلية وصدر الاسلام واستمرّت الى ايامنا وقال وهو الطعام يُصْنع بامر السلطان كلّ عام بمنًى للناس حتى ينقضى الحجّ قلتُ وامّا فى زماننا فلا يُفْعَل شىء من ذلك ولا أَدْرى متى انقطع ، وامّا النَّدْوَةُ فقد تقدّم بيانها ، وامّا اللوآء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامةً للعسكر اذا توجّهوا الى محاربة عَدُوٍّ فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها ، والقِيَادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب ، وهذه كلّها اجتمعت فى قُصَىّ فلمّا كبر سِنُّه وضَعُفَ بدنه قسمها بين اولاده وكان عبد الدار اكبر اولاده وكان عبد مناف شَرُفَ فى زمان ابيه فقال قصىّ

مفتاح البيت الشريف لابنته حُبّى فقالت لا اقدر على السدانة فجعلت ذلك لابى غُبْشَانَ وكان سكّيرًا يحِبُّ الخمر فاعوزه فى بعض الاوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت بزِقّ خمر فاشتراه منه قصىٌّ وسار فى الامثال أَخْسَرُ صَفْقَةً من ابى غُبْشَانَ ، فلمّا صار المفتاح الى قصىّ تناكرته خُزَاعَةُ وكثر كلامها عليه فاجتمع على حربهم فحاربهم واخرجهم من مكة وولى قصىٌّ امر الكعبة ومكة وجمع قومه فملّكوه على انفسهم وكانوا يحترمون ان يسكنوا بمكّة ويعظمونها عن ان يبنوا بها بيتًا مع بيت الله تعالى وكانوا يكونون بها نهارًا فاذا أَمْسوا خرجوا الى الحلّ ولا يستحلّون الجنابة بمكة ، فلمّا جمع قصىٌّ قومه اليه اذن لهم ان يبنوا بمكة بيوتًا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابَتْكم العَرَبُ ولم تستحلّ قتالكم ولا يستطيع احدٌ اخراجكم فقالوا له انت سيّدُنا ورأْيُنا تبع لرأْيك فجمعهم حول البيت وفى ذلك يقول القايل

ابوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا   به جمّع اللهُ القبايل من فِهْر

وانتم بنو زَيْد وزَيْدٌ ابوكم   به زِيدَت البطحآء فخرًا على فخر ،

وابتدأَ هو فبَنَى دار النَّدْوَةِ والنَّدْوَةُ فى اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمّات فلا تنكح امراة ولا يتزوّج رجل من قريش الّا فيها ، قال الازرقى ولا يدخل من قريش ولا غيرهم الّا ابن اربعين سنة وكان ولد قصىّ يدخلها كلّهم اجمعون ، وقسم جهات البيت الشريف بين طوايف قريش فبنوا دُورَهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا للطواف ببيت الله تعالى مقدارًا يقال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمّى بالمطاف الشريف

اذرع وان قريشاً لمّا بَنَت الكعبة زادت فى طولها تسعة اذرع وان قصيّا اراد ان يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعًا فالمعروف ان عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعًا فى بناء الخليل عم بل يزيد على خلاف مقدار الزيادة وان اراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها فى هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعًا ثلاثة اذرع او أزيد وكلّ من بنى الكعبة بعد ابراهيم عم لم يبنها الّا على قواعد ابراهيم غير ان قريشًا اقتصرت من عرضها من جهة الحجر الشريف لامرٍ اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجّاج بعد عبد الله بن الزبير عنادًا له والله تعالى اعلم ٥

وكان مَبْدَأُ امر قُصَيّ ان اباه كِلَاب بن مُرّةَ تزوّج فاطمة بنت سعد بن سَيَل فولدت له زُهْرَةَ وقُصَيًّا فهلك كلابٌ وقصيٌّ صغير وهو بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة تصغير قَصِيّ بفتح القاف وكسر الصاد بمعنى بعيد واسمه زَيْد وانّما لُقّب قُصَيًّا لانه أبْعِدَ عن اهله ووطنه مع أُمّه لمّا توفّى ابوه فانّها تزوّجت ربيعة بن حَرَام فرحل بها الى الشام وولدت له دَرّاجًا ٥ فلمّا كَبُرَ قُصَىٌّ وقع بينه وبين آل ربيعة شرٌّ فعيّروه بالغُربة وقالوا له الا تلحق بقومك وكان لا يَعْرف له ابًا غير ربيعة بن حَرَام زوج أُمّه فشكى اليها ما عيّروه به فقالت له يا ولدى انت اكرمُ آباءً منهم انت ابن كلاب بن مُرّة وقومك بمكّة عند البيت الحرام فقَدِمَ مكة فعرّف له قومه فضله وقدّموه واكرموه ٥ وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حُلَيْل بن حَبَشِيّة الخزاعى بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حُلَيْل ابنتَهُ فعرف حليل نسبَهُ فزوّجه ابنته حُبّى فتزوّجها قصىٌّ وكثرت اولاده وامواله وعظم شرفه وهلك حليل وأوْصى

مروج الذهب ان الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد فى بناية البيت ورفعه كما كان على بناء ابنائه ابراهيم عم والله اعلم بحقيقة الحال ، وذكر الازرقى شيئا من خبر العمالقة يقتضى سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضه انه قال كان بمكة حى يقال لهم العماليق كانوا فى عزة وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وكانت العضاه ملتفة والارض مبقلة وكانوا فى عيش رخى فبغوا فى الارض واسرفوا على انفسهم واظهروا المظالم والالحاد وتركوا شكر الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله تعالى من مكة بان سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم ثم ساقهم بالجدب حتى الحقهم الله تعالى بمساقط روس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وابدل الله تعالى بعدهم الحرم بجرهم فكانوا سكانه الى ان بغوا فيه ايضا فاهلكهم الله جميعا انتهى ،

السابع بناء قصى للكعبة الشريفة المعظمة ذكر الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب النسب ان قصى بن كلاب لما ولى امر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه احد ممن بناها قبله مثله ، وقال ابو عبد الله محمد بن عايذ الدمشقى فى مغازيه ان قصى بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردى فى الاحكام السلطانية فانه قال فيها اول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم عم قصى بن كلاب بنى البيت الشريف وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل انتهى ، قال السيد التقى الفاسى فى شفاء الغرام وما رواه القاضى الزبير بن بكار ان قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر فى الاحكام السلطانية فانه قال ان ابراهيم الخليل عم بنى طول الكعبة تسعة

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية امر مكة وفيهم بنو اسماعيل لا ينازعونهم فى شىء ولا يطلبونه الى ان كبر شان قصىّ بن كلاب بن مرّة فاستولى على حجابة البيت وامر مكة وكان قُصَىّ اول رجل من بنى كِنَانَة اصاب بمكة ملكا فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة وهو الذى جمع امر قريش فسمّى مُجَمّعًا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القايل

ابوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجمِّعا به جمّع اللهُ القبايل من فِهْر

هم ملكوا البطحاء مجدًا وسوددًا وهم طردوا عنها غُزَاةَ بنى عمرو

وقيل سُمّيت قريش قُرَيْشًا لتجمّعها على قصىّ والتقرّش هو الاجتماع وما كان يُسَمّى قريش قبل ذلك قريشًا وقيل ان النَّضْرَ بن كنانة كان يُسَمّى قريشًا، واستمرّ بنو قصىّ كذلك الى زمن ظهور النبىّ صلعم وقد أَطَلْنا الكلام، فى هذا المقام، وهو مع ذلك قطرة بحر فانتخبنا منه هذا المقدار، لاشتماله على فنون من الاعتبار،

الخامس والسادس بناء العمالقة وجُرْهُم ذكر الازرقىّ ذلك وذكر بسنده الى سيّدنا امير المومنين على بن ابى طالب كرّم الله وجهه انه قال فى خبر بناء ابراهيم عم للكعبة ثم انهدم فبَنَتْه العمالقة ثم انهدم فبَنَتْه قبيلة من جرهم، وذكر الفاكهىّ بسنده الى سيّدنا على بن ابى طالب ايضًا انه قال اول من بنى البيت ابراهيم عم ثم انهدم فبَنَتْه جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيّد التقى الفاسىّ رحمه الله قلت هذا يقتضى ان جُرْهُمًا بَنَت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضى ان العمالقة بَنَتْه قبل جرهم وبه جزم المحبّ الطبرىّ فى القرى، وذكر المسعودى فى كتابه

اهلها فجاءت بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا ايضاً حرب جرهم وخزاعة فسالوا خزاعة السكنى معهم بمكة فاذنوا لهم وسالهم فى ذلك مُضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل ايضاً حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما استاذنهم ان يساكنهم فابت خزاعة ذلك وقالوا من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر فنزعت ابل لمضاض بن عمرو ودخلت مكة فاخذتها خزاعة وصارت تنحرها وتاكلها فتتبع مضاض اثرها فوجدها دخلت مكة فسلك الجبال حتى طلع على جبل ابى قُبَيْس يتبصّر لابله فى بطن وادى مكة فابصر الابل تُنحَر وتوكل ولا سبيل اليها وراى انه ان هبط الوادى قُتل فولّى منصرفًا الى اهله وانشا يقول

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا انيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرُ
ولم يتربّع واسطاً فجنوبه الى المُنْحَنَا من ذى الاراكة حاضرُ
بلى نحن كُنّا اهلها فأبادنا صُروف الليالى والجدود العواثرُ
وابدلنا عنها الأسى دارَ غُربَةٍ بها الذئبُ يأوى والعدوُّ محاصرُ
وكُنّا وُلاةَ البيت من بعد نابت نطوف بهذا البيت والخير ظاهرُ
وكنا لاسماعيل صهراً وجيرةً فابناؤه منّا ونحن الاصاهرُ
فاخرجنا منها المليك بقُدْرَةٍ كذلك بين الناس تجرى المقادرُ
وصِرْنا احاديثًا وكُنّا بِغِبْطَةٍ كذلك عَضَّتْنا السنون الغوابرُ
وسحّت دموع العين تبكى لبلدةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعرُ
بوادٍ انيس لا يُطار حَمامُهُ ولا ينفرن يومًا لديها العصافرُ
وفيها وحوش لا ترام انيسة اذا خرجت منها فما انت غادرُ
فيا ليت شعرى هل يُعمّر بعدنا جياد ويفضى سَيْلُه والظواهرُ
وهل فرجٌ ياتى بشىءٍ نريده وهل جزعٌ يُنْجيك ممّا تحاذرُ

فذاق وَبالاً حين حاول ملكنا   وعالج منّا غُصّةً تتجرّعُ
فنحن عمرنا البيت كنّا وُلاته   ندافع عنه من اتانا وندفعُ
وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا   ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثمّ يمنعُ
وكنّا مُلوكًا في الدهور الّتي مَضَتْ   ورثنا مُلوكًا لا تُرامُ فتوضعُ ،

ثمّ نشر الله بني اسماعيل وخُؤولتهم من جُرْهُم وكانت جُرْهُم وُلاة البيت لا ينازعهم بنو اسماعيل لخُؤولتهم وقرابتهم فلمّا ضاقت عليهم مكّة انتشروا في الارض فلا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا الّا اظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتّى مَلأُوا البلاد ونَفَوْا عنها العماليق وكانوا ولاة مكّة وكانوا ضيّعوا حُرمة الحرم واستحلّوها واستخفّوا بها فاخرجهم الله من ارض الحرم ، قال ثمّ ان جُرْهُمًا استخفّت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام واحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مُضاض بن عمرو ابن الحارث بن مضاض بن عمرو خطيبًا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رايتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفّوا بالبيت فلم يعظّموه فسلّطكم الله عليهم فاخرجتموهم فتفرّقوا في البلاد وتمزّقوا كلّ ممزّق فلا تستخفّوا بحقّ بيت الله تعالى فيخرجكم منه ، فلم يطيعوه ودلّاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن اعزّ العرب واكثرها رجالًا وسلاحًا فقال لهم اذا جاء امر الله بطل ما تقولون ، فلمّا راى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال الّتي كانت تُهدى الى الكعبة ودفنها في بير زَمْزَم وكانت بير زمزم قد نَضَبَ ماؤها فحفرها بالليل واعمق الحفر ودفن فيها تلك الغزالتين والاموال وطمّ البير واعتزل جُرْهُمًا واخذ معه بني اسماعيل وخرج من مكّة ، فجاءت خُزاعةُ فاخرجت جرهمًا من البلاد ووليت امر مكّة وصاروا

املح اقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عبـــاس رضه انه هو القربان المتقبل من احد ابنى آدم . فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد امر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد امر الله تعالى وامر والده وانقياده كل الانقياد راضياً مستسلمـــاً باذلاً روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتهـا لامــر الله تعالى واطاعة زوجها اللهم صل وسلم عليهم افضل صلاتك وسلامك وعلى ساير الانبياء والمرسلين، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، وانفعنـا ببركاتهم اجمعين، وارزقنا التوفيق وحسن اليقين، امين.

قال الازرقى ثم ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجتـــه السيدة رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى اثنا عشر رجلاً منهم نابت ابن اسماعيل وقيذار بن اسماعيل وقطورا بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل ماية وثلاثين عاماً ومات ودفن فى الحجر مع امه فولى البيت بعده نابـــت ابن اسماعيل ونشر الله العرب من نابت وقيذار فكثروا ونموا . ثم تــوفى نابت فولى البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمى وضم بنى نابت بن اسماعيل وصار ملكاً عليهم وعلى جرهم فنزلوا بقعيقعـان باعلى مكة وكانوا اصحاب سلاح كثير ويتقعقع فيهم وصارت العمالقة وكانوا نازلين باسفل مكة الى رجل منهم ولوه ملكاً عليهم يقال له السميدع ونزلوا باجياد وكانوا اصحاب خيل وابل وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو دون السميدع الى ان حدث بينهما البغى واقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضـاض ابن عمرو وفى ذلك يقول

ونحن قتلنا سيد الحى عـنــوة   فاصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبغى ان يكون خلافنـا   بهـا ملك حتى اتانا السميدع

فليفعل ما امره الله تعالى سمعاً وطاعةً لامر الله تبارك وتعالى ٭ فاقبل الشيطان الى ابراهيم عم فقال اين تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لى فيه قال انى أرى ان الشيطان خدعك بهذا المنام الذى رايته انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عم وقال له اليك عنى يا ملعون فوالله لامضين لامر ربى فنكص ابليس على عقبيه ورجع بخزيه وغيظه ولم ينل من ابراهيم ولا من ولده ولا من زوجته شيئاً ٭ فلما خلا ابراهيم عم فى الشعب ويقال ذلك فى ثبير فقال له يا بنىّ انى ارى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ٭ قال فحدّثت ان اسماعيل قال له عند ذلك يا ابتاه اذا اردت ذبحى فاشدد وثاقى لئلا يصيبك شئ من دمى فينقص اجرى فان الموت شديد ولا آمن ان اضطرب عنده اذا وجدت مسّه واشحذ شفرتك حتى تجهز علىّ فتذبحنى فاذا انت اضجعتنى لتذبحنى فاكببنى على وجهى ولا تضجعنى لشقّى فانى اخشى ان انت نظرت الى وجهى ان تدركك الرقّة فتحول بينك وبين امر ربك فىّ وان رايت ان تردّ قميصى الى أمّى فانه عسى ان يكون اسلاء لها فافعلْ فقال ابراهيم نعم العون انت يا بنىّ على امر الله ٭ ويقال انه ربطه كما امره بالحبل فأوثقه ثم شحذ شفرته ثم تلّه للجبين واتّقى النظر الى وجهه ثم ادخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عم فى يده ثم اجتذبها اليه ونودى ان يا ابراهيم قد صدّقت الرويا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحْها دونه واتاه بكبْش من الجنّة قيل رعى قبل ذلك باربعين خريفاً ٭ قال الفاكهى رحمه الله ذكر اهل الكتاب وكثير من العلماء ان الكبش الذى فدى به اسماعيل كبش

الآبة وارحام الأمهات الى يوم القيمة فاجيبه من سبق فى علم الله انه يحج ولبى كل واحد بعدد حجه فى اصلاب الابة وارحام الامهت ء

ولما أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عم فقد اختلف العلماء فى ان المامور بذبحه اسماعيل او اسحاق فقال قوم هو اسحاق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضه وذهب عبد الله بن عمرو بن المسيب والشعبى ومجاهد والحسن البصرى رضهم انه اسماعيل ء قال الامام ابو زكريا النووى رحمة الله فى كتابه التهذيب اختلف العلماء رحمهم الله فى الذبيح هل هو اسماعيل او اسحاق عليهما السلام والاكثرون على انه اسماعيل عم التهى ء وممن رجح كون الذبيح اسماعيل عم الحافظ عماد الدين اسماعيل ابن كثير رحمه الله قال فى ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لما أرى ابراهيم فى المنام ان يذبح ابنه وتحقق انه امر ربه قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لان لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن احدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال لها الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلاّ هو اشفق به واشد حبًا له فقال لها انه يزعم ان الله امره بذلك قالت فان كان الله تعالى قد امره بذلك فليطع امره فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشى على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدرى اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال له والله ما يريد الا ذبحك قال لاى شيء قال زعم ان الله تعالى امره بذلك قال

مكة وقدم على منزل اسماعيل فوجده غايباً في الصيد فقال لامراته اين
صاحبك قالت ذهب يتصيد ورحبت به وقالت له اجلس رحمك الله
وجاءته بلحم ولبن وماء فاكل وشرب فقالت له يا عم هلم حتى اغسل
راسك وألم شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة
فيما بعد فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقه الايمن ثم
الايسر ثم افاضت الماء على راسه وبدنه الى ان فرغت من تنظيفه فقام من
عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرءي عليه
السلام مني وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلما جاء اسماعيل
وجد رايحة ابيه فقال لها هل جاءك احد فقالت نعم جاءني شيخ من
احسن الناس وجهاً واطيبهم ريحاً فاضفته وسقيته وغسلته وهذا موضع
قدميه وحين توجه اقراك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم امرني
ان اثبت معك وقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى
ان بني عليه فيما بعد ابراهيم عم الكعبة لما بناها هكذا في قصص
الانبياء ع وروى فيها ايضاً عن عبد الله بن عمر رضه انه قال اشهد بالله
ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلعم يقول الركن والمقام ياقوتتان من
ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لاضاءا ما بين
المشرق والمغرب ع ثم لما امر الله تعالى خليله ابراهيم عم ببناء بيته
الشريف قدم الى مكة وبناه كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله
الحرام امره ان يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما عسى ان يبلغ مد
صوتي فقال عليك الاذان وعلينا الابلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا
عباد الله ان ربكم قد بني بيتاً وامركم ان تحجوه فحجوه واجيبوا داعي
الله فاسمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد ممن هو في اصلاب

اخبار دار المصطفى للسيد نور الدين علىّ السمهودى الشافعى عالم المدينة فى عصره ومحدّثها ومورّخها وقد اخذنا عمّن اخذ عنه فنروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئرٍ تُعْرَف بِهِمْ زَمْزَم لم يزل اهل المدينة قديمًا وحديثًا يتبرّكون بها ويشربون من مائها وينْقل عنها مآوها الى الآفاق كما يُنْقل مآء زمزم ويسمّونها بير زمزم لبركتها انتهى ٭

رَجَعْنا الى القصّة قالوا ومرّت رُفقة من جُرْهُم يريدون الشام فرأوا طيراً يحوم على جبل ابى قُبَيْس فقالوا ان هذا الطير يحوم على مآء فتتبّعوه فاشرفوا على بير زمزم فقالوا لهاجر ان شِئْتِ نَزَلْنا مَعَكِ وآنَسْنَاكِ والمآء مآءكِ نشرب منه فاذنت لهم فنزلوا معها وهم اول سُكّان مكة وتُوُفّيت هاجر وقبرها فى الحِجْر بسكون الجيم وشبّ اسماعيل فتزوّج اسماعيل من جُرْهُم وتكلّم بلسانهم فتعرّب فيقال لبنى اسماعيل العَرَب المُتَعَرّبة ويقال لجُرْهُم وقحطان العَرَب العَارِبة والعَرَب العَرْباء وكان لسان ابراهيم عبرانيًّا ولسان اسماعيل عَرَبيًّا ٭ ثم ان ابراهيم عم استاذن سارة ان يَزُورَ هاجر وابنها فاذنَتْ له واشرطت ان لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فأتَى الى بيت اسماعيل فوجد امراته فسألها اين صاحبُكِ فقالت ذهب يتصيّد وكان اسماعيل عم يخرج من الحرم الى الحلّ يتصيّد ما يتعيّش به فقال لها هل عندكِ ضيافة من طعام او شراب قالت ليس عندى شيء فقال لها اذا جاء زَوْجُكِ فاقرئيه منّى السلام وقولى له غَيّرْ عُتْبَةَ بَيْتِكَ وذهب ابراهيم عم ٭ فلمّا جاء اسماعيل عم قالت له جاءنى شيخ صفتُه كذا وكذا اقرأك السلام وقال لك غيّر عتبة بيتك فقال لها الحقى باهلك وتَزَوّجَ غَيْرَها ٭ فمكث ابراهيم مدّة ثم استاذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجآء ابراهيم الى

الضيعة فان هاهنا بَيْت الله عزّ وجلّ يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيّع اهله ٭ قال الامام ابو عبد الله محمّد بن احمد بن ابى بكر القرطبى فى تفسيره لا يجوز لاحد ان يتعلّق بهذا الحديث فى جواز طرح ولده وعياله بارض مضيعة اتّكالاً على العزيز الرحيم واقتداءً بفعل ابراهيم الخليل فانه فعل ذلك بامر الله تعالى ٭ وقد رُوى ان سارة لمّا غارت من هاجر بعد ان ولدت اسماعيل خرج بها ابراهيم عم الى مكة وانزل ابنه وأمّه هناك وركب منصرفاً من يومه وكان ذلك كلّه بوَحْى من الله تعالى ٭

ولمآء زَمْزَم من الشرف والخواصّ والمزايا ما لا يوجد لغيره ففى المستدرك من حديث ابن عبّاس رضه مرفوعًا مآء زَمْزَم لِمَا شُرِبَ له ورجاله موثوقون الا انه اختلف فى ارساله ووَصْله وارساله اصحّ كذا فى فتح البارى لشرح البُخارى ٭ وروى الدارقطنى عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلعم مآء زمزم لما شرب له وان شربْتَهُ لشعبك اشبعك الله به وان شربته لقطع ظَمْاك قطعه وهى ضربة جبريل وسُقْيا الله اسماعيل ٭ وعن عِكْرِمَةَ قال كان ابن عبّاس اذا شرب من زمزم قال اللهم انى اسالك علماً نافعاً ورزقاً واسعًا وشفآءً من كلّ دآء ٭ وفى صحيح البُخارى قال ابو ذرّ رضه ما كان لى طعام الا مآء زمزم فسمنتُ حتى تكسّرت عُكَنُ بطنى وما أَجِدُ على كبدى سخفة جُوع وذكر انه اجتزأ به ثلاثين ما بين يوم وليلة ٭ وفى صحيح مُسْلم من حديث ابى ذرّ انه طَعَامُ طُعْمٍ وزاد الطيالسى فى الوجه الذى اخرجه مسلم وشفآءُ سُقْمٍ ٭ قال القاضى ابو بكر ابن العَرَبى رضه وهذا موجود فيه الى يوم القيمة لمن صَحّتْ نِيّتُهُ وسلمت طويّتُهُ ولم يكن مكذّبًا ولا لشربه مجرّبا ٭ قلتُ ومن عجيب ما اطلعتُ عليه فى كتاب وفآء الوفا فى

تحكث الأرنب اذا حاضت، قال الثعلبى فحملت سارة باسحاق ولما حملت هاجر باسماعيل فوضعتا وشبّا الغلامان فتسابقا فسبق اسماعيل فاخذه ابراهيم واجلسه فى حجره واخذ اسحاق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الأمة فاجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فاجلسته الى جنبك واخذها ما ياخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيّرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيّرت فى يمينها قال لها ابراهيم اخفضيها واثقبى أذنيها ففعلت ذلك فصارت سُنّة فى النساء والخفاض بالمحجمات للنساء كالختان للرجال، ثم تضارب اسماعيل واسحاق كما يتهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت ان لا تساكنها فى بلد واحد وامرت ابراهيم ان يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم ان ياتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاهٌ وسَلَمٌ وموضع البيت ربوةٌ حمرآء فعمد بهما الى موضع الحِجْر بسكون الجيم فانزلهما فيه وامرها ان يتخذا عريشًا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذنْ لا يضيّعنا فرجعت عنه وكان معها شنٌّ مآء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم ترَ داعيًا ولا مجيبًا فصعدت على الصّفا فلم تر احدًا ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت فى الوادى فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الاخر فراته واستمرّت الى ان صعدت المروة فما رأتْ احدًا فتردّدتْ كذلك سبعًا فعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عم فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع المآء فبادرتْ هاجر اليه وحبسَتْهُ عن السَّيَلان كيلا يضيع المآء وفى لفظ النبوّة لولا انها عجلت لكان عينًا معينًا فشربَتْ وارضعَتْ ولدها وقال لها جبريل لا تخافى

اقبلتْ سارة الى الجبّار وقام ابراهيم يُصَلِّى وقد رفع الله الحجــاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى ان عادت اليه اكرامًا لــه وتطييبًا لقلب ابراهيم عم، فلمّا دخلت سارة الى الجبّار ورآها دَهِش فى حسنها وجمالهـا ولم يملك نفسه ان مدّ يده اليهــا فيبسَتْ يَدُهُ على صدره فلمّا راى ذلك اعظم امرها وقال لها سَلِى رَبّك ان يطلق يدى علىَّ فوالله انى لا أُوذيكِ فقالت سارة اللهم ان كان صادقًا فاطلــقْ له يده فاطلَقَ الله له يده فوَهَبَ لها هَاجَرَ وهى جارية قبطيّة جميلــة وردّها الى ابراهيم فاقبلتْ اليه فلمّا احسّ بها انفتل من صلاته وقال مَهْيَمْ قالت كفى الله كَيْدَ الفاجر ووهبنى هاجر وقد وهبْتُها لك فلعلّ الله تعالى يرزقك منها ولدًا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أَيَسَتْ فـوقــع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسماعيل واقام ابراهيم بناحيـة من ارض فلسطين من الرملة وايلياء وهو يضيف من ياتيه وقد اوســع الله عليه وبسط له فى الرزق والمال والخدم، فلمّـا اراد الله تعالى هلاك قوم لوط بعث الله تعالى رُسُلَه يامرونه بالخروج من بين ظهرانيّهم وامرهم ان يبدوا فيبشّرون ابراهيم وسارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب، فلمّا نزلوا عليهم سُرَّ بهم وقال لا يخدم هولاء القوم الّا انا فخرج فجـاء بعِجْلٍ سَمِينٍ شَوَاه بالحجـارة وقرّبه اليهم فامسكوا ايديهم فنكرهم وأَوْجَسَ منهم خِيفَةً حيث لم ياكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخفْ انّا أُرْسلنا الى قــوم لوط وامراتُه سارة قايمة تخدمهم فبشّروه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكتْ سارة، قال ابن عبّاس ضحكت تعجّبًا من ان يكون لها ولــدٌ على كبر سنّها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم ماية وعشريـن سنة وقال مجاهد وعكرمة ضحكتْ اى حاضتْ من الوَقْت تقول الـعـرب

جزا قال ويُروى ان الخليل عم اسّس البيت من ستة أَجْبُل من ابى قُبَيْس ومن الطُّور ومن القُدْس ومن وَرِقَانَ ومن رَضْوَى ومن أُحُد، وقال الازرقى رحمه الله قال ابى وحدثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن ابن جُرَيْج عن مجاهد انه قال كان موضع الكعبة قد خَفِىَ ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه اكمة حمرآء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون ان موضع البيت فيما هنالك من غير تَعْيِينِ محلّه وكان يأْتيه المظلوم والمتعوّذ من اقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعى عنده احدٌ الّا استجيب له وكان الناس يحجّون الى موضع البيت حتى بَوّأَ الله مكانه لابراهيم عم لمّا اراد عمارة بيته واظهار دينه وشرايعه فلم يزل منذ اهبط الله آدم الى الارض معظّمًا محترمًا عند الامم والملل، قال الامام ابو اسحاق احمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبى فى كتاب العرايس من قصص الانبيآء عليهم السلام لمّا نجى الله خليله ابراهيم عم من نار النمرود وآمن به مَنْ آمن خرج مهاجرًا الى ربّه وتزوّج ابنة عمّه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من احسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك اكرمها الله تعالى فأَتَى ابليس الى فرعون وقال له ان هاهنا رَجُلاً معه امراة من احسن النساء فارسل الجبّار الى ابراهيم عم وقال له ما هذه المراة منك فقال هى أُخْتى وخاف ان قال هى امراتى ان يقتله فقال له زيّنها وارسلْها الىّ فرجع ابراهيم الى سارة فقال لها ان هذا الجبّار قد سالنى عنك فاخبرتُه انك أُخْتى فلا تكذّبينى عنده فانك اختى فى كتاب الله تعالى فانه ليس مُسْلم فى هذه الارض غيرى وغيرك ثم

ذارعًا وجعل طوله فى الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربى المذكور الى الركن اليمانى احد وثلاثين ذراعًا وجعل عرضه فى الارض من الركن اليمانى الى الحجر الاسود عشرين ذراعًا وجعل الباب لاصقًا بالارض غير مرتفع عنها ولا مُبَوَّب حتى جعل لها تُبَّع الحِمْيَرىُّ بابًا وغلقًا بعد ذلك ؞ وحفر ابراهيم عم فى بطن البيت على يمين مَنْ دخله حفرةً لتكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يُهْدَى الى البيت فكان ابراهيم عم يبنى واسماعيل عم ينقل له الاحجار على عاتقه فلمّا ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوّله له اسماعيل عم فى نواحى البيت حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسماعيل عم يا اسماعيل ائْتِنِى بحجر أَضَعْهُ هنا يكون عِلمًا للناس يبتدؤون منه الطواف فذهب اسماعيل فى طلبه فجاء جبريل عم الى سيّدنا ابراهيم عم بالحجر الاسود وكان الله عزّ وجلّ استودعه جبل ابى قُبَيْس حين طوفان نوح عم فوضعه جبريل فى مكانه وبنى عليه ابراهيم عم وهو حينئذ يتلألأُ نورًا فأَضاء بنُوره شرقًا وغربًا وشامًا ويمنًا الى منتهى انصاب الحرم فى كلّ ناحية وانّما سَوَّدَتْه انجاسُ الجاهلية وارجاسُها ؛ قال ولم يكن ابراهيم عم سقّف البيت ولا بناه بمَدَرٍ وانّما رَصّه رصًّا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمر ان جبريل عم نزل بالحجر على ابراهيم عم من الجنّة وانه وضعه حيث رايتم وانكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسّكوا به ما استطعتم فانه يُوشك ان يجىء جبريل عم فيرجع به من حيث جاء به انتهى ؞ قال السيّد الامام تقى الدين الفاسى رحمه الله روّينا عن قتادة قال ذكر لنا ان الخليل عم بنى البيت من خمسة أَجْبُل من طُور سِينا وطُور زَيْتا ولُبْنان والجُودِىّ وحِرًا قال وذكر لنا ان قواعده من

كان زمن نوح عم فنسفه الغرق وغيّر مكانه حتى بُوِّئَ لابراهيم عم انتهى، قال الحافظ ابو القاسم السُّهَيْلى فى الفَصْل الذى عقده لبُنْيان الكعبة وكان بناؤها الاوّل حين بنى شيث بن آدم عم انتهى، ولعلّ مُراد السُّهَيْلى بالاوّليّة بالنسبة الى بناء البشر لا الملايكة وان بناء آدم عم انما هو الاساس الى ان سَاوَى وجه الارض وانزل الله عليه من الجنّة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس، والمراد بالخيمة المشار اليها فى خبر وهب بن منبّة رضه هو البيت المعمور او لعلّها خيمة غير البيت المرفوع لعلّها رُفعت بعد وفاة آدم عم وابقى البيت المعمور الى ان رُفع زمن الطوفان وفى ذلك من ارتكاب المجاز ما تصحّح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها والله تعالى اعلم بالصواب،

الرابع بناءه للخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السيّد الامام التقى الفاسى رحمه الله تعالى امّا بناء الخليل عم فهو ثابت بالكتاب والسُّنّة الشريفة وهو اوّل من بنى البيت على ما ذكره الفاكهى عن علىّ بن ابى طالب رضه وجزم الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره وقال لم يرد عن معصوم ان البيت كان مبنيًّا قبل الخليل عم انتهى، فهو يُنكر ما قدّمناه من الآثار وامّا على ما قدّمناه من الآثار فبناء ابراهيم صلعم اوّل مبنىّ بالنسبة الى من بناه بعده لا اوّل حقيقىّ والله تعالى اعلم، وروى الازرقى رحمه الله فى تاريخه عن ابن اسحاق ان الخليل عم لمّا بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة اذرع وجعل طوله فى الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامى اثنين وثلاثين ذراعًا وجعل عرضه فى الارض من قبل الميزاب من الركن الشامى الى الركن الغربى الذى يسمّى الآن الركن العراقىّ اثنين وعشرين

يان لكلّ عاملٍ اجرًا قال الله تعالى امّا انت يا آدم فقد غفرتُ لك وامّا ذريّتك فمن جاء منهم هذا البيت فباَء بذنبه غفرتُ له فاستقبلته الملايكة بالردم فقالوا برّ حجّك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بالفَيْ عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنّا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الّا الله والله اكبر قال فكان آدم عم اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طَوَاف آدم سبعة اسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضه يفعل ذلك ٭ وقال الازرقي ايضًا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن ابي سليمان مولى بني مخزوم انه قال طاف آدم عم سُبْعًا بالبيت ثم صلّى تجاه باب الكعبة ركعتَيْن ثم اتى المُلْتَزِم فقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبلْ مَعْذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفرْ لي ذنوبي وتعلم حاجتي فاعطني سُولي اللهم اني اسالك ايمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى اعلم انه لا يُصيبني الا ما كتبتَ لي والرضا بما قضيتَ عليَّ قال فأَوْحَى الله تعالى اليه يا آدم قد دَعَوْتَني بدعوات فاستجبتُ لك ولن يدعوني بها احدٌ من ولدك الا كشفتُ همومه وغمومه ونزعتُ الفقر من قلبه وجعلتُ الغناَء بين عَيْنَيْه واتَّجَرْتُ له من وراَء كلّ تاجر واتتْه الدُّنْيا وهي راغمة وان كان لا يريدها، قال فمنذ طاف آدم كانت سُنّة الطَّوَاف ٭

الثالث بناَء اولاد آدم عم للكعبة المعظمة روى الازرقي بسنده الى وهب ابن مُنَبّه قال لمّا رُفعت الخَيْمة لله عزّى الله بها آدم من حلية الجنّة حين وضعت له بمكة في موضع البيت ومات آدم فبَنَى بنو آدم من بعده مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورًا يعمّرونه هم ومن بعدهم حتى

وحرا حتى استوى على وجه الارض، وهذا يدلّ على ان آدم عليه السلام انّما بنى اساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض ولعلّ ذلك بعد دثور ما بَنَتْهُ الملايكة بامر الله اوّلاً ثم انزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عم ليستأنس به فوضعه على اساس الكعبة، ويدلّ على ذلك ما رواه ابو الوليد الازرقى رحمه الله تعالى فى تاريخه قال حدّثنى ابى عن جدّى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغنى ان عمر بن الخطّاب رضه قال لكعب يا كعب اخبرنى عن البيت الحرام قال كعب انزل الله من السمآء ياقوتة مجوّفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتى انزلتُه معك يُطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويُصَلّى حوله كما يصلّى حول عرشى ونزلَتْ معه الملايكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عم يَطُوف حوله كما يُطاف حول العرش ويُصَلّى عنده كما يُصَلّى عند العرش فلمّا اغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده، وقال الازرقى ايضاً حدثنى ابى قال حدثنى محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن ابى معروف عن عبد الله بن ابى زياد انه قال لمّا اهبط الله آدم عم من الجنّة قال يا آدم ابن لى بيتاً بحذاء بيتى الذى فى السماء تتعبّد فيه انت وولدك كما تتعبّد ملايكتى حول عرشى فهبطت عليه الملايكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملايكة الصخر حتى اشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوّفة لها اربعة اركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى، وقال الازرقى ايضا حدثنى محمّد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن ابى يحيى عن ابن الملبح انه قال كان ابو هريرة يقول حجّ آدم فقضى المناسك فلمّا حجّ قال يا ربّ

غُثآء على المآء قال الفاكهى وحدثنى عبد الله بن ابى سلمة قال حدثنا
النَّضْر بن شُمَيْل قال حدثنا ابو مَعْشَر عن سعيد ونافع مولى آل الزُّبَيْر
عن ابى هُرَيْرة رضه انه قال الكعبة خُلقت قبل الارض بالفَىْ عام قيل
وكيف خُلقت قبل الارض وهى من الارض فقال لانه كان عليها مَلَكَان
يسبّحان بالليل والنهار الفَىْ سنة فلمّا اراد الله تعالى ان يخلق الارض
دحاها من تحت الكعبة فجعلها فى وسط الارضين؞ قال وحدثنى عبد
الله بن ابى سلمة قال حدثنا الواقدى قال حدثنا اسحاق بن يحيى
ابن طلحة انه سمع مجاهداً يقول ان قواعد البيت خُلقت قبل
الارض بالفى سنة ثم بسطت الارض من تحته؞ اقول وظهر ممّا رَوَيْناه ان
موضع البيت الشريف قبل خلق الارض لا نَفْس بناء البيت فانه اوّل
ما بَنَتْه الملايكة بامر الله تعالى كما سُقْناه والله تعالى اعلم؞
الثانى بناآء آدم عليه السلام وقد ذكره الامام ابو الوليد الازرقى فقال
حدثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمى عن
عطاء بن ابى رَبَاح بفتح الرآء والموحدة بعدها الف ثم حاء مهملة عن
ابن عبّاس رضه قال لمّا اهبط الله آدم الى الارض من الجنّة قال يا ربّ ما لى
لا اسمع اصوات الملايكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن اذهبْ فابنِ لى بيتًا
فطُفْ به واذكرنى حوله كما رايتَ الملايكة تصنع حول عرشى؞ قال فاقبل
آدم يتخطّى الارض فطُوِيَتْ له ولم يقع قدمه فى شىء من الارض الا صار
عمرانًا وبركةً حتى انتهى الى مكة فبَنَى البيت الحرام وان جبريل عليه
السلام ضرب بجناحيه الارض فكشف عن اسّ ثابت على الارض السُّفْلَى
فقذفت فيه الملايكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً
وانه بناه من خمسة أَجْبُل من لُبْنان وطُور زَيْتا وطُور سِينا والجُودى

قال الله تعالى قال للملايكة انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملايكة اى
ربّ اتخلق غيرنا ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون
ويتباغون اجعلْ ذلك الخليفة منّا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك
الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبّح بحمدك
ونقدّسك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون،
قال فظنّت الملايكة ان ما قالوا ردًّا على ربّهم وانه قد غضب عليهم من
قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رُؤسهم يتضرّعون ويبكون اشفاقًا من غضبه
فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله تعالى اليهم فنزلت الرحمة عليهم
ووضع الله سبحانه تحت العرش بيتًا وهو البيت المعمور على اربع
اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمرآء وقال للملايكة طوفوا بهذا
البيت فطافت الملايكة بهذا البيت وصار أهْوَن عليهم من العرش ثم ان
الله تبارك وتعالى بعث ملايكة وقال لهم ابنوا لى بيتاً فى الارض بمثاله
وقدره وامر الله تعالى من فى الارض من خلقه ان يطوفوا بهذا البيت
كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل صدقت يابن بنت
رسول الله صلعم هكذا كان انتهى، قلتُ هذا الحديث الشريف يَدُلُّ
على ان بنآء الملايكة عليهم السلام للكعبة الشريفة كان قبل خلق
الارض ولنا احاديث دالّة على ان الكعبة خُلقت قبل الارض باربعين
سنة فى رواية وبألْفَىْ عام فى أُخْرٰى، قال الامام ابو عبد الله محمّد بن
اسحق بن العبّاس الفاكهى المكّى فى اوايل تاريخ مكة حدّثنى عبد الله
ابن ابى سلمة قال حدّثنا الواقدى قال حدثنا ابن جُرَيْج عن بشر بن
عاصم الثقفى عن سعيد بن المسيّب قال قال علىّ بن ابى طالب رضى
الله عنه خلق الله تعالى البيت قبل الارض والسموات باربعين سنة وكان

الزبير بن العَوّام الاسدى وآخرها بناء الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ ، وفى اطْلاق العِبارة ان بناء الكعبة تجوّز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الآخر وهو بناآء الحجّاج فانه انّما هدم جانب الميزاب فقطّ واعاده وابقى الجوانب الثلاثة وهى جهة الباب وجهة المستجاز الذى هو مقابل الباب وجهة الصَّفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه ،

فاما بناء الملايكة الكعبة الشريفة وهو اوّل بنائها فذكره الامام ابو الوليد محمّد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدّثنا علىٌّ بن مسلم العِجْلى عن ابيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علىّ زَيْن العابدين ابن الحسين بن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قال كنت مع ابى علىّ بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وانا وراءه اذ جاءه رجل طويل فوضع يده على ظهر ابى فالتفَتَ ابى اليه فقال الرجل السلام عليك يا ابن بنت رسول الله عم انى اريد ان اسالك فردّ عليه السلام وسكت ابى وانا والرجل خلفه حتى فرغ من أُسْبُوعه فدخل الحِجْر فقام تحت الميزاب فقُمْتُ انا والرجل خلفه فصلّى ركعتَىْ اسبوعه ثم استوى قاعدًا فالتفت الىّ فقمت فجلست الى جنبه فقال يا محمّد فاين هذا السايل فأَوْمَاتُ الى الرجل فجاء فجلس بين يدى ابى فقال له ابى عمّ تسال قال انى اسالك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له ابى من اين انت قال من اهل الشام قال اين مسكنك قال بيت المقدس قال قرات الكتابَيْن يعنى التوراة والانجيل قال نعم قال له ابى يا اخا الشام احفظْ عنّى ولا ترو عنّى الّا حقًّا امّا بدوُ هذا الطواف

والدی رحمه الله تعالی قبل ان یکفّ نظره ان یبادر یوم النحر بعد رمی جمرة العقبة الی مكة ويجلس فی الحطيم تجاه بيت الله تعالی ويلحظ الطايفين بنظره ويستمرّ جالسًا هناك الی صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويَسْعَی ويعود الی مِنًی وكان يقول ان اوليـاء الله لا بُدّ ان يحجّوا كلّ سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيـان بطواف الزيارة فی اوّل يوم النحر فأُبَادِرُ الی النزول من مِنًی فی ذلك اليوم واجلس فی الحطيم أُشاهد الطايفين لعلّ ان يقع نظری علی احدهم او يقع نظرُه علـیّ فتحصل لی بذلك بركتهم، واستمرّ علی ذلك الی ان كُفّ بَصَرُه رحمه الله فكُنّا نذهب به ونجلسه فی الحطيم ويقول ان كنتُ لا انظرهم فلعلّ ان يقع نظرهم علیّ فتحصل لی بركتهم واستمرّ علی ذلك الی ان توفّی رحمه الله تعالی، وان اولياء الله يخفون انفسهم عن اعين الناس فلا يَرَاهم الاّ من اسعده الله تعالی والله تعالی المسئُول ان يجعلنا من سعداء الدنيا والاخرة بمنّه وكرمه ان شاء الله تعالی ۞

الباب الثانی

في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالي شرفاً وتعظيماً ومهابةً وتكريماً،

قال قاضی القضـاة السيّد تقی الدين محمّد بن احمد بن علی الحسنی المكّی الفاسی فی كتابه شفـاء الغرام لا شكّ ان الكعبة المعظمة بُنيت مرّات وقد اختلف فی عدد بنائها ويتحصّل من مجموع مـا قـيـل فی ذلك انها بُنيت عشر مرّات وهی بناء الملايكة وبنـاء آدم عليه السلام وبناء اولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جُرهم وبناء قُصَيّ بن كِلاب جَدّ النبیّ صلعم وبناء قريش قبل بعث النبیّ صلعم وعُمره الشريف يوميذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن

انتفاضة يرجع كلّ حجر منّى الى الجبل الذى قُطع منه، وسُئل الامام مالك رضى الله عنه عن الحجّ والجوار احبُّ اليك او الحجّ والرجوع فقال ما كان الناس الّا على الحجّ والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى اعلم، وذهب الامام الشافعى والامام ابو يوسف ومحمّد والامام احمد ابن حنبل رضى الله عنهم الى استحباب المجاورة بها وفى الملتقطات والمبسوط فى باب الاعتكاف لا باس بالمجاورة بمكة فى قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس وحكى الفارسى فى منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما، وروى عن النبىّ صلعم انه قال من صَبَرَ على حرّ مكة ساعة تباعدت النارُ عنه مسيرة ماية عام وعن سعيد بن جُبَيْر من مرض يوماً بمكة كُتبَ له من العمل الصالح الذى يعمله فى سبع سنين فان كان غريباً ضوعف له ذلك رواها الامام الفاكهى رحمه الله تعالى، ومحصّل ما ذهب اليه ابو حنيفة رضى الله عنه من كراهة المجاورة مبنىٌّ على ضعف الخلق عن مراعاة حُرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوَفَاء بقيام حقّ البيت الشريف فمن امكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحُرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهَيْبته وعظمته فى عينه وقلبه كما كان عند دخوله فى الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هى الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شكّ فى تضاعُف الحسنات بها وامّا تضاعُف السيّئات فاكثر العلماء على عدم تضاعُفها، ولا شكّ فى تردّد ساير الاولياء اليها فى الأَوْقات الفاضلة فمن لَمَحَ احدهم او لحه هو نال السعادة العظمى، وورد انهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجّون كلّ عام وكان دَأْب

اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم فانه ابقى لحرمة بيت ربّكم فى قلوبكم ٥ وقال ابو عمرو الزّجّاجى من جاور بالحرم وقلبُه متعلّق بشىء سوى الله فقد ظهر خُسْرانه وقال بعض السلف كم من رَجُل بخُراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممّن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده وكم من قريب الدار مات كَئِيبا ٥

وقال ابن مسعود ما من بلد يواخذ فيه بالهمّ قبل العمل الا مكة وتلى قوله تعالى ومن يرد فيه بِإِلْحَادٍ بظلم نذقه من عذاب اليم ٥ ولقد اختار حبر الامّة سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما المقام بالطايف وحَوَاليه على مكة وقال لَئِن اذنب سبعين ذنبًا بغير مكة احبُّ الىّ من ان اذنب ذنباً واحداً بمكة وذهب بعض العلمآء الى القول بتضاعُف السيّئات بارض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجَاوَرَ ابو محمّد الجوهرى سنة بمكة فلم يستند الى حايط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطنى على ظاهرى ٥ وبقى ابو عمرو الزجاجى الصوفى اربعين سنة مجاوراً بمكة لم يقض حاجته البشرية فى الحرم بل كان يخرج الى الحلّ عند قضاء الحاجة وهكذا يُرْوَى عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه فى مدّة اقامته بمكة ٥ وكان اصحاب رسول الله صلعم يحجّون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزّاق فى مصنّفه وروى عن وُهَيْب بن الورد المكّى رحمه الله قال كنت ذات ليلة اصلّى فى الحجر فسمعتُ كلاماً بين الكعبة والاستار خفيّا فاستمعت فاذا هى تناجى وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ممّن حولى ممّن سمرهم وتفكّههم باللّغْو وذكر احوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغى لهم اللّهو والعَبَث لَئِن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضنّ

وبها المقام وحوض زمزم ترعا والحجر والركن والذى لا يرحَلُ
والمسجد العالى المحرّم والصَّفَا والمشعران لمن يطوف ويرمَــلُ
وبمكة الحسنات ضوعف اجرُها وبها المسیٓءُ عن الخطايا يغسل ؏

وقال الامام مالك رضى الله عنه المدينة افضل من مكة لما روى ان النبىّ صلعم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم انهم اخرجونى من احبّ البلاد الىّ فاسكنّى احبّ البلاد اليك رواه الحاكم فى المستدرك وما هو احبّ البلاد الى الله يكون افضل والظاهر استجابة دُعَائه صلعم وقد اسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون افضل البقاع؏ وله ادلّةٌ اخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطايفتَيْن نِزَاعٌ ومشاحنات والله تعالى اعلم بالصواب ✿

واما حُكْمُ المجاورة بمكة الشريفة شرفها الله تعالى فمذهب امامنا الاعظم ابى حنيفة رضى الله عنه وبعض اصحاب الامام الشافعى وجماعــة من المحتاطين فى دين الله رضوان الله عليهم اجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حُرمة البيت الشريف فى نظره وقلّة الاحترام بالأُلســن والتبسُّط الى ان يذهب من قلبه الاحترام والهيبة بالكلّية فيصير بيت الله تعالى فى نظره القاصر كساير البيوت والعياذ بالله تعالى او تنقص الهيبة والحرمة الاولى فى نظره كما هو شان ساير الناس فى الاكثر الا من عَصَمَه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم النـاس انيط به حُكم الكراهة فاقامة المُسْلِم فى وَطَنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها فى نظره خيرٌ له واسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها او مع نقصــان احترامه؏ هذا ملخّص امامنا الشافعى رضى الله عنه ولهذا كان عمــر رضى الله عنه يدور على الحاجّ بعد قضآء النسك بالدّرّة ويقول يا اهــل

جَزَمَ الجميع بان خيـــر الارض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأْواهـا ء

ثم اختلف العلمآء رحمهم الله فى ان مكة شرفهـــا الله تعالى افضل أم المدينة الشريفة عظّمهـــا الله تعالى فذهب الامام الاعظم ابو حنيفة واصحابه والامام الشافعى واصحابه والامام احمد ابن حنبل واصحابه رضى الله عنهم الى ان مكة افضل من المدينة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً لحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ان النبىّ صلعم قال صلاةٌ فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيمـــا سواه الاّ المسجد الحـــرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من ماية صلاة فى مسجدى رواه احمد وابن حبّان فى صحيحه ولا يرتاب فى الفضايل الّتى اثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيها بيته المعظّم الذى اذا قصده عِباده حَطّ عنهم أوْزارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلةً للمسلمين أحْيآءً وأمْوَاتاً وفرض الحجّ على ان استطاع اليه سبيلاً مرّة فى عمره وفى كلّ عام على النـــاس اجمعين فرض كفاية وحرّمهـــا يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الاّ باحرام وهو مَثْوى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ومَسْقِطُ راس خير الانام عليه السلام ومحلُّ اقامته قبل النبوّة وبعدها ثلاثة عشر عاماً ومحلُّ نزول اكثر القران ومَهْبَطُ الوَحْى ومظهر الايمان والاسلام ومَنْشَأُ الخلفاء الراشديـــن رضوان الله عليهم اجمعين وبها الحجر الاسود وزَمْزَم والمقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد قال القايل

ارضٌ بهـــا البيت المحرّم قبلة للعالمين له المساجد تـــعـــدلُ
حرمٌ حرام ارضها وصيودهـــا والصيد فى كلّ البلاد محـــلّـــلُ
وبها المشاعر والمناسك كلّهـــا والى فضيلتها البريّةُ تـــرْحَـــلُ

الله تعالى مكة بخمسة اسماء مكّة وبكّة والقرية والبلد وأُمّ القُرى، قال ابن عبّاس سُمّيت أُمّ القُرى لانها اعظم القرى شاناً وقيل لان الارض دحيَت من تحتها، ومن اسمائها كُوثَى وأُمّ كوثى لان كوثى اسم لمحلّ من قُعَيْقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها للجبابرة والوادى والحرم والعرش وبرّة وصَلَاحِ مبنيًّا على الكسر كحَذَامِ وقَطَامِ ومن اسمائها طيّبة ايضًا ومنها مَعَاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذى فرض عليك القران لرادّك الى مَعَادٍ لما فى الصحيحَيْن عن ابن عبّاس رضى الله عنه لرادّك الى مَعَاد قال الى مكّة، ومن اسمائها الباسّة بالباء الموحّدة والسين المهملة المشدّدة قاله مجاهد لانها تبسّ من أَلْحَدَ فيها اى تهلك لقوله تعالى وبُسّت الجبال بَسًّا، وتُسَمّى الناشّة ايضًا بالنون والشين المعجمة اى تَنُشّ بتشديد آخرها اى تطرد من أَلْحَدَ فيها وتنفيه، ولها اسامى كثيرة غير ما ذكرناه وللمَجْد الفيروزابادى رسالة فى اسمائها، قال الامام النّوَوى رحمه الله تعالى لا يعرف فى البلاد بلدة اكثر اسمآءً من مكة والمدينة لكونهما اشرف الارض وقال عبد الله المرجانى رحمه الله فى تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء مكة ومن الخواصّ اذا كتب بدم الرعاف عن جبين المرعوف مكة وسط الدنيا والله رؤُف بالعباد انقطع الدم ۞

وامّا فَضْلُ مكّة شرفها الله تعالى فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله تعالى شرفًا وتعظيماً افضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضى عياض ان موضع قبر نبيّنا صلعم اى ما ضمّ اعضآءه الشريفة افضل بقاع الارض بالاجماع لحُلُول سيّد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام وفيه قال البسكرى رحمه الله تعالى

محمّد فى الآثار عن ابى حنيفة عن عبد الله بن زياد عن ابن ابى نجيح عن عبد الله بن عمر عن النبىّ صلعم انه قال من اكل من أُجُور بيوت مكة شيئًا فكانّما اكل نارًا اخرجه الدارقطنى باسناد ضعيف وقال الصحيح انه موقوف ، وروى انه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان اهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له ، وعن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه انه نهى ان يُغْلَق بمكّة بابٌ دون الحاجّ فانهم ينزلون كلّما راوه فارغًا ، وكتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته الى امير مكة ان لا يَدَع اهل مكة ياخذون على بيوت مكة اجرًا فانه لا يحلّ لهم وكانوا ياخذون ذلك خفيةً ومساترةً وهذا مَبْنِىٌّ على أَصْلٍ وهو ان فتح مكة هل كان عنوةً فتكون مقسومة ولم يقسمها النبىّ صلعم واقرّها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع فهو أَوْلَى به وبهذا قال ابو حنيفة ومالك والأوزاعىّ رضى الله عنهم ، او كان فتحها صُلْحًا فتبقى ديارُهم بايديهم يتصرّفون فى املاكهم كيف شاؤا سكنًا واسكانًا وبيعًا واجارةً وغير ذلك وبه قال الامام الشافعىّ واحمد رضى الله عنهما وطايفة من المجتهدين رحمهم الله وعلى ذلك عمل الناس قديمًا وحديثًا ✿

وامّا أَسْمآء مكّة المشرفة فانها سُمّيت بها لقلّة مائها من قولهم امتكّ الفصيل ما فى ضرع أُمّه اذا لم يبق فيها شيئًا ولذلك تُسَمّى المعطشة او لانها تنقص الذنوب او تفنيها ، ومن اسمائها بَكّة لانها تبكّ اعناق الجبابرة اى تكسرها ومنها العَرُوض بفتح المهملة ولذلك سُمّى علم عروض الشعر عَرُوضًا لان الخليل بن احمد اخترعه بمكّة فسمّاه باسمها ، والبلد الأمين ، والبلد ، والقرية ، وأُمّ القُرى ، قال المحبّ الطبرىّ سُمّى

هُدِمَت او خربت الّا هذه الدار فانها باقية الى اليوم انتهى ✿
واّما حُكْم بَيْع دُور مكة المشرفة فقد ذكر الامام قاضى خان انه لا يجوز بَيْعُ دورها عند ابى حنيفة رضى الله عنه فى ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمّد وابى يوسف رحمهما الله قال صاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن ابى حنيفة ان بيع دور مكة جايز وفيها الشفعة وهو قول ابى يوسف وعليه الفتوى ذكره فى عيون المسايل؛ قال قوام الدين فى شرح الهداية بيع بنآء مكة جايز اتّفاقاً لان بناءها ملكه الذى بناه الا ترى ان من بنى فى ارض الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا؛ واّما بيع ارض مكة فلا يجوز عند ابى حنيفة وهو ظاهر الرواية عنهُ وهو قول محمّد وعند ابى يوسف يجوز ورجح الطّحاوى قول ابى يوسف وقال راينا المسجد الحرام الذى كان للناس سوآء العاكف فيه والبادى لا ملك لاحد فيه وراينا مكة على غير ذلك فقد اجيز البنآء فيها؛ وقال رسول الله صلعم يوم دخلها من دخل دار ابى سُفْيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فلمّا كانت ممّا يغلق عليه الابواب وتُبْنَى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع الّتى تجرى فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى الذين كفروا ويَصُدُّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والبادى لانّ المراد المسجد الحرام لا جميع ارض مكة؛ انتهى ملخّصاً ✿
واّما اجارة دُور مكة فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن ابى حنيفة انه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم ان ينزلوا عليهم فى دورهم اذا كان فيها فَضْل وان لم يكن فلا وهو قول محمّد رحمه الله انتهى؛ وروى

العبّاسى وما عرفتُ هل هو هذا السور الذى هو باعلا مكة واسفلها او من احد الجهتين، قال وطول مكة من باب المعلاة الى باب الماجن يعنى درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذى كان موجودًا فى زمانه طريق المُدَّعَى والمَسْعَى ومسيل وادى ابراهيم والسوق الذى يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة اربعة الاف ذراع واثنان وسبعون ذراعًا بتقديم السين بذراع اليد وهو ينقص ثُمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعنى الذراع الشرعىّ، وطول مكة من باب المَعْلاة الى باب الشبيكة من طريق المُدَّعَى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة اربعة الاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعًا بتقديم السين بذراع اليد ايضًا انتهى، وقال ايضًا ذكر الزبير بن بكّار عن ابى سُفْيان بن ابى وداعة السَّهْمىّ ان سعد بن عمرو السهمى اوّل من بنى بيتًا بمكّة وانشد فى ذلك شعرًا منه قوله

واوّل من بَوّأَ بمكّة بيته وسوّر فيها ساكنًا بأثافى،

قال وينبغى لمن بَنَى بمكّة بيتًا ان لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يامر بهدمه، قال الازرقىّ وانّما سُمّيت الكعبة كعبة لانّه لا يُبْنَى بمكّة بناءٌ مرتفع عليها ثم قال حدّثنى جدّى عن ابن عُيَيْنة عن ابن شَيْبة الحَجَبى عن شيبة بن عثمان انه كان يشرف فلا يرى بيتًا مشرفًا على الكعبة الّا امر بهدمه، ثم قال قال جدّى لمّا بَنَى العبّاس بن محمّد بن على بن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنه داره الّتى بمكّة حيال المسجد الحرام امر قومه ان لا يرفعوها على الكعبة وان يجعلوا اعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظامًا للكعبة قال الازرقى قال جدّى فلم تبق بمكّة دار لكبير او غيره تشرف على الكعبة الّا

من الجبل الذى الى جهة القرارة ويقال له لَعْلَع الى الجبل المقابل الذى الى جهة سوق الليل قال وفى الجبل آثار تدلّ على اتّصال السور بهـا انتهى ولم يبق الآن شىء من آثار هذا السور الثانى مُطْلَقًا ولعلّ دُور مكة كانت تنتهى الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتّصل العُمْران الى ان احتيج الى سور المَعْلَاة ، قال الفاكهى رحمه الله ومن آثار النبى صلّى الله عليه وسلّم مسجد باعلا مكة يقال ان النبىّ صلعم صلّى فيه عند بئر جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدى بن نَوْفَل وكان النـاس لا يتجـاوزون فى السُّكنى فى قدم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفى ذلك يقول عمرو بن ابى ربيعة

نَزَلَتْ بمكّة من قبايل نَوْفَـل ونَزَلْتُ خلف البئر أَبْعَد مَنْزِل

حَذَرًا عليها من مقالة كاشح ذَرِب اللسان يقول ما لم يَفْعَـل ،

قلتُ المسجد هذا هو مسجد الراية موجود يزار الى الآن يقـال ان النبىّ صلعم وضع رايتَهُ يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجـاوز العُمْران عن حدّ هذه البئر كثيرًا الى صَوْب المَعْلَاة ، وامّا حُدُوث هذه الأَسْوار فقد قال التقى الفاسىّ رحمـه الله ما عَرَفْتُ متى انشيتْ هذه الاسوار بمكّة ولا من انشاها ولا من عمّرهـا غير انه بلغنى ان الشريف ابا عزيز قَتَادة بن إدْرِيس الحَسَنى جدّ ساداتنا لشراف مكّة ادام الله عزّهم وسعادتهم هو الذى عمّرهـا قال واظنّ ان فى دولته عُمّر السور الذى باعلا مكة وفى دولته سهلت العقبة الّتى بـنى عليهـا سور باب الشُّبَيْكة وذلك من جهة المظفّر صاحب إرْبِل فى سنة سبع وستماية ولعلّه الذى بنى السور الذى باعلا مكة والله اعلم ، قال ورايت فى بعض التواريخ ما يقتضى انه كان لمكّة سورٌ فى زمن المقتدر

فى بحر انعامها واحسانها ونعمته الوريفة ادام الله تعالى سلطنته الزاهرة، واطال عمره الشريف وخلّد دولته القاهرة، وخلافته الباهرة ۞

ومكة شرفها الله تعالى تحيط بها جبال لا تسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاثة مواضع احدها من جهة المعلّاة والثانية من جهة الشُّبَيْكة والثالثة المَسْفَلة وامّا الجبال المحيطة بها فيسلك من بعض شعابها الرجال على اقدامهم لا الخيل والجمال والاحمال، وكانت مكة فى قديم الزمان مسوّرة فجهة المعلّاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل له وكان فيه باب من خشب مصفّح بالحديد اهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد ادركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقوب للسَّيْل قصير دون القامة وهو على سمت قطعة جدر بنى الى جانب سبيل على مجرى دبل عين حُنَيْن بناه المرحوم مصطفى ناظر الدين باسم المرحوم المقدس السلطان سُلَيْمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل فى يوم العطش الاكبر يوم الميزان، وجعل علوّ السبيل منظرة فيها شبابيك من الجهات الاربع يتنزّه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وتهدّم ما عداه، وكان فى جهة الشُّبَيْكة ايضا سور ما بين جبلَيْن متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان ذلك السور فيه بابان بعقدَيْن ادركنا احد العقدَيْن يدخل منه الجمال والاحمال ثم تهدّم شيئا فشيئا الى ان لم يبق منه شىء الآن ولم يبق منه الا فجّ بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج، وكان سور فى جهة المسْفَلة فى درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره، وذكر التقى الفاسىّ نقلاً عمّن تقدّم انه كان لمكّة سور من اعلاها دون السور الذى تقدّم ذكره قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية وانه كان

الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده فى جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط واما الملايكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيًا عن اعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على ادام تلك العبادة بالانفراد ظاهرًا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد فى جميع الدنيا ولا يشاركه غيره فى تلك العبادة بعينها الا الطّواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله تعالى اعلم بالسراير حتى حكى لى والدى رحمه الله تعالى ان وليًّا من اولياء الله تعالى رَصَدَ الطواف الشريف اربعين عامًا ليلًا ونهارًا ليفوز بالطواف وحده فراى بعد هذه المدّة خلوّ المطاف الشريف فتقدّم ليشرع واذا بحيّة تشاركه فى ذلك الطواف فقال لها ما انت من خلق الله تعالى فقالت انى أَرْصُدُ ما رَصَدْتَه قبلك بماية عام فقال لها حيث كنتِ انتِ من غير البشر فانى فُزْتُ بالانفراد بهذه العبادة من بين البشر واتمّ طوافه، وحكى لى شيخ معمّر من اهل مكّة انه شاهد الظباء تنزل من جبل ابى قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلوّ المسجد من الناس وهو صدوق عندى، وكُنّا نَرى سوق المَسْعَى وقت الضحى خاليًا عن الباعة وكُنّا نرى القوافل تاتى بالحنطة من بُجَيْلَة فلا يَجِدُ اهلُها من يشترى منهم جميع ما جلبوه فكانوا يبيعون ما جآءوا به بالأَجَل اضطرارًا ليعودوا بعد ذلك وياخذوا اثمان ما باعوه وكانت الأسْعار رخيّة جدًّا لقلّة الناس وعزّة الدراهم، واما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنّون آمنون فى ظلال السلطنة الشريفة خايضون

الجبل الذى يقال له الأحمر وكان يُسمّى فى الجاهلية الأعرف وهو الجبل المشرف على قُعَيقِعان وعلى دُور عبد الله بن الزُبَير الثقفى ، فيكون قعيقعان ما يشرف عليه الجبل المقابل لابى قُبَيس وقال ياقوت فى مُعجَم البلدان قُعَيقِعان جبل مشرف على مكة وجهه الى ابى قبيس انتهى ، فيكون قعيقعان هو نفس الجبل ، وانما سُمّى الآن جُبيل جِرّان بكسر الجيم وفتح الزاى وتشديد اللام لانّ طايفة من الحبوش يقيمون بهذا الجبل يُسمّون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطَّبل ، واما موضع الكعبة المعظمة فهو فى وسط المسجد الحرام والمسجد الحرام بين هذين الجبلين فى وسط مكة ولها شعاب كثيرة مُزوّرة اذا اشرف الانسان من جبل ابى قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى اكثرها ، وهى تَسَعُ خَلقًا كثيرًا خصوصا فى ايام الحج فانه يَرِدُ اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد والبصرة والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعُربان جزيرة العرب وطوايف لا يحصيهم الا الله تعالى فتَسَعُهم جميعهم وأفنيتها وجبالها ووهادها ، وهى تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاة والامن والخوف والغلاء والرخاء وهى الآن بحمد الله تعالى فى دولة السلطان الاعظم الفيّاض الاكرم ، معمّر هذا العالم بالعدل والفضل والكرم ، السلطان مُراد خان خلّد الله مُلكه ، وجعل بساط البسيطة مِلْكه ، فى اعلا درجات العمارة والامن والرخاء بحيث ما راينا منذ اوّل العمر الى الآن هذه العمارة ولا قريبًا منها ، وكنتُ اشاهد قبل الآن فى سنّ الصبا خُلُوّ الحرم الشريف وخلوّ المطاف من الطايفين حتى انى ادركت الطواف وحدى من غير ان يكون معى احدٌ مرارًا كثيرة كنتُ اترصّده خليًّا لكثرة ثواب بان يكون

المُسْنِد المعمّر خطيب بلد الله الحرام احمد محبّ الدين بن ابى القاسم محمّد العُقَيْلى النُّوَيْرى المكّى تغمّده الله تعالى برحمته قال انبانا به المسند المعمّر ابو العبّاس احمد بن محمّد الدمشقى الشهير بالحَقّار اجازةً قال انبأتْنى به المسندة المعمّرة زَيْنَب بنت احمد بن عبد الرحيم اجازة قالت انبانى به الحافظ المسند بهاء الدين ابو الحسن علىّ بن هِبَة الله سبط الجُمَّيْزى اجازةً قال انبأنا الحافظ المسند ابو طاهر احمد بن محمّد السِّلَفىُّ اجازة قال انبانا به الحافظ محمد بن احمد التُّجيبىُّ كتابةً قال انبانا به الحافظ ابو على الحسين بن محمّد الجَيّانى الغَسّانى احد اركان الحديث بقُرْطبة قال انبانا به الحافظ الحكم بن محمّد الجُذَامى عن ابى القاسم بن ابى غالب الهمدانى عن ابى الحسن الانصارى عن مؤلّفه رحمه الله تعالى ٭

الباب الاوّل

فى ذكر وَضْع مكّة المشرفة شرفها الله تعالى وحُكْم بَيْع دُورها واجارتها وحُكْم المجاورة فيها ٭

اعلم ان بلد الله الحرام مكّة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مَبْدَأ ونهايتان فَمَبْدَأُها المَعْلَاةُ وهى المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جُدَّةَ موضع يقال له الشُّبَيْكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيّدنا حَمْزة رضى الله عنه فى لصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان ٭ وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جِزْل الى اكثر من نصف جبل ابى قُبَيْس ويقال لهذَيْن الجبلين الأَخْشَبان وسمّاهما الازرقى جبل ابى قبيس والجبل الأحمر فانه قال أَخْشَبا مَكّةَ ابو قُبَيْس وهو الجبل المشرف على الصّفا والاخر

مؤرّخى مكّة هو الامام ابو الوليد محمّد بن عبد الله الأزرقىّ ثم الامام
ابو عبد الله محمد بن اسحاق بن العبّاس الفاكهىّ المكّىّ ثم قاضى
القضاة السيّد تقى الدين محمّد بن احمد بن علىّ الحسنى الفاسى ثم
المكّى ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمّد ابن فهد الشافعى العلوى
المكّى ثم ولده الشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن عمر ابن فهد وهذا
الاخير ممّن ادركناه ولنا عنه رواية ، وامّا الاوّلون فنذكر سندنا اليهم
ليعتمد على نقلنا عنهم فامّا ابو الوليد الأزرقى فروينا مؤلّفاته عن جماعة
أجلّاء اخيار وعلماء كبار منهم والدى المرحوم مولانا علاء الدين احمد
ابن محمّد بن قاضى خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفىّ القادرى
الخرقانى النهروالى ثم المكّى رحمه الله وليس جدّنا قاضى خان هذا صاحب
الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غير ذلك من علماء نهروالة
قال اخبرنى بها العزّ عبد العزيز ابن فهد عن والده الحافظ نجم الدين
عمر ابن فهد عن شيخه قاضى القضاة السيّد تقى الدين محمّد بن
احمد بن على الفاسى المؤرّخ قال اخبرنا بها ابو المعالى عبد الله بن عمر
الصوفى عن ابى زكرياء يحيى بن يوسف القرشى اجازةً ان ابا الحسن علىّ
ابن هبة الله الخطيب وعبد الله بن ظافر الازدى أنبأه عن ابى طاهر
احمد بن محمّد الحافظ قال انبانا بها المبارك بن عبد الجبّار المعروف بابن
الطّيورى قال انبانا بها ابو طالب محمّد بن علىّ بن الفتح العشارى قال
انبانا بها ابو بكر بن احمد بن محمّد بن ابى موسى الهاشمى قال انبانا
بها ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال انبانا ابو الوليد
محمّد بن عبد الله بن احمد بن محمّد بن الوليد الازرقى رحمه الله تعالى
وامّا ابو عبد الله محمّد بن اسحاق الفاكهى فانّى اروى مؤلّفه عن الحافظ

وقد رَأَيْنا ان نقسم هذا الكتاب المستطاب، الى مقدّمة وعشرة ابواب، وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج اليها والى الله المرجع والمآب، الباب الاول فى ذكر وضع مكّة المشرفة شرفها الله تعالى وحُكم بيع دورها واجارتها وحُكم المجاورة بها، الباب الثانى فى بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفًا وتعظيمًا ومهابةً وتكريمًا، الباب الثالث فى بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام فى الجاهلية وصدر الاسلام، الباب الرابع فى ذكر ما زاد العبّاسيون فى المسجد الحرام، الباب الخامس فى ذكر الزيادتَيْن اللتين زيدَتا فى المسجد الحرام بعد تربيعه الذى امر به المهدى العَبّاسىُّ، الباب السادس فى ذكر ما عمّرته ملوك الجراكسة فى المسجد الحرام، الباب السابع فى ظهور ملوك آل عُثْمـان، خلّد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدَّوَران، وفيه نُبْذَة من اخبار شاه اسماعيل القزلباش وما وقع منه، الباب الثامن فى دولة السلطان، المحفوف بالرحمة والرضوان، السلطان سُلَيْمان خان، الباب التاسع فى دولة السلطان الاعظم الخاقانى، السلطان سَليم خان الثانى، الباب العاشر فى سلطنة السلطان، فريد العصر والزمان، مولانا السلطان مُراد خان، الخاتمة فى ذكر المواضع المباركة والاماكن الماثورة المستجاب فيها الدُّعاء بمكة المشرفة۞

المُقَدِّمة

في ذكر سندنا فيما ننقله في كتابنا هذا من اخبار البلد الحرام الي من ننقل عنه الوثوق والاعتماد*

اعلم ان من بركة العلم نسبته الى قايله وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوى ومن يُنْقَل عنه فلا اعتماد على ذلك النقل ولا بُدّ ان يكون رجال السند موثوقًا بهم والّا فلا اعتبار لتلك الرواية، وأَقْدَم

هكــذا هكــذا والّا فــلا لا انّما الملك فى بنى عثمــان،

ولّما كان هذا البُنْيان، العظيم الاركان، اثرًا باقيًا على صفحات الزمان، دالًّا على عظم شأْن، مَنْ امر به من اعيان الانسان، كما اشار اليه القايل فى سالف الزمان،

انّ البناء اذا تعاظم امره اضحى يدلّ على عظيم البانى

جمعتُ فى هذه الاوراق، من اخبار ذلك ما رقّ وَرَاق، تسير به الركبان الى ساير الافاق، وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق، وتُحْفَظ فى خزاين الملوك والسلاطين كانفس الاعلاق، فكان كتاباً حسناً فى بابه، ممتعًا لمن تعلّق بأسْبابه، انيسًا تجمل موانستُه، وجليسًا لا تملُّ مجالستُه، جمع بين لطايف تاريخيّة، واحكام شرعيّة، ومواعظ نافعة، وفوايد بارعة، وسَمّيْتُه

كتاب الإعْلَام، بأعْلَامِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ

وخدمتُ به خزاين كُتُب هذا السلطان الاعظم، الشابّ الاعدل الاكرم، المطيع لأمْر الله وأمْر خير الانبياء صلى الله عليه وسلم احد السبعة الذين يظلّهم الله يوم القيمة تحت ظِلّه، يوم لا ظِلّ الّا ظِلّه، ويشملهم بفيض فضله، العظيم فلا فضلَ الّا فضلُه، خلّد الله على الاسلام والمسلمين، ظلال سلطانه القوىّ المتين، لتأْييد هذا الدين المبين، وانام الأَنَامَ فى ظلّ امانه وعدله المكين، وابقاه على سرير السلطنة العادلة دهرًا طويلًا، وثبّته على نَهْج الكتاب والسُّنّة ولن تجد لسُنّة الله تبديلاً، والله نسال ان يكسو هذا المؤلّف من حُسن القبول جلباباً لا يَخْلقه كَرُّ الليالى والايّام، ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفايزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام، امين ✿

عظمآء ملوك الاسلام، سلطان سلاطين الارض، مالك بساط البسيطة بالطول والعرض، القائم بوظايف النفل والسُّنّة والفرض، خداوندكار العالم وسلطانه، وامير المومنين الذى جلس على كرسى الخلافة فما قدر كسرى وايوانه، الذى غُذّىَ بلِبَانِ حُبّ العَدل والاحسان، ونَشَأَ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن، واحبّ العلمآء والصلحآء وامدّهم بالخيرات الحسان، الى ان عَجَزَ عن القيام بحقّ شكره لِسَانَ كلّ مَلْسان، مجدّد مَعَالم المسجد الحرام هو وابوه وجَدُّهُ، ومشيّد مدارس العلوم الدينيّة وقد شملها سَعْدُهُ وجِدُّهُ، ناشر أَلْوِيَة الامن والامان فى جميع الممالك والبلاد، ظلّ الله الممدود على كافّة العباد، السلطان الاعظم والليث الغَشَمْشم والبحر الغَطَمْطَم مَوْلَانَا السُّلْطَان مُرَاد، جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى عقبه الى يوم التناد، وازال بنور عدله ظُلَم الظُّلْم والفساد، وشتّت بسَيْف قهره شمل اهل الكفر والالحاد، وهدم بمَعَاوِل بَأْسه وسَطْوَته الكنايس والبيع، وعمّر بصيت مَعْدِلته وصَيّب عدله ورافته المساجد والجُمع، كما قال الله القوىّ القادر، فى محكم كتابه العظيم الباهر، انّما يَعْمُرُ مساجدَ الله مَنْ آمن بالله واليوم الآخر، وفى ذلك اقول

انّ سلطاننا مُرَادًا لَظِلُّ ٱللّهِ فى الارض باهر السلطان
مَلِكٌ صار مَنْ مَضَى من ملوك ٱلْ أَرْضِ لَفْظًا وجاء عين المعانى
مَلِكٌ وَهْوَ فى الحقيقة عندى مَلَكٌ صِيغَ صِيغَةَ الانسان
ملك عادلٌ فكلٌّ ضعيف وقَوِىٌّ فى حُكمه سِيّان
سيفُه والمنون طِرْفَا رِهَانٍ لحُلُوق العدوّ يبتدران
كمّل المسجد الحرام بناء فاق فى العالمين كلّ المبانى

سنشرحه ان شاء الله تعالى، وقد كان آخر ما شاهدناه من آخر ايام الصباء الى الكهولة ما عمّره المهدى العبّاسى وزيادة دار الندوة للمعتضد العبّاسى وزيادة باب ابراهيم للمقتدر العبّاسى ثم مالت الأروقة الثلاثة من الجانب الشرقى من المسجد الحرام من سنة ٩٥٠ وفارق السطح المتّصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الأفضليّة لصاحب اليمن التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرمّون ذلك من جانب السلطنة الشريفة فى ايّام السلطان الاعظم السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والرضوان، الى ان مال هذا الجانب الشرقى ميلاً ظاهراً محسوساً بحيث كان يُخشى سقوطه ثم عُلِّق وأُسْنِدَ بالاخشاب فى ايّام السلطان الاعظم، والخاقان الاجلّ الاكرم، ملك ملوك العَصْر والزمان، الحليم السليم الكثير الاحسان، السلطان سَليم خان، ابن سليمان خان، انزل اللهُ عليه شآبيب الرحمة والغفران، فعرض ذلك عليه فبرز امره الشريف ببنـاء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على احسن وجه واجمل صورة وامر ان يجعل مكـان السطح قُبَباً محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يَبْلَى بتقادم الزمان وتاكله الارضة والقُبَب امكن وازين وذلك فى سنة تسع وسبعين وتسعماية، فلمّا وصل الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ٩٨٠ على وجه جميـل بغاية الاحكام والاتقان، وأُسِّسَ على تقوى من الله ورضوان، الى ان نُقِلَ من سرير سلطنة الدنيا، الى مُلْكٍ لا يَبْلَى، وعِزٍّ لا يَفْنَى، وسلطان لا يزول، ونعيم لا يَنْفَد ولا يحول، فى جنّة عالية، فيها عين جارية، فيها سُرُرٌ مرفوعة، واكواب موضوعة، ونَمَارِقُ مصفوفة، وزَرَابِيُّ مبثوثة، ثم كَمُل اتمام عمارة المسجد الحرام، فى ايّام دولة السلطان الاعظم الهُمام، اجلّ

فقد حاسَبَ على عُمره، ومَنْ كَتَبَ وقائع ايّامه فقد كتب كتاباً الى مَنْ بعده بحوادث دهره، ومن قيّد ما شاهَدَ فقد اشهَدَ احوال اهل عصره، من لم يكن فى عصره، ومن كتب التاريخ فقد اهدى الى من بعده اعماراً، وبَوَّأ مَسَامِعَهم وابصارهم دياراً، ما كانت لهم دياراً، واعلم اهل الافاق باخبار بلاد ما كانت لهم مستقرّا ولا داراً،

فَاتَنى ان أَرَى الديار بعَيْنى   فلَعَلّى ارى الديار بسَمْعى،

ولقد افادنا الامم الماضون باخبارهم، وأَطْلعونا على ما دثر وبقى من اثارهم، فابصرنا ما لم نشاهده بابصارهم، واحطنا بما لم نُحِطْ به خُبْرًا باخبارهم، فرحمهم الله تعالى اجمعين، وبَوَّأهم جنّات عدن فيها خالدين،

لقد غرَسوا حتّى أَكَلْنَا واننّا   لنَغْرِسُ حتّى ياكل الناسُ بعدنا،

فأَرَدْنا افادة من بعدنا ببعض ما رَأَيْنا وشهدنا، واعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا، استدعاءً للدُّعاء منهم والاسترحام، وطلبًا للمثوبة من الله البرّ السلام، ولقد قلت فى هذا المُقام،

لم يبقَ منّا غير آثارنا   وتَنْمَحى من بعد اخلاق
وكلّنا مَرْجعنا للفنا   وانّما الله هو الباقى،

تنبيه لا يخفى على ضماير اولى الابصار والبصاير، وخواطر اهل الفَضْل الباهر، ان المسجد الحرام، الذى هو حَرَمٌ آمنٌ للانام، زاده الله تعالى شرفًا وتعظيماً، ومنحه عِزًّا وعظمةً ومهابةً وتكريمًا، اعظم مساجد الدُّنْيا، واشرف مكان خصّه الله تعالى بالشرف والعليَا، يَجِبُ تعظيمُه وتكريمه على كافّة الانام، سيّما سلاطين الاسلام، الذين هم ظلُّ الله فى العالم، وخلايف الله فى الارض على كافّة بنى آدم، وقد بنى هذا المسجد ووسّعه عدّة من الخلفاء امرآء المومنين، ونمّقه ورسّمه جُملة من اكابر السلاطين، كما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله الذى جعل المسجد الحرام حَرَمًا آمنًا ومثابةً للنّــاس، وامر بتطهير الكعبة البيت الحرام للطائفين والعاكفين وازال عنهـا الخــوف والبَــأْس، وقَيَّضَ لعمــارة حرمه الامين، اعاظم الخلفآء والسلاطين، واجلسهم على سرير السعادة اكرم اجلاس، نَحْمَدُهُ على حُصُول المراد، ونشكره على الكرامة والاسعاد، بهذا الحرم الشريف الذى سوآء العاكف فيه والباد، ونشهد ان لا اله الّا الله وحده لا شريك له الملك الــبــرّ السلام، ونشهد ان سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله المنزّل عليه قد نَرَى تقلُّبَ وجهك فى السماء فلنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً ترضاهـا فوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام، القايل من بَنَى مسجدًا لله كمَفْحَص قطاة او اصغر بنى اللهُ له بيتًا فى الجنّة اى دار السلام، صلّى الله عليه وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، نجوم الدين ومصابيح الظلام، ما طاف بالبيت العتيق طائف، واعتكف بالمسجد الحرام عاكف، ووقف بعَرَفات والمشعر الحرام واقف،

اما بعد فلمّا وَفَّقَنى الله تعــالى لخدمة العلم الشريف، وجعلنى من جيران بيته المعظم المنيف، تَشَوَّقَتْ نفسى الى الاطّلاع على علم الآثار، وتشوَّقَتْ الى فنّ التاريخ وعلم الاخبــار، لاشتماله على حوادث الزمان، وما ابقاه الدهرُ من اخبــار وقائع الدَّوَرَان، واحوال السلف وما ابقوا من الآثار والاحداث، بعد ما صاروا الى الاجداث، فان فى ذلك عبــرةً لمــن اعتبر، وايقاظًا بحال من مضى وغبر، واعلامًا بان ساكن الدنيــا على جناح سفر، ومفاكهةً للفضلاء وافادةً لمن ياتى بعد من البشر، فان مَنْ ارّخ



